بسم الله الرحمن الرحيم

الطبري وآراؤه في النحو
من خلال تفسيره
«جامع البيان عنْ تأويل آي القرآن»

قدم هذا البحث لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة

من قبل:

ناصر الدين أبو خضير

تم إعداد هذا البحث تحت إشراف

البرفسور أريه لفين

قدم لمجلس إدارة الجامعة العبرية في القدس

سنة ٢٠٠٥

Digitized by Birzeit University Library

179244

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبري وآراؤه في النحو
من خلال تفسيره
«جامع البيان عن تأويل آي القرآن»

قدم هذا البحث لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة

من قبل:

ناصر الدين أبو خضير

27023
مكتبة جامعة بير زيت
045682
BIRZEIT UNIVERSITY LIBRARY

Thesis
BP
130.4
.T2733
A27
2005

تم إعداد هذا البحث تحت إشراف

البرفسور أريه لفين

قدم لمجلس إدارة الجامعة العبرية في القدس

سنة ٢٠٠٥

Digitized by Birzeit University Library

فهرس المحتويات

	الصفحة
المدخل:	١
١. تعريف بالطبري	٢
٢. مسألة البحث و مشاكله المتوقعة	٣
٣. عرض موجز لما سيتم دراسته في فصول البحث	٤
الدراسة:	
١. الفصل الأول: مصادر الطبري النحوية	٦
١: ١ الفراء	٧
١: ٢ الكسائي	١٣
١: ٣ الأحمر الكوفي	١٥
١: ٤ ثعلب	١٦
١: ٥ أبو عبيدة	١٧
١: ٦ الأخفش الأوسط	٢٠
١: ٧ قطرب	٢٢
١: ٨ الزجاج و المبرد	٢٤
١: ٩ القاسم بن سلام	٢٥
١: ١٠ ابن قتيبة	٢٦
١: ١١ المصادر الأخرى	٢٧
٢. الفصل الثاني: مصطلحات الطبري النحوية:	٢٩
القسم الأول: دراسة تفصيلية لمجموعة من المصطلحات النحوية:	٣٠
٢: ١ النصب على القطع	٣٠
٢: ٢ الصرف	٤٠
٢: ٣ الصلة ومصطلحات مرادفة	٤٤
٢: ٣: ١ الصلة	٤٤
٢: ٣: ٢ سقوط الصلة، إلقاء الصفة	٤٦
٢: ٣: ٣ صلة الموصول	٤٨
٢: ٣: ٤ الحشو	٤٩
٢: ٣: ٥ زائدة	٥٠

Digitized by Birzeit University Library

٢: ٣: ٦ اللغو
٢: ٣: ٧ مقحمة
٢: ٣: ٨ التتميم، الطرح، الإسقاط
٢: ٤ مصطلح التقريب
٢: ٥ النصب على الخروج
٢: ٥: ١ الحال
٢: ٥: ٢ المصدر
٢: ٥: ٣ التمييز
٢: ٦ مصطلح المفسر، تفسير
٢: ٦: ١ النصب على التفسير
٢: ٦: ٢ التفسير بمعنى التمييز
٢: ٦: ٣ الترجمة، البدل
٢: ٧ مصطلح الفعل
٢: ٧: ١ أزمنة الفعل
٢: ٧: ٢ الفعل بمعنى المصدر و المشتقات
٢: ٧: ٣ على اتصال الفعل و دوامه «ما يسمى اليوم بأفعال الاستعانة»
٢: ٧: ٤ الفعل بمعنى الخبر
٢: ٧: ٥ فعل يحتاج إلى اسمين، فعل لا يستغني عن خبر (كان وأخواتها، أفعال القلوب)
٢: ٧: ٦ الفعل بمعنى الحال
٢: ٧:٧ الفعل الدائم

القسم الثاني: المصطلحات النحوية في تفسير الطبري مرتبة أبتثيا:

الفصل الثالث: المسائل الخلافية بين الكوفيين و البصريين في تفسير الطبري
٣: ١ القسم الأول: موقف الطبري من مسائل الخلاف
٣: ١:١ مع الكوفيين
٣: ١: ٢ مع البصريين، أو التي عبر فيها عن موقف مستقل
٣: ٢ القسم الثاني: مقارنة مجموعة من المسائل الخلافية
في تفسير الطبري مع «الإنصاف» للأنباري:
٣: ٢: ١ العامل في رفع المبتدأ و الخبر
٣: ٢: ٢ زيادة واو العطف
٣: ٢: ٣ هل يجوز العطف على الضمير المخفوض ؟
٣: ٢: ٤ فعل الأمر: هل هو مبني أم معرب ؟

Digitized by Birzeit University Library

٣: ٢: ٥ العامل في نصب الفعل المضارع بعد واو المعية
٣: ٢: ٦ موضع ضمير الفصل من الإعراب
٣: ٢: ٧ الفصل بين المضاف و المضاف إليه
٣: ٣ القسم الثالث: هل تؤدي نتائج هذا البحث، في ضوء تفسير الطبري، إلى أن مسائل الخلاف بين المذهبين أصيلة أم وضعت على أيدي المتأخرين من النحاة ؟
٣: ٣:١ منهج الطبري في استعراض المسائل الخلافية
٣: ٣: ٢ مناقشة الأبحاث المعاصرة المتعلقة بمسائل الخلاف

٤: الفصل الرابع: مذهب الطبري النحوي وتأثير آرائه الدينية في مواقفه من النحو و النحاة و اللغة
٤: ١ القسم الأول: آراؤه الدينية و علاقتها بالنحو واللغة
٤: ١:١ النحاة و المفسرون
٤: ١: ٢ اللغة الفصحى بين لغة القرآن و كلام العرب و الشعر الجاهلي: القياس والسماع، المولد و الفصيح، لغات العرب الفصيحة، ما قالته العرب، الشعر القديم
٤: ٢ القسم الثاني: مذهب الطبري النحوي: هل هو كوفي أم بغدادي أم بصري ؟ هل هو من النحاة المتخصصين ؟

نتائج البحث: أهم إنجازات البحث
المصادر و المراجع باللغة العربية
المراجع باللغات الأخرى
فهرس المصطلحات النحوية
ملخص باللغة العبرية
ملخص باللغة الإنجليزية

Digitized by Birzeit University Library

قال أبو حامد الإسفراييني :

« لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيرا »

(مرآة الجنان ٢ ، ٢٦١)

Digitized by Birzeit University Library

المـــدخل

Digitized by Birzeit University Library

١. الطبري

أ- حياته: هو الامام أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، من مواليد مدينة آمل في طبرستان المتاخمة لبحر قزوين شمالي إيران، ولد في شتاء سنة ٢٢٤ هـ/ ٨٣٩ م، وتوفي في مدينة بغداد، عشية الأحد، ودفن في ضحى نهار الاثنين في داره في حي «رحبة يعقوب» في بغداد، في ٢٧ شوال الموافق لـ ١٦ شباط ٩٢٣.[i]

فقيه مجتهد و محدث و مفسر و مؤرخ و عالم في القراءات القرآنية، ارتحل عن بلده ولم يبلغ الثامنة عشرة طلبا للعلم، وقد أوقف والده ضيعة في آمل، لتغطي نفقاته طوال حياته، حتى لا يضطر إلى كسب معاشه، كالعمل في القضاء أو ما شابه، فيعيق طلبه للعلم، لأن أباه توسم فيه آيات النبوغ صغيرا.

كان الطبري يحث السير مسرعا للقاء ابن حنبل، ولكن الأخير توفي قبل دخول الطبري بغداد بقليل. ثم قام الطبري برحلة طويلة لطلب الحديث، شملت بلاد الشام، وزار مصر مرتين[ii].

ب- مذهبه الفقهي: كان الطبري على مذهب الشافعي، ثم اختار لنفسه مذهبا مستقلا في الفقه سمي بالجريرية، لذلك يطلق على من يتفقه من تلاميذه على مذهبه «الجريري».

لم يكتب لهذا المذهب البقاء كالمذاهب الفقهية الأخرى، ربما لعدم اختلافه بشكل جوهري عن المذهب الشافعي، أو بسبب عدم نبوغ تلاميذه ؛ لذلك ذكر الذهبي أن مذهبه استمر إلى ما بعد القرن الرابع الهجري، ثم تلاشى أثره بعد ذلك.[iii]

اختلف الطبري مع الحنابلة، واعتدوا عليه أثناء دروسه وفي بيته أكثر من مرة، بسبب موقفه من ابن حنبل، لاعتباره إياه محدثا، وليس فقيها، وبسبب موقفه من قضية الجلوس على العرش و أمور أخرى.

جـ- مسألة تشيعه:

يخلط الرواة و المؤرخون أحيانا بينه، وبين سميه: محمد بن جرير بن رستم، أبو جعفر الطبري الإمامي الرافضي، أي الذي ينتمي إلى الإمامية من الشيعة، وهذا الأخير عاصر تلاميذ الطبري العامي، أي الذي ينتمي إلى مذهب العامة من أهل السنة.

---

i تاريخ دمشق ٥٢, ٢٠٥؛ بوزورث (٢٠٠٠) EI2 11 (C. E. Bosworth),S.V, Al-Ṭabari, Vol. X, pp11-16.

ii المرجع السابق نفسه

iii سير أعلام النبلاء ٨, ٩٢

Digitized by Birzeit University Library

تنبه إلى هذا الأمر المحدث ابن حجر العسقلاني، الذي أشار إلى وهم الطاعنين في عقيدته، ونبه إلى أن هنالك عالما شيعيا يحمل الاسم نفسه.[iv]

ونبه صاحب كتاب «طبقات الشيعة» إلى هذا الوهم في الخلط بين الشخصيتين، وذكر أن ابن رستم الطبري الإمامي المتشيع ألف في الإمامة و «مناقب أهل البيت»، وقال بأن الناظر في تفسير الطبري و تاريخه يتأكد أنه ليس متشيعا.[v]

د- مؤلفاته: منها ما وصلنا كاملا، نحو: التفسير و تاريخ الرسل والملوك، ومنها ما وصلنا جزئيا: نحو كتاب اختلاف الفقهاء و تهذيب الآثار.[vi]

من خلال ما نجده في تفسير الطبري، نلاحظ أنه أشار إلى كتابه: لطيف القول في أحكام شرائع الدين، في خمسة مواقع من تفسيره، وهو كتاب مهم جدا، وضع فيه الطبري أختياراته و آراءه الفقهية، وقد أشار إلى هذا الكتاب بصيغ مختلفة، نحو: كتاب البيان عن أصول الأحكام، أو: اللطيف عن أصول الأحكام، أو: لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام، و المرجّح أن هذه العناوين تدل على كتاب واحد فقط.[vii]

ويجدر بنا الاشارة إلى نقطة أخرى، وهي أنه يشير في التفسير إلى أبواب من كتبه و يسميها، مثلا: كتاب الجراح، أو: كتاب الأطعمة، أو كتاب السرقة، وهي في الحقيقة، ليست كتبا، إنما هي فصول من كتاب كبير، ربما من «لطيف القول في أحكام شرائع الدين».[viii]

٢. مسألة البحث و مشاكله:

ستتناول هذه الدراسة المادة النحوية في تفسير الطبري كله، وهو تفسير مطول يتكون من ثلاثين جزءا في خمسة عشر مجلدا من الحجم الكبير.

يعد تفسيره من أهم التفاسير الإسلامية للقرآن، على الإطلاق، ويعتبر الطبري مؤسسا في هذا الفن، ومدرسة لمن جاء بعده. ونلاحظ هذا التأثير في التفاسير اللاحقة له.

جمع الطبري في تفسيره بين التفسير بالمأثور، أي الاعتماد على الأحاديث المروية عن السلف ومن بعدهم، و التفسير بالرأي، بالإضافة إلى الروايات التاريخية، وقصص الأنبياء والنحو واللغة و القراءات، كما و أنه بسط القول في مواضيع فقهية عديدة أثناءه، فهو تفسير شامل متكامل، لأن الطبري يؤمن بأن تفسير النص القرآني يجب أن يتناول كل الجوانب المحيطة بالنص.

---

iv ميزان الاعتدال ٦, ٩٠ ؛ ٨, ١٧٩ ؛ لسان الميزان ٥, ١٠٣

v هناك ١, ٢٥٠-٢٥٣

vi بوزورث ١٣ - ١٥ (٢٠٠٠)

vii الطبري ١, ٥٠, ٤١٠ ؛ ٨, ١٠٧ ؛ ١٠, ٢ ، ١٤, ١٣٨ ؛ ١٥, ٨٢ ؛ ١٨, ١٢٧

viii المصدر السابق ١, ٤١٠ ؛ ٦, ٢٢٩ ؛ ٨, ١٠٧ ؛ ١٤, ٨٣ ؛ ١٥, ٨٠ ، نود أن نشير هنا إلى أن أهم ترجمة للطبري نجدها في: معجم الأدباء (عباس) ٦, ٤٢٣

Digitized by Birzeit University Library

كان هدف الطبري منصبا في تفسيره على توضيح النص و شرحه في الدرجة الأولى، ثم كان يرد من خلاله على بعض الفرق و المذاهب المنتشرة في عصره، كالمعتزلة و أهل الباطن و غيرهم.
يرى الطبري أن النحو وسيلة مهمة جدا في كشف معاني النص، لذلك نجد في تفسيره مادة غزيرة و خصبة، تدل على سعة علم الرجل وفهمه العميق للمسائل النحوية المتعلقة بالقرآن.
إن هذه الدراسة ستحاول بحث هذه المادة النحوية فقط، دون الدخول في المواد اللغوية و القراءات، ومن خلال ذلك القيام بتقويم شخصية الطبري النحوية، ثم تحديد انتماء هذه المادة النحوية في ضوء المذاهب النحوية البصرية و الكوفية. ستحاول هذه الدراسة إلقاء المزيد من الضوء على مسألة المذهب الكوفي في النحو، وعلاقة ذلك بنشأة النحو العربي.
والأهم من ذلك ستركز هذه الدراسة على توضيح تفكيره النحوية و منهجه في دراسة المادة النحوية.

من المصاعب التي ستواجهنا في الدراسة ندرة المصادر القديمة في النحو الكوفي، لمقارنة مادته النحوية مع تلك المصادر ؛ لأن الطبري ينقل عن كتب لم تصلنا من جهة، ومن جهة أخرى، لم تصلنا كتب نحوية متخصصة في النحو الكوفي، سوى «معاني القرآن» للفراء.
لذلك سنضطر في هذه الدراسة تتبع مادته النحوية في مصادر أخرى غير مباشرة، نحو: إعراب القرآن للنحاس، و معاني القرآن و إعرابه للزجاج و غيرهما.
وستلجأ الدراسة إلى استعمال المصادر المتأخرة نحو: البحر المحيط لأبي حيان النحوي، و الانصاف للأنباري، ولكن المشكلة في هذه المصادر التعميم، أي أنها تنسب رأيا معينا إلى الكوفيين على العموم، دون ذكر صاحب الرأي، فيتبين لنا بعد الفحص أن للكوفيين آراء متعددة مخالفة لهذا الرأي، لأنه لا يوجد رأي كوفي موحد، أو بصري موحد، فالفراء أقرب إلى سيبيويه أحيانا كثيرة من الكسائي.
نرجو من خلال هذه الدراسة إضافة معلومات جديدة عن فكر الطبري و منهجه كعالم إسلامي عظيم أولا، وكمفكر إنساني ثانيا.

٣. فصول البحث:

ستقوم هذه الدراسة على أربعة فصول رئيسة:
أ. سيتم في الفصل الأول دراسة مصادر الطبري في النحو، ممن أخذ الطبري مادته النحوية ؟ لأننا سنصل من خلال ذلك إلى تحديد المذهب الذي تنتمي إليه المادة النحوية في التفسير، أهي كوفية أم بصرية ؟

ب. ستتناول الدراسة في الفصل الثاني، وهو أهمها، المصطلحات النحوية في تفسير الطبري، حيث تنقسم الدراسة قسمين: في القسم الأول سندرس بصورة مفصلة مجموعة من المصطلحات النحوية المهمة في التفسير: مثل النصب على القطع و الصرف و الصلة و التقريب و الخروج و المفسر و الفعل.
أما القسم الثاني: فيشمل معجما مفصلا لمصطلحات الطبري النحوية، يحوي دراسة موسعة لما يقارب الثمانين

Digitized by Birzeit University Library

مصطلحا نحويا في تفسير الطبري، مرتبة أبتثيا، وسنحاول من خلال دراسة المصطلحات، توضيح مذهبه النحوي و منهجه في التفكير.

ج. في الفصل الثالث: سنتطرق إلى المسائل الخلافية في تفسير الطبري بعد دراسة ما يزيد على المائة مسألة خلافية لدى الطبري.

في القسم الأول: سندرس المسائل الخلافية التي أيد فيها الطبري الكوفيين، ثم المسائل التي أيد فيها البصريين، ثم التي عبر فيها عن موقف مستقل.

أما في القسم الثاني: فستقارن هذه الدراسة بين المسائل الخلافية في تفسير الطبري مع مجموعة من المسائل الخلافية في «الانصاف» للأنباري، والهدف من ذلك:

- توضيح المذهب النحوي الذي يختاره الطبري
- فحص أصالة المسائل الخلافية لدى المتأخرين كالأنباري بناء على ما في تفسير الطبري.

د. ستتناول الدراسة في الفصل الرابع آراء الطبري النحوية و تأثير ذلك في مواقفه تجاه النحو و النحاة و القراءات و القياس و السماع و تحديد معايير الفصاحة وما قالته العرب.

ثم سنجمل ذلك بالحديث - في ضوء ما سبق بحثه- عن مذهبه النحوي و طبيعة المادة النحوية في تفسيره.

ثم نختم الدراسة بملخص لأهم نتائج البحث.

Digitized by Birzeit University Library

الفصل الاول

مصادر الطبري النحوية

Digitized by Birzeit University Library

١:١ الفراء

صدق ياقوت فيما ذكره عن مصادر الطبري [١] و خص بالذكر الكسائي و الفراء و الأخفش الأوسط و قطرب لقد اعتمد الطبري كثيرا كما سيأتي لاحقا على المصادر الكوفية في معاني القران و لغاته و إعرابه .

من أكثر الكتب التي يستخدمها الطبري في تفسيره معاني القران للفراء . كان الطبري أمينا في نقله عن الفراء وذلك من خلال مقارنة المواقع التي اقتبس منها الطبري مع وجود الاختلافات البسيطة أحيانا بين نص الفراء والنص الذي نقله الطبري .

من المرجح أن الطبري استخدم نسخة أخرى لمعاني القران للفراء فالنسخة التي بين أيدينا هي رواية محمد بن الجهم السمري أبو عبد الله الكاتب(ت ٢٧٧ هـ) [٢] . وهنالك رواية أخرى يحتمل بان الطبري استخدمها وهي رواية سلمة بن عاصم الكوفي(توفي بعد سنة ٢٧٧ هـ) شيخ ثعلب، وقد ألف كتابا عنوانه معاني القران [٣] .

وقد ذكر في تاريخ بغداد أن هنالك اختلافا بين النسختين بسبب اختلاف الرواة وهما محمد بن الجهم و سلمة بن عاصم، وهنالك أدلة تثبت ذلك من خلال استشهاد الطبري بأقوال الفراء [٤] . نقل الطبري عن الفراء حرفيا معنى كلمة «حاذرون» (٢٦ (الشعراء) : ٥٦) وذكر أن الفراء استشهد ببيت من الشعر [٥] وقد ذكره الطبري ولكن هذا البيت غير موجود في معاني القران للفراء [٦] .

الأمر الذي يدل على اختلاف النسخة التي استخدمها الطبري عن النسخة المتداولة الآن بين أيدينا، إذ يوجد اختلاف بين نصي الطبري والفراء . بالطبع لا نستطيع أن نعزو كل اختلاف بين نصّي الطبري و الفراء إلى هذا الأمر، لأن الطبري يقوم أحيانا بتفسير نص الفراء وأحيانا أخرى يختصره . [٧]

ومن الإثباتات الهامة على أن الطبري نقل عن نسخة أخرى للفراء براوية سلمة بن عاصم الكوفي أنه ورد في معجم البلدان لياقوت اختلاف في رواية بيت من الشعر روي عن الفراء عن طريقين، عن طريق أبي بكر بن مجاهد عن الفراء و الثانية عن طريق ابن الأنباري عن أحمد بي يحيى (ثعلب) عن سلمة (بن عاصم الكوفي) عن الفراء ومن خلال رواية ياقوت التي ينص على أن الطبري أخذ الشعر عن ثعلب و يحتمل أنه روى كتاب الفراء عن طريقه أيضا إذ أن ثعلب أخذ عن سلمة بن عاصم [٨] .

١- معجم الأدباء (ع) ٦ , ٢٤٥٤

٢- انظر ترجمته : المرجع السابق نفسه؛ معاني القرآن(مقدمة المحقق)١ , ١٣-١٤؛ تاريخ بغداد ٢ , ١٦١

٣- معجم الأدباء ٣ , ١٣٨٣

٤- تاريخ بغداد ١٤ , ١٥٣

٥- الطبري ١٩ , ٧٧

٦- المصدر السابق نفسه

٧- قارن بين نص الطبري ١٦ , ٢٣١ مع الفراء ٢ , ١٩٥ نلاحظ أن الطبري أدخل تغييرا في النص الذي ذكره الفراء؛ أقام عبد الله أم زيد، وعند الطبري؛ أقام عمرو أم زيد، وقارن بين الطبري ٢٦ , ٢٠٧، و الفراء ٣ , ٨٥

٨- معجم الأدباء ٤ , ١٥٧٨؛ مراتب النحويين ٩٤- ٩٥

Digitized by Birzeit University Library

هنالك رواية أخرى أوردها القفطي عن سلمة بن عاصم مما يثبت وجود نسخة أصح من نسخة محمد بن الجهم «وقال محمد بن القاسم بن بشار ألا نباري : كتاب سلمة أجود الكتب يعني كتابه في معاني القران قال لأن سلمة كان عالما وكان لا يحضر مجلس الفراء يوم الإملاء و يأخذ المجالس ممن يحضر ويتدبرها فيجد فيها السهو فيناظر عليها الفراء فيرجع عنه» «وكان ثعلب سمع كتاب المعاني للفراء من سلمة بن عاصم عن الفراء والحدود في النحو ستون حدا سمعا من سلمة عن الفراء أيضا»[٩]

نلاحظ أحيانا أن الطبري بدلا من أن يكرر قول الفراء يحاول أن يفسر ه مع استعمال مصطلح لم يستعمله يقول الفراء: «ألا ترى أن قولك أحق منطقك معناه: أللانسان النطق لا لغيره فأدخلت أن ليفرق بها بين المعنيين قال: وهذا أعجب الوجهين إلي» [١٠] يفسر الطبري هذا القول بشكل آخر « وأن قولك: أحق أنك تنطق، معناه للاستثبات لا لغيره فأدخلت «أن» ليفرق بها بين المعنيين قال: فهذا أعجب الوجهين إلي»[١١] . لاحظنا أن الطبري استعمل الاستثبات وهو الاستفهام التقريري هذا المصطلح لم يستعمله الفراء .

هنالك الكثير من الأمثلة التي تثبت وجود اختلافات في نقل الطبري عن معاني القران وهذا الأمر ليس بسبب عدم دقة الطبري وانما لاختلاف النسخة التي استخدمها في تفسيره [١٢] .

تلك الزيادات و الاختلافات بين نصي الطبري و الفراء لا تغير المعنى فيقول الفراء «ذهب إلى اللبأ الذي يؤكل إذا حلبت الحليب على الرائب» [١٣] يضيف الطبري عدة كلمات إلى نص الفراء « ذهب إلى اللبأ لبأ الشاء إذا أنت حلبت الحليب على الرائب فتلك الرثيئة» [١٤] من الواضح هنا أن الطبري إما أنه ينقل عن نسخة أخرى أو يقوم بتفسير قول الفراء . يقتبس الطبري أيضاً عن الفراء تفسيره للآية ٩ : ٣٨ [التوبة] ويذكر بيتا من الشعر دون أن ينسبه لصاحبه بينما يقول الفراء «وأنشدني الكسائي»[١٥]

وهنالك نص عند الطبري عندما نقارنه مع نص الفراء نرى أن الطبري ذكر بيتا من الشعر شاهداً نحوياً لم يذكر في معاني القران مع ان الطبري يقتبس عن الفراء حرفيا [١٦] . «حدثنا محمد [محمد بن الجهم] قال حدثنا الفراء قال اخبرني بعض المشيخة أظنه الكسائي انه بلغه أن بعض القراء . . . » [١٧]

من غير المرجح أن يشكك الفراء في نقله هو عن الكسائي وانما على الأرجح أنه من زيادة تلميذ الفراء محمد

٩- انباه، ٢ , ٥٦-٥٧

١٠- معاني، ٣, ٨٥

١١- الطبري ٢٦ , ٢٠٧

١٢- قارن بين الطبري ١٤ , ١٠٩-١١٠ و الفراء ٢ , ١٠٠-١٠١ و الطبري١٣ , ١٩١-١٩٢ ؛ و الفراء ٢ , ٧٠-٧١ و الطبري ٢٦ , ٢٠٦- ٢٠٧ ؛ و الفراء ٣, ٨٤-٨٥؛ وبين الطبري ٢٦ , ٥٢ و الفراء ٣, ٦١ ؛ وبين الطبري(شاكر) ٤ , ٥٧١ و الفراء ١ , ١٤٧- ١٤٨

١٣- هناك ١ , ٤٠٩

١٤- الطبري (شاكر) ١٥ , ٤٣

١٥- المصدر السابق ١٤ , ٢٥٢؛ معاني ١ , ٤٣٨

١٦- هناك (شاكر) ١٢ , ١٥٢؛ ١٦ , ٤٤٨

١٧- هناك ٣, ٣٥

Digitized by Birzeit University Library

بن الجهم السمري [18]، لذلك لم يورد الطبري هذه الزيادة «أظنه الكسائي«في تفسيره لأنه ربما نقل عن نسخة غير نسخة محمد بن الجهم وهي نسخة سلمة بن عاصم الكوفي» [19].

وقام النحاس (ت ٣٢٨هـ) أيضا بحذف الزيادة في معاني القران للفراء «أظنه الكسائي» كما فعل الطبري مما يرجح وجود أكثر من نسخة لمعاني القران للفراء في تلك الفترة [20]. من الملاحظ أن النحاس (ت ٣٣٨ هـ) استخدم نسخة أخرى للفراء ربما تكون نسخة سلمة بن عاصم لانه نقل في تفسير آية ٣١ [من سورة (يوسف) : ١٢] رأيا للفراء لا يوجد في معاني القران للفراء [21].

هنالك رواية أخرى ربما تدلنا على أن الطبري نقل عن نسخة سلمة بن عاصم النحوي و هي » حدثنا محمد [بن الجهم السمري] قال حدثنا الفراء قال أخبرني بعض المشيخة أظنه الكسائي: انه بلغه أن بعض القراء . . . » [22] عند الطبري «حدثت بذلك عن الفراء قال : اخبرني بعض المشيخة انه بلغه أن ببعض القراء قرأ»[23]

لاحظنا أن الطبري لم يورد «أظنه الكسائي» لأنه لم يستخدم نسخة محمد بن الجهم، ومما يؤكد ذلك رواية أبى جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) وزعم الفراء : « أنه أخبره بعض المشيخة . . . » [24]. ولم يذكر الكسائي، وهذا الأمر يؤكد ما جاء في «تاريخ بغداد» فيما يتعلق باختلاف نسخ معاني الفراء لان سلمة بن عاصم كان (يغير ويزيد وينقص) [25].

للطبري عدة أساليب في نقله : لآراء النحاة و أهل العربية :

فأما أن يذكر اسم النحوي أو اللغوي الذي ينقل عنه مباشرة وأحيانا كثيرة يترك الاسم مبهما نحو «قال بعض نحويي الكوفة» أو «قال بعض نحويي البصرة». وتارة يتبنى موقف أحد النحاة في مسالة نحوية دون أن يصرح باسمه وكأنه هو صاحب هذا الرأي، وهو في الحقيقة يقتبسه عن الأخفش الأوسط أو الفراء. ما أقوله لا يطعن في نزاهة الطبري أو في دقة اقتباسه، إذ انه في تفسيره لم يقصد إلى جعله كتاب نحو أو مسائل خلاف، وهذا

١٨- هناك ١ , ١٣- ١٤

١٩- هناك ٢٥ , ٨١

٢٠- مواضع أخرى للمقارنة بينهما : الطبري ٦ , ٢٩٤ مع الفراء ١ , ٣١٤- ٣١٥ ؛ الطبري ١٦ , ٢٣١ مع الفراء ٢ , ١٩٥ ؛ الطبري (شاكر) ١٦ , ٥٥٢ مع الفراء ٢ , ٧٢- ٧٣ ؛ الطبري ٨ , ٢٢٧ مع الفراء ٣ , ٢٢٠-٢٢١ ؛ الطبري (شاكر) ١٥ , ٤٣ مع الفراء ١ , ٤٥٩ ؛ الطبري (شاكر) ٥ , ٧٧-٧٨ مع الفراء ١ , ١٥٠ ؛ الطبري ١٤ , ١١٠ مع الفراء ٢ , ١٠٠-١٠١ ؛ الطبري ١٣ , ١٩١-١٩٢ مع الفراء ٢ , ٧٠-٧١

٢١- إعراب القرآن ٢ , ٣٢٦ ؛ قارن بين طبري ٩ , ٦١ ، مع إعراب ٢ , ١٤٩ حيث نقل النحاس رأيا للكسائي لا يوجد في معاني القرآن ؛ قارن أيضا : الطبري ١٩ , ١١٦ ، مع الفراء ٢ , ٢٨٣ ؛ الطبري ١٩ , ٥١ مع الفراء ٢ , ٢٧٤ ؛ الطبري ١٣ , ٤٢ مع الفراء ٢ , ٢٨٣ ؛ الطبري ١٧ , ١١٩ مع الفراء ٢ , ٢١٦

٢٢- معاني ٣ , ٣٥

٢٣- طبري ٢٥ , ٨١

٢٤- إعراب ٤ , ١١٣

٢٥- معاني ١ , ١٤

Digitized by Birzeit University Library

ما نجده في كثير من الكتب المعاصرة للطبري .

الأسلوبان الثاني والثالث يشكلان عقبة وعسرا شديدين في تتبّع آراء الطبري والوصول إلى المصادر النحوية التي اعتمد عليها في تفسيره، خاصة وان كثيرا من تلك المصادر التي اعتمد عليها في تفسيره لم تصلنا و ما زالت مخطوطة تنتظر من يقدمها بين أيدي القراء مثل كتاب إعراب القران لقطرب (ت ٢٠٦ هـ)، إذا فعملية إعادة بناء النص الذي نقل الطبري عنه ليست بيسيرة؛ فيما يتعلق بالمصادر التي لم تصل الينا مما يجعل الباحث يقف مكتوف الأيدي أحيانا امام كثير من الروايات التي نقلها الطبري لقدماء نحاة الكوفة و البصرة .

ربما يكون سبب استخدام الطبري للاسلوبين الثاني و الثالث في الاقتباس و النقل هو انه مفسر في الدرجة الأولى و ليس نحويا وانما يستخدم النحو واللغة بالقدر الذي يحتاجه في تفسير النص القرآني . فالنحو واللغة لم تشكلا الأساس الذي ينطلق منه الطبري بعكس الفراء أو قطرب أو المبرد .

لقد اتبع الطبري الاساليب الثلاثة آنفة الذكر فيما يتعلق بنقله عن الفراء . وقد أشار ياقوت الى طريقة الطبري في النقل عن كتب معاني القران«و ربما لم يسمهم إذا ذكر شيئا من كلامهم »[٢٦]

لا يكلف الطبري نفسه عناء ذكر أسماء النحاة الذين ينقل عنهم بينما نراه يذكر اسم الفراء كثيرا في تفسيره أكثر من أي نحوي آخر مما يدل على العناية الشديدة التي أولاها الطبري لكتاب معاني القرآن للفراء[٢٧] .

و هذا يدل أيضا على اعتماد الطبري بشكل أساسي في تفسيره فيما يخص مادة النحو في القرآن على معاني القرآن للفراء وذلك يدل على احترام الطبري لكتاب الفراء، الذي احتل مكانة مرموقة بين المفسرين و أصحاب كتب معاني القرآن وإعرابه لاحقا، ولا ننسى أن كثرة استخدام الطبري لكتاب الفراء لا يعني بصورة قاطعة أن الطبري يتبع الكوفيين في منهجه النحوي، وإنما تدل ببساطة على أن معاني القرآن للفراء يعتبر المصدر الأساسي الذي اعتمد عليه الطبري في مناقشته المسائل النحوية في القرآن من بداية التفسير و حتى نهايته، وبالطبع فإن عدد المرات التي لا يذكر فيها الطبري اسم الفراء عندما ينقل عنه يفوق بكثير عدد المرات التي يذكر فيها اسمه صراحة .

كثيرا ما ينقل الطبري عن الفراء دون أن يذكر اسمه ويستخدم الطبري عبارة تتكرر في كتابه «كان بعض نحويي الكوفة»[٢٨]. أو «وكان بعض أهل المعرفة بلغات العرب من الكوفيين يقول »[٢٩] أو «وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يقول »[٣٠] أو «أما بعض الكوفيين »[٣١] أو «وقد توهم جماعة من نحويي الكوفة و البصرة و المقدمين

٢٦- معجم ٦ , ٢٤٥٤

٢٧- الطبري ١ , ٣١٢؛ ٦ , ١٥٢ , ٢٥٠ , ٢٩٤؛ ٧ , ٣١٣؛ ٨ , ١٨٨؛ ٩ , ٢ , ٣٣ , ٦٨ , ١٦١؛ ١٠ , ١١٤؛ ١١ , ٥٢، ٩٦ , ١٦٢؛ ١٢ , ٣٦ , ٦٦ , ٢٠٩ , ٢٢٥؛ ١٤ , ٢ , ١١٣ , ١١٦؛ ١٦ , ١١٨ , ١٥٠ , ٢٣١ , ٢٣٦؛ ١٧ , ١٦ , ٢٩، ١٤٤؛ ١٨ , ٢١؛ ١٩ , ٥١ , ٧٧ , ١٤٧؛ ٢٢ , ٧٤ , ٢٠١؛ ٢٣ , ٤٢ , ١٢٠ , ١٦٥ , ٢٣١؛ ٢٤ , ١٨ , ٦٥ , ١٠٣؛ ٢٥، ٣٦ , ٨١ , ٨٤؛ ٢٦ , ٢٧ , ٥٢ , ١٨٤ , ٢٠٦ , ٢٠٨؛ ٢٧ , ٤٣ , ٦٠ , ٦٩ , ١١٣ , ٢٢٤؛ ٢٩ , ١٠٦ , ١٦٨ , ١٧٩، ١٨١ , ٢٠٧ , ٢٢٤؛ ٣٠ , ٢٩ , ٤٨ , ٧٩ , ١٤٢ , ٢٦٠

٢٨- الطبري ٢٣ , ٢٠٧؛ ٢٤ , ١٢٩؛ ٢٥ , ٥٣

٢٩- المصدر السابق ٨ , ٣١

٣٠- المصدر السابق ١٥ , ١٧٩

٣١- المصدر السابق ١٦ , ٤٥١

Digitized by Birzeit University Library

منهم في صناعتهم »[٣٢] أو «زعم بعض المتقدمين في العلم بالعربية من الكوفيين »[٣٣] وأحيانا «و قد زعم آخرون من أهل العربية »[٣٤] و «كما كان بعض أهل العربية يقول »[٣٥] و «وقد زعم بعض أهل العربية »[٣٦] و«قد زعم بعض أهل المعرفة بكلام العرب »[٣٧].

وأحيانا يذكر الطبري اسم الفراء فيقول «وزعم الفراء»[٣٨]، أو «وقد حدثت عن الفراء عن الرؤاسي»[٣٩]. «وحدثت عن أبي زكريا الفراء قال »[٤٠] «وحكي عن الفراء »[٤١] أو «حدثت عن يحيى بن زياد الفراء قال: حدثني أبو بكر بن عياش عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس »[٤٢] أو «وكان الفراء يقول»[٤٣].

عندما يعترض الطبري على رأي للفراء فإنه يستخدم عدة أساليب: «وليس الذي قال الفراء من ذلك كما قال»[٤٤] «قال أبو جعفر فلم يصب الصواب [أي الفراء] في واحد من الوجهين ولا في احتجاجه فيما احتج به»[٤٥].

ويقول «وأما بعض الكوفيين فكان ينكر ذلك و يزعم أنه لم يسمع أحدا من العرب يقول يئس بمعنى علمت»[٤٦].

تدل كلمة «زعم» عندما يستعملها الطبري في تفسيره على مفهوم سلبي أي أنه يعارض هذا الرأي الذي سينقله[٤٧] مع أن هذه الكلمة ليست بالضرورة تدل على ذلك دائما بدليل استعمال سيبويه لهذه الكلمة في كتابه «زعم الخليل».

وأحيانا يهاجم الطبري الفراء بشكل شديد لأن الفراء يرى أن فعل الأمر مثل: اذهب، أصله: لتذهب، وأن اللام والتاء حذفتا لكثرة استعمال الأمر في كلام العرب، وجيء بالألف كي لا يبدأ بساكن وهو الضاد في الفعل ضرب[٤٨]، «و بعد فإني لا أعلم أحدا من أهل العربية إلا وهو يستردىء أمر المخاطب باللام و يرى أنها

٣٢- المصدر السابق ٣, ٥٠

٣٣- المصدر السابق ١, ٩٩

٣٤- المصدر السابق(شاكر) ٥, ٥٣

٣٥- المصدر السابق ٢٦, ١٦٥

٣٦- المصدر السابق(شاكر) ٤, ٥٧١؛ المصدر السابق ٢٧, ١٣٢

٣٧- المصدر السابق ١٧, ١٤٢؛ ٣٠, ٧٩

٣٨- المصدر السابق ١٢, ٢٢٥

٣٩- المصدر السابق ١٩, ١٤٧؛ ٢٦, ٥٢

٤٠- المصدر السابق ٢٩, ١٧٩

٤١- المصدر السابق ٩, ١٦١

٤٢- المصدر السابق ٣٠, ٢٦٠

٤٣- المصدر السابق ٢٦, ٢٠٨؛ ٦, ٢٩٤؛ ١٩, ٧٧

٤٤- المصدر السابق ١٦, ٢٣١

٤٥- المصدر السابق(شاكر) ٤, ٥٧١

٤٦- المصدر السابق (شاكر) ١٦, ٤٥١-٥٢

٤٧- يأتي زعم بمعنى «ظن» و «اعتقد»، انظر: مادة «زعم» المعجم الوسيط؛ في «الكتاب»: «زعم الخليل رحمه الله»، الكتاب (هارون) ١, ٢٩١, ١٤

٤٨- معاني ١, ٤٦٩

Digitized by Birzeit University Library

لغة مرغوب عنها غير الفراء . . . وهذا الذي اعتل به الفراء عليه لا له . . . وإنما هو دعوى لا ثبت بها و لا حجة»[٤٩] . ويعارضه الطبري في مكان آخر «وقد زعم آخرون من أهل العربية أن الكسر في «تضار» جائز والكسر في ذلك عندي في هذا الموضع غير جائز »[٥٠] وقال في موضع آخر «وليس الذي قال الفراء من ذلك كما قال»[٥١] .

نقل الطبري عن الفراء دقيق جدا، إن ما نجده من اختلافات بين النسخة التي بين أيدينا و بين ما ينقله الطبري لا يدل على عدم أمانة الطبري في نقله و إنما على اختلاف نسخ معاني القرآن للفراء و خير دليل على ذلك هو أننا إذا قارنا ما نقله الطبري عن معاني القرآن للأخفش الأوسط نجده ينقل حرفياً و بشكل دقيق دون اختلاف، كما هو الحال في نقله عن الفراء والأمر ذاته إذا اطلعنا على اقتباسات الطبري من كتاب مجاز القرآن لأبى عبيدة، فإننا نجدها دقيقة .

لا ينبغي لنا أن نستنتج مما سلف أن الطبري لم يستخدم من كتب الفراء غير كتاب معاني القرآن، فمن المرجح أنه استخدم كتبا أخرى له، فقد ورد في كتابه «تهذيب الآثار» النص التالي : «وكان الفراء يزعم أن «فعال» إنما خص بالأمر لأنه أريد «فعال» مصدر «فاعلت» فكان أوله مكسورا فغيروه عن وجهة المصدر بفتح أوله و كسر آخره كما صرفت «ثلاث و رباع» عن «ثلاثة و أربعة» وعربتا بالرفع لأنهما في مذهب اسم وعرب «فعال» الذي يراد به الأمر بالخفض لأنهم أرادوا أثرا من الجزم » .[٥٢]

لا نجد هذه الرواية في معاني القرآن للفراء، و مما يلفت النظر أن الفراء لم يستعمل مصطلح اسم الفعل في وصفه لكلمة «نزال»، بينما يستعمل سيبويه هذا المصطلح في كتابه[٥٣]، وربما للأمر علاقة بموقف الكوفيين من اسم الفعل «وزعمها الكوفية أفعالا لدلالتها على الحدث و الزمان»[٥٤]

٤٩- الطبري ١١ , ١٢٦-٢٧

٥٠- معاني ١ , ١٤٩-١٥٠

٥١- الطبري ١٦ , ٢٣١

٥٢- تهذيب الآثار (شاكر) ٢ , ١١١

٥٣- الكتاب (هارون) ٣ , ٢٧٠

٥٤- همع ٥ , ١٢٠

Digitized by Birzeit University Library

٢:١ الكسائي

يضع ياقوت الحموي كتاب معاني القرآن للكسائي في مطلع المصادر التي اعتمد عليها الطبري في معاني القرآن. والسؤال الذي يرد في أذهاننا، هل استخدم الطبري كتاب معاني القرآن للكسائي ؟
نميل إلى تصديق رواية ياقوت للأدلة التي سنوردها لاحقا، والتي تشير إلى أن الطبري استخدم كتاب الكسائي ولكن العقبة التي تواجهنا هي عدم توافر هذا الكتاب لكي نقارنه مع ما ورد في تفسير الطبري لذلك سيكون اعتمادنا الأساسي على معاني القرآن للفراء وبعض المصادر المتأخرة كالبحر المحيط لأبى حيان و الجامع لأحكام القرآن للقرطبي وغيرهما.
منهج الطبري في نقله لآراء الكسائي إما مباشرة عن كتاب الكسائي نفسه أو عن طريق الفراء أو عن طريق غيره من العلماء كأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) وأحيانا يقتبس الطبري عن الكسائي دون ذكر اسمه.
لم يتورع الطبري عن رفض رأي الكسائي إذا تعارض مع منهجه في التفسير أو في حالة أتباع الكسائي لقراءة قرآنية غير مقبولة لديه: ففي الاية «**شهد الله أنه لا إله إلا هو**» ٣ (آل عمران): ١٨ استعمل الكسائي قراءة شاذة فعلق على ذلك الطبري «سوى أن بعض المتأخرين من أهل العربية كان يقرأ ذلك جميعا بفتح ألفيهما بمعنى: «شهد الله أنه لا إله إلا هو و أن الدين عند الله الإسلام »[٥٥]. فهاجمه بسبب هذه القراءة بقوله: «فخالف بقراءته ما قرأ من ذلك على ما وصفت جميع قرأة أهل الإسلام المتقدمين منهم و المتأخرين بدعوى تأويل عن ابن عباس و ابن مسعود زعم أنهما قالاه و قرآ به و غير معلوم ما ادعى عليهما برواية صحيحة ولا سقيمة و كفى شاهدا على خطأ قراءته خروجها من قراءة أهل الإسلام» [٥٦]. لم يذكر الطبري اسم الكسائي هنا لكننا نعرف أنه يقصده عن طريق الفراء وأبي جعفر النحاس والقرطبي. يقول الفراء «وهي في قراءة عبد الله «إن الدين عند الله الإسلام وكان الكسائي يفتحهما كلتيهما» [٥٧]. يقول أبو جعفر النحاس «قال الكسائي: انصبهما جميعا بمعنى شهد الله أنه كذا و أن الدين عند الله الإسلام» [٥٨]. وقال القرطبي «وقرأ الكسائي بفتح «أن» في قوله: أنه لا إله إلا هو» وقوله: وأن الدين عند الله الإسلام [٥٩].
ويهاجمه الطبري أيضا بشكل عنيف بسبب قراءته لكلمة «قطعا» بسكون الطاء في الآية «قطعا من الليل مظلما» (١٠ يونس: ٢٧): «والقراءة التي لا يجوز خلافها عندي، قراءة من قرأ ذلك بفتح الطاء، لإجماع الحجة من قرأة الأمصار على تصويبها، و شذوذ ما عداها. وحسب الأخرى دلالة على فسادها خروج قارئها عما عليه قرأه أهل أمصار الإسلام» [٦٠]، ذكر أبو حيان أن ابن كثير و الكسائي قرآ بهذه القراءة، بينما يشير أبو جعفر ١ : ٤

٥٥- هناك(شاكر) ٦ , ٢٦٨
٥٦- المصدر السابق
٥٧- معاني ١ , ٢٠٠؛ النحاس معاني ١ , ٣٧٠؛ الجامع ٤ , ٢٨
٥٨- ١ , ٣٧٠
٥٩- الجامع ٤ , ٢٨
٦٠- الطبري ١٤ , ١٢٤؛ ٢٩ , ١٨٠؛ ٩ , ٦٨؛ ١٤ , ٢؛ ١٢ , ١٢٤؛ ٢٣ , ٧٣؛ الطبري (شاكر)، ١٥ , ٧٦

Digitized by Birzeit University Library

النحاس إلى أن صاحب هذه القراءة هو الكسائي[٦١].

كثيرا ما ينقل الطبري آراء الكسائي عن طريق الفراء[٦٢] «وكان بعض بعض نحويي الكوفة»[٦٣]. «فقال بعض نحويي الكوفيين . . . . وذكر الفراء أن الكسائي أنشده»[٦٤]. يقول الطبري «وحكي عن الكسائي أنه قال: سمعت: ما علمك أهلك إلا مض و مض وهذا كأف و أف »[٦٥]، بينما لم يرد اسم الكسائي في معاني القران للفراء ، يقال: ما علمك أهلك إلا مض و مض»[٦٦] مما يدل على استخدام الطبري لنسخة سلمة بن عاصم عن الفراء. «ذكر الكسائي أنه سمعهم يقولون . . . »[٦٧] ولكن الطبري ينقل هنا حرفيا عن معاني القرآن للفراء[٦٨].

هنالك عدة مواضع في تفسير الطبري ورد فيها ذكر الكسائي، ولكن إذا قارنا هذه النصوص مع معاني القرآن للفراء فلن نجد هذه النقول. يقول الطبري: «و قال الكسائي: سمعت العرب تقول: يدك باسطها يريدون أنت وهو كثير في الكلام »[٦٩]. فإذا بحثنا عن هذا القول للكسائي فلن نجده في كتاب معاني القرآن للفراء مما يدل على استخدام الطبري لمعاني القرآن للكسائي[٧٠].

وهنالك أدلة أخرى تشير إلى استخدام معاني القرآن للكسائي، فقد أورد الطبري رأيا للكسائي لم يرد في معاني القرآن للفراء[٧١] «وكان الكسائي يقول: هما لغتان بمعنى واحد »[٧٢]. وهنالك مواضع أخرى يورد فيها الطبري آراء الكسائي دون الرجوع إلى معاني القرآن للفراء، بل مباشرة إلى معاني القرآن للكسائي[٧٣]

٦١- البحر المحيط، (١٩٩٢) ٦-٤٧

٦٢- إعراب القرآن، ٢ - ٢٥٢ وانظر: الفارسي، حجة للقراء السبعة، ٤ - ٢٦٨

٦٣- المصدر السابق ١٥ , ٦٥؛ ١٢ , ١٢٤

٦٤- المصدر السابق ١٢ , ١٢٤

٦٥- المصدر السابق ١٥ , ٦٥

٦٦- معاني ٢ , ١٢١

٦٧- الطبري ١٤ , ١٢٤

٦٨- المصدر السابق ١٤ , ١٢٤؛ معاني ٢ , ١٠٦-٧

٦٩- المصدر السابق ٢٢ , ٣٦

٧٠- المصدر السابق؛ معاني ٢ , ٣٤٦-٧

٧١- الطبري ١٦ , ١٥

٧٢- المصدر السابق

٧٣- انظر: الطبري ١٢ , ٢٠٩ وقارن مع البحر المحيط ٧ , ١٥١؛ الطبري ٩ , ٦١، قارن مع النحاس إعراب ٢ , ١٤٩

Digitized by Birzeit University Library

٣:١ الأحمر الكوفي

وهو من علماء الكوفة الذين ذكرهم في تفسيره، ولكنه على الأرجح أن الطبري لم يستخدم كتبه مباشرة : « واختلف أهل العربية في «الأثاث» أجمع هو أم واحد ؟ فكان الأحمر فيما ذكر لي عنه يقول : هو جمع واحدتها أثاثة كما الحمام واحدتها حمامة و السحاب جمع واحدتها سحابة » [٧٤].

و الأحمر هذا هو علي بن المبارك [الحسن ؟] الكوفي (ت ١٩٤ هـ) تلميذ الكسائي [٧٥]. وإذا أردنا فحص صحة هذه الرواية عن الأحمر الكوفي ؛ فإننا نجدها صحيحة، و موثوق بها كما يرد في معاني القرآن للنحاس [٧٦].

و أما فيما يتعلق بعلماء الكوفة الأوائل كأبي جعفر الرؤاسي و معاذ الهراء و المفضل الضبي والقاسم بن معن (١٧٥ هـ\ ٧٩١ م) فإن الطبري ينقل عنهم بصورة غير مباشرة ربما لأن كتبهم لم تكن موجودة في عصر الطبري، وربما لأن بعضهم لم تنقل عنه كتب أصلا. [٧٧]

٧٤- المصدر السابق ١٦ , ١١٨

٧٥- معجم ٤ , ١٦٧١

٧٦- معاني ٤ , ٣٥٢

٧٧- انظر : الطبري ٨ , ٨٥ عن المفضل الضبي ؛ وأيضا ١١ , ٩٦ ؛ عن القاسم بن معن الطبري ١٤ , ١٥ ؛ عن معاذ الهراء الطبري ١٤ , ٨١ ؛ ١٣ , ٢٤٢ ؛ عن الرؤاسي الطبري ١٩٩ , ١٤٧ , ٢٢ , ٧٤ , ٢٦ , ٥٢ ؛ عن أبي عمرو بن العلاء الطبري ١٩ , ١٤٧ , ٢٢ , ٧٤ , ٢٦ , ٥٢ , ٦ , ٣٤٤

Digitized by Birzeit University Library

٤:١ أبو العباس ثعلب

لم يذكر الطبري اسم ثعلب في تفسيره على الرغم من العلاقة التي جمعتهما . فقد ذكر ياقوت الحموي رواية هامة في هذا الشأن «و قال أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد : سمعت ثعلبا يقول : قرأ علي أبو جعفر الطبري شعر الشعراء قبل أن يكثر الناس عندي بمدة طويلة » [٧٨]، فهذه الرواية تؤكد أن الطبري اتصل بثعلب (إمام نحاة الكوفة في عصره) و تعلم منه الشعر و لم يذكر في هذه الرواية أنه تعلم منه نحو أهل الكوفة، و نميل إلى الوثوق بهذه الرواية، إذ إن الروايات التي اعتمد فيها الطبري على ثعلب كانت تتصل برواية بيت من الشعر أو تصحيح رواية بيت آخر .

يقول الطبري «و أنشدني بعض أصحابنا عن غيره أنه سمع بعض بني كلاب ينشد بيت الأعشى :

باسِلةُ الوقعِ سَرَابيلها بِيضٌ إلى دانِئها الظاهر

بهمز الداني‌ء و أنه سمعهم يقولون : «إنه لداني‌ء خبيث بالهمز فإن كان ذلك عنهم صحيحا فالهمز فيه لغة وتركه أخرى » [٧٩]، نقل الطبري هذا النص عن الفراء [٨٠]، وقال الطبري في موضع آخر، وقد أنشدوني بيت دريد بن الصمة :

ذريني أطوف في البلاد لأنني أرى ما تَرَيْنَ أو بخيلا مخلّدا

والذي أنشدني أصحابنا عن الفراء «لعلني أرى ما ترين» [٨١]، عندما نقارن هذا النص بما ورد في معاني القرآن للفراء نلاحظ اختلافا كبيرا ونلاحظ أيضا أن بيت الشعر الذي نقله الطبري عن الفراء لا يوجد في معاني القرآن للفراء مما يؤكد اختلاف نسخ الفراء [٨٢] .

والرواية الأخرى عن الطبري «وقد أنشدني الثقة عن الفراء : فإن تدفنوا الداء لا نخفه بفتح النون من «نخفه»» [٨٣] .

بقي أن نقول : إن ما جاء آنفا من إثباتات غير كاف للتأكيد بشكل قاطع على أن قول الطبري «الثقة» هو ثعلب، إذ من المحتمل أنه يعني به أيضا سلمة بن عاصم الكوفي، و لا ننسى أن ثعلبا أخذ العلم عن سلمة بن عاصم «وأخذ عن سلمة أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب» [٨٤]، «وكان أبو العباس ثعلب يعتمد على ابن الأعرابي في اللغة و على سلمة في النحو » [٨٥] . ربما ترشدنا هذه الرواية إلى سبب اعتماد الطبري على رواية سلمة بن عاصم لمعاني القرآن للفراء : «وكان ثعلب سمع كتاب«المعاني» للفراء من سلمة بن عاصم عن الفراء و«الحدود» في النحو ستون حدا، سمعها من سلمة عن الفراء» .

٧٨- معجم الأدباء ٦ , ٢٤٥١

٧٩- الطبري ١ , ٣١٢

٨٠- معاني ١ , ٤٢

٨١- الطبري ٧ , ٣١٣

٨٢- معاني ١ , ٣٥٠

٨٣- الطبري ١٦ , ١٥٠

٨٤- معجم ٣ , ١٣٨٥

٨٥- انباه ٢ , ٥٧

Digitized by Birzeit University Library

ربما استخدم الطبري كتاب ثعلب معاني القرآن [٨٦]، مما يرجح ذلك رواية هامة وردت عن ثعلب فيما يتعلق بالآية «**كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما**» [١٠ (يونس) : ٢٧] «قال ثعلب» من قرأ «قطعا» جعل «المظلم» من نعته ومن قرأ قطعا جعل «المظلم» قطعا من «الليل»، وهو الذي يقول له البصريون الحال» [٨٧]، أما الطبري فيقول في تفسير هذه الآية « أحدهما : أن يكون قطعا من «الليل» وأن يكون من نعت «الليل» فلما كان نكرة و «الليل» معرفة نصب على القطع، فيكون معنى الكلام حينئذ : كأن أغشيت وجوههم قطعا من الليل المظلم ثم حذفت الألف واللام من «المظلم» فلما صار نكرة و هو نعت «الليل» نصب على القطع و تسمي أهل البصرة ما كان كذلك ؟حالا؟ و الكوفيون «قطعا» » [٨٨]

من خلال مقارنة النصين لا نرى نقلا حرفيا عن ثعلب و لكننا نلمس أثر نص ثعلب عندما يختم الطبري قوله بأن البصريين يسمون القطع حالا و هذا ما ختم به ثعلب كلامه . ختاما، لا يمكننا الوصول إلى نتائج قاطعة إلا إذا توافر لدينا معاني القرآن لثعلب[٨٩] .

٥،١ أبو عبيدة

يأتي كتاب أبي عبيدة «مجاز القرآن» في المرتبة الثانية بعد معاني القرآن للفراء، بالنسبة للمصادر التي اعتمد عليها الطبري في تفسيره، ونلاحظ أن الطبري اعتمد على مجاز القرآن كثيرا، نشاهد ذلك من خلال الشواهد الشعرية الكثيرة التي أوردها الطبري نقلاً عن أبي عبيدة .

يعد أبو عبيدة أكثر أصحاب اللغة والنحو من بين البصريين و الكوفيين ممن تعرض للنقد اللاذع من قبل الطبري، وخاصة إذا تعارض رأي أبي عبيدة مع أهل التفسير أو مع المحدثين أو الفقهاء، وسماه الطبري من أصحاب الغريب [٩٠] :

«و هذا تفسير أهل الغريب أبي عبيدة و الأصمعي و أبى عمرو الشيباني و غيرهم» [٩١]، «فإن يكن من كلام عبد الله فلا شك أنه كان أعلم بذلك من أهل الغريب الذين ذكرت قولهم » [٩٢] اتخذ الطبري هذا الموقف المعارض لأبي عبيدة لأنه يعتبره «ممن يفسر القرآن برأيه» : «وكان بعض من لا علم له بأقوال السلف من أهل التأويل ممن يفسر القرآن برأيه على مذهب كلام العرب» [٩٣]، «وذلك تأويل يكفي من الشهادة على خطئه خلافه قول جميع أهل العلم من الصحابة و التابعين» [٩٤] . وفي مكان آخر يهاجمه بقوله : «وهذا قول لا معنى له لخلافه قول جميع

٨٦- الفهرست (فلوجل) ٣٤

٨٧- الطبري (شاكر) ١٥ , ٧٦- ٧؛ اللسان ٨ , ٢٨٢

٨٨- الطبري (شاكر) ١٥ , ٧٦-٧٧

٨٩- المصدر السابق

٩٠- المصدر السابق ١٥ , ١٣٦-٧

٩١- المصدر السابق

٩٢- ١٥ , ١٣٧

٩٣- المصدر السابق ١٢ , ٢٣٣

٩٤- المصدر السابق ١٢ , ٢٣٤

Digitized by Birzeit University Library

أهل التأويل» [٩٥] وهكذا يوجه الطبري الانتقاد لأبي عبيدة لأنه يفضل بالدرجة الأولى رأي «أهل التأويل»، أو«رأي السلف من الصحابة و التابعين». نلاحظ أن الطبري لا يوفر فرصة في مهاجمة أبي عبيدة حتى وإن كان رأي أبي عبيدة صوابا : «وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : المتكأ : هو النمرق يتكأ عليه وقال : زعم قوم أنه الأترج قال وهذا أبطل باطل في الأرض ولكن عسى أن يكون مع المتكأ أترج يأكلونه، وحكى أبو عبيد القاسم بن سلام قول أبي عبيدة ثم قال : و الفقهاء أعلم بالتأويل منه ثم قال : ولعله بعض ما ذهب من كلام العرب فإن الكسائي كان يقول : ذهب من كلام العرب شيء كثير انقرض أهله و القول في أن الفقهاء أعلم بالتأويل من أبي عبيدة كما قال أبو عبيد : لا شك فيه، غير أن أبا عبيدة لم يبعد من الصواب في هذا القول» [٩٦]، ويهاجمه الطبري في موضع آخر « وقد زعم أيضا بعض من ضعفت معرفته بتأويل أهل التأويل و قلتِ روايته لأقوال السلف من أهل التفسير أن «الرحمن» مجازه ذو الرحمة . . . و لكن القول إذا كان على غير أصل معتمد عليه كان واضحا عواره » [٩٧].

عندما يقتبس الطبري عن أبي عبيدة فإنه يستخدم عدة طرق، إما أن يذكر اسمه وهو يكثر من ذلك [٩٨]، و إما أن يترك أسمه مجهولا «قال أبو جعفر : زعم بعض المنسوبين إلى العلم بلغات العرب من أهل البصرة » [٩٩]، «وحدثت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال : . . . . » [١٠٠]، «وقال بعض أهل المعرفة بكلام العرب»، «وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة» [١٠١]، «وزعم أبو عبيدة معمر بن المثنى » [١٠٢]، »وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة» [١٠٣]، «وأما التأويل الذي ذهب إليه أبو عمرو [بن العلاء] فتأويل لا نعلم أحدا من أهل العلم ادعاه غيره وغير أبي عبيدة معمر بن المثنى ولا يجوز خلاف ما جاءت به الحجة مجمعة عليه بتأويل لا برهان له من الوجه الذي يجب التسليم له» [١٠٤]، ويهاجمه الطبري أيضا لمخالفته أهل التأويل «وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب . . . و هذا قول لا معنى له لخلافه قول جميع أهل التأويل » [١٠٥]، «وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أن ذلك جائز ولا أعلم لما قال وجها يصح إلا بعيدا » [١٠٦]

٩٥- المصدر السابق ٢٠ , ٣٧

٩٦- المصدر السابق ١٢ , ٢٠٢

٩٧- المصدر السابق

٩٨- المصدر السابق ٧ , ١٧١ ؛ ١٦ , ١٨٠ ؛ ١٣ , ١٢٧ ؛ ١٣ , ١٣٧ ؛ ٢٢ , ١٢٨ ؛ ٢٣ , ١٩٩ ؛ ٢٧ , ٦٠ ؛ ٣٠ , ٢٩٦

٩٩- المصدر السابق ١ , ١٩٥

١٠٠- قارن مع مجاز القرآن ٢ , ٢٢ ، «وكان بعض أهل العلم - وهو أبو عبيده معمر بن المثنى ـــ بكلام العرب يقول . . . . »، «فإني حدثت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى»، «وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يزعم »

١٠١- المصدر السابق ١٥ , ٤٦ ؛ ٢٠ , ٣٧

١٠٢- المصدر السابق ٣٠ , ٢٩٦

١٠٣- المصدر السابق ١٨ , ١٨٨

١٠٤- المصدر السابق ٢١ , ١٥٩ ، « و كان بعض نحويي أهل البصرة»، «وقد جعل بعض أهل المعرفة بكلام العرب»، «وقد أخبرت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى»، «و ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى»

١٠٥- المصدر السابق ٢٠ , ٣٧ قارن مع مجاز ٢ , ٩٨

١٠٦- المصدر السابق ١٥ , ٤٦

Digitized by Birzeit University Library

نلخص هذا الفصل بأنه من خلال مقارنة ما نقل الطبري عن أبي عبيدة مع كتاب مجاز القرآن نجد أن هنالك تطابقا بين الكتابين فالطبري دقيق جدا في نقله عن أبي عبيدة، وهذا الأمر لم نره عندما ناقشنا نقله عن الفراء فهنالك اختلافات كثيرة بين نص الطبري و نص الفراء، و السبب ليس كون الطبري غير ثقة وإنما يعزى ذلك إلى اختلاف نسخ معاني القرآن للفراء . أما إذا قارنا بين تفسير الطبري و بين ما نقله من معاني القرآن للأخفش الأوسط أو من مجاز القرآن لأبي عبيدة فإننا نجد تطابقا كبيرا بينهما و بين كتاب الطبري .[١٠٧]

إلا في بعض الأحيان فإن الطبري يأخذ عن أبي عبيدة فإذا رجعنا إلى مجاز القرآن لا نجد النص الذي نقله .[١٠٨] ربما أكثر الطبري من انتقاد أبي عبيدة لأن الأخير لم يكن محبوبا و مرحبا به من قبل كثير من العلماء .[١٠٩] يقول ياقوت الحموي : «و لم يحضر جنازته أحد لأنه لم يكن يسلم من لسانه أحد لا شريف و لا غيره »[١١٠] .

أما بالنسبة لاتهامه بأنه يفسر القرآن برأيه ؛ فلم يكن الطبري أول من اتهمه بهذا الأمر، ولكن الروايات تعود إلى الأصمعي الذي اتهم أبا عبيدة بهذا الأمر ولا ننسى المنافسة الشديدة بينهما، وخاصة لنيل مكانة مرموقة عند هارون الرشيد ووزيره الفضل بن الربيع : «بلغ أبا عبيدة أن الأصمعي تعيب عليه تأليفه كتاب المجاز في القرآن أنه قال : يفسر كتاب الله برأيه»[١١١]، من خلال هذا النص يتبين أن الاتهامات الموجهة لأبي عبيدة ليس مقصورة على تلك التي وردت في تفسير الطبري، وإنما ناصبه العداء أبناء عصره ووطنه .

أكثر النقد الذي وجه لأبي عبيدة نابع عن كونه شعوبيا و معاديا للعرب وذلك عن طريق تأليف كتب يعدد فيها مثالب العرب و منها مثالب قريش الأمر الذي يمس ببيت النبوة .

فإنه كان يتعرض للهجوم لأن مثالبه كانت مادة خصبة للشعوبية المعادين للعرب ليستقوا منها معلوماتهم في هجومهم للحط من قيمة العرب، ولا ننسى أنه يرجح انتماء أبي عبيدة للخوارج و هذا الأمر لم يقربه من ذوي الشأن في عصره ؛ لذلك تعرض للخصومة و الانتقاد من جيل معاصريه أمثال ابن قتيبة و غيره[١١٢] .

١٠٧- قارن بين الطبري ٢٧ , ٣ ؛ ٢٧ , ٣٤ ؛ ٢٩ , ٥٢ ؛ ٣٠ , ٣٤٧ ؛ ٢٣ , ١٣١ ؛ ٢٠ , ١٠٨ ؛ ٣٠ , ٢٩٦ مع مجاز القرآن ٢ , ٢٢٧ ؛ ٢ , ٢٣٣ ؛ ٢ , ٢٦٧ ؛ ٢ , ٣١٦ ؛ ٢ , ١٧٨ ؛ ٢ , ١١٠ ؛ ٢ , ٣١٢

١٠٨- المصدر السابق ٢٧ , ٦٠

١٠٩- معجم ٦ , ٢٧٠٤

١١٠- المصدر السابق ٦ , ٢٧٠٨

١١١- تاريخ بغداد ١٣ , ٢٥٥ ؛ معجم ٦ , ٢٧٠٧

١١٢- EI2(H.A.R Gibb),s.v,Abu ᶜUbayda Vol I, p.158

Digitized by Birzeit University Library

٦:١ الأخفش الأوسط

لم يحظ كتاب معاني القرآن للأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة البلخي بما حظي به كتابا الفراء وأبي عبيدة في هذا المجال من الاهتمام، ويأتي ترتيبه بين نحاة البصرة والكوفة الذين ذكرهم الطبري في تفسيره في المرتبة الرابعة بعد الفراء و الكسائي و أبي عبيدة.

يذكر الطبري الأخفش عندما يقتبس عنه بالطريقة التالية: «وكان الأخفش [وهذه المرة الوحيدة التي يذكر الطبري فيها اسم الأخفش الأوسط] يقول: . . . «وقد زعم بعض أهل العربية»، «وقال بعض البصريين من أهل العربية . . .». [١١٣] وأحيانا وقال بعض نحويي البصرة . . . » [١١٤]، وقد أسماه الطبري نحوي أهل البصرة «فكان نحوي أهل البصرة يقول في ذلك . . . » [١١٥].

نلاحظ من خلال مقارنة ما نقل الطبري عن الأخفش الأوسط مع كتاب الأخير «معاني القرآن» أن نظرة الطبري تجاه الأخفش الأوسط تختلف تماما عن نظرته تجاه أبي عبيدة معمر بن المثنى، فمن خلال هذه النصوص نستخلص أن الطبري نقل عن الأخفش الأوسط نقلا حرفيا و دقيقا مع تغييرات بسيطة جدا مثل إضافة أل التعريف أو حذفها، إضافة حرف أو زيادة حرف آخر. يقول الطبري: «اختلف أهل العربية في وجه دخول (إن) في قوله «ولمن صبر و غفر، إن ذلك لمن عزم الأمور» [١١٦]، مع دخول اللام في قوله (ولمن صبر و غفر) فكان نحوي أهل البصرة يقول في ذلك: أما اللام التي في قوله «ولمن صبر و غفر» فلام الابتداء. و أما (إن ذلك) فمعناه و الله أعلم: إن ذلك منه من عزم الأمور وقال: قد تقول: مررت بالدار الذراع بدرهم: أي الذراع منها بدرهم، ومررت ببر قفيز بدرهم أي قفيز منه بدرهم قال: و أما ابتداء «إن» في هذا الموضع فمثل **«قل أن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم»** [٦٢ (الجمعة) :٨] يجوز ابتداء الكلام، و هذا إذا طال الكلام في هذا الموضع » [١١٧].

إذا قارنا هذا النص مع معاني القرآن للأخفش الأوسط نجد أن الطبري دقيق في نقله «أما اللام التي في «و لمن صبر» فلام الابتداء وأما «ذلك» فمعناه - والله أعلم- إن ذلك منه لمن عزم الأمور، وقد تقول: مررت بدار الذراع بدرهم أي: الذراع منها بدرهم و مررت ببر قفيز بدرهم: أي قفيز منه، وأما ابتداء «إن» في هذا الموضع فكمثل « قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم «يجوز ابتداء مثل هذا إذا طال الكلام في مثل هذا الموضع». [١١٨]

١١٣- الطبري ٧, ١٧١ ؛ ١, ١٧٢

١١٤- المصدر السابق ١, ٤١٣

١١٥- المصدر السابق ٢٥, ٤٠-١

١١٦- سورة الشورى: ٤٣

١١٧- الطبري ٢٥, ٤٠-١

١١٨- معاني القرآن للأخفش ٢, ٢٧٠

Digitized by Birzeit University Library

بعد ذلك رفض الطبري رأي الأخفش الأوسط [119] ، ودحض رأيه في تفسيره «زعم بعض نحويي البصرة أن معنى قوله : « **لا تجزي نفس عن نفس شيئا**» [٢ (البقرة) : ٤٨] لا تجزي منها أن تكون مكانها . وهذا قول يشهد ظاهر القرآن على فساده ، وذلك أنه غير معقول في كلام العرب أن يقول القائل «ما أغنيت عني شيئا» بمعنى : «ما أغنيت مني أن تكون مكاني » [120]إذا قارنا ذلك بمعاني القرآن للأخفش نجد اختلافات بسيطة » وقوله «عن نفس» يقول : منها أي : لا تكون مكانها » . [121]

«فكان بعض نحويي البصرة يزعم أنه رفع «قليل» لأنه جعل بدلا من الأسماء المضمرة في قوله «**ما فعلوه** » [٤ (النساء) : ٦٦] أن الفعل لهم » [122]ولم يقبل الطبري رأي الأخفش و فضل عليه رأي أهل الكوفة» [123]

عندما يعرض الطبري أقوال الأخفش الأوسط فإنه يدحض أقواله مرة ، و تارة يعرض أقوال مخالفيه من الكوفيين دون أن يتخذ موقفا من الخلاف ، و لكن من الملاحظ أنه عندما يدحض رأي الأخفش الأوسط أو غيره من أهل اللغة و النحو يبدأ بكلمة «زعم» أو «فيما يزعم» «وقد زعم بعض نحويي البصرة أن «الكاف» في قوله «**أو كالذي مر على قرية** » [٢ (البقرة) : ٢٥٩] زائدة و أيد المعنى : ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم أو الذي مر على قرية وقد بينا فيما مضى قبل أنه غير جائز أن يكون في كتاب الله شيء لا معنى له [124] «فنلاحظ هنا أن الطبري استعمل «زعم » لتدل على معارضته لهذا الرأي»

يقول الطبري «وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى قوله «**وأتوا به متشابها** » [٢(البقرة) : ٢٥] أنه متشابه في الفضل : أي كل واحد منه له من الفضل في نحوه مثل الذي للآخر في نحوه قال أبو جعفر : وليس هذا قولا نستجيز التشاغل بالدلالة على فساده لخروجه عن قول جميع علماء أهل التأويل وحسب قول بخروجه عن قول أهل العلم دلالة على خطئه » [125]

نرى هنا أن الطبري فضل رأي «أهل التأويل» على رأي أهل النحو و اللغة ، و لا ننسى أن الأخفش الأوسط كان يميل الى المعتزلة و هذا الأمر يحتمل أنه ينفر الطبري من آراء الأخفش الأوسط و غيره من علماء اللغة و معاني القرآن و غريبه و ذلك لميولهم لأفكار المعتزلة [126]

على العموم لو أجرينا مقارنة بين اقتباسات الطبري عن الأخفش الأوسط و نص معاني القرآن للأخفش لوجدناها دقيقة بشكل يختلف عن نقل الطبري عن معاني القرآن للفراء . [127]

١١٩- الطبري ٢٥ , ٤١

١٢٠- المصدر السابق (شاكر) ٢ , ٣١

١٢١- معاني ١ , ٩٠

١٢٢- المصدر السابق ١ , ٢٤١

١٢٣- الطبري (ش) ٨ , ٥٢٧

١٢٤- المصدر السابق(ش) ٥ , ٤٣٨ ؛ معاني ١ , ١٨٢

١٢٥- الطبري ١ , ١٧٢ ؛ معاني ١ , ٥٢

١٢٦- معجم الأدباء ٦ , ١٣٧٤

١٢٧- الطبري ٢٠ , ١٢٠ ؛ معاني ٢ , ٤٣٥ ؛ و الطبري ٦ , ١٥٣ مع معاني ١ , ٢٥٦ ؛ الطبري ١٣ , ١٨١ مع معاني ٢ ، ٣٧٤؛ الطبري ٢٣ , ١٢٣ مع معاني ٢ ،

Digitized by Birzeit University Library

٧:١ قطرب

من الأمور الواجب مراعاتها عند دراسة آراء قطرب، ارتباطه بالمعتزلة، و هذا ضروري - كما سنبين لاحقا - لتفسير موقف الطبري وغيره ممن سبقوه تجاه قطرب، و ذلك بالطعن عليه و التنقص منه. فقد كان تلميذ النظام المعتزلي.[١٢٨] المشكلة التي نواجهها هنا هو أن كثيرا من كتبه مثل معاني القرآن و إعراب القرآن و متشابه القرآن وكتاب العلل في النحو وغيرها[١٢٩] لم تصل إلينا مع الأسف الشديد، كان لقطرب آراؤه الخاصة في النحو بالرغم من كونه بصريا، فكان في بعض الأحيان تتفق آراؤه مع آراء الكوفيين.[١٣٠]

ولكن لا نستطيع أن نجزم بأنه كان عادة إلى جانب الكوفيين في آرائه النحوية، لأن كتبه التي ووصلتنا وهو كتاب الأضداد و كتاب الفرق و كتاب الأزمنة و كتاب المثلث لا تكفي لتحديد مذهبه في النحو، فهذه الكتب المذكورة آنفا لا تعطينا فكرة واضحة عن آرائه النحوية، فما زالت آراؤه مبعثرة في بطون كتب النحو و في المعاجم العربية[١٣١]، من خلال تلك الآراء المتعثرة يستشف أن قطرب كان يهتم بإيجاد تعابير بديلة في النحو[١٣٢]، فيرى مثلا أن «زيدا» لم يتغير موقعه من الإعراب في «زيد قائم» و «إن زيدا قائم» وشذ أيضا عن اتفاق النحاة البصريين فيما يتعلق بالإعراب و اختلاف حركة آخر الكلمة[١٣٣]

مايعنينا في هذا البحث: هل استخدم الطبري معاني القرآن لقطرب ؟ و ما هي نظرة الطبري تجاه مؤلفات قطرب في معاني القرآن و تفسيره؟ قبل أن نجيب عن هذين السؤالين لا بد من الاطلاع على حياة قطرب وآرائه من خلا ل ترجمته في كتب التراجم.

كان قطرب يسكن في بغداد وهو من تلاميذ سيبويه و روى عنه محمّد بن الجهم السمري و هذا الأخير روى معاني القرآن للفراء، و كان أيضا مؤدبا لبعض أولاد القادة في العصر العباسي[١٣٤]، و كان له علاقة وثيقة بالناظم إمام المعتزلة « و كان على مذهبه »[١٣٥] يقول عنه ياقوت الحموي: «وأخذ عن النظام المتكلم إمام المعتزلة وكان على مذهبه ولما صنف كتابه في التفسير أراد أن يقرأه في الجامع فخاف من العامة و إنكارهم عليه لأنه ذكر فيه مذهب أهل الاعتزال، فاستعان بجماعة من أصحاب السلطان ليتمكن من قراءته في الجامع »[١٣٦].

١٢٨- معجم الأدباء ٦, ٢٦٤٦ ؛ فرستيخ (١٩٨٣) ٤٠٣- ٤٢١ ؛ . EI²(G.Troupeau)S.V,Ḳuṭrub,v.5 p567

١٢٩- المصدر السابق

١٣٠- الفهرست (ف) ٥٢-٣

١٣١- فرستيخ (١٩٨٣) ٤٠٣-٥

١٣٢- المرجع السابق

١٣٣- المرجع السابق ٤٠٧

١٣٤- انباه ٣, ٩٩ ؛ ٣, ٢٢٠

١٣٥- معجم ٦, ٢٦٤٦

١٣٦- المصدر السابق

Digitized by Birzeit University Library

إن اعتزال قطرب أحد أهم الأسباب التي أدت إلى نبذه من قبل العلماء « و أخذ عنه ابن السكيت و قال : كتبت عنه قمطرا ثم تبينت أنه يكذب في اللغة فلم أذكر عنه شيئا» [١٣٧] و موقف أبي جعفر النحاس معاد لقطرب أيضا، «قال أبو جعفر : قطرب صاحب شذوذ قد تركه يعقوب [ابن السكيت] و غيره فلم يذكروه» [١٣٨]

من خلال هذه الروايات والمواقف التي أبداها العلماء تجاه قطرب نستطيع الآن الإجابة عن السؤالين السابقين .

فمن المرجح أن الطبري استخدم كتاب قطرب مع أنه لم يصرح باسمه . يذكر ياقوت الحموي في ترجمته للطبري أنه لم يستخدم التفاسير غير الموثوق بها «و لم يعترض [أي الطبري] لتفسير غير موثوق به فإنه لم يدخل في كتابه شيئا عن كتاب محمد بن السائب الكلبي ولا مقاتل بن سليمان ولا محمد بن عمر الواقدي لأنهم عنده أظناء و الله أعلم » [١٣٩] ، على الرغم من هذا الكلام الذي ذكره ياقوت وهو صحيح إلى حد ما، إلا أن الطبري رجع إلى تفسير محمد بن السائب الكلبي في عدة مواضع . [١٤٠]

المشكلة التي نواجهها في تتبع آراء قطرب التي نقلها عنه الطبري هي أنه لا يكثر من ذكر أسماء النحاة في تفسيره، ولم يذكر اسم قطرب في تفسيره، فمن المحتمل أن انتماء قطرب إلى المعتزلة هو السبب في تجاهل الطبري لكتابه مع العلم أن كتاب قطرب من أهم الكتب التي وضعت في هذا التخصص . أما المشكلة الثانية فهي لسوء الحظ، عدم وصول معاني القرآن لقطرب إلينا، لذلك أصبح من الصعب بل من غير الممكن أحيانا المقارنة بين الطبري و قطرب، ولكن يمكن الاستعانة بكتب التفسير المتأخرة و بكتب معاني القرآن، من الكتب الهامة معاني القرآن لأبي جعفر النحاس و معاني القرآن و إعرابه للزجاج . ففي هذين الكتابين ذكر لآراء قطرب . ومن خلالهما سنحاول إثبات قضية استخدام الطبري لكتب قطرب في معاني القرآن . أما السؤال الثاني المتعلق بنظرة الطبري تجاه قطرب فواضح أنه -أي الطبري ــ يعتبر قطرب صاحب بدعة لا يعتمد عليه ولا يستشهد بأقواله في تفسير القرآن .

وهذا الرأي كان يتبناه النحاس و غيره من علماء ذلك العصر، و رواية ياقوت إن صحت خير برهان على المعارضة الشديدة التي واجهها قطرب بسبب معانيه . [١٤١]

يقول الطبري «و قال آخرون : بل ابتدئت بذلك أوائل السور ليفتح لاستماعه سماع المشركين - إذ تواصوا بالإعراض عن القرآن - حتى إذا استمعوا له تلي عليهم المؤلف منه »[١٤٢] وهذا هو قول قطرب كما يظهر ذلك من قول الزجاج و القرطبي يقول الزجاج «و لقطرب قول آخر في ألم : زعم أنه يجوز لما لغا القوم في القرآن فلم يتفهمون حتى قالوا : لا تسمعوا لهذا القرآن و الغوا فيه أنزل ذكر هذه الحروف فسكتوا لما سمعوا الحروف

١٣٧- المصدر السابق

١٣٨- النحاس، إعراب القرآن ٢ ، ٤٥٥ ، وانظر : مقدمة المحقق ١ ، ٧٤

١٣٩- الطبري ١ , ٤٠-١ , ٩٣ ؛ ٣٠, ٢٦٠

١٤٠- معجم الأدباء، المصدر نفسه

١٤١- الطبري (شاكر) ١ , ٢١٠

١٤٢- معاني القرآن للزجاج ١ , ٦٢ ؛ الجامع لأحكام ١ , ١٣٤ ؛ بحر العلوم ١ , ٢٥٠

Digitized by Birzeit University Library

طمعا في الظفر بما يحبون ليفهما ـــ بعد الحروف ـــ القرآن و ما هذه فتكون الحجة عليهم أثبت إذا جحدوا بعد تفهم و تعلم » [١٤٣] .

وقد نقل الطبري عن قطرب بيتا من الشعر في تفسير كلمة «هيت» [١٢ (يوسف) : ٢٣] و قد أنشد بعض الرواة بيتا لطرفة بن العبد في «هيت» بفتح الهاء و ضم التاء و ذلك :

ليس قومي بالأبعدين إذا ما قال داع من العشيرة هيت [١٤٩]

يقول الزجاج : «وحكى قطرب أنه أنشده بعض أهل الحجاز لطرفة بن العبد : ليس قومي بالأبعدين إذا ما قال داع من العشيرة هيت » [١٤٤] ، و يسمي الطبري قطربا «بعض أهل العربية من أهل البصرة «يقول الطبري في تفسير الآية «**ففسق عن أمر ربه** » [١٨ (الكهف) : ٥٠] «وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : إنما قيل» ففسق عن أمر ربه» لأنه يراد به ففسق عن رده أمر الله كما تقول العرب : اتخمت عن الطعام بمعنى أتخمت لما أكلته» [١٤٥] ، يقول الزجاج : «وقال قطرب : يجوز أن يكون معناه فسق عن رد أمر ربه » [١٤٦] .

هنالك الكثير من الآراء النحوية التي ذكرها الطبري في تفسيره مثل «زعم بعض أهل العربية . . . » لم استطع الوقوف عليها فيما توافر لي من مصادر ، لذلك تظل أحكامنا بخصوص نقل الطبري عن قطرب جزئية طالما أن كتبه لم تصلنا .

٨:١ الزجاج و المبرد

هنالك مصادر أخرى للطبري لم يشر إليها ياقوت . مثل مؤلفات الزجاج (ت ٣١١) و معلمه المبرد (ت٢٨٥) ، و الصعوبة التي تواجهنا هنا أن كتاب المبرد في معاني القرآن لم يصلنا ، و له كتاب في إعراب القرآن لم يصل إلينا أيضا . [١٤٧] لذلك فإننا نعتمد على ما نقله الزجاج عن أستاذه المبرد ، مع العلم أن الزجاج لا يذكر اسم المبرد في كل مرة يقتبس فيها أقواله .

يقول الطبري : «وقد زعم بعض أهل الغباء أن العرب كانت لا تعرف الرحمن ، و لم يكن ذلك في لغتها» [١٤٨] ، ويقصد الطبري هنا الزجاج كما في رواية ابن منظور ، ولكن ربما أخذ الزجاج هذا القول عن المبرد .

قال الزجاج : «الرحمن اسم من أسماء الله - عز و جل - مذكور في الكتب الأول و لم يكونوا يعرفونه من أسماء الله» [١٤٩] .

١٤٣- معاني القرآن للزجاج ٣ , ١٠٠

١٤٤- الطبري ١٥ , ٢٦١

١٤٥- معاني ٣ , ٢٩٤

١٤٦- معجم ٦ , ٢٤٥٤

١٤٧- EI2,(R.Sellheim),s.v,Al-Mubarrad ,vol.7.279-82

الفهرست(ف) ٥٩

١٤٨- الطبري (ش) ١ , ١٣١

١٤٩- معاني ١ , ١٠-١١

Digitized by Birzeit University Library

من خلال هذه الرواية يتبين لنا موقف الطبري تجاه البصريين أو بعضهم مثل الزجاج و المبرد.

١:٩ أبو عبيد القاسم بن سلام

من كتبه الهامة كتاب غريب القرآن و كتاب معاني القرآن و كتاب القراءات. [١٥٠] لم يكن ابن سلام عالما بالنحو: «وأما أبو عبيد القاسم بن سلام فإنه مصنف حسن التأليف إلا أنه قليل الرواية تقطعه عن اللغة علوم افتن فيها». [١٥١] «و كان ناقص العلم بالإعراب [١٥٢] اعتمد ابن سلام في كتبه كثيرا على أبي عبيدة [١٥٣]، يقول ياقوت «وكتابه في القراءات يشتمل على كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام لأنه كان عنده عن أحمد بن يوسف التغلبي و عليه بنى كتابه». [١٥٤]

ينقل الطبري حرفيا عن ابن سلام مما يؤكد صحة رواية ياقوت بخصوص نقل الطبري لكتاب القراءات لابن سلام [١٥٥] دون حذف أو إضافة، أما المصدر الذي يبين لنا هذا الاقتباس بحذافيره فهو إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ففي الآية «**ولات حين مناص**» [٣٨ (ص) : ٣] يقول أبو جعفر النحاس «و أما «ولات حين مناص» فقد تكلم النحويون فيه و في الوقوف عليه، وكثر فيه أبو عبيد القاسم بن سلام في «كتاب القراءات» وكل ما جاء به فيه إلا يسير مردود» [١٥٦] نظرة الطبري تجاه ابن سلام تختلف كثيرا عن نظرته تجاه أبي عبيدة، فإن الطبري يجل ابن سلام و يحترمه و ذلك من خلال ما رواه عنه، ولكن هذا لا يمنع الطبري من انتقاد ابن سلام إذا تعارض مع رأيه. يقول الطبري «و لا وجه للعلة التي اعتل بها القائل: إنه لم يجد «لات» في شيء من كلام العرب. [١٥٧] يقصد هنا الطبري أبا عبيد «و أما ما استشهد به [أبو عبيد] من قول الشاعر: كما زعمت «تلانا» إشارة إلى البيت الذي استشهد به أبو عبيد

تولى قبل يوم سبي جمانا وصلينا كما زعمت تلانا

فإن ذلك منه غلط في تأويل الكلمة » [١٥٨]، و ينتقده الطبري أيضا في قوله «وأما زعمه أنه رأى في المصحف الذي يقال له الإمام التاء متصلة بحين فإن الذي جاءت به مصاحف المسلمين في أمصارها هو الحجة على أهل الإسلام» [١٥٩].

١٥٠- معجم ٥, ٢٢٠١؛ الفهرست (ف) ٧١؛ انباه ٣, ٢٢

١٥١- مراتب اللغويين ٩٣

١٥٢- المصدر السابق

١٥٣- المصدر السابق

١٥٤- معجم ٦, ٢٤٥٦

١٥٥- الطبري ٢٣, ٢٢-٣

١٥٦- معاني القرآن للنحاس ٣, ٤٥٠-١

١٥٧- الطبري ٢٣, ٢٣ قارن مع إعراب القرآن ٣, ٤٥١

١٥٨- إعراب ٣, ٤٥٢؛ الطبري ٢٣, ١٢٣-٤

١٥٩- الطبري ٢٣, ١٢٤ قارن مع إعراب ٣, ٤٥٤

Digitized by Birzeit University Library

أما الروايات الأخرى فإنها تشير إلى احترام الطبري لأبي عبيد باعتباره من المحدثين. و أيد أبا عبيد في نقده لأستاذه أبي عبيدة معمر بن المثنى «وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى «**المتكأ**» [١٢ (يوسف) : ٣١] هو النمرق يتكأ عليه وقال : زعم قوم أنه الأترج. قال : وهذا أبطل باطل في الأرض و لكن عسى أن يكونً مع المتكأ أترج يأكلونه، وحكى أبو عبيد القاسم بن سلام قول أبي عبيدة ثم قال : و الفقهاء أعلم بالتأويل منه، ثم قال : «ولعله بعض ما ذهب من كلام العرب فإن الكسائي كان يقول : قد ذهب من كلام العرب شيء كثير انقرض أهله». و القول في أن الفقهاء أعلم بالتأويل من أبي عبيدة كما قال أبو عبيد : لا شك فيه، غير أن أبا عبيدة لم يبعد من الصواب في هذا القول، بل القول كما قال »[١٦٠] هنا تبرز قضية أهل اللغة والفقهاء وتأييد الطبري التام للفقهاء وللمفسرين باعتبارهم أقرب إلى فهم نصوص القرآن من أهل اللغة والنحو وأصحاب الغريب. نستشف من النص أيضا مدى العداء لأبي عبيدة حتى من تلامذته مثل أبي عبيد.[١٦١]

يقول الطبري «وقد كان الكسائي فيما ذكر أبو عبيد عنه . . . . »[١٦٢] «حدثت عن أبي عبيد قال : قال الكسائي. . . . »[١٦٣] «وقال بعضهم . . . »[١٦٤] و يقصد الطبري هنا أبا عبيد.

تلخيصا نقول : لا يعتبر أبو عبيد القاسم بن سلام من النحاة أو من أهل اللغة البارزين، لذلك لم يحتل مكانة هامة بين المصادر التي اعتمد عليها الطبري في تفسيره.

١١:١ ابن قتيبة

بالنسبة لآرائه اللغوية يصنفه بعضهم على أنه مؤسس المذهب البغدادي في اللغة.[١٦٥] وهي مدرسة آراؤها تتوسط بين الكوفيين و البصريين، و هذا الأمر مشكوك في صحته،[١٦٦] لأنه من خلال ما وصلنا من كتبه لا نستشف ما يدعم هذا الادعاء[١٦٧]. تأثر ابن قتيبة ببعض نحاة الكوفة الذين أطلق عليهم في فترة متأخرة اسم البغداديين مما يؤكد أن هذه الآراء المنسوبة إلى البغداديين أو الكوفيين لا تشكل مدرسة مستقلة في النحو.[١٦٨] خلط ابن قتيبة بين الاتجاهات الكوفية و البصرية في اللغة و النحو، و لكنه بشكل عام يتبع المنهج البصري، على الرغم من تأييده أحيانا لآراء الكسائي و الفراء. و لا يتردد ابن قتيبة في اتخاذ موقف لا يتفق و الآراء

١٦٠- الطبري ١٢ , ٢٠٢ قارن مع مجاز ١ , ٣٠٩

١٦١- المصدر السابق٩ , ١٥٣ ؛ ١٢ , ٢٠٢ ؛ ١١ , ١٦٢

١٦٢- المصدر السابق ١١ , ١٦٢

١٦٣- المصدر السابق ٩ , ١٥٣

١٦٤- المصدر السابق ٢٣ , ١٢٣

١٦٥- تاريخ بغداد ١٠ , ١٧١ ؛ EI2,(G.Lecomte),s.v,Ibn Ḳutaiba, Vol III, p844-47

١٦٦- المرجع السابق

١٦٧- المرجع السابق

١٦٨- المرجع السابق

Digitized by Birzeit University Library

التقليدية و هذا قريب من طريقة الكوفيين . [١٦٩] استخدم الطبري كتب ابن قتيبة و لكن لم يذكر اسمه مباشرة ، و هذا ما نبه إليه محقق كتاب ابن قتيبة غريب القرآن ؛ «ومما يستلفت النظر أن أبا جعفر الطبري قد انتفع بكتاب الغريب هذا انتفاعا كبيرا ، ونقل ألفاظه في بعض المواطن نقلا حرفيا ، دون أن يشير إلى ابن قتيبة بأية إشارة واضحة أو مبهمة . مثل ما فعل مع الفراء و أبي عبيدة . و كثير من المواطن التي لم ينقل فيها ألفاظ ابن قتيبة و عبر فيها بألفاظه و أسلوبه ، يجد فيها القارىء الحصيف ريح كلام ابن قتيبة . و ما أشبههما إلا ببحر كبير عارم الموج مر بجدول صغير ، فاستاق ماءه و مضى به» . [١٧٠]

من خلال ما اقتبسه الطبري عن ابن قتيبة يتبين لنا أن الطبري يهاجمه أحيانا مهاجمة عنيفة كما هاجم أبا عبيدة «وقد كان بعض من لا علم له بأقوال أهل العلم يقول : تأويل ذلك : قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم ما تدعون من دونه من الآلهة و الأنداد ، و هذا قول لا معنى للتشاغل به لخروجه عن أقوال أهل العلم من أهل التأويل » [١٧١] .

١٢:١ المصادر الاخرى

و أما فيما يتعلق بعلماء البصرة الأوائل في اللغة والنحو : مثل أبي عمرو بن العلاء و يونس بن حبيب و سيبويه و أبي زيد الأنصاري و غيرهم ، فإن الطبري لم ينقل عنهم مباشرة . فعندما ينقل الطبري عن أبي عمرو بن العلاء يقول «وكان أبو عمرو بن العلاء فيما حدثت عن معمر بن المثنى عن أبي عمرو بن العلاء . . . » [١٧٢] ، «وقد حكي عن أبي عمرو بن العلاء . . . » [١٧٣] ، و ينطبق ذلك على يونس بن حبيب : «و كان يونس النحوي فيما ذكر عنه يزعم . . . » [١٧٤] ، و يقول «ذكر عن أبي زيد البصري . . . » [١٧٥]

أما بالنسبة لسيبويه فعلى الرغم من أهمية كتابه ، إلا أنه لم يذكر اسمه في تفسيره ولم يشر إلى كتابه بالرغم من أنه ذكر الكسائي و الفراء و الأخفش الأوسط و هم من معاصري سيبويه . يقول الطبري «فقال بعض أهل العربية . . . » [١٧٦] يقصد الطبري هنا سيبويه ، و لكن من المرجح أنه لم ينقل ذلك مباشرة عن سيبويه ، و إنما عن طريق كتاب آخر مثل كتاب القراءات لأبي عبيد القاسم بن سلام .

١٦٩- المرجع السابق

١٧٠- تأويل مشكل ص د مقدمة المحقق : السيد أحمد صقر

١٧١- تأويل مشكل ٣٣٩ ؛ الطبري ٢٠ , ١٢٠-٢١

١٧٢- الطبري ٢٣ , ١٣١ ؛ ١٥ , ٢١٥ ؛ ٢٩ , ٣٠ , ٣١ ؛ ١٣ , ١٧٩-٨٠

١٧٣- الطبري ١٥ , ٢١٥ ؛ ٢٩ , ٣٠-١ ؛ ١٣ , ١٧٩-٨٠

١٧٤- المصدر السابق١٠ , ١١٣ ؛ ٦ , ١٥١ ؛ ٩ , ٦٧ , ٧١

١٧٥- المصدر السابق ١٢ , ١٢٥

١٧٦- المصدر السابق

Digitized by Birzeit University Library

في الختام، نركز على نقطة هامة وهي أن الطبري عندما يستخدم كتب معاني القرآن، فإنه يتدخل في انتقاء المادة النحوية التي يعرضها في تفسيره، ويقوم بترتيبها، و هذا لا يعني أن الطبري غير دقيق في نقله ولكن ذلك نابع عن وظيفة الطبري كمفسر في الدرجة الأولى، لذلك فإنه يعطي نفسه الحق في التدخل في النص. ولكنه لا يريد أن ينقل الخلاف بين النحاة إلى تفسيره، كما هو في كتب النحو، لكي يحافظ على قدسية النص القرآني خاليا من خلافات النحويين. بعبارة أخرى فإن النحو في خدمة التفسير و ليس العكس. فنقل الخلافات النحوية و اللغوية الجافة إلى صلب التفسير، ربما أضر بقدسية النص.[١٧٧]

Digitized by Birzeit University Library

الفصل الثاني

مصطلحات الطبري النحوية

Digitized by Birzeit University Library

أ. القسم الأول: دراسة تفصيلية لمجموعة من المصطلحات النحوية

١:٢ النصب على القطع

تعريف المصطلح

لهذا المصطلح معان عديدة، تستعمل في مجالات شتى :

لغة:

القطع مصدر الفعل (قطعت)َ، وانقطع الكلام وقف فلم يمض، [١] « والقطع اسم ما قطع يقال : قطعت الشيء قطعا واسم ما قطع فسقط قِطع [٢]، والقطع كون الكلام مقطوعا عمّا قبله لفظا ومعنى [٣]، «يدل على صرم وإبانة شيء من شيء، يقال : قطعت الشيء أقطعه قطعا » [٤].

اصطلاحا

يدل مصطلح النصب على القطع عند الكوفيين على الأغلب، على اسم نكرة يأتي في حالة النصب بعد عبارة أو جملة ــ غالبا ما تكون اسمية- نستطيع الوقوف عليها لأن لها معنى تاما مستغنية عما يليها، ولكنه يأتي لتوضيح تلك الجملة وتفسيرها وتأكيدها. وهي - على الاغلب- الحال المقارنة غير المنتقلة المؤكدة التي لا تفيد التحول والانتقال، وهي كما عرفها السيوطي : « وهي التي يستفاد معناها بدونها» [٥].

بشكل عام يعرف الكوفيون النصب على القطع كالآتي:

١- اسم نكرة منصوب، يسبقه ما يدل عليه في الكلام، مثل الضمائر وأسماء الإشارة نحو : له الدين واصبا، هو الحق مصدقا، وهذه الحال تأتي مؤكدة لمضمون الجملة السابقة، وتأتي بعد جملة فيها اسمان معرفتان، المبتدأ والخبر [٦]، والعامل في نصبها مضمر فيما سبقها، مثل معنى التنبيه والإشارة أو الفعل المستتر في المبتدأ. [٧]

٢- اسم نكرة منصوب قطع من الاسم المعرفة الذي يسبقه، أي هو في الأصل نعت أو صفة أسقطت منه الألف واللام، فصارت النكرة صفة للمعرفة مما يتعارض مع أصول النحو؛ لذلك ننصب هذا الاسم على

---

١ [٢٨٢ اللسان، ٨، مادة : قطع

٢ [المصدر السابق]

٣ [الكليات (١٩٩٣)، ص ١٠٦]

٤ [معجم مقاييس اللغة، ٥ : ١٠١]

٥ (همع الهوامع، (مكرم)٤-٣٩)

٦ (المرجع السابق)

٧ المرجع السابق، ٤٠)

Digitized by Birzeit University Library

القطع، فلا يتبع الإسم الذي قبله، لأنه خالفه في التعريف والتنكير لذلك يخالفه في الحركة «الإعراب»، فيأتي منصوبا على القطع نحو: يجيء زيدٌ راكباً، فأصله: يجيءُ زيدٌ الرّاكب. أما إذا جاء هذا الإسم معرفا بأل التعريف فهو نعت يتبع منعوته في التعريف والتنكير والحركة.[٨]

من هو أول من استعمل مصطلح القطع ؟

الخليل وسيبويه، وأبو عبيدة:

نجده مستعملاً في كتاب العين للخليل بن أحمد ([إن صحت نسبته بأكمله إلى الخليل،][٩]، ورد هذا المصطلح في كتاب العين سبع مرات[١٠]، ولكن ما يعنينا هنا هو النصب على القطع، ففي قول الشاعر:

قال:دأوت له لتأخذه — فهيهات الفتى حذرا

«نصب -حذرا- على القطع»[١١]، وفي مكان آخر ورد: «قال الخليل: النصب خزانة النحو والبصرة خزانة العرب»، أي معولهم عليه أكثر من سائره. النصب في الحال والقطع والوقف واضمار الصفات[١٢]، ولكن هل تثبت هذه المعلومات أن الخليل هو أول من استعمله؟

أشار الفراء إلى استعمال «النحويين» لهذا المصطلح «وهذا محض القطع الذي تسمعه من النحويين»[١٣]، كلمة «محض» تعني حقيقة القطع وجوهره، وربما تعني هنا المصدر والاصل،[١٤]، «النحويون» المقصود بهم النحاة الذي سبقوا الفراء، وأكثرهم من نحاة الكوفة، وأحيانا يقصد الفراء الخليل أو الكسائي. إذا تمعنا فيما نقله الفراء من آراء عن النحويين في معانيه، نلاحظ أنه كثيرا ما يرفض آراءهم بما فيهم الخليل وتلميذه سيبويه.[١٥] لا نستطيع أن نحدد أسماء النحويين الذين أخذ عنهم الفراء مصطلح القطع، ولكن بات واضحا أنه لم يكن أول من استعمله، وهذا ينفي ما قاله بعض الباحثين من أن الفراء «جدد هنا مفهوما للمصطلح، فهو إذن مصطلح كوفي محض»[١٦] لأن البصريين استعملوه أيضا، فبالإضافة إلى الخليل، أشار الباحث فرستيخ إلى أن

---

٨ (ابن شقير، المحلى، ٧، ٨، ٩، ديره، دراسات، ٢٤٤، ابن الأنباري: شرح القصائد، ٢٤، ابن السراج، الأصول، ١: ٢١٦، كنبرغ: معجم ١٩٤، ٦٥٨، ٦٥٩، ٨٠٨، أووينس: ١٣٩، فرستيخ، ١٣٣، رفيده: ١٩٥، ٦، ٧، القوزي: ١٧٠، خلف الأحمر: ٥٩، ابن قتيبة: تلقين، ٢٠٨، ٩، طلمون ١٩٩٠): ١٤٨، أبو حيان: البحر المحيط، ٤-٦٤١، كارتر(١٩٧٣): ٢٩٧

٩ (انظر: طلمون ٩١-١٢٥، ١٩٩٧،)

١٠ (المرجع نفسه، ٤٠٤)

١١ العين ٨: ٩٤-٩٥

١٢ (طلمون، ١٩٩٧، ٤: ٢٠٩)

١٣ كينبرغ، ١٩٩٦، ٧٨٢

١٤ انظر المرجع السابق، ٧٦٦-٧٦٧)

١٥ (المرجع السابق، ٧٨٠-٧٨٣، وانظر: طلمون، ١٩٨٢، ١٢-٣٨)

١٦ (طلمون، ١٩٩٠، ص ١٤٩، ملاحظة: ٤٦)

Digitized by Birzeit University Library

أبا عبيدة أورد «انقطع النصب » في مجازه، وربما يشير هذا الأمر إلى أن مصدر الفراء وأبي عبيدة واحد.[١٧]

استعمال سيبويه كلمة قطع ومشتقاتها يحمل دلالات عديدة منها النحوية والصرفية والصوتية وغيرها وما يعنينا هنا النحو. لم يستعمل القطع بمعنى الحال، وإنما بمعنى عدم اتباع التالي للأول في الإعراب أي الابتداء وسط الكلام، مثل الاسم المرفوع بعد واو الاستئناف الذي لا يتبع الاسم الذي سبقه في الإعراب.[١٨]«إن شئت رفعته على أن تشرك بينه وبين الأول، وان شئت كان منقطعا»[١٩] ويقول أيضا: « . . . من قبل أن هذا منقطع من الكلام الأول وليس معتمدا على ما قبله مستغن»[٢٠]، ويقول أيضا، »إذا جعلت الكلام على أوله ولم تقطعه»[٢١]، والغريب أن فهم سيبويه للقطع يشبه إلى حد ما تعريف الفراء له، «والرفع جائز، لأنه كالجواب، ألا ترى أن الرجل يقول: قد قام عبد الله، فتقول: حقا إذا وصلته. وإذا نويت الاستئناف رفعته وقطعته مما قبله. وهذه محض القطع الذي تسمعه من النحويين»[٢٢]، ما قاله الفراء يؤكد أن سيبويه عرف القطع واستعمله، ولكن لا يقصد به الحال وإنما هو الاستئناف وعدم مجاراة الأول في الإعراب. من المؤكد أن سيبويه يعرف مصطلح النصب على القطع ــ طالما أن أستاذه الخليل استعمل المصطلح نفسه - ولكنه لا يريد استعماله -لأنه غير مقتنع بصحة استعماله لدى الكوفيين. وهذا ما سنبينه عند حديثنا عن مواقف البصريين من استعماله.

الكسائي والفراء وغيرهما من الكوفيين:

هنالك فرق بين استعمال الكسائي والفراء للقطع، وذلك ما أشار إليه أبو حيان وابن السراج: يقول ابن السراج «وكان الكسائي يقول: رأيت زيدا ظريفا فينصب ظريفا على القطع، ومعنى القطع: أن يكون أراد النعت، فلما كان ما قبله معرفة وهو نكرة انقطع منه وخالفه»[٢٣]، وجاء في البحر المحيط: « . . . كذلك قالوا: ما أراد الله بهذا المثل، فلما لم يجر على إعراب -هذا- انتصب -مثلا- على القطع، وإذا قلت: عبد الله في الحمام عريانا ويجيء زيد راكبا، فهذا ونحوه منصوب على القطع عند الكسائي»[٢٤]، ويضيف ابو حيان كلاما يوضح فيه رأي البصريين الذي ينفي الحاجة إلى استعماله في النحو العربي («. . . فهو المنصوب على القطع، وما لا فمنصوب على الحال، وهذا كله عند البصريين منصوب على الحال، ولم يثبت البصريون النصب على القطع.

---

١٧ (فرستيخ، ١٩٩٣, ١٣٣، أبو عبيدة، مجاز القرآن، ١: ٣٢: ٩)

١٨ (فرستيخ، ١٩٩٣, ١٣٢)

١٩ الكتاب -درنبرج-١-٣٧٧, ٤-٥

٢٠ (المرجع السابق، ١-٣٦٦, ٤)

٢١ (المرجع السابق، ١-٣٦٦-

٢٢ الفراء، معاني ٢ - ٣٤٥-٣٤٦

٢٣ (ابن السراج، ١-٢١٥-٢١٦)

٢٤ (رفيدة، النحو وكتب التفسير، ٢-٩١٤-٩١٥، أبو حيان، البحر المحيط (١٩٩٢)، ١-١، ٢٠)

Digitized by Birzeit University Library

[في الآية «**والسموات مطويات بيمينه** » الزمر : ٦٧]على الحال أو على القطع والحال أجود. [٣٤] فضل الفراء النصب على الحال هنا لأن الكلام لم يتم بعد «السمًوات» ، لذلك لم يستعمل النصب على القطع لأنه يحتاج إلى الاستغناء وتمام قبله ، ومما يؤكد ذلك قول الفراء « لأن الكلام تام عند قوله__آياته- »[٣٥] .

وهذا التفسير للفراء لا ينطبق على جميع الحالات ، ففي الآية « **وامرأته حمالة الحطب،في جيدها حبل من مسد**» (١١١-اللهب__٤ , ٥) ، يعلل الفراء سبب نصب كلمة «حمالة» بقوله : تجعل «الحمالة» قطعا لأنها نكرة ، ألا ترى أنك تقول : وامرأته الحمالة الحطب ، فإذا ألقيت الألف واللام كانت نكرة ولم يستقم أن ينعت معرفة بنكرة»[٣٦] ، هذا التفسير لا ينطبق مع ما ذكرناه آنفا ، لأنه استعمل النصب على القطع قبل تمام الكلام (الجملة) ، مع أن الحال أنسب هنا للحجة التي ذكرها الفراء .

يعرف الفراء القطع كما يلي ، « وقوله « وأولو العلم قائما بالقسط» منصوب على القطع ، لأنه نكرة نعت به معرفة ، وهو في قراءة عبد الله « القائم بالقسط» رفع لأنه معرفة نعت لمعرفة »[٣٧] ، ويقول أيضا « . . . فأن تجعل « الكتاب» خبرا لـ«ذلك» فتنصب «هدى» على القطع لأن «هدى» نكرة اتصلت بمعرفة قد تم خبرها فنصبتها ، لأن النكرة لا تكون دليلا على معرفة» . [٣٨] أي أن أصل القطع نعت ، فنحو : هذا الرجل واقفا أصل «واقفا» الواقف لأنها نعت لـ «الرجل» ، فلأن «واقفا» نكرة لا تصف معرفة اختلفت أيضا في حركة الإعراب لذلك جاءت منصوبة خلافا لما قبلها ، وقد ذكر ابن قتيبة ما يشبه هذا التعريف ، « وكيف تصف المعرفة بالنكرة ؟ إذا وصفت المعرفة بالنكرة ، نصبت النكرة على الحال ، لم نصبتها على الحال ؟ لأنه لما لم يجز أن تصف المعرفة بالنكرة ذهبت بها إلى الحال التي تكون لهما جميعا ، نحو ماذا ؟ نحو هذا عبد الله جالسا . . . »[٣٩] .

هنالك نص هام أورده ابن الأنباري(٣٢٨ هـ) في تفسير مصطلح النصب على القطع لدى الفراء ، يظهر من خلاله معارضته للفراء في العامل في نصب القطع ، لأن هنالك من يرى أنّ سقوط أل التعريف هو العامل في نصب القطع . « وقال بعض أهل اللغة : التقدير : بين الدخول فحومل فتوضح فالمقراة الوقوف بها صحبي ، فلما أسقط الألف واللام نصبه على القطع» ، وهذا يرجع إلى معنى القول الأول الذي حكاه أبو العباس[ثعلبٍ] قال : «كان أصحابنا يقولون : نصب « وقوفا» على القطع من «الدخول»[٤٠] ، إلا أن الفراء أنكر قول الذين يقولون : القطع ينتصب بسقوط الألف واللام منه ، وقال : يلزمهم ألا يأتوا بالقطع مع المكني ، فلا يقولون : أنت متكلما أحسن منك ساكتا إذ كانت الألف واللام لا تحسن في «منك»لأن «أنت» لا ينعت لشهرته وتعريفه»[٤١] ، والصحيح أنه لا يظهر من خلال معاني القرآن ، أن الفراء أنكر قول من يقول : إن سقوط الألف

---

٣٤ (الفراء ، ٢ , ٤٢٥-، ٦ , ٧)

٣٥ (الفراء ، ٣ , ١١-١٦ , ١٧ ، كنبرغ ، ٦٦١) .

٣٦ (الفراء ، ٣ , ٢٩٨__١٥ , ١٦ ، كنبرغ ، ٦٦١)

٣٧ (كنبرغ ، ٦٦١ ، الفراء ، ١ , ٢٠٠-١٢)

٣٨ (الفراء ، ١ , ١٢-٣)

٣٩ (كتاب تلقين المتعلم ، ٢٠٨)

٤٠ ابن الأنباري ، شرح القصائد ، ٢٤

٤١ (المرجع السابق ، ٣٧)

Digitized by Birzeit University Library

واللام يوجب النصب، لأنه يقول: « . . . ولو نصبته -إذ لم يكن فيه الألف واللام - على القطع كان صوابا»[٤٢]، ويقول: « فإذا ألقيت الألف واللام كانت نكرة ولم يستقم أن تنعت معرفة بنكرة »[٤٣]، ويقول أيضا: « . . . ولو نويت الفاطر الخالق نصبته على القطع، إذ لم يكن فيه ألف ولام»[٤٤]، « ولو نصبته إذ لم يكن فيه الألف واللام على القطع كان صوابا»[٤٥].

يتضح لنا من خلال النصوص هذه أن ما نقله ابن الأنباري فيما يتعلق برأي الفراء، لا ينطبق مع أقوال الفراء نفسها، وما نقله أبوحيان من أن الفراء يفرق بين القطع والحال، «وفرق الفراء فزعم أن ما كان فيما قبله دليل عليه فهو المنصوب على القطع، وما لا فمنصوب على الحال »[٤٦]، يحتاج هذا القول إلى التوضيح، لأن الفراء يقول: » ويكون نصباً على القطع، لأن الكلام تام. . .[٤٧]) أي أن القطع يأتي بعد تمام الجملة واستغنائها في المعنى عند الوقوف عليها، ويقول الفراء: « إنما الحال التي تنتقل مثل القيام والقعود»[٤٨]، وهنا يتضح الخلاف بينه وبين الكسائي، لأن الكسائي لا يفرق بين الحال المنتقلة المتغيرة وبين الحال المؤكدة الثابتة، فكلتاهما يسميهما القطع، ففي المثال: يجيء زيد راكبا؛ «راكبا» يعربها الفراء حالا، لأنها منتقلة متغيرة، بينما يعربها الكسائي قطعا.[٤٩]، ويشترط الفراء في المنصوب على الحال ألا يكون دائما وأن يكون متصلا بما قبله، وهذا يختلف عما نقله أبو حيان وابن الأنباري آنفا، فيذكر الفراء سبب نصب «رجالا» في الآية «فإن خفتم فرجالا »، « نصب لأنه شيء ليس بدائم ولا يصلح فيه «هو»، ألا ترى أن المعنى: إن خفتم أن تصلوا قياما فصلوا رجالا أو ركبانا، فنصبا لأنهما حالان للفعل لا يصلحان خبرا »[٥٠]. يقترب تفسير الفراء من تفسير أهل البصرة فيفسر «ظالما أو مسيئا» في المثال: اضرب أخاك ظالما أو مسيئا « تريد اضربه في ظلمه وفي إساءته »[٥١]

في الواقع فإن الفراء يفرق هنا بين الحال المؤكدة وبين الحال المنتقلة، فالحال المؤكدة هي التي تفيد الاستمرار والثبات وعدم الانتقال نحو: هو الحق مصدقا؛ لأن الحق لا يتغير دائما، « وهو الحق مصدقا: حال مؤكدة، إذ تصديق القرآن لازم لا ينتقل»[٥٢]، فكما يعرف ذلك العكبري: « فالتصديق للحق مقارن للحق، وغير منتقل عنه والعامل في هذه الحال معنى الجملة»[٥٣] ونحو: هذا صراط ربك مستقيما «وانتصب «مستقيما» على أنه

---

٤٢ (كنبرغ، ٦٦٠، الفراء، ١ , ٣٤٨-١٣)

٤٣ (كنبرغ، ٦٦١، الفراء، ١ ,٣٩٨-١٥

٤٤ (كنبرغ، ٦٦٠، الفراء، ١ ,٣٢٨-١٦)

٤٥ (كنبرغ، ٦٦٠، الفراء، ١ ,٣٤٨-١٣)

٤٦ (رفيدة، ١ ,١٩٦)

٤٧ كنبرغ، ٦٦٠

٤٨ (الفراء، ١ : ٢ ,١٠٤)

٤٩ (ابن السراج، ٦ ,١ ,٢١٥)

٥٠ (كنبرغ، ١٩٥، الفراء، ١ ,١٤٢-١٢)

٥١ (كنبرغ، ١٩٥، الفراء، ٢١٣ ,١ : ٤)

٥٢ أبو حيان، البحر المحيط (١٩٩٢)، ١٠-٢٧٤)

٥٣ (اللباب، ١-٢٩٤)

Digitized by Birzeit University Library

حال مؤكدة»[٥٤]، ربما أراد أبو حيان- عندما- ذكر أن الفراء يسمي «ما كان فيما قبله دليل عليه، فهو المنصوب على القطع» ـــ ربما أراد أن القطع يسبقه هذا أو هو، تلك، هذه، وفي هذه الكلمات ما يشير إلى تكملة في الجملة.

وقد أشار البصريون إلى أن اصل الحال صفة، « وأما الوجه الذي يفارق منه الحال التمييز فهو أن أصل الحال أن يكون صفة، كقولك: جاءني زيد راكبا . . . لأن الحال هو ما يحتمل التحول والتنقل، وحقيقتها أنها الهيئة التي يكون عليها الشيء عند ملابسته الفعل . . . واعلم أن أصل الحال أن يكون مما يتحول وينتقل كالركوب والمشي وما جرى ذلك المجرى، وإذا كانت غير منتقلة كانت مؤكدة نحو قوله تعالى « **وهو الحق مصدقا**»[٢(البقرة): ٩١] لأن الحق لا يزول عن التصديق كما يزول زيد عن الركوب إلى حال أخرى فهو قريب في خروجه على سنن التأكيد من قوله عز وجل«**فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة**»[٦٩(الحاقة): ١٣] لأن قوله: واحدة حال مؤكدة إذ النفخة لا تكون إلا واحدة كما أنك إذا قلت: ضربت ضربة أو خرجت مرة كان كذلك. »[٥٥]

نستنتج من خلال نص الجرجاني الآنف الذكر أنّ ما يسميه البصريون حالا مؤكدة أو مبينة، هو - على الأرجح- النصب على القطع عند الكوفيين، وما يسميه البصريون الحال المنتقلة، هو المنصوب على الحال عند الكوفيين. ويقول ابن الخشاب(٥٦٧هـ): « ومعنى وصف هيئة الفاعل أن الفعل متى أسند إلى فاعله فلا بد أن يسند إليه وهو على هيئة من الهيئات وصفة من الصفات كقولك: جاء زيد؛ لا بد في مجيئه من أن يكون راكبا أو ماشيا أو ساعيا أو مسحوبا مثلا فتبين هيئته التي جاء عليها بلفظه منكورة مشتقة، لأنه صفة في المعنى تسمى حالا كقولك: جاء زيد راكبا، فـ«راكبا» مشتق من ركب يركب فقد تم الكلام على قولك زيد: لأن الفعل والفاعل جملة مستقلة وتلك النكرة هي المعرفة في المعنى. . . ولما كانت الحال زيادة في الفائدة والفائدة متعلقة بالخبر وأصل الخبر التنكير جاءت الحال -وهي الزيادة فيه-على الأصل ولزمها ذاك فلا تكون إلا نكرة وإن كان الخبر قد يقع معرفة ونكرة»[٥٦]، وهذا الكلام يشبه ما قاله سيبويه عن خبر المعرفة، «هذا باب ما يرتفع فيه الخبر لأنه مبني على مبتدأ أو ينتصب فيه الخبر لأنه حال لمعروف مبني على مبتدأ»[٥٧].

وسمى أبو حيان النصب على القطع في جملة مثل: هذا بعلي شيخا « خبر التقريب عند الكوفيين»[٥٨] ويقصد الكوفيون بالتقريب أن «هذا» في المثال السابق تعمل عمل كان من رفع للاسم الأول ونصب الثاني، فيأتي بعد اسم الإشارة أو الضمير المنفصل هو، نحو: هو الحق مصدقا، اسمان هما في الأصل جملة اسمية من المبتدأ والخبر، يكون الاسم الأول معرفة مرفوعا لأنه خبر«مبني على اسم الإشارة-هذا-» والاسم الثاني نكرة منصوبا لأنه جاء بعد تمام الجملة واستغنائها بعد كلمة «الرجل»، في الجملة هذا الرجل منطلقا[٥٩].

---

٥٤ (المصدر أي أبو حيان السابق، ٤-٦٤١)

٥٥ (المقتصد: ١-٦٥٦, ٦٨٢)

٥٦ (المرتجل، ١-١٦٠)

٥٧ (الكتاب، هارون، ٢-٨٦: ٧)

٥٨ (البحر المحيط. ٦-١٨٤)

٥٩ (كينبرغ، ٦٥٢)

Digitized by Birzeit University Library

ربما نستطيع بعد هذا الشرح تحليل نص القطع والحال في المحلى للابن شقير[٦٠]، ليست كل الأمثلة التي أوردها ابن شقير على القطع هي ما يسميه الكوفيون الحال المؤكدة، فنحو: هذا الرجل واقفا؛ من الواضح أن «واقفاً» لا تدل على الدوام والاستمرار والثبات، ونستطيع أن نأولها: في حال وقوف، وقد أدرج ابن شقير مثل هذا المثال في باب النصب على القطع، لأنه سبقها، أي الجملة، اسم الإشارة هذا، فمعظم الأمثلة التي أوردها ابن شقير تبدأ بهذا أو تلك أو هذه أو الضمير المنفصل هو أو الضمير المتصل الهاء في المثال: وله الدين الواصب[٦١]، وتحدث عما يسمى بخبر النكرة وهي الصفة، وهنا من الجدير ذكره التشابه بين ما قاله ابن شقير وما جاء في «مقدمة في النحو» المنسوب إلى خلف الأحمر[٦٢]. ويذكر ابن شقير الفرق بين القطع والحال وهو أن الحال ما يتغير وينتقل فنحو: أنت جالسا أحسن منك قائما « أي: في حال جلوس وحال قيام[٦٣]، ويعلل نصب الحال بقوله: « وإنما صار الحال نصبا لأن الفعل يقع فيه، تقول: قدمت راكبا و: انطلقت ماشيا، و: «تكلمت قائما. وليس بمفعول في قولك: لبست الثوب، لأن الثوب ليس بحال وقع فيه الفعل. ولو كان الحال مفعولا كالثوب، لم يجز أن يعدى الإنطلاق إليّه، لأن الانطلاق انفعال والانفعال لا يتعدى أبدا، لأنك لا تقول: انطلقت الرجل»[٦٤]، فالفعل اللازم يعمل فينصب الظرف بالرغم من كونه لازما، والدليل على ذلك: سافرت اليوم، فالفعل «سافر» لازم لا يأخذ مفعولا به، ولكنه عمل في «اليوم» فنصبه على الظرفية؛ وهنالك مثال آخر وهو أننا عندما نقول: زيد أمامك؛ فإن الظرف «أمامك» مقدر فيه فعل مستتر تأويله: استقر، وهذا هو التشابه بين الحال والظرف، أي أن عمل الفعل أو ما ينوب عنه، يقع فيهما وليس عليهما كالمفعول به، والدليل على ذلك عمل الفعل اللازم فيهما.

يقول سيبويه «واما النصب فقولك: هذا الرجل منطلقا، جعلت الرجل مبنيا على هذا، وجعلت الخبر حالا له قد صار فيها»[٦٥] أي أن منطلقا اصله الخبر في: الرجل منطلق، ولكن عندما جعلنا الرجل خبرا لهذا «مبني عليه» تم المعنى واستغنى عن غيره، فحولنا ما أصله الخبر إلى منصوب على الحال، فهنالك تشابه بين الحال والخبر وهو أن الخبر أكثر ما يأتي نكرة وهذه ميزة ثابتة. للحال، والحال فيها إخبار عن الاسم السابق لها، وهذه في الحقيقة وظيفة الخبر الأساسية.

---

٦٠ (٧-١٠)

٦١(هناك، ٧)

٦٢(المحلى، ٩، مقدمة في النحو، ٦٦)

٦٣(هناك، ١٠)

٦٤ (المحلى، ١٠)

٦٥ (الكتاب، هار، ٢-٨٦: ١٣, ٢-٨٧: ١)

Digitized by Birzeit University Library

القطع عند الطبري

يستعمل الطبري مصطلحي الحال والقطع، وقد ذكر أن البصريين تسمي الحال قطعا (يقول: «وتسمي أهل البصرة ما كان كذلك حالا والكوفيون قطعا [٦٦]

و يعرف القطع عند تفسيره للآية «**كأنما أغشيت وجوهم قطعا من الليل مظلما**» « أن يكون [مظلما] قطعا من «الليل»، وأن يكون من نعت «الليل» فلما كان نكرة و«الليل» معرفة نصب على القطع، فيكون معنى اللام حينئذ، كأنما أغشيت وجوهم قطعا من الليل المظلم ثم حذفت الألف واللام فلما صار نكرة وهو من نعت «الليل» نصب على القطع »[٦٧]، بينما يستعمل الحال عندما تدل على الانتقال وعدم الدوام المقارنة و«في حال»، أي أنه كثيرا ما يقتدي بآراء النحاة الكوفيين مثل: الفراء وثعلب وغيرهما. ولكن الطبري لا يلتزم بهذا التقسيم، ففي الآية « **وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا**» (٤٦ (الأحقاف): ١٢)، يقول: « والصواب من القول في ذلك عندي أن يكون [لسانا عربيا] منصوبا على أنه حال مما في «مصدق» من ذكر الكتاب، لأن قوله «مصدق» فعل، فتأويل الكلام: اذ كان ذلك كذلك: وهذا القرآن يصدق كتاب موسى بأن محمدا نبي مرسل لسانا عربيا »[٦٨]، ويعني الطبري «بالفعل» هنا، اسم الفاعل «مصدق»؛ أي أنه يسد مسد الفعل المضارع ويتضمن معناه، ففيه ضمير كالفعل، وضرب مثالا على ذلك: مررت برجل يقوم محسنا، ومررت برجل قائم محسنا [٦٩]، أي أن اسم الفاعل يعمل عمل الفعل فينصب الحال بعده، وهذا التخريج جاء لأن صاحب الحال «مصدق» نكرة، وهو ما ينقله الطبري عن الفراء، ولكن النص الموجود في معاني القرآن مضطرب وناقص نستطيع أن نعيد بناءه من خلال تفسير الطبري[٧٠]، لم يقل الفراء إن «لسانا عربيا» منصوب على الحال كما يعتقد الطبري، بل هذا ينفي تعريف الفراء للقطع والحال، [٧١]«ما كان فيما قبله دليل عليه فهو المنصوبُ على القطع، وما لا فمنصوب على الحال»[٧٢]وقد تقدم هذه الحال ما يدل عليها في الكلام وهو « هذا»، لذلك ينطبق عليه النصب على القطع أكثر من النصب على الحال وفقا للكوفيين، لأن «لسانا عربيا» صفة لا تزول عن «هذا الكتاب» ملازمة له دائما لا تنفك عنه، والعامل في هذه الحال معنى الإشارة[٧٣]، وقد سمى الأخفش الأصغر«علي بي سليمان» هذا النوع «توطئة للحال»[٧٤]، أي أن «لسانا» يعرب حالا لأنه جاء بعده صفة هي الحال الحقيقية «عربيا» [٧٥]، ويوضح العكبري

---

٦٦ الطبري (شاكر)

٦٧ (الطبري، ٢٦-١٣, ١٤)

٦٨ (المصدر السابق، ١٣)

٦٩ (كينبرغ، ٦٦١، وانظر: الفراء، ٣, ٨٣ - ١٨)

٧٠ (السمين الحلبي، الدر المصون، (١٩٩٤) ٦ -١٣٧، العكبري، التبيان(البجاوي)، ٢-١١٥٥)

٧١ (رفيدة، ١-١٩٦, ٢-٩١٤، انظر: أبو حيان، البحر(١٩٩٢)، ١-٢٠١)

٧٢ (العكبري، اللباب، ١-٢٩٤، النسفي، ٣-٣٥١)

٧٣ (النحاس، إعراب، ٤-١٦٢)

٧٤ (أبو حيان، البحر، (١٩٩٢)، ٩-٤٣٨)

٧٥ (اللباب، ١-٢٩٥)

Digitized by Birzeit University Library

ذلك بقوله: « وحال موطئة للحال الحقيقية، كقولك: مررت بزيد رجلا صالحا، فـ«رجلا» موطيء للحال.[٧٦]

ويلاحظ أحيانا لدى الطبري أنه يستعمل القطع مرة والحال تارة في إعراب الكلمة نفسها، مخالفا للفراء، فكلمة «أمة» في الآية « إن هذه أمتكم أمة واحدة » (٢١(الأنبياء): ٩٢، والآية « **وإن هذه أمتكم أمة واحدة**»، ٢٣(المؤمنون): ٥٢)، منصوبة على القطع لدى الفراء[٧٧]، ولكن الطبري لا يتقيد بإعراب الفراء لهذه الكلمة، فيعربها حالا دون أن يبرر ذلك.[٧٨]وهكذا يتكرر هذا الأمر في مواقع أخرى من تفسيره، فيستعمل الحال والقطع مما يدل على عدم تقيده بالمنهج الذي وضعه الفراء للتفريق بين الحال والقطع بشكل دقيق.

تلخيصا، اعتمد الطبري في تعريفه للحال والقطع على المصادر الكوفية أكثر من اعتماده على المصادر البصرية في النحو.

---

٧٦ (كينبرغ، ٦٦٠، الفراء، ٢: ٢١٠ - ١٢)

٧٧ (التفسير، ١٧: ٨٥, ١٨: ٢٩)

٧٨ (التفسير، ١٢: ٤٠١ (شاكر) قارن مع الفراء ١: ٣٧٧ - ٢١، كينبرغ، ٦٦٠ والتفسير، ١٧: ٢٦ (شاكر)

Digitized by Birzeit University Library

٢:٢ مصطلح الصرف / الخلاف / الخروج:

الصرف وفقا لتعريف الفراء هو عدم جواز تكرار (إعادة) العامل في جزم الفعل المضارع نحو : لا الناهية، مرة أخرى ليجزم فعلا مضارعا سبقته «واو» تسمى واو الصرف؛ فيأتي هذا الفعل منصوبا بعكس الفعل الأول الذي جاء مجزوما بلا الناهية؛ لذلك «صرف» خالف الثاني الأول إذ لم يجز إعادة العامل «لا»؛ أي لم يجز العطف [١] ، من هنا اشتق المصطلح «صرف» ؛ فصرف الفعل الثاني عن الأداة التي عملت في الفعل الأول، ولم نستأنف (نقطع -أي الابتداء، كما بين سيبويه، الكتاب(هارون)، ٣, ٤٦, ٢) فيأتي الفعل المضارع مرفوعا[٢] .

مثال: لا تأكل السمك وتشرب اللبن جاء الفعل «تشرب» منصوبا؛ ف «صرف» عن إعراب «تأكل» الذي جزم بلا الناهية؛ لأنه لا يستقيم أن نعطف الثاني على الأول في المعنى؛ لأننا لا ننهى عن شرب اللبن أو أكل السمك؛ وإنما ننهى عن الجمع بينهما. [٣] وقد بين الفراء أن الثاني منقطع عن الأول، ولكنه في الحقيقة لم يستبدل مصطلح الصرف بمصطلح آخر ألا وهو الانقطاع، بل يستعمل «منقطع من» ليفسر الصرف. [٤]

أما لدى نحاة البصرة فهذا يدخل تحت باب نصب الفعل المضارع بأن مضمرة بعد واو المصاحبة (المعية)، بشرط أن يتقدمه أمر أو نهي أو استفهام أو نفي، [٥] هذه الواو تنفي الاجتماع بين شيئين. [٦] إذا نخلص بنتيجة مفادها أن النصب على الصرف عند الفراء عامل معنوي، بينما هو عامل لفظي عند سيبويه. [٧]

يرى كارتر - تدعيما لرأيه القائل بنفي الفروق الجوهرية بين المصطلحات النحوية البصرية والكوفية- أن استعمال الفراء لمصطلح الصرف يشبه استعمال سيبويه ، [٨] على الرغم من عدم استعمال سيبويه لهذا المصطلح بهذا المعنى، ما قاله الفراء لا يتعارض مع النحو البصري؛ وإنما الاختلاف في التسمية فقط، وهو - أي كارتر- يدعم ما قاله فايل في عدم وجود فرق كبير بين النحو الكوفي والبصري، وأن الخلافات بينهما من صنع المتأخرين[٩] ، والصحيح أن هناك فرقا ملموسا بين الفراء وسيبويه فيما يتعلق بالعامل الذي سبب النصب[١٠] ؛

١- كينبرغ، معجم، ٤٠٤- ٤٠٥، رفيدة، النحو، ١, ١٨٧+ وانظر: حمزة «الصرف والخلاف»، (١٩٩٧)، ص٦٥، و: كارتر (١٩٧٣)، ص ٢٩٢-٣٠٤

٢ - النحاس، إعراب القرآن، ١, ٢١٩, ١٣

٣ -سيبويه، الكتاب(هارون)، ٣, ٤٢, ١٠ - ٣, ٤٣, ٣، الجرجاني، المقتصد، ٢, ١٠٧١

٤ -حسن حمزة وسلام بزي-حمزة، المرجع السابق، ٧١

٥ -السيوطي، همع الهامع(تح مكرم)، ٤, ١٢٦- ١٢٧

٦ -الجرجاني، المقتصد، ٢, ١٠٧٠

٧ -حسن حمزة وسلام بزي-حمزة، المرجع السابق، ٦٧

٨ - كارتر (١٩٧٣)، ٢٩٧

٩- المرجع السابق، ٢٩٩

١٠- فرستيخ (١٩٩٣)، ١٠

١١ -نسب السيوطي نصب الفعل المضارع للكوفيين «وذهب الفراء وقوم من الكوفيين: إلى أن الفعل انتصب بالخلاف، أي مخالفة الثاني للأول من حيث لم يكن شريكا له في المعنى ولا معطوفا عليه»، همع الهوامع (مكرم)، ٤, ١١٧, ٩

Digitized by Birzeit University Library

هل هو الصرف (=الخلاف [11] أي مخالفة الثاني للأول وخروجه عنه) أم هو أن المضمرة بعد واو المعية؟ إذا نظرنا إلى الأماكن التي ورد فيها مصطلح الصرف في معاني القرآن، نجد أن الفراء يرى أن العامل في نصب الفعل «تشرب» في المثال: لا تأكل السمك وتشرب اللبن، هو الصرف « ولم يستقم أن يعاد فيه الحادث الذي قبله» ، [12] أما سيبويه – تبعا للخليل– فيوجب إضمار «أن» بعد الواو، « لم يكن بد من إضمار «أن»» . [13]هذا الفرق من ناحية العامل في النصب يعد جوهريا وليس هامشيا .

هنالك فرق آخر وهو أن الفراء جعل «الصرف» العامل–السبب– في نصب شيئين:

١- الفعل المضارع بعد واو الصرف

٢- الاسم المنصوب (أي المفعول معه) بعد واو الصرف في المثال: لو تركتُ والأسد لأكلك . [14]

أما البصريون فإن «الأسد» منصوب لديهم لأنه مفعول معه، فالعامل هو الفعل بتوسط «واو» بمعنى مع، [15]بينما ينصب الفعل المضارع بعد هذه الواو بأن مضمرة. مع أن سيبويه استعمل الفعل (صرف) في نصب الفعل المضارع بعد الفاء بأن مضمرة « فلما صرفوه عنّ هذا الحد ضعف أن يضموا يفعل إلى فعلت فحملوه على الاسم» [16]، وذلك في المثال: ما أتيتنا فتحدثنا، كما أن سيبويه والفراء استعملا «لم يستقم» / «لا يستقيم» في وصف المصطلح نفسه. [17]

يعتقد الباحثان حسن وسلام حمزة أن الصرف عند الفراء ليس العامل في نصب الفعل المضارع؛ وإنما هو مصطلح عام غير متخصص مثل التحويل والخروج، بدليل دلالته على معان عديدة ، [18] وأن الفراء كسيبويه يأتي بمثل هذه المصطلحات لشرح العمليات الذهنية في عقل المتكلم، جاء–أي الصرف– لتعليل التغير في حركة الإعراب بين الفعل الأول والثاني، وهذا ينطبق على تحليل العمليات الذهنية التي تحدث لتعليل نصب المستثنى المنصوب بعد الأداة «إلا » [19] ؛ إذا فإن الفراء عندما يذكر الصرف، فهو يتحدث عن المعنى في الذهن الذي أدى إلى تغيير الإعراب؛ لذلك لا يعتبر الصرف عاملا معنويا أو لفظيا، وهنا تتشابه آراء الفراء وسيبويه في هذه المسألة .

وقد ساق الباحثان الأدلة التي تثبت أن الصرف لدى الفراء يشبه استعمال سيبويه لمصطلحي التحويل والخروج، وهذا يصب في تقدير المعنى وليس تقدير الإعراب ، [20] وكأن الفراء باستعماله مصطلحا آخر غير الذي استعمله سيبويه، يسعى إلى تعميم المصطلح، وليس إيجاد مصطلحات مغايرة أو بديلة للمصطلحات البصرية .

---

١٢ كينبرغ، ٤٠٤

١٣ -الكتاب (هارون)، ٣, ٤٦, ٢

١٤ كينبرغ، ٤٠٤،

١٥ العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، ١, ٢٧٩- ٢٨٠

١٦ المرجع السابق، ٣, ٣١, ٨

١٧ -الكتاب(هارون)، ٣, ٤٦, ١ قارن: الفراء، معاني، ١, ٣٣, ١٧- ٣٤ (كينبرغ، ٤٠٤

١٨ -المرجع السابق، ٦٨

١٩ المرجع السابق، ٧٠

٢٠ -٧٤-٧٥

Digitized by Birzeit University Library

هذه الحجج التي ساقها الباحثان المذكوران أعلاه، بعيدة وغير مقنعة لسببين:

١- نستطيع أن نوضح ذلك من خلال تفسير الطبري، الذي يقتبس عن الفراء، فمن خلال البيت :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

يذكر الطبري العامل في نصب الفعل «تأتي» : « لأنه لم يرد: لا تنه عن خلق ولا تأت مثله، وإنما معناه: لا تنه عن خلق وأنت تأتي مثله، فكان الأول نهيا، والثاني خبرا، فنصب الخبر إذ عطفه على غير شكله». [٢١] نلاحظ من خلال هذا الاقتباس أن العامل في نصب الفعل الثاني معنوي وهو الصرف، وليس «أن» المضمرة بعد الواو، وقد علل الطبري وجود الصرف بسبب امتناع الواو عن أداء وظيفتها الأساسية وهي العطف والإشراك بين الثاني والأول «عطف على غير شكله»، كل ذلك يثبت عكس ما وصل إليه الباحثان -المشار إليهما آنفا- بخصوص تشابه آراء الفراء وسيبويه في عامل نصب الفعل المضارع -أي أن المضمرة.

يجب أن نلاحظ هنا أن تقدير المعنى لدى الطبري « لا تنه عن خلق وأنت تأتي مثله»

يفهم من خلال فصل الفعل الثاني عن إعراب الفعل الأول، وذلك عن طريق الابتداء : [٢٢] أي الاستئناف (الحال) وقطع الثاني عن الأول لكي لا يشرك الثاني في حكم الأول، فإننا والحال كذلك لا نستطيع أن نقدر أن مضمرة لأن الفعل جاء خبرا عن «أنت».

٢- السبب الآخر ورد في تفسير الطبري [٧(الأعراف) : ١٢٧] للآية «أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك»، فقد ذكر الطبري أن الفعل «يذر» منصوب على الصرف وليس معطوفا على «يفسدوا» [٢٣] ؛ مع العلم أن الفعل «يفسدوا» منصوب بأن مضمرة قبله، وعندما نفى الطبري العطف؛ لا يجوز أن يكون «يذر» منصوبا بأن مضمرة، فالعامل في نصب الفعل الثاني ـــ وفقا لرأي الكوفيين- معنوي لا لفظي وهو خروج الثاني عن الأول وصرفه عنه. أما لدى البصريين، فإن « تذر» منصوب على أن مضمرة لأنه اقترن بجواب الاستفهام في مقدمة الآية : » أتذر موسى». [٢٤]

أما مصطلحا الخلاف والخروج فيبدو أنهما يستعملان لتفسير الصرف لأنه خروج عن الأول ومخالفة له، بالاسم الثاني (الفعل الثاني) غير مشارك للأول ، [٢٥] مع أن الخلاف يستعمل أحيانا للدلالة على العامل في نصب الظرف الواقع خبرا في جملة : زيد أمامك أي أنه عامل معنوي. [٢٦]

نلاحظ أن ابن السراج(ت٣١٦) استعمل الفعل (خالف) في المعنى عندما تحدث عن نصب الفعل المضارع بأن مضمرة بعد الفاء، [٢٧] الأمر الذي يدل على الاستعمال المشترك بين البصريين والكوفيين لبعض المصطلحات

---

٢١ -التفسير(شاكر)، ١ , ٥٧٠ , ١- ٤

٢٢ -الجرجاني، المقتصد، ٢ , ١٠٧٦

٢٣ -التفسير(شاكر)، ١٣ , ٣٧, ٥-٨

٢٤ -النحاس، إعراب القرآن، ٢ , ١٤٤- ١٤٥

٢٥ العكبري، اللباب، ١ , ٢٨٠

٢٦ -ديرة، دراسات، ٢٨٧، القوزي، المصطلح النحوي، ١٨٧، الإنصاف، ٢ , ٥٥٦ (المسألة : ٧٥)

٢٧ الأصول في النحو، ٢ , ١٥٤ , ١ , ٢ , ١٥٥ , ١١

Digitized by Birzeit University Library

النحوية مثل : خالف (خلاف) وغير ذلك، ولكن هنالك اختلافاً في تحديد العامل كما أسلفنا .

يعتمد الطبري في تعريفه لمصطلح الصرف على معاني القران للفراء بشكل أساسي ، [٢٨]إلا أنه استعمل كلمة «الخبر» ليصف الفعل المضارع المنصوب بعد واو المعية « فنصب الخبر إذ عطفه على غير شكله» . [٢٩]

٢٨ -التفسير (شاكر)، ١ , ٥٦٩ , ٧ - ١ , ٥٧٠ , ٣

٢٩ المرجع السابق

Digitized by Birzeit University Library

٣:٢ الصلة/ الحشو/الزيادة/اللغو/مصطلحات أخرى مترادفة

٢:٣:١ الصلة

يدل مصطلح الصلة عند الطبري على معان كثيرة:

١- جملة صلة الموصول [٣٠]، الحقيقة أن الطبري فرق بين ما ومن عندما تأتيان زائدتين من أجل توكيد الكلام «التي تسميها أهل العربية: صلة وحشوا» ، وعندما تأتيان بمعنى «الذي»، إذ إنه في هذه الحالة لا يسميهما صلة أو حشوا لأنهما اسمان لهما محل من الإعراب. [٣١]

٢- حرف جر زائد، مثل الباء ومن والكاف وفي وعن وغيرها مما يأتي لتأكيد النفي، [٣٢]

٣-اللام المتصلة بمن وبما. ولا، والواو، إذ، أن، أو، كلما، ضمير الفصل: هو. [٣٣]

٤-ما في الأدوات المركبة: أيما، وعندما تسبق بحرف الجر مثل الباء ومن، وعندما تأتي مفردة. وعندما تتصل بأدوات الشرط، مثل: أينما وحيثما وغير ذلك. [٣٤]

٥-حرف جر صلة بمعنى وصلة، كقولك: مررت بزيد. [٣٥] وصله بحرف خافض أي اتصل به، مثل: بم، عم. أو صلة يوصل بها، « إذا كان مطلقا بغير صلة بشيء » [٣٦] أي بمعنى متصل بشيء يأتي بعده. وفي حديثه- أي الطبري- عن «ما» التي تتصل بأي في أسلوب الشرط «ايما»، «و ما في قوله(أيما الأجلين) صلة يوصل بها «أي» على الدوام». [٣٧]

٦- جملة أو كلام يتكون من الظرف أو الجار والمجرور، أو كلمة تأتي نعتا لاسم نكرة، لتخصيصه فتشبه الاسم الموصول عندما يأتي بعد المعرفة. ففي الآية ٥٣ من سورة الأحزاب: «**إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه**»، يقول الطبري: «يجوز جر «غير» في الكلام، «لا في القراءة»»، ذكر الطبري مثالا يوضح

٣٠-الطبري، ١, ١٧٩, ٢٥, ٢٧ ،المصدر السابق، ٢, ٣٤٣, ٣, ٥, ١٧, ١٢٤, ٢١ ،١٨, ٦٥, ١٥-١٦, ٢٠, ١٠٩. ٩, ٢٣, ٤, ١٩, ٢٣, ١٤٥, ١٣

٣١- الطبري(شاكر)، ١, ٥٤٨. ، المصدر السابق(القاهرة، ١٩٥٤)، ١, ١٧٩ -١٨٠

٣٢-المرجع السابق، ٢, ٢٠٥, ٢٠ ،١١, ١١٠, ٦, ١٢, ١, ١٧, ١٢, ٢٣, ٨, ٢٦, ٣٥, ١٦

٣٣-المرجع السابق، ١ ،١٩٥, ٢٦, ٢, ٣٤٠, ٢٣ ،٨, ١١, ٢٢ ،٨, ١٢٩, ١١, ٩, ٢٣٣, ١٣ ،١٠, ٢٩, ٦, ١٣, ٦٣, ٢٦ ،١٣, ١٨٦, ٢٣, ١٥, ١٨٣, ٧ ،١٧, ٨٧, ٧ ،٢٢, ١٢٩, ٢٢ ،٢٤, ٣٦, ٦، ٢٤, ١١٨, ٢٩ ،٢٦, ١٩٧, ٢٢ ،٢٧, ٢٤٦, ١٩ ،٢٩, ١٧٢, ٢٥

٣٤-المصدر السابق، ٢٩, ١٠٠

٣٥- الكليات، ٥٦٢

٣٦-الطبري، تفسير، ١١, ٧٠, ٢٦

٣٧-المصدر السابق، ٢٠, ٦٥, ٢٥، كينبرغ، ٩٣٠ ،عندما نقوم بمقارنة نص الطبري مع الفراء، نجد أن الطبري ينقل عن الفراء، ولكن هنالك اختلافا كبيرا في النقل، فقول الطبري: صلة يوصل بها، لم يستخدمها الفراء الذي وصف ما بأنها « صلة من صلات الجزاء»، معاني القرآن، ٢, ٣٠٥, ١٢

Digitized by Birzeit University Library

ذلك نقلا عن بعض نحويي الكوفة، « كما تقول العرب: رأيت زيدا مع امرأة محسنا إليها، ومحسن إليها، فمن قال محسنا، جعله من صفة زيد، ومن خفضه فكأنه قال: رأيته مع التي يحسن إليها، فإذا صارت الصلة للنكرة أتبعتها»، [٣٨] وتأتي الجملة الفعلية أيضا صلة عندما تصف نكرة؛ سواء أبدئت هذه الجملة بفعل ماض أو مضارع، فتشبه جملة صلة الموصول. [٣٩]

ويطلق الطبري أيضا على الجار والمجرور أو الظرف صلة؛ عندما تصف اسما نكرة. [٤٠] كما أنه وصف الجمل أو أشباه الجمل التي تأتي بعد أسماء الإشارة؛ مثل: تلك، وهذه، وقال: إنها تشبه صلة الموصول بعد الذي «والعرب تصل تلك وهذه كما تصل الذي» [٤١]

وقد أوضح ابن كيسان(٢٩٩هـ) هذه النقطة: « ومما يجري مجرى الموصول جميعا ما كان في نعت النكرة، فتصير النكرة بمنزلة ما وصل إذا قال: جاءني رجل يضرب زيدا في الدار، فما بعد رجل نعته، ونعته كالصلة له». [٤٢]

٧- الجار والمجرور أو الظرف لتتميم المبتدأ. ويظهر ذلك جليا واضحا في الآية: ٢٣, ١٠(يونس)« **إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا**»، يصف الطبري « على أنفسكم» بقوله: «من صلة البغي» [٤٣] أي أنها متعلقة بالمبتدأ، لكي لا يأتي خبرا، هذا بشرط أن تكون «متاع» مرفوعة لأنها الخبر.

٨- الظرف أو الجار والمجرور تأتي متممة للفعل، أو الوصف المشتق من الفعل: مثل: اسم الفاعل، والمفعول، والصفة المشبهة، وصيغة المبالغة، و غيرذلك-يعد متمما للفعل أو ما اشتق من الفعل. ذكر ابن كيسان وظيفة هذا الجزء المتمم في الجملة بقوله: « فما عمل فيه الفعل فهو صلته ونحو قولك: الضارب زيدا يوم الجمعة ضربا شديدا عمرو، فكله من تمام «الضارب» إلى «عمرو»، وعمرو الضارب. ومما يجري مجرى الموصول، المصادر توصل بالفاعل والمفعول وجميع ما عمل فيه الفعل الذي يسبق منها، فيكون ذلك تماما لها كقولك: ضرب عمرو زيدا يوم الجمعة ضربا شديدا أعجبني، فكل الكلام إلى «أعجبني» صلة للضرب، و«أعجبني» الخبر، وما كان صلة شيء فلا يفرق بينه وبينه». [٤٤]

٩- جملة أو ما يتركب من الظرف أو الجار والمجرور لتوضيح اسم معرفة، وليس نعتا له، لتوضيح ذلك ننقل ما أورده الطبري في الآية: «**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب**»٣ (آل عمران): ٥٩، « إن قوله» خلقه من تراب» غير صلة لآدم، وإنما هو بيان عن أمره، على وجه التفسير عن المثل الذي ضربه، وكيف

٣٨- الطبري، ٢٢, ٣٥, ٣-١١ و٢٢, ٣٦, ٥-٧

٣٩-المرجع السابق، ٤, ٦٣, ١, ١١, ١٨, ٩, ١٦, ٤٨, ٢٨، ١٧, ١٣٠, ٢١، ٢٠, ٧٥, ١٣، ٢٤, ٥٨, ٨

٤٠-المرجع السابق، ١٠, ٥٨, ٢٣، ١٠, ١٢٣, ٥، ٢٣, ١٣٠, ٦-٧، ٢٩, ٦١, ٩، ٢٩, ٧٠, ٨

٤١-المرجع السابق، ١٦, ١٥٣, ١٩-٢٠

٤٢-كتاب الموفقي في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي وهاشم طه شلاش، المورد، ٤: ٢ (١٣٩٥ / ١٩٧٥)، ١١٩

٤٣-الطبري، ١١, ١٠١, ١٢

١٤-المرجع السابق، ٣, ٢٨٩, ١٣، ١٣, ٣٤, ٢٤، ١٩, ١١٢, ١٧, ٢٢, ١٤٩, ١٢، ٢٦, ١٠٤, ٨, ٢٧, ٥٢, ٩

٤٤-هناك

٤٥-المرجع السابق، ٣, ٢٩٦, ٢٥-٢٦

Digitized by Birzeit University Library

كان» .[٤٥] أي أن الجملة الفعلية التي جاءت بعد الاسم المعرفة «آدم»، لم تأت صفة لآدم لأن الجمل بعد المعارف أحوال، كما أن المعرفة لا تحتاج إلى صفة لتوضيحها؛ لذلك جاءت لتبين وتوضح إبهام الجملة السابقة .[٤٦]

١٠- صلة بمعنى التطول أو التطويل، أي الحذف والزيادة في الكلام، مثل « إذ» في بعض الحالات . وقد استعمل الطبري بعض الكلمات المترادفة : التطول والحذف، والتطويل، ويعرف الجرجاني التطويل بقوله «هو أن يزاد اللفظ على أصل المراد بلا فائدة»،[٤٧] من خلال النصوص التي تشير إلى التطول في تفسير الطبري نخلص بنتيجة : وهي أن التطول يعني إسقاط الأداة، وإبطالها؛ أي أنها لو حذفت من الكلام لما بطل معنى الجملة،[٤٨] أي أن مصطلحي التطول أو التطويل يترادفان مع الزيادة والحذف .

و قد استعمل الطبري مصطلح « التطول» أو « التطويل» بمعنى : التزيد والسعة في الكلام .[٤٩]

١١- يستعمل الطبري مصطلح الصلة أحيانا، عندما يتحدث عن حروف الإشباع والوصل والوقف في القراءات القرآنية، ويسميها الأخفش الأوسط هاء السكت،[٥٠] وهي كما جاء في الآية : « **فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه**»[٥١] [٢ (البقرة)، ٢٥٩]

يعتبر الطبري «الهاء» في نهاية الفعل «يتسنه» زائدةً صلة، إذا قُرئت في القرآن «لم يتسنَ»، أي أن الهاء لا تغير معنى الفعل في حالة إضافتها أو حذفها أثناء قراءتها، ويجيز الطبري إثبات هذه «الهاء» في الفعل «يتسنّه»، في حالة الوقف عليها أثناء القراءة، أو في حالة «الوصل»، أي عدم التوقّف أثناء القراءة في نهاية الفعل «يتسنّه» .[٥٢]

٢:٣:٢ سقوط الصلة، أو النصب بنزع الخافض أو إلقاء الصفة:

عندما يحذف حرف الجر قبل الاسم، ينصب هذا الاسم بدلا من أن يجر بحرف الجر .[٥٣] يقول الطبري تعقيبا على الآية « **بل الله يمن عليكم أن هداكم**» [٤٩ : (الحجرات) : ١٧]، « **فإنها في موضع نصب بسقوط الصلة، لأن معنى الكلام: بل الله يمن عليكم بأن هداكم للإيمان**» .[٥٤] يسميه السيوطي «منصوب على إسقاط الخافض» [٥٥] ، كما أننا نجد الطبري يستعمل في تفسيره النصب بفقد الخافض، ونلاحظه يستعمل :

---

٤٦ -المرجع السابق، ٢٠ , ٧١, ١١ , ٢١ , ١٢٣, ٢٥

٤٧ -كتاب التعريفات، وقد نقل التهانوي كلام الجرجاني وأضاف عليه، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ،(بيروت، ١٩٩٦)، ٤٧٣

٤٨ -الطبري، ١ , ١٩٦, ٤-٢٣

٤٩ -أورد هذا التعريف محمود محمد شاكر (الذي حقق تفسير الطبري)، انظر : الطبري(شاكر)، ١ , ١٨ ، ملاحظة محقق الكتاب رقم : ٢

٥٠ - معاني القرآن، ١ , ١٨٢, ٧

٥١ -أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ٢ , ٣٧٤, ١١

٥٢ -الطبري(شاكر)، ٥ , ٤٦٢, ٤

٥٣ -كينبرغ، ٣٢٠، وانظر أيضا : ديره، دراسات في النحو الكوفي، ٢٨٥ - ٢٨٦

٥٤ -الطبري، ٢٦, ١٤٦

٥٥ -همع الهوامع(مكرم)، ٥, ١٦, ٦

Digitized by Birzeit University Library

على معنى إلقاء الصفة [٥٦]؛ و ليس إلغاء الصفة كما هو في النسخة المطبوعة من تفسير الطبري، والدليل على ذلك ما جاء في معاني الفراء «فتنصب على معنى إلقاء الصفة»، وقد تكرر ذلك في معاني القرآن، أما «إلغاء» فقد ورد أيضا في المعاني ولكنه مختلف في معناه عن إلقاء، فالإلغاء يلغي عمل الأداة كليا، بينما تبقى عاملة في الإلقاء. [٥٧]

استعمل الفراء أكثر من صيغة لتحديد ظاهرة النصب على نزع الخافض؛ منها: «فتنصب على معنى إلقاء الصفة»، [٥٨] «نصب لا بوقع الفعل ولكن بسقوط الصفة»، [٥٩] «أن في موضع نصب لأنك أسقطت منها الخافض» [٦٠]، « وليس نصبه على طرح -من » [٦١] والنصب الآخر بإيقاع «الإنباء» عليها بسقوط الخفض»، [٦٢] ما نلاحظه أن الفراء لم يستعمل عبارة: النصب بسقوط [أو على سقوط] الصلة، ربما لأن هذا الباب ليس من زيادة الحروف.

يطغى استعمال الطبري للصلة بمعنى الحذف والزيادة في الكلام، فيكون تعريف الصلة هنا: ذلك الجزء من الجملة الذي يدخل لتوكيد المعنى أو لأغراض أخرى، ونستطيع أن نحذف هذا الجزء من الجملة دون أن يختل المعنى. [٦٣] عرفها الطبري بقوله: « فيكون إثباتها وإخراجها من الكلام لا يفسد المعنى»، [٦٤] أو لا يغير المعنى، فدخول الحرف الزائد وخروجه في الكلام «سواء» أو «واحد». [٦٥]

نجد مصطلح الصلة مقترنا أحيانا عند الطبري بكلمات مترادفة، مثل: « الحشو والصلة»، «الإلغاء والصلة»، «زائدة في الكلام صلة توكيد»، « من الزوائد والصلات». [٦٦]

---

٥٦ الطبري، ١, ٤٩٨, ٦؛ ٥, ١٢٥, ١٥-١٦؛ ١٤, ٣٢, ٢؛ ٣٠, ٨٣, ٢٠

٥٧ المصدر السابق، ٣٠, ٨٣, ٢٠؛ معاني القرآن، ٣, ٢٤٣, ٨-١١؛ كينبرغ، ٧٥٣-٤, ٧٦٣-٤

٥٨ -كينبرغ، ٨١٦

٥٩ -المرجع السابق، ٨١٠

٦٠ -المرجع السابق

٦١ -المرجع السابق، ٨١٢

٦٢ -المرجع السابق، ٣٢٠

٦٣ - من أجل المقارنة مع معاني الصلة عند الفراء، انظر: كينبرغ، معجم ٩٢٥ - ٩٣٠

٦٤ -تفسير الطبري، ٢٣, ١٤٥

٦٥ -المرجع السابق، ١٣, ٢٨٦٣, ٥٧

٦٦ -المرجع السابق، ١, ١٩٥, ٨, ١٢٩, ١٠, ٢٩, ١ (شاكر)، ١٩٠, ١٣ (شاكر)، ٥٠٨, ١, ٥, ٤٦٢

Digitized by Birzeit University Library

٣:٣:٢ صلة الموصول

يستعمل الطبري الصلة بمعنى صلة الموصول وهو الاستعمال المشهور الشائع عند البصريين، وهذا المعنى الأخير لا يبتعد كثيرا عن المعنى الأول للصلة ألا وهو الزيادة للتوكيد، لأن صلة الموصول: هي الجزء الذي يتصل بالاسم الموصول، فيتمم معناه ويكمله، [٦٧] فمن الناحية اللفظية هنالك تشابه بين الصطلحين؛ ولكنهما مصطلحان منفردان، لكل منهما مفهومه المستقل تماماً عن الآخر، على الرغم من تشابههما اللفظي.

يقول الطبري نقلا عن أحد نحاة البصرة في معنى إدخال «لا» في الآية « ولا الضالين» [١ (الفاتحة)، ٧]، «أدخلت تتميما للكلام والمعنى إلغاؤها» [٦٨] وهذه هي وظيفة الصلة بمعنى الزيادة لأن (ما) على سبيل المثال عندما تتصل بالباء نحو (بما)، فهي تتمم الحرف وتكمله لتوكيد الكلام، إذا فكلاهما يتصل بما قبله والفرق أننا لا نحذف صلة الموصول، إذ لا يتم معنى الاسم الموصول إلا بها، [٦٩] بينما يجوز حذف حرف الصلة الزائد من الكلام دون أن يختل المعنى.

لم يقتصر استعمال مصطلح الصلة على الكوفيين دون البصريين، كما ذكر ابن يعيش، [٧٠] فاعتمد عليه مجموعة من الباحثين المعاصرين [٧١]. بل نجده مستعملاً لديهم على حد سواء.

جاءت كلمة «صلة» من الفعل وصل، ربما يشير هذا إلى وظيفة حرف الجر الأساسية، مما يؤكد أن «صلة» بمعنى حرف جر زائد أسبق من استعمال الصلة بمعنى الاسم الموصول. [٧٢] هذه الفكرة مبنية على الأبحاث التي اعتمدت على ما وصلنا من تفاسير قرآنية من القرن الثاني الهجري؛ مما يدعم الافتراض القائل بان مصطلح الصلة دخل إلى النحو عن طريق التفاسير القرآنية؛ مع العلم أن النحاة الأوائل كسيبويه والفراء والخليل وأبي عبيدة وغيرهم استعملوا مصطلح الصلة إلى جانب مصطلحات أخرى مترادفة؛ كالحشو واللغو والزيادة وغير ذلك. [٧٣]

يلاحظ أن المفسرين فضلوا استعمال هذا المصطلح «صلة» أكثر من غيره، احتراما للنص القرآني؛ فقد استعمل هارون بن موسى (ت ١٧٠ هـ) مصطلح الصلة فقط في كتابه، وهو بصري. فمن حروف المعاني التي استعملها:

٦٧- فرستيخ (١٩٩٣)، ١٤٤، - EI2, (1997), s.v.R Talmon, "Ṣila" p. 603

٦٨ -الطبري، التفسير، (شاكر)، ١, ١٨٩

٦٩ -الجرجاني، المقتصد، ١, ٣١٤، يعرف الجرجاني الاسم الموصول أنه « يحتاج إلى جزء آخر ينضم إليه حتى يكون كاملا مستقلا»، ويضيف ١, ٣١٤ (ومعنى الصلة أن الاسم لا يكون تاما في أصله، فيضم إليه ما يتممه، ويجبر نقصه، كما تقول: هذا صلة هذا، ووصله أي يكمله ويزيل نقصه «.

٧٠ -ابن يعيش، شرح المفصل، ٨, ١٢٨

٧١-ديره، دراسات، ٢٤٨، المخزومي، مدرسة الكوفة، ٣٥٩

فرستيخ، - (١٩٩٣)، ١٤٢

٧٢- فرستيخ، - (١٩٩٣)، ١٤٦، طلمون، المرجع السابق، ٦٠٣

٧٣- فرستيخ، - (١٩٩٣)، ١٤٦

Digitized by Birzeit University Library

ما، من، الهمزة في أو، أم، الباء، إلى، بالإضافة إلى «كان»، وصفها في كتابه بقوله: «صلة» أو « صلة في الكلام». [٧٤] استعمال المفسرين لمصطلح الصلة في تلك الفترة المبكرة من تاريخ النحو العربي، يزيد الشكوك حول نظرية تأثير النحو اليوناني والسرياني في النحو العربي. [٧٥]

كثيرا ما يسمي الطبري حروف الجر الزائدة صلة، وهذه الحروف إذا حذفت لا يختل المعنى. وإنما أدخلت تأكيدا للمعنى.

٤:٣:٢ الحشو

استعمل الطبري مصطلح الحشو بمعنى: الصلة والزيادة؛ « حشو لا معنى له »، « حشو الكلام»، « التي تدخل في الكلام حشوا وصلة»، «زائدا صلة وحشوا»، «حشو لا معنى له» [٧٦]

لم ينفرد الطبري في استعمال هذا المصطلح؛ فقد استعمله الكثير من نحاة الكوفة والبصرة: نحو: الخليل وسيبويه والكسائي والفراء والأخفش الأوسط وابن الأنباري، [٧٧] لذلك ليس هذا المصطلح كوفيا محضا، كما ورد في شرح المفصل مما حدا بالمخزومي وغيره من الباحثين إلى تعميم هذه الفكرة. [٧٨]

تعريف مصطلح الحشو في معجم العين. «الحشو من الكلام: الفضل الذي لا يعتمد عليه» [٧٩] من خلال الاطلاع على المواضع التي ورد فيها هذا المصطلح في تفسير الطبري؛ نلاحظ أنه مترادف مع «صلة». ونلاحظ أيضا، أنه في أغلب الحالات يذكر الحشو مقترنا بالصلة، أو بالزيادة، ولكنه أحيانا يذكرها منفردة، فتعليقا على من اعتبر «لا» حشوا في الآية «قال: **ما منعك ألا تسجد**» [٧ (الأعراف): ١٢]، يقول الطبري: «على أنه غير جائز أن يكون في كتاب الله شيء لا معنى له، وأن لكل كلمة معنى صحيحا، فتبين بذلك فساد قول من قال: «لا» في الكلام حشو لا معنى له». [٨٠]

---

٧٤ – هارون بن موسى، الوجوه والنظائر في النحو، ١٩١, ٢١٥, ٢١٧, ٢٢٤, ٢٥٤, ٢٦١, ٢٦٩

٧٥- Versteegh, "Grammar and Exegeses, the origins of Kufan Grammar and the Tafsīr muqātil" Der Islam (67) 1990، p. 235,238

٧٦ -الطبري، ١, ١٩٥, ١, ٢٤٦, ٢, ٣٤٠, ٨, ١٢٩-١٣٠, ٩, ٧٥, ١٠, ٢٩, ١٩, ٧٥

٧٧ -معجم العين، ٣, ٢٦١، الكتاب(هارون)، ٢, ١٠٥ -١٠٨، كينبرغ، ١٨٣ (الفراء، ١, ٥٨, ٣)، معاني القرآن للأخفش الأوسط، ٢, ٢٩٤- ٢٩٥، ابن الأنباري، شرح القصائد، (نقلا عن الكسائي)، ٣٥٣

٧٨ -ابن يعيش (ط يان)، ٢, ١١٨١, ١٤، مدرسة الكوفة، ٣٥٩، ديره، ٢٤٩

٧٩ -معجم العين، ٣, ٢٦١, ٣

٨٠ -التفسير، ٨, ١٣٩, ١٥- ١٦

Digitized by Birzeit University Library

٣:٢ :٥ الزيادة/الزوائد/زائدة

ذكر الطبري هذا المصطلح مقترنا بكلمات أخرى، وعندما نقل رأي أحد البصريين، ذكر «زائدة» أو «حرفا زائدا» دون إضافته إلى كلمات أخرى. «الزوائد والصلات»، «زائدة حشوا»، «حرفا زائدا صلة حشوا»، «زائدة في الكلام صلة توكيد»، «حروف الزوائد». [٨١] تعريف الزائد عند النحاة: « حكمه أن يمكن طرحه، ولا يختل الكلام بذلك»، [٨٢] وقد عرف أبو علي الفارسي الزوائد بقوله: « ومعنى قولي زيدت، إنما جيء بها توكيدا للكلام، ولم تحدث معنى». [٨٣]

ماذا يقصد الطبري بحروف الزوائد ؟

١- كلمة مرادفة لحروف الصلة والحشو، أكثر الحالات التي تذكر فيها حروف الزيادة في تفسيره تقترن بذكر الصلة والحشو، وخاصة عندما يذكر «بعض نحويي البصريين»، مثل أبي عبيدة والأخفش الأوسط. [٨٤]

٢- حروف الزوائد «سألتمونيها» أو «اليوم أنساه»، مثل حرف الميم في كلمة «معايش»، « فالميم فيها زائدة»، [٨٥] ويقصد الطبري الحروف غير الأصلية في الكلمة، وقد تنبه ابن جني إلى هذه المسألة، حيث أشار إلى وجوب التفريق بين الزائدة في الكلام وحروف المعاني مثل حروف الجر والنصب وغيرها. [٨٦]

٣- حروف السكت، مثل حرف الهاء التي تأتي آخر الكلمة للسكت نحو: «**لم يتسنه**»[٢(البقرة): ٢٥٩]، و«**فبهداهم اقتده**»[٦(الأنعام): ٩٠]، و « **كتابيه**» [٦٩(الحاقة): ١٩ , ٢٥].

يجيز الطبري تسمية الحروف التي توضع آخر الكلمه مثل الهاء بالزوائد، لأنها تزاد في حالة الوقف (التوقف) في آخر الكلمة، بينما تحذف في حالة وصل هذه الكلمة بما بعدها من الكلام.

ولكنه -أي الطبري- لا يجيز تسميتها زائدة، إذا كانت هذه الحروف أصلية في الكلمة، «فأما ما كان محتملا أن يكون أصلا للحرف غير زائد، فغير جائز- وهو في مصحف المسلمين مثبت- صرفه إلى أنه من الزوائد والصلات». [٨٧]

٨١-التفسير، ١, ١٩٥-١٩٦, ١, ٤٠٩, ١٢, ١, ٤٤١, ٢٢, ٢, ٢٠٥, ٢١، ٢, ٥٩٩, ٢٢، ٨, ١١.
٢٢, ٨, ١٢٩, ١٠, ٩, ٢٣٣, ١٣, ٩, ٢٣٩, ٢، ١٢, ١, ١٨، ١٣, ١٨٦، ٢٣، ٢٢, ١٢٩, ٢٢, ٢٤, ٣٦, ٧, ٢٤, ١١٨, ٢٩

٨٢-ابن جني، سر صناعة الإعراب، ١, ٢٦١

٨٣-المسائل البغداديات، ١, ١٣٣

٨٤-انظر، مجاز القرآن، ١, ٢٥, ٤, ١, ٢٦, ٧، وانظر: الأخفش الأوسط، معاني، ٢, ٣٢٢, ٥، من أجل مقارنة شاملة لنصوص الطبري مع الكتابين المذكورين أعلاه، انظر الملاحظة السابقة.

٨٥-تفسير الطبري، ٨, ١٢٥, ١٤

٨٦-سر صناعة الإعراب، ١, ١٢٠

٨٧-التفسير، ٣, ٣٧, ١٥

Digitized by Birzeit University Library

ما هو موقف الطبري من استخدام مصطلح الزيادة؟

اتخذ الطبري موقفا معارضا -وأحيانا عدائيا- اتجاه استعمال مصطلح «زيادة»، فيما يتعلق باعتبار بعض حروف المعاني في القرآن حروفا زائدة؛ خاصة في الرد على أبي عبيدة والأخفش الأوسط؛ فقد هاجم الطبري ثانيهما بسبب موقفه من بوادىء السور على اعتبارها زائدة في الكلام: « والوجه الثاني من خطئه في ذلك » إضافته إلى الله جل ثناؤه أنه خاطب عباده بما لا فائدة لهم فيه، ولا معنى له من الكلام الذي سواء الخطاب به وترك الخطاب به، وذلك إضافة العبث -الذي هو منفي في قول جميع الموحدين عن الله- إلى الله تعالى ذكره»[٨٨]، يقول أيضا: « وغير جائز إبطال حرف كان دليلا على معنى الكلام »، «لأن زيادة «ما» لا تفيد من الكلام معنى في الكلام غير جائز إضافته إلى الله جل ثناؤه»، « وقد بينا فيما مضى أنه غير جائز أن يكون في كتاب الله حرف لا معنى له؛ فأغنى ذلك عن إعادة البيان على فساد قول من زعم أن «الواو» و«الفاء» من قوله «أوكلما» و«أفكلما» زائدتان لا معنى لهما»،[٨٩] يتضح من خلال ما سبق أن الطبري ينحاز إلى أهل السلف «المحدثين» مقابل أهل اللغة والنحو.

في الواقع، من المفضل عدم المبالغة في مسألة الصراع بين أهل السلف -الذين يقدمون الرواية على الرأي- وأهل النحو واللغة؛ فهذا الزجاج -الذي تلمذ للمبرد- يتخذ موقفا مشابها لموقف الطبري إزاء حروف الزيادة، « قال أبو عبيدة: وإذ ههنا زائدة، وهذا إقدام من أبي عبيدة، لأن القرآن لا ينبغي أن يتكلم فيه إلا بغاية تجري إلى الحق». [٩٠] ولكن يلاحظ أن النحاة واللغويين أكثر جرأة في الأخذ عن العرب، واستعمال القياس في تفسير بعض القراءات القرآنية وتفسيرها وفقا للتحليل النحوي واللغوي، لا ننسى هنا أن الطبري أيضا يعتبر «ما قالته العرب» ذا أهمية بالغة في تفسير النص. [٩١]

---

٨٨ -المصدر السابق، ١, ٩٥, ١٨، انظر: معاني القرآن للأخفش، ١, ٢١, ٢

٨٩ -المصدر السابق، ١, ١٩٥- ١٩٦, ١, ٤٠٩, ١٢, ١, ٤٤١, ٢٢

٩٠ -معاني القرآن وإعرابه، ١, ١٠٨

٩١ - سيناقش هذا الموضوع بتوسع لاحقا، ضمن الفصل المتعلق بتأثير آرائه الدينية على منهجه في النحو.

Digitized by Birzeit University Library

٦:٣:٢ اللغو/إلغاء/يلغي/ملغاة

يعتبر مصطلح «اللغو» أكثر مصطلحات الزيادة والصلة استهجانا في الاستعمال، من قبل المفسرين والنحاة؛ لأن الكلمة لها معان سلبية نتيجة لورودها في القرآن بهذه المعاني؛ ورد في القرآن أربع كلمات مشتقة من الجذر: ل غ و: «الغوا» فعل بصيغة الأمر، ومعناه « الغطوا بالباطل من القول»[٩٢]، وورد أيضا بصيغة اسم الفاعل «لاغية»: » يعني باللاغية: كلمة لغو ، [٩٣] « **لا يسمعون فيها لغوا**» يفسر الطبري كلمة «لغوا»: «وهو الهذي والباطل من القول والكلام»، [٩٤] أي أن الجنة خالية من «اللغو»، وله تعريف شامل لكلمة اللغو، «واللغو من الكلام في كلام العرب: كل كلام كان مذموما، وفعلا لا معنى له مهجورا، يقال منه: لغا فلان في كلامه، يلغو لغوا: إذا قال قبيحا من الكلام». [٩٥]

من خلال استعراض تلك الآيات التي ورد فيها الكلمات المشتقة من جذر «لغو»، نلاحظ أنها أكدت أن المؤمنين يجتنبون اللغو، كما أن الجنة خالية منه، تقترن كلمة اللغو باليمين الكذب «من غير تعمد إثم» «أو ما كان بالألسن» ، [٩٦] وبشهادة الزور. من الجدير ذكره أن اللغو وما اشتق منه كما ورد في القرآن، مرتبط بحاسة السمع، أو ما يلفظ عن طريق اللسان، أو نطق الكلمة وقولها.

لم يستعمل الطبري مصطلح اللغو خلال وصفه للحروف الزائدة، نظرا لموقفه الديني، كما أن الفراء استعمل هذا المصطلح في الشعر فقط. [٩٧] فيما يتعلق بأبي عبيدة والأخفش فلم يستعملا هذا المصطلح، بالرغم من نقل الزجاج(ت٢١١) عن أبي عبيدة (ت ٢١٠)كلمة «لغو»، ولكن إذا رجعنا إلى مجاز القرآن لا نجد هذه الكلمة مستعملة، [٩٨] ولكن من جهة أخرى فإن الزجاج ينسب استعمال اللغو إلى معظم نحاة البصرة، ففي معرض حديثه عن «ما» في الآية: « **إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة**» [٢(البقرة): ٢٦]، «والاختيار عند جمع البصريين أن يكون «ما» لغوا» . [٩٩]

نجد سيبويه قد أكثر من استعمال «لغو» و« ألغي» حتى في وصفه لبعض حروف المعاني أو الزيادة في القرآن؛ مثل: فبما، لما، أن، لا، هو، إنما، وقد نسب بعضها إلى الخليل. [١٠٠] كان سيبويه يسمي تعليق أفعال الشك والرجحان عن العمل «إلغاء» لأنها لا تعمل فلا تنصب مفعولين؛ وهذا ما يتفق مع المصطلح الذي استعمله

---

٩٢ -٢٦ (فصلت): ٤١، تفسير الطبري، ٢٤, ١١٢, ١٠

٩٣ -٨٨(الغاشية): ١١، الطبري، ٣٠, ١٦٣, ٩

٩٤ -المصدر السابق، ١٦, ١٠٢, ٥

٩٥ -المصدر السابق، ٢, ٤١٣, ٦،

٩٦ -المصدر السابق، ٢, ٤١٣, ١٦, ٢, ٤١٢, ٢١

٩٧ -ديره، ٢٤٩، كينبرغ، ٧٥٤

٩٨ -معاني القرآن وإعرابه، ١, ٤٠٠, ٩، مجاز، ١, ٩٠, ١٢

٩٩ -معاني القرآن، ١, ١٠٤, ٨

١٠٠ -الكتاب(هارون)، ٢, ١٣٨, ٥، ٢, ١٣٩, ٩، ٢, ٣٩١، ١٠, ٣, ٧٦، ١٠, ٣, ٧٧, ١٢، ٣, ١٤٠، ٦, ٣، ١٥٢, ٢

Digitized by Birzeit University Library

الفراء في وصف مثل هذه الأفعال، [١٠١] ففي الآية: **و إن كل لما جميع لدينا محضرون**: يقول سيبويه: « إنما هي: لجميع، و«ما» لغو»، بينما لم يستعمل النحاس مصطلح لغو في تفسير هذه الآية، [١٠٢] وقد شرح سيبويه معنى «ما» إذا كانت لغوا، «في أنها لا تغير ما بعدها عن حاله قبل أن تذكر». [١٠٣] ربما يدل ذلك على أن سيبويه كان تفكيره منصباً على الاعتبارات العلمية المحضة فيما يتعلق بالنحو العربي، أكثر من الاعتبارات الأخرى، نحو: المذهبية والتاريخية أو غير ذلك.

على عكس ذلك، نجد الطبري يتجنب استعمال مصطلح اللغو في وصف حرف أو أداة في القرآن، لكنه استعمل «إلغاء» و« الإلغاء والصلة» ، وذلك في الآية: «**و لا الضالين**»، أي أن «لا» لم تفد معنى غير التوكيد أو « تتميم الكلام»، في الحقيقة فإن الطبري ينقل رأي البصريين: «كان بعض أهل البصرة يزعم» وبالتحديد رأي أبي عبيدة، وهو أي الطبري لا يوافق على هذا الرأي، بل يعتبره خطأ. [١٠٤]

استعمل الطبري كلمة « ملغاة» ليصف تكرار هم في الآية: « **وهم بالآخرة هم كافرون**» [١١(هود): ١٩] يقول: « فصارت هم كالملغاة وصار الاعتماد على الثانية »، [١٠٥] أي أنها لا تعمل وليس لها محل من الإعراب. فهم الطبري للحرف الملغى أو الأداة الملغاة يتطابق مع الفراء. [١٠٦] كما أن الطبري استعمل «يلغي» في وصف الواو في الآية: «**حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها**» [٣٩(الزمر): ٧١] « كأنه يلغي الواو»، [١٠٧] ولكنه نقل ذلك أيضا عن « بعض نحويي البصرة».

استعمل ابن السراج كلمة « الحروف الملغاة»، وقد عارض ابن السراج اعتبار حروف الحر ملغاة، لأن لها معاني غير التأكيد، وهي حروف تعمل الجر فيما بعدها من أسماء، «قال أبو بكر: وحق الملغى عندي، أن لا يكون عاملا ولا معمولا فيه، حتى يلغى من الجميع؛ وأن يكون دخوله كخروجه لا يحدث معنى غير التأكيد، وهذه الحروف التي خفض بها قد دخلت لمعان غير التأكيد»، [١٠٨] واستعمل أيضا كلمة « لغو»، عندما يتكرر النفي في الجملة، مرة «بما»، ومرة بـ «لا» مرتين: ما قام زيد ولا عمرو. [١٠٩]

---

١٠١ -كينبرغ، ٧٥٣- ٧٥٤

١٠٢ -الكتاب(هارون)، ٢, ١٣٩, ٩، قارن مع النحاس، إعراب القرآن، ٣, ٣٩٣, ٧

١٠٣ -الكتاب(هارون)، ٢, ٣٩١, ١٠

١٠٤ -التفسير(شاكر)، ١, ١٨٩ -١٩٢، قارن مع: مجاز القرآن، ١, ٢٥ -٢٧

١٠٥ -المصدر السابق، ١٢, ٢١٧

١٠٦ -كينبرغ، ٧٥٤

١٠٧ -التفسير، ٢٤, ٣٦.

١٠٨ -الأصول في النحو (عبد الحسين الفتلي)، ٢, ٣٥٩, ٦- ١٠

١٠٩ -المرجع السابق

Digitized by Birzeit University Library

٢:٣:٧ مقحمة

يقصد الطبري بهذا المصطلح الحروف الزائدة؛ مثل الواو في الآية: «**حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، واقترب الوعد الحق**» [٢١(الأنبياء): ٩٦- ٩٧]، «و الواو في قوله «**و اقترب الوعد الحق**» مقحمة»، [١١٠]أي زائد يمكن حذفها دون أن يتأثر المعنى. تعريف المقحم: « المدخل بالعنف من غير ضرورة واحتياج». [١١١] وقد ذكر القرطبي عبارة «زائدة مقحمة» نقلا عن الكوفيين، مما يرجح أن الطبري نقل هذا المصطلح عن أهل الكوفة. [١١٢]

ومن الذين استعملوا مصطلح الإقحام/ مقحم/ مقحمة بمعنى الزيادة ابن شقير البغدادي(ت ٣١٧) وهو معاصر للطبري، فذكر أن حروفا مثل اللام والواو والباء تأتي أحيانا مقحمة، «فأدخل «الواو» حشوا وإقحاما»، لكن من الملاحظ أنه ربط بين مصطلحي الإقحام والحشو. [١١٣] يسمي ابن الخشاب الباء في المثال: ما زيد بقائم «مقحمة مزيدة». [١١٤]

ذكر السيوطي أن استعمال المصطلحات: التأكيد والصلة والمقحم وسيلة من قبل المفسرين لاجتناب استعمال «لفظ الزائد في كتاب الله تعالى». [١١٥]

٢:٣:٨ الإسقاط /الطرح/ التتميم

مصطلح الإسقاط عند الطبري يختلف عن النصب على سقوط الصلة / الخافض؛ فهنا لا يحذف حرف الجر من الجملة ولا يلغى عمله، ولكن المقصود أن حرف الجر جاء لتوكيد المعنى، فلا يختل المعنى إذا قمنا بحذف هذا الحرف؛ لأن عمل الفعل يجوز أن يتعدى إلى المفعول به دون الحاجة إلى تقوية هذا العامل بحرف الجر. نجد هذا المصطلح مستعملاً لدى الفراء بكثرة، [١١٦] وكذلك الحال بخصوص مصطلح الطرح؛ فإن الطبري يعني به أيضا أن الفعل يتعدى إلى المفعول به دون حرف الجر. [١١٧] من الجدير ذكره هنا أن المصطلح « طرح من» في المفعول لأجله، ورد في معجم العين: نحو: فعلت ذلك من أجل كذا

---

١١٠ -المرجع السابق، ١٧, ٩٢.

١١١ -أبو البقاء، الكليات، ٨٧٣

١١٢ -الجامع لأحكام القرآن(بيروت، ١٩٩٣)، ١٥, ٩٦, ٢٣

١١٣ -كتاب المحلى، ٢٣٨, ٢٦٧, ٢٨٢, ٢٨٣, ٣٠٠, ٣٠٣

١١٤ -المرتجل، ٣٢٠

١١٥ -الإتقان في علوم القرآن (المندوه، ١٩٩٦)، ٢, ٥٣٥

١١٦ -كينبرغ، ٣٢١ - ٣٢٢

١١٧ -التفسير، ٥, ٢٠٤ ، هذا المصطلح مستخدم لدى الفراء أيضا، انظر: كينبرغ، ٤٤٥ -٤٤٧

Digitized by Birzeit University Library

فتصبح : فعلت ذلك أجل كذا (بنصب اجل)، [118] وهذا يشبه إلى حد بعيد ما جاء في معاني القرآن للفراء، و جاءت أيضا كلمة « الطرح» في معجم العين بمعنى : الحذف، وذلك في أسلوب القسم. [119]

إن هذا التشابه بين معجم العين ومعاني الفراء - أضف إلى ذلك ورود الكثير من المصطلحات الكوفية في فروع عدة من اللغة العربية- يثير - وبصدق- الكثير من الشكوك حول نسبة هذا الكتاب للخليل بن أحمد؛ الأمر الذي يؤكد ما رواه ياقوت الحموي، أن الليث بن المظفر تلميذ الخليل بن أحمد وراوي معجم العين- تلمذ للقاسم بن معن المسعودي (ت ١٧٥) -و هو من علماء الكوفة في اللغة والنحو، وأستاذ الفراء - في النحو واللغة؛ لذلك أدخل -أي الليث بن المظفر- في معجم العين الكثير من نحو الكوفة ومصطلحاتهم؛ «فأفسد الكتاب بذلك»، [120] من المحتمل أن ذلك يفسر ورود مصطلحات كوفية في معجم العين (إذ لم يذكر بعضها في الكتاب لسيبويه، ويفسر التشابه بين هذا الكتاب ومعاني الفراء.

أما مصطلح التتميم، فيقصد به الطبري حروف الزيادة التي تدخل في الجملة « تتميما للكلام » وتوكيدا للمعنى، من خلال ذلك نستنتج أنه يمكن حذفها من الجملة دون أن يخل ذلك باستقامة المعنى في الجملة. اعتبر الطبري «لا» في الآية « ولا الضالين»، «تتميما للكلام »، في الحقيقة، نقل الطبري هذا المصطلح حرفيا عن أبي عبيدة، وأنكر بشدة على أبي عبيدة اعتباره « لا» في الآية المذكورة أعلاه «تتميما للكلام». [121]

و من الأمثلة على استعمال مصطلح الإسقاط لدى الطبري، حرف الجر «من « في الآية : «**ويكفر عنكم من سيئاتكم**» [٢(البقرة) : ٢٧١] » وقال بعض نحويي البصرة : معنى «من» الإسقاط من هذا الموضع، ويتأول معنى ذلك : ونكفر عنكم سيئاتكم ». [122]

١١٨- Talmon¡Arabic Grammar, 178.11 ، ٣٥٩ معجم العين، ٦

١١٩- Talmon, Arabic Grammar، 349.2 ، ٣٩٥ معجم العين، ٨

١٢٠ -معجم الأدباء(إحسان عباس)، ٥, ٢٢٣١

١٢١ -التفسير(شاكر)، ١, ١٨٩, ١٣, ١, ١٩٢, ٣، قارن مع : مجاز القرآن، ١, ٢٥, ٤

١٢٢ -المصدر السابق، ٥, ٥٨٦, ٦

Digitized by Birzeit University Library

٤: مصطلح: التقريب

ر أن نأتي باسم الإشارة مثل : هذا / ذلك/ هؤلاء في جملة اسمية بحيث يقوم اسم الإشارة بعمل كان
قصة من النواسخ ، نحو : كيف أخاف البرد؟ وهذه الشمس طالعة ؛ بهدف خلق الاتصال بين المتكلم
خاطب لتنبيهه أو لتحذيره . [١٢٣]

ذه» عند الكوفيين تقريب يعمل عمل كان : أي أنه منتظر حدوث خبرها «طالعة» ، فهذا يقرب حدوث الخبر ،
هنا اشتق مصطلح التقريب عند الكوفيين ، تأتي «الشمس» اسم التقريب مرفوعة كاسم كان ، وخبرها
العة» منصوب . [١٢٤] الفرق الأساسي بين جملة التقريب المفتتحة بـ «هذا» ، وجملة كان كما ذكر أبو العباس
ب ؛ هو أن التقريب جواب عن الشق الأول من الكلام «رد كلام» ، نحو : من كان من الناس سعيدا ؛ فهذا
سياد شقيا ، كما أنه يحق لنا كما ذكر ثعلب حذف اسم الإشارة من مطلع الجملة دون أن يختل المعنى ؛ نحو :
ف أخاف الظلم وهذا الخليفة قائما والخليفة قائم ، «فتدخل «هذا» وتخرجه فيكون المعنى واحدا ، وكلما
ت إدخال «هذا» وإخراجه واحدا فهو تقريب» . [١٢٥]

تقريب - وفقا للفراء- صيغتان :

اسم الإشارة «هذا» ، يتبعه اسمان ، الاسم الأول محلى بأل ، أصل هذين الاسمين جملة اسمية من المبتدأ
خبر ، أي أنه يمكننا حذف «هذا» دون أن يختل معنى الجملة . [١٢٦] ويشترط في الاسم الذي يأتي بعد اسم
سارة أمران :

ن يكون اسم جنس لا يحتاج إلى مزيد من التعريف ، أي : يدل على عموم الجنس ، مثل الإنسان / الأسد
ن يكون اسما لا نظير «واحد» له في الوجود ، مثل : الشمس والقمر .

لهدف من وراء هذين الشرطين أنه لا يحتاج إلى تبيينهما بالإشارة إليهما ، فلو حذفنا «هذا» اسم الإشارة
ختل المعنى . [١٢٧]

أ)أن يأتي ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ بين شطري اسم الإشارة ، هاء التنبيه واسم الإشارة «ذا» ، نحو :
ت ذا قائما فجاءت «قائما» منصوبة على التقريب [١٢٨]

رافي طلمون ، «المسألة الزنبورية ، دراسة في ماهية اختلاف المذهبين النحويين» ، الكرمل ، ٧ (١٩٨٦) ، ص ١٤٨

-أحمد مكي الأنصاري ، أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة ، ٤٢٠ ، كينبرغ ، ٦٥٢ ،

تفسير الطبري(شاكر) ، ٧ , ١٤٩ ، ملاحظة محقق الكتاب ، رقم : (٤) ، ديره ، ٢٣٧ ، القوزي ، ١٣٢-٣٣

- مجالس ثعلب ، ٤٣ , ٤٤

-كينبرغ ، ٦٥٢ ، الأنصاري ، ٤٢٠

-تفسير الطبري(شاكر) ، ٧ , ١٤٩ ، ملاحظة محقق الكتاب رقم : (٤)

-المرجع السابق

Digitized by Birzeit University Library

ب)أو أن يكرر حرف التنبيه «ها» قبل الضمير المنفصل وبعده، متصلا باسم الإشارة ربما من أجل التوكيد، نحو: «**ها أنتم هؤلاء تدعون**»[٤٧ (محمد): ٣٨]

أما بالنسبة للبصريين، ففي جملة: هذا عمرو منطلقا ،يعربون «منطلقا» حالا ، والعامل فيه هو معنى الفعل في اسم الإشارة «هذا» أشير «التنبيه والإشارة»، [١٢٩] عندما أقول لشخص:

هذا عمرو منطلقا؛ فأنا لا أعرفه «بعمرو» لأنه معرفة، وإنما ليعرفه أنه منطلق. [١٣٠] نلاحظ هنا أن الحال «منطلقا» لا يمكن الاستغناء عنه لأنه أساسي في توضيح الجملة، وعليه المعول في الكلام ويفيد تمام المعنى للجملة؛ كما أن المخاطب يعلم من هو زيد، ولكنه ينتظر أن يعرف خبره.

أورد سيبويه هذا في باب « ما ينتصب لأنه خبر للمعروف المبني على ما [هو] قبله من الأسماء المبهمة» [١٣١]، فضم إلى قائمة الأسماء المبهمة (=أسماء الإشارة) ضمائر الرفع المنفصلة: نحو: هي وهو وهما، نلاحظ هنا أن سيبويه ذكر أن الحال خبر، وهذا يشبه ما قاله الفراء-بصورة جزئية- عن نصب «مخوفا» في الجملة: فهذا الأسد مخوفا « وإنما نصبت الفعل [=الخبر] . . . فلم يجدوا بدا من أن يرفعوا هذا بـ«الأسد» وخبره منتظر»، [١٣٢] لكن الفرق في أن الفراء يعرب «منتظرا» خبرا للتقريب، بينما لا يذكر النصب على التقريب في جمل يتصدرها ضمير رفع منفصل نحو: «هو» ويأتي بعده الخبر حالا منصوبا، فـ«مصدقا» في الآية «**وهو الحق مصدقا**»[٢(البقرة): ٩١] تعرب حالا (وهي حال مؤكدة كما أسماها الأخفش الأوسط) [١٣٣] و ليس خبر التقريب، والسبب في ذلكً، أن ضمير الرفع المنفصل لا يحمل في داخله معنى الإشارة والتنبيه كأسماء الإشارة مثل: ذلك؛ الأمر الذي يؤدي إلى الاختلاف في عامل النصب؛ ففي الجملة التي يتصدرها «هذا» عامل النصب-كما أسلفنا- في «مخوفا» الإشارة والتنبيه المستتران فيه، والعامل في نصب الحال هنا معنوي؛ لأن فيه معنى الفعل: أنبه وأشير. [١٣٤]

أطلق كل من سيبويه والفراء اسم «الخبر» على الحال، وفي الحقيقة، إنهما يعنيان أنها، أي الحال، خبر في المعنى وليس على وجه الحقيقة، وذلك لوجود عدة نقاط تشبه فيها الحال الخبر:

ولنعط مثالين عليهما: أ-هذا زيد منطلقا ب- زيد منطلق

١- وفقا لسيبويه، [١٣٥] فإنه يسمي «منطلقا» خبرا إذا كانت العلاقة بينه وبين ما سبقه «زيد» مرتبطة بالعلاقة بين المبتدأ والخبر في الجملة الاسمية، لأننا عندما نحذف «هذا» تصبح الجملة اسمية؛ فيصبح «منطلقا» مسندا إلى

١٢٩- النحاس، إعراب القرآن، ٢, ٢٩٤

١٣٠ -يعقوبوفيتش، ١٩

١٣١ الكتاب(هارون)، ٢, ٧٧, ١٠

١٣٢ كينبرغ، ٦٥٢

١٣٣ إعراب القرآن، ١, ٢٤٨

١٣٤ العكبري، اللباب، ١, ٢٨٩, ٤-٥

١٣٥ - Levin¡A. “Sibawayhi s View of the Syntactical Structure of kāna wa axawātuha“ Jsai، ١ (١٩٧٩)، p.193

Digitized by Birzeit University Library

ندأ «زيد» ومبنيا عليه، أي الخبر. [١٣٦] ولم يستعمل سيبويه الخبر ليدل على الحال المؤكدة فقط، وإنما في
مل الفعلية التي تتضمن الحال المنتقلة: نحو:
زيد راكبا ف «منطلقا» و«راكبا» وفقا لسيبويه حالان وخبران في الوقت نفسه، [١٣٧] فـ «منطلق» خبر في
عنى «أو في الأصل».
-تعتبر الحال خبرا ثانيا في المعنى، فـ «منطلقا» في المثال أ يخبرنا عن زيد أنه انطلق أو في نية الانطلاق. [١٣٨]
-تأتي الحال في أغلب الأحيان نكرة، «والأصل في الخبر التنكير». [١٣٩]
-كثيرا ما تفيد الحال الانتقال والحدوث والتغير، وذلك لأنها تشبه الخبر في تجدده، لأننا نعلم السامع بما جد
ن أخبار لم يكن يعلمها. [١٤٠]
-يجب أن يكون صاحب الحال معرفة، بينما الحال نكرة؛ لأن الحال ــ كالخبر- لا يجوز أن تخبر عن
كرة. [١٤١]
ذا من جهة، أما من جهة أخرى، فإن الحال(خاصة في تركيب التقريب) تختلف عن الخبر في الجملة الاسمية
ن عدة نواح: أهمها:
-يأتي الحال بعد تمام الجملة، أي أنه فضلة فيمكن أن تكون الجملة تامة دون ذكره، ففي المثال أ تصبح الجملة:
ذا زيد وهي ذات معنى، بينما لا يمكن حذف الخبر «منطلق» في المثال «ب» «لأنه مقصود الجملة»، [١٤٢] أي أن
منطلقا» في المثال الأول لا يرتبط بعلاقة إسناد مع «زيد»، ولكن من الجدير ملاحظته، أنه بالرغم من كون

---

١٣٦ يجب الانتباه هنا إلى التغير الذي طرأ على معاني المسند والمسند إليه والمبني والمبنيّ عليه؛ وخاصة الفرق بين مفهوم
سيبويه لهما وبين مفهوم النحاة المتأخرين؛ فالخبر لدى سيبويه هو المسند إليه والمبني عليه، أي على المبتدأ، وذلك بعكس
ستعمال النحاة المتأخرين والمعاصرين، وقد أشار ر. بعلبكي إلى هذه النقطة في مقالته:
،(٤) footnote ،١٥. Baalbaki¡R A Difficult Passage In Farra˒s Ma˓ani l- Quran ". BEO 35 (1983)¡p
وقد توسع لفين في هذا الموضوع في مقالتين:
A. Levin "al-Musnad ˒ilayhi and al- ˒Isnad ،The grammatical terms al- Musnad"
.pp. 145-165 , (١٩٨١)١٠١ JAOS ،
A, Levin" The syntactic technical term al- mabniyy ˓alayhi" JSAI 6 pp. 299- 352 (1985)
١٣٧ للاطلاع بتوسع على معاني «الخبر» واستعمالاته في الكتاب، يرجع إلى مقالة لفين المذكوره أعلاه؛ ص
١٩٣, ١٩٤, ١٩٥، وقد أشار إلى عدة نماذج وردت في كتاب سيبويه، نحو: فيها زيد قائما يستعمل فيها سيبويه الحال والخبر
في الوقت نفسه، انظر: ص١٩٤, ١٩٥
١٣٨ العكبري، اللباب، ١, ٢٨٤, ٥-٦
١٣٩ المصدر السابق
١٤٠ المصدر السابق، ١, ٢٨٥, ٤-٥
١٤١ المصدر السابق، ١, ٢٨٥, ٩ــ١٠
١٤٢ العكبري، اللباب، ١٦٧, ٤

Digitized by Birzeit University Library

«منطلقا» فضلة إلا أن حذفه يغير معنى الجملة، لذلك لا تعتبر كل فضلة زائدة. [١٤٣]

٢- اختلاف العامل؛ فالعامل في نصب «منطلقا» في المثال أ لفظي «هذا»، [١٤٤] أي ما يتضمنه معنى اسم الإشارة وهو «أنبه وأشير»؛ بينما العامل في رفع الخبر «منطلق» في المثال ب لفظي وهو المبتدأ، ولا يحتاج الى تقدير.

وليس كل تركيب (جملة اسمية) يتصدره اسم الإشارة يدخل في باب التقريب وفقا للفراء؛ ففي الآية « **ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين**»[٢(البقرة) : ٢]، أعرب الفراء «هدى» منصوبة على القطع [١٤٥] (=الحال المؤكدة) وليس على التقريب؛ لأن «هدى» جاء بعد تمام الخبر أي أنه غير «منتظر»، و لا يمكننا حذف «ذلك»؛ أما الجملة السابقة، فإن «هذا» جاءت وفقا للفراء «تقريبا»، ولكنه لم يقل بأن «مخوفا» منصوبة على(أو : ب) التقريب، بل علل ذلك بما يسمى بالخلوة : أي خلوة «مخوفا» من التساند فلم تأت مبنية على/ مسندة إلى مبتدأ وهو في الأصل « الأسد» إذا حذفنا «ذلك»، ومن الجدير بالملاحظة هنا، أن رمزي بعلبكي -على صواب- في إشارته إلى تشابه آراء الفراء وسيبويه في ذكر علة نصب «منطلقا» وهو «الخلوة» لدى الفراء، والإسناد لدى سيبويه، [١٤٦]أي ان «منطلقا» لا يرتبط بعلاقة إسناد/ تساند مع «زيد» في المثال ب. [١٤٧]

لا بد هنا من طرح بعض التساؤلات، التي يجب أن نأخذها بعين الاعتبار، عند معالجتنا لهذا الموضوع :

١- هل اعتبر الفراء(من خلال معاني القرآن) «هذا» في مبنى التقريب من أخوات كان، التي تدخل على الجملة الاسمية، فترفع الأول ويسمى اسمها، وتنصب الثاني ويسمى خبرها ؟

٢- هل هنالك فرق بين تصور سيبويه لكان وأخواتها، وبين تصور الفراء ؟

٣- إلى أي مدى نستطيع أن نتقبل ما نقله المتأخرون، نحو : ابن الأنباري، والعكبري، والسيوطي وغيرهم، فيما يتعلق بآراء الفراء وغيره من متقدمي المدرسة الكوفية في النحو؟ وهل يدخل ذلك فيما يسمى بتعميم المصطلح ونسبته إلى الكوفيين كافة، من أجل خلق جو تنافسي بينهم؟

نفضل أن نشرع بالإجابة عن السؤال الأخير، ولكي نوضح ذلك؛ نستشهد بما نقله العكبري عن رأي الكوفيين في خبر كان المنصوب؛ «وقال الكوفيون : ينتصب على القطع، يعنون الحال. والدليل على انتصابه ب(كان) أنه اسم بعد الفعل والفاعل»، [١٤٨]و ذلك يتناقض تماما مع ما جاء في معاني القرآن للفراء؛ حيث أكد الفراء أن كان وأخواتها وظن وأخواتها من النواقص، التي تحتاج إلى مبتدأ وخبر، وأن الخبر أساسي في تركيب الجملة ولا تقوم دونه؛ «لا بد فيه من فعل لنقصانه»، [١٤٩] وهذا لا ينطبق على الحال؛ بالرغم من تسمية الفراء للحال

١٤٣- Baalbaki، (١٩٨٣)، p. ١٥، footnotes، ٣، 4

١٤٤ العكبري، اللباب، ١، ٢٨٩، ٤-٥

١٤٥ كينبرغ، ٦٥٢

١٤٦ Baalbaki، (١٩٨٣)، ١٥، n.4

١٤٧ انظر مصطلح «خلوة»في: كينبرغ، ٢٤٣

١٤٨ العكبري، اللباب، ١، ١٦٧، ١-٢

١٤٩ انظر مادة: فعل٣ في: كينبرغ ٥٩٧

Digitized by Birzeit University Library

خبرا، إلا أن الجملة تقوم دونه . والحقيقة أن ذلك برهان على ميل النحاة المتأخرين إلى تعميم آراء بعض النحاة عن طريق نسبتها إلى مدارسهم؛ حتى أنهم وجدوا فرصة خلال مصطلح التقريب لتأكيد هذا الاتجاه . [١٥٠] إلا أنه لا يجوز المبالغة إلى الحد الذي ننفي فيه وجود اختلافات بين نحاة الكوفة والبصرة، فمن غير الممكن أن يكون المتأخرون قد اخترعوا كل نقاط الخلاف . يعتقد ر . بعلبكي أن موقف الفراء من التقريب يشبه إلى حد بعيد تفسير سيبويه؛ فعدم وجود التساند بين «منطلقا» في المثال أ وبين «زيد» أدى إلى نصبه؛ يوازي مفهوم «الخلوة» لدى الفراء، ويؤكد بعلبكي أن الفراء لا يعتبر «هذا» ناقصة؛ أي تحتاج إلى اسم وخبر . [١٥١] يعتقد بعلبكي أن سوء الفهم الذي تسبب للنحاة المتأخرين ناتج عن عدم تدقيقهم في فهم قطعة مشكلة في معاني القرآن للفراء . [١٥٢] ويعزو هذا الباحث سوء الفهم إلى عدم التدقيق في التفريق بين كان واسمها وبين الاسم الذي يليها، وهو أن «كان» تعمل في اسمها وليس العكس، بينما في مبنى التقريب، هنالك علاقة تبادلية في ترافع هذا مع الأسد (في المثال : فهذا الأسد مخوفا) ؛ [١٥٣] مما يؤكد -في رأي بعلبكي- أن الفراء لم يضع «هذا» في قائمة أخوات «كان» . ذلك يقودنا إلى مغالطة أخرى، وقع فيها ابن عصفور، وهي أن الكوفيين أخطئوا في قولهم بعدم وجود محل من الإعراب لاسم الإشارة «هذا» ، [١٥٤] و لتدعيم هذا الرأي يورد مثالين يشبهان تركيب كان وأخواتها، وبالرغم من ذلك، لا يجوز لنا أن ندرجهما في قائمة كان وأخواتها، لأن الهدف -كما يطلق عليه الزجاجي «تقريبه على المتعلم» . [١٥٥]

لكن غابت عن هذا الباحث قطعة مهمة في معاني القرآن للفراء تثبت عكس ما وصل إليه، ونستطيع أن نجزم من خلالها أن هنالك فرقا جذريا بين نظرتي سيبويه والفراء في التقريب؛ فأثناء حديث الفراء عن تركيب آخر للتقريب وهو : ها أنتم أولاء؛ يقول : » والتقريب [أي هذا أو هؤلاء]لا بد له من فعل [=خبر] لنقصانه» ، [١٥٦] في الحقيقة، يفرق الفراء هنا بين تركيبين : ج- هذا هو و«د»- ها هو ذا قائما ، في المبنى (ج) «هذا» ليست تقريبية، أي لا تحتاج إلى خبر؛ «إذا كان على خبر يكتفي كل واحد بصاحبه بلا فعل» ، [١٥٧] ولكننا نلاحظ أن

---

١٥٠ - Baalbaki, 16-17 (١٩٨٣)

١٥١ - baalbaki(1983)، ١٤, ١٥، n.4

١٥٢ كينبرغ، ٦٥٢ ، «فلم يجدوا بدا من أن يرفعوا هذا ب «الأسد وخبره منتظر . فلما شغل الأسد بمرافعة «هذا» نصب فعله الذي كان يرافعه لخلوته .

١٥٣ - Baalbakl (1983)، p. 16

١٥٤ - Baalbaki(1983)، p. 16

١٥٥ - Baalbaki (1983)، p. 17

١٥٦ المصدر السابق

١٥٧ المصدر السابق

Digitized by Birzeit University Library

«هذا» في التركيب (د) تشبه «كان» لأنها ناقصة لا بد لها من خبر متمم لمعنى الجملة .

يخالف الفراء سيبويه هنا في عدة أمور :

١- في العامل الذي سبب الرفع للمبتدأ والخبر ؛ إذ يرى الفراء أنهما يترافعان .

٢- صرح الفراء مباشرة أن «هذا» ناقصة ، ولم يقل : ناقصة في المعنى .

٣- أطلق الفراء لفظ التقريب على الجمل التي تبدأ بأحد أسماء الإشارة فقط ؛ فالجملة : هو زيد معروفا ؛ لا تدخل في مبنى التقريب لدى الفراء ؛ فهي قطع (=حال مؤكدة) ، بينما يدخل سيبويه هذا الجملة في المجموعة نفسها ، التي تضم أسماء الإشارة ، مثل :

هذا عبد الله منطلقا ؛ وقد بين سيبويه أن «معروفا» و«منطلقا» نصبا لأنهما حال ، [١٥٨] مع أنه يفرق بين التركيبين ؛ في أن الجملة الأولى للتوضيح والتأكيد بأن زيدا معروف وكأن المخاطب يجهل زيدا ؛ أما في الجملة الثانية فإن عبد الله معروف للسامع ؛ لذلك يهدف المتكلم إلى تنبيه المخاطب بانطلاق عبد الله لا به شخصيا ؛ إذا ، يختلف الهدف(الغرض) - عند سيبويه- الذي يرمي إليه المتكلم من وراء كل منهما . [١٥٩]

بالرغم من التشابه بين سيبويه والفراء في مسألتي الإسناد والخلوة- كما أسلفنا- ، وتسمية الاسم المنصوب خبرا لدى كل منهما ؛ وبالتأكيد فإن العلاقة بين كان واسمها ليست علاقة تبادلية في ترافعهما ؛ ف «كان» رفعت اسمها وليس العكس - [١٦٠] كما يترافع المبتدأ والخبر في الجملة الاسمية- ؛ إلا أن الفرق ما زال قائما بينهما ، في اعتقاد الفراء أن الاسم المنصوب في تركيب التقريب لا بد منه وأساسي في تكوين الجملة وتمام معناها ، فلا يمكن الاستغناء عنه ، كما نستغني عن الحال في مثل هذا التركيب ، ولكن ، بالتأكيد سيختلف معنى الجملة .

في الحقيقة ، ليس باستطاعتنا أن نثبت عكس ذلك ، إلا إذا فسرنا قول الفراء «والتقريب لا بد فيه من فعل لنقصانه» ، بأنه ناقص في المعنى فقط ، ويشبه كان وأخواتها من هذا الوجه في عدم استغنائها عن خبر ، الأمر الذي يجعل «هذا» من أخوات كان ؛ وربما يسير في تأكيد هذا الاتجاه رأي الفراء في مفعولي ظن وأخواتها من أفعال القلوب ؛ حيث اعتبرها ناقصة ، والمقصود عدم استغنائها عن المفعول الثاني ، الذي يشبه خبر كان في عدم الاستغناء عنه في الجملة ؛ وهذا الأمر لا يجعل ظن وأخواتها ناقصة لأنها تامة لها فاعل ، [١٦١] وقد سمى الفراء المفعول الثاني خبرا والمفعول الأول اسما ، ولكون هذه الأفعال تدخل على الجملة الاسمية ، لا يجوز حذف المفعول الثاني (الخبر في الأصل) ، لذلك فمن المؤكد أن الفراء عندما يسمي المفعول الثاني خبرا ، لا يقصد أن يقوم الاسم بوظيفتين في الوقت نفسه ، أي مفعول به منصوب وخبر منصوب .

---

١٥٨ الكتاب(هارون) ، ٢ , ٧٩ , ١

١٥٩ المرجع السابق ، ٢ , ٧٨ ,١٦ - ٢ , ٧٩ , ٧ ، وانظر أيضا تعليق السيرافي في الهامش : ملاحظة : ١

١٦٠ - Baalbaki(1983) ، 16

١٦١ كينبرغ ، ٤٥٢ ، انظر : معاني القرآن للفراء ، ٢ , ٨٣ , ٧ « وكان وليس وأظن بنين على النقص» ، وانظر : أيضا المصدر السابق نفسه ٢ , ١٠٦ , ٦ ، »و قد تقوله العرب في ظننت وأخواتها من رأيت وعلمت وحسبت فيقولون : أظنني قائما وو جدتني صالحا ، لنقصانهما وحاجتهما إلى خبر سوى الاسم».

Digitized by Birzeit University Library

إذا قارنا هذا الموقف للفراء مع موقف سيبويه من خبر كان، حيث اعتبره سيبويه مفعولا به، يظهر لنا جليا أن سيبويه لا يقصد أن خبر كان مفعولا به في الجملة الفعلية، وخبرا، في الوقت نفسه، في الجملة الاسمية. [١٦٢] التشابه بين كان وأفعال القلوب يظهر من عدة نواح: منها أن أفعال القلوب لا تنقل العمل من المبتدأ إلى مفعول به معين كما يعمل الفعل «ضرب»، كما أن العلاقة بين مفعولي ظن كالعلاقة بين المبتدأ والخبر في الجملة الاسمية، وأخيرا، يعتبر المفعول الثاني لظن وأخواتها أساسيا في بناء الجملة كمفعول(=خبر) كان الناقصة. [١٦٣] من خلال ما سبق، نرى أن سيبويه والفراء متفقان في تسمية المفعول الثاني لظن و(والحال أحيانا) خبرا؛ خاصة في الجمل التي لها علاقة بالمبتدأ والخبر في الجملة الاسمية.

و لكن من الجدير ذكره هنا أن سيبويه لم يذكر خبر كان إلا مرة واحدة، ويقصد بخبر كان: خبر اسم كان، [١٦٤] أما الفراء فذكر فعل(=خبر) كان في أكثر من موضع، ونجده يستعمل: «الفعل[=الخبر] الذي يُنصب بكان». [١٦٥]

في نهاية الأمر، لو افترضنا أن الفراء لم يضف «هذا» إلى قائمة أخوات كان، لا نستطيع أن ننكر أنه خصص لاسم الإشارة مصطلحا محدد الاستعمال «التقريب»، واستعمله في حالات محددة فقط -وهو عدم الاستغناء عن الجزء المنصوب الذي هو في الأصل خبر المبتدأ الجملة الاسمية-والدليل على ذلك أن الفراء لم يستعمل الحال في جميع الحالات التي اعتبر فيها اسم الإشارة هذا/ هؤلاء تقريبا؛ [١٦٦] بالإضافة إلى ذلك، أوضح الفراء صراحة أن هذا / هؤلاء تأتي بمعنى التقريب تارة، وبمعنى الاسم الصحيح تارة أخرى، ويعني الفراء بالاسم الصحيح: اسم الإشارة المعتاد الذي يعرب مبتدأ ويبنى عليه خبر فلا يحتاج إلى خبر يتمم معناه. [١٦٧]

---

١٦٢ - Levin (1979)، p. 193

١٦٣ - Levin (1979)، p. 207

١٦٤ - Levin (1979)، p. 203-204

١٦٥ كينبرغ، ٦٠٦, ٦٠٧

١٦٦ طلمون (١٩٨٦)، ١٥٢- ١٥٣

١٦٧ كينبرغ، ٣٥٧؛ نص الفراء ١, ٢٣٢, ٨: «فإذا كان الكلام على غير تقريب، أو كان مع اسم ظاهر جعلوا «ها» موصولة بـ«ذا» فيقولون: هذا هو، وهذان هما، إذا كان على خبر يكتفي كل واحد بصاحبه بلا فعل[=خبر]، والتقريب لا بد فيه من فعل[=خبرٍ] لنقصانه، وأحبوا أن يفرقوا بذلك بين معنى التقريب وبين معنى الاسم الصحيح».

Digitized by Birzeit University Library

موقف الطبري من التقريب

لعل النصوص التي يستعمل فيها الطبري مصطلح التقريب تلقي مزيدا من الضوء في توضيح الإجابة عن سؤال مستعص : هل استعمال الفراء «هذا» التقريبية ضمن مفهوم كان وأخواتها؟

نستطيع الجزم بأن موقف الطبري واضح تماما في هذه المسألة؛ فهو يعامل «هذا» التقريبية معاملة كان وأخواتها؛ ف «هذا» تحتاج إلى خبر مثل كان، كما أنه يعتبر هذا التقريبية العامل(السبب) في نصب الخبر(=الحال عند البصريين)؛ ففي الآية : «**ها أنتم أولاء تحبونهم**»[٣(آل عمران) : ١١٩]، يعتبر الطبري الجملة الفعلية «تحبونهم» «خبرا للتقريب»؛ [١٦٨] أي أنها في محل نصب خبر لاسم الإشارة «هؤلاء»، يكرر الطبري هذا الأمر بصورة أخرى؛ ففي الجملة : هذا زيد إياه بعينه ينقل الطبري عن أحد النحاة الكوفيين -دون تحديد اسمه-أن «إياه بعينه» «خبر لـ «هذا». [١٦٩]

في الحقيقة، اتبع الطبري الفراء في التفريق بين «هذا» التقريبية وبين «هذا» بمعنى الاسم الصحيح، أي عندما تصبح «هذا» اسما كغيره من الأسماء، له محل من الإعراب، فنحو : هذا هو نعرب «هذا» مبتدأ و«هو» خبرا وبذلك تكون الجملة تامة؛ أما في الجملة : هذا عمرو منطلقا ، ففي رأي الطبري «منطلقا» هو خبر «هذا» وليس «عمرو» لأن «عمرو» متمم للمعنى؛ يقول الطبري «كذلك تفعل في «هذا» إذا أردت به التقريب ومذهب النقصان الذي يحتاج إلى تمام الخبر»، [١٧٠] من الواضح أن نص الطبري إعادة صياغة لنص الفراء المذكور أعلاه، ومحاولة لتفسير النص بمزيد من التفصيل؛ ألا وهو تفسير «النقصان» وهو أن «هذا» -مثل كان - تحتاج إلى اسم منصوب خبرا لها، هذا الخبر لا يمكن الاستغناء عنه في الجملة التي تبدأ ب»هذا» التقريبية .

من الجدير ذكره أن الطبري لم يسم الاسم المنصوب في مثل هذه الجملة حالا كما فعل نحاة البصرة، بل هو يشبه خبر كان الناقصة؛ لذلك ربما لا نبالغ إذا قلنا بأن الطبري يعتبر «هذا» ناقصة حقيقة وليس على سبيل المجاز . والدليل الآخر الذي يورده الطبري، نجد فيه أن الطبري-أو النحوي الكوفي الذي ينقل عنه-يقارن بين «هذا» وبين كان الناقصة؛ فقد أورد سماعا عن العرب (=البدو الفصحاء) قولهم : هذا زيد إياه بعينه؛ ونجد بعد هذا النص مباشرة « مثل قولك : كان عبد الله إياه بعينه» . [١٧١]

من الجدير ملاحظته، أن عدد النماذج التي أوردها الطبري كأمثلة على التقريب محدودة جدا، لا يتجاوز سبعة نماذج أغلبها تعليمية ، [١٧٢] لم تتداولها ألسنة العرب (البدو) الفصحاء؛ ولم يستعمل مصطلح التقريب أكثر من تسع مرات في تفسيره؛ [١٧٣] ربما يشير ذلك إلى عدم شيوع استعمال هذا الأسلوب عند العرب (البدو) قديما؛ وربما نعزو ذلك إلى الشروط المشددة التي وضعها الطبري - أو من سبقه من النحاة__ لضم العديد من

---

١٦٨ التفسير(شاكر)، ٧, ١٥٠, ٩

١٦٩ المصدر السابق(شاكر)، ١٥, ٤١٦, ٣-٤

١٧٠ المصدر السابق(شاكر)، ٧, ١٤٩, ١٣-١٤

١٧١ المصدر السابق(شاكر)، ١٥, ٤١٦, ٣-٤

١٧٢ مثل : ها أنت ذا قائما (التفسير، ٢٦, ٦٥)، و هذا عمرو قائما (التفسير(شاكر)، ٧, ١٥٠, ٦

١٧٣ التفسير(شاكر)، ٧, ١٤٩- ١٥٠ , و١٥, ٤١٦, ٥ ، والمرجع السابق، ٢٦, ٦٥

Digitized by Birzeit University Library

الأمثلة إلى أسلوب التقريب أو استبعادها منه؛ هنالك العديد من الآيات التي يحسبها المرء مطابقة للشروط، ولكن نجد أن الطبري استبعدها من هذا الأسلوب؛ نحو: «**ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم**»[٤(النساء): ١٠٩]، فاعتبر الطبري هؤلاء بمعنى «الذين» أي: اسم موصول، [١٧٤] واستبعد أيضا الآية المشهورة في هذا الباب: «هؤلاء بناتي هن أطهر لكم» [١١(هود): ٧٨]، وقد ناقش الطبري أقوال اثنين من نحاة الكوفة، أحدهما يعتبر «أطهر» حالا «نكرة خارجة من معرفة»، [١٧٥] وثانيهما يعتبرها تقريبا في الوقت نفسه؛ مما يؤكد أن الفراء أو الطبري هنا عندما يستعمل التقريب، فليس ذلك عبثا، كما أن امتناعهما عن استعمال الحال ليس من باب المصادفة؛ مما يؤكد الشبه مع كان وأخواتها؛ في نهاية الأمر يرفض الطبري أن يضع هذه الآية ضمن باب التقريب.

من أهم الصفات التي يشترطها الطبري في التقريب: أن أسلوب التقريب «جواب وتكملة لكلام سابق» أو «رد كلام» أو «جواب كلام» أو «فيجيب»، [١٧٦] كما أن الاسم الذي يلي اسم الإشارة «هذا» يجب أن يكون «معهودا»؛ أي: معروفا لدى المخاطب؛ ويقصد الطبري بـ«جواب»، أي أنه يسبق الجملة سؤال أو شرط، فتأتي جملة التقريب جوابا عن القسم الأول من التركيب، نلاحظ أن الطبري يصب اهتمامه بهذه النقطة لأهميتها القصوى في تمييز تركيب التقريب عن غيره من التراكيب، لأن تركيب التقريب يأتي مكملا ومتمما ومجيبا عن جزء سابق من الكلام، ربما لم يكن موجودا في بعض الجمل التي تستعمل لأغراض توضيحية وتعليمية. [١٧٧] كما أن الطبري يوضح لنا في تعليله استبعاده الآية: «هؤلاء بناتي» المذكورة آنفا من أسلوب التقريب؛ يعتمد على حقيقة أن التقريب يخبر عن معروف لدينا؛ أي أن «هذا» التقريبية لها وظيفة خاصة في تقريب حدوث الخبر، ولكن في هذه الآية فإن «أطهر» خبر لمبتدأ مضمر «هن» أي معروف لدى المخاطب؛ إذا لا حاجة له في مبنى التقريب؛ لأن المخاطب في مبنى التقريب على علم مسبق بالاسم الذي يلي «هذا»؛ فالهدف هو تنبيه المخاطب لقرب وقوع الخبر.

من المحتمل أن ما أورده الطبري من اشتراط معنى الجواب أو رد الكلام، يوضح لنا بشكل أدق النموذج الذي أورده الفراء:

ما كان من السباع غير مخوف، فهذا الأسد مخوفا [١٧٨]؛ ربما تتجلى هنا خصوصية المصطلح الذي استعمله الفراء، ألا وهو التقريب؛ وهو أن تقع الجملة المبتدئة بـ«هذا» التقريبية جوابا أو ردا عن/ على جزء سابق من الحديث بين المتكلم والسامع/ المخاطب؛ في هذه الحالات فقط تشبه هذا التقريبية تركيب كان وأخواتها؛ لذلك من المرجح أن مصطلح التقريب لم يات من قبيل تعميم المصطلح وإيجاد خلافات مفتعلة بين البصريين والكوفيين.

---

١٧٤ المصدر السابق(شاكر)، ٩, ١٩٣, ٧

١٧٥ المصدر السابق(شاكر)، ١٥, ٤١٦, ١

١٧٦ المصدر السابق (شاكر)٧, ١٥٠, ١, ١٥, ٤١٦, ٥، التفسير ٢٦, ٦٥

١٧٧ انظر: مادة: جواب في كينبرغ، ١٣٧-١٤٠

١٧٨ كينبرغ، ٦٥٢

Digitized by Birzeit University Library

٥:٢ النصب على الخروج

هو مجيء اسم منصوب بعد تمام الكلام، حيث يخرج هذا الاسم (=يخالف) عما قبله في الحركة وفي التنكير والتعريف، نحو كلمة «مباركا» في الآية: « **إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا**»[٣ (آل عمران): ٩٦] فجاءت «مباركا» منصوبة على الخروج من الضمير المستتر في «وضع»؛ أي أن الضمير معرفة بينما «مباركا» نكرة لا يجوز أن يتبعه في الإعراب؛ لذلك خرج الثاني عن حكم الأول في الإعراب فجاء منصوبا، مخالفا لما قبله، [١٧٩] مما يذكرنا بالنصب على القطع أو الحال.

نقل الطبري مصطلح النصب على الخروج عن نحاة الكوفة كالفراء، [١٨٠] لكن الفراء لم يكن أول من استعمل هذا المصطلح؛ فقد استعمله أستاذه الكسائي كما ذكر الزجاج في معانيه. [١٨١] كما أن الكسائي اشترط في المنصوب على الخروج أن يأتي بعد اكتمال الكلام/ الجملة.

ونرى أن سيبويه في الآية: « **انتهوا خيرا لكم**»[٤ (النساء): ١٧١] يستعمل مصطلح الخروج ولكن هذا التشابه من ناحية المعنى فقط، وليس من الناحية النحوية. بشكل يوحي أن كتابه ربما كان الأصل الذي اعتمد عليه الفراء وغيره من الكوفيين في اشتقاق مصطلحاتهم؛ وربما وجد هذا المصطلح قبل سيبويه؛ لأنه يستند إلى أستاذه الخليل في تفسير المصطلح؛ يفسر سيبويه نصب «خيرا» في الآية المذكوره أعلاه بقوله: «لأنك حين قلت: «انته» فأنت تريد أن تخرجه من أمر وتدخله في آخر». [١٨٢]

بالإضافة إلى سيبويه نجد أن تلميذه الأخفش الأوسط يستعمل المصطلح [١٨٣]؛ الأمر الذي يشير إلى شيوع استعمال مصطلح النصب على الخروج لدى النحاة في فترة مبكرة من تاريخ النحو العربي.

مصطلح النصب على الخروج لدى الطبري واسع؛ لأنه يشتمل على عدة أبواب في النحو؛ فعندما يورد الطبري في تفسيره الخروج يقصد من وراء ذلك المعاني التالية:

---

١٧٩ الطبري(شاكر)، ٧, ٢٥, ١٦-١٨

١٨٠ كينبرغ، ٢٠٨- ٢١٣, ٨٠٩

١٨١ معاني القرآن وإعرابه، ٢, ١٣٤, ١٠-١٢

١٨٢ المصدر السابق، ١, ٢٨٣, ٢-٣

١٨٣ معاني القرآن، ١, ٢٤٩, ٥

Digitized by Birzeit University Library

١:٥:٢ الحال

وهو أشهر معنى للخروج لدى الطبري؛ لأن الحال في الغالب يأتي نكرة يتقدمه صاحب الحال حيث يكون معرفة؛ لذلك لا يصح أن يكون الحال صفة لما قبله «فيخرج» من الاسم الذي قبله لاختلافهما في التعريف والتنكير والإعراب؛ أي مخالفة الثاني للأول في الحكم، بكلمات أخر: يأتي الثاني منصوبا بعد أن تمت الجملة. بالإضافة إلى الآية المذكورة في بداية الحديث عن «الخروج»، هنالك العديد من المواقع التي يبين فيها الطبري معنى النصب على الخروج؛ ففي الآية: «**بل أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله**»[٣(آل عمران): ١٧٠] تنصب كلمة «فرحين» على الخروج من الهاء في الكلمة التي سبقتها «ربهم». [١٨٤]

٢:٥:٢ النصب على المصدر أو ما عرف في فترة متأخرة بالمفعول المطلق:

مما يؤكد هذا الرأي ما قاله الطبري في الآية: «**وإن كان رجل يورث كلالة**»[٤(النساء): ١٢]؛ فقد أكد أن «كلالة» منصوبة بالخروج من «يورث»: »فلست منصوبة على الحال؛ ولكن على المصدر من معنى الكلام؛ لأن معنى الكلام: وإن كان رجل يورث متكلله النسب كلالة. . . «أي أن «كلالة» [١٨٥]منصوب لأنه مفعول مطلق.

كما أن الطبري يستند في الآية: «**فآمنوا خيرا لكم**»[٤(النساء): ١٧٠] إلى الكسائي في إعراب «خيرا» على أنها منصوبة على الخروج أي المفعول المطلق [١٨٦]؛ نوضح ذلك من خلال الفراء الذي يقول: «خيرا» منصوب باتصاله بالأمر؛ لأنه من صفة الأمر» أي أن «خيرا» منصوب لأنه في الأصل صفة للمصدر المحذوف من الفعل «آمنوا» فالتقدير: آمنوا إيمانا خيرا لكم [١٨٧]. أما سيبويه والخليل بن أحمد فيعربان «خيرا» مفعولا به لفعل مضمر تقديره: إئت خيرا لك [١٨٨].

---

١٨٤ الطبري(شاكر)،٧, ٣٩٥, ١٠-١٢؛ ٥, ٢٥٤, ٢-٤؛ ٨, ٧٦, ٥ ،التفسير(١٩٥٤)، ٧٥ القيامة ٣

١٨٥ الطبري(شاكر)، ٨, ٥٨, ١٠- ١٣؛ ٩, ٤١٣, ٦-١٢

١٨٦ الزجاج، معاني القراء، ٢, ١٣٤

١٨٧ معاني القرآن، ١, ٢٩٥, ١١- ٢٩٦, ٤

١٨٨ الكتاب(هارون)، ٢٨٢, ١٠ - ٢٨٤, ١

Digitized by Birzeit University Library

٣:٥:٢ التمييز

يعرب الطبري كلمة «ذهبا» على أنها منصوبة على الخروج من المقدار الذي قبله والتفسير منه ألا وهو «ملء الأرض» في الآية : « **فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا**»[٣(آل عمران) : ٩٢]، وقد ذكر الطبري مثالين آخرين :

عندي قدر رطل عسلا وعندي قدر زق سمنا فـ «عسلا»و «سمنا» منصوبان على الخروج أي على التمييز . [١٨٩] نلاحظ هنا أن الكلمات المنصوبة الثلاث نكرات منصوبة لأنها جاءت تبين وتوضح إبهام ما سبقها من المقادير ؛ كما أن «درهما» توضح إبهام «عشرون» في المثال : عشرون درهما ؛ يستند الطبري في هذا الرأي إلى أقوال الفراء الذي أوضح ذلك بشيء من التفصيل في معانيه . [١٩٠]

من خلال ما سبق نلاحظ التشابه بين عدة مصطلحات : الخلاف والصرف والخروج ؛ مع أن الطبري لم يستعمل مصطلح الخلاف ؛ كما أن الخروج لدى الطبري يتعلق فقط بالأسماء وليس الأفعال ؛ أما الصرف فهو للأفعال والأسماء . [١٩١]

٦:٢ مصطلح المفسر / تفسير / النصب على التفسير عند الطبري

للمصطلح تفسير / مفسر عند الطبري عدة معان :

١- « على التفسير للفعل»، أو «المفسر»، بمعنى النصب على المفعول لأجله .

٢- « النصب على التفسير»، أي النصب على التمييز .

٣- عندما تأتي كلمة «تفسير» بعد كلمة «رد» نحو : رد وتفسير، أو ترجمة وتفسير ؛ فإن الطبري يقصد بذلك البدل . وربما أتى بها الطبري دون اقترانها بكلمة أخرى .

٤- بيان وتفسير، المقصود هنا الجملة الفعلية بعد الاسم المعرفة ؛ إذ لا تحتاج المعرفة إلى جملة الصفة كالنكرة، وإعراب هذه الجملة هو النصب على الحال . [١٩٢]

١ . لم يستعمل الطبري مصطلح المفعول لأجله ؛ وإنما «النصب على التفسير للفعل»، [١٩٣]ويحتمل أن الطبري أخذ هذا المصطلح عن الفراء ؛ للتشابه الكبير بين النصين ؛ [١٩٤]لكن سيبويه استعمل التفسير ليشرح المفعول له، وليس كبديل عنه، يقول ابن السراج : «لأنه عنده تفسير لما قبله وليس منه» . [١٩٥]

---

١٨٩ الطبري(شاكر)، ٦ , ٥٨٦ , ٢-٥

١٩٠ معاني القرآن، ١ , ٢٢٥ , ١٤- ٢٢٦ , ٩

١٩١ القوزي، المصطلح النحوي، ١٨٨-١٨٩، الأنصاري، الفراء، ٤٥٤

١٩٢ الطبري(شاكر)، ٦ , ٤٧١ , ١٣

١٩٢ الطبري(شاكر)، ١ , ٣٥٤ , ١٦- ١٨

١٩٤ كينبرغ، ٥٥٥ , ٥٥٨، الفراء، ١ , ١٧ , ١٢- ١٣

١٩٥الأصول لابن السراج، ١ , ٢٠٩ , ١٠ ، وانظر: الكتاب(هارون)، ١ , ٣٦٧ , ٦

Digitized by Birzeit University Library

هكذا أعرب الطبري «حذر الموت» في الآية «**يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت**» [٢ (البقرة): ١٩]. لكن في نص آخر، نجد الطبري يخرج عن نص الفراء، وكأنه يحاول تفسيره؛ ففي الآية: «**حسدا من عند أنفسهم**»[٢ (البقرة): ١٠٩]، أعرب الفراء «حسدا» على التفسير «لم ينصب على أنه نعت»[١٩٦]، يفسر الطبري ذلك بصورة مفصلة تعليمية: «على وجه المصدر الذي يأتي خارجا من معنى الكلام الذي يخالف لفظه لفظ المصدر». [١٩٧] يهدف الطبري من وراء هذا الشرح ليبين لنا أن الكلمة نصبت لأنها مفعول لأجله وليس مفعولا مطلقا.

سيبويه استعمل مصطلح التفسير بدلا من المفعول لأجله، «لأنه تفسير للفعل لم كان» [١٩٨]، وهذا من باب شرح المصطلح وليس تسميته. لا بد هنا أن ننوه بأن مصطلح المفعول لأجله متأخر، أما المصطلح الأقدم فهو المفعول له [١٩٩].

أشار ابن الأنباري إلى أن الكوفيين لم يفردوا للمفعول لأجله بابا منفصلا، وألحقوه بباب المفعول المطلق[٢٠٠]؛ أي أنه لا ينصب على نزع «الخافض» عند الكوفيين، واعتبر الفراء تقدير حرف الجر قبل المفعول لأجله «مما قد يستدل به المبتدئ للتعليم». [٢٠١]

استعمل الطبري خمسة أمثلة للمفعول لأجله، ثلاث آيات قرآنية، وجملتين نحويتين تعليميتين؛ مما يدل على عدم شيوع استعماله عند العرب قديما.

٢:٦:٢ التفسير بمعنى التمييز

٢. استعمل سيبويه مصطلح «التفسير» بمعنى التمييز، وأسماه تفسير العدد، أو التفسير، أو يفسر. [٢٠٢] كما نجد الفراء يستعمل مصطلح «تفسير»، و «مفسر»، دون أن يستعمل «التمييز». [٢٠٣] للتمييز عدة أسماء: البيان، والتبيين، والتفسير؛ لأن «التمييز مبين لما قبله كالنعت». [٢٠٤] في الحقيقة، لم يقتصر استعمال «التفسير» بمعنى التمييز على الكوفيين، فإننا نجد هذا المصطلح مستعملاً لدى ابن السراج. [٢٠٥]

---

١٩٦ الفراء، ١، ٧٣، ٥

١٩٧ الطبري، ١، ٤٨٨

١٩٨ الكتاب(هارون)، ١، ٣٦٧، ٦

١٩٩المصدر السابق ١، ٣٦٩، ٦؛ «فهذا كلّه ينتصب لأنّه مفعول له»

٢٠٠ أسرار العربية(ليدن)، ٧٧

٢٠١ معاني القرآن، ١، ١٧، ١٣، انظر: همع الهوامع(مكرم)، ٣، ١٣٣

٢٠٢ الكتاب(هارون)، ٢، ١٦٨، ١٠، ٢، ١٦٩، ١-٣، ٢، ١٧٣، ٩، ٣، ٥٦٢، ١٢-١٣، انظر:

Troupeau، 161؛ مصطلح التفسير في سيبويه؛ انظر: الكتاب (درنبورغ) ١، ٢٥٢. ٤، ٢١؛ ٢٥٥. ١٠

٢٠٣ كينبرغ، ٥٥٧ - ٥٦٣

٢٠٤ العكبري، اللباب، ٢٩٦، وانظر: ابن عصفور، شرح الجمل(١٩٩٨)، ٢، ٤٢٧

٢٠٥ الأصول، ١، ٥٤.

Digitized by Birzeit University Library

أما الطبري فيسمي التمييز تفسيرا، و ومبينا به [٢٠٦]، فنراه يستخدم: نصب/ منصوب على التفسير، نصبا بمعنى التفسير، وهو مفسر، على التفسير، تفسيرا لما قبلها من الكلام، و العرب لا تفسر. . .، و نصب . . . على الخروج من المقدار الذي قبله والتفسير منه. [٢٠٧]، وبما أن سيبويه يستعمل مصطلح التفسير في «الكتاب»، فإننا لا نستطيع الإدعاء بأنه - أي التفسير - مصطلح كوفي.

ليس هنالك فرق جوهري ومهم بين التمييز (المصطلح البصري)، والتفسير (المصطلح الكوفي) فيما يتعلق بالقواعد النحوية لباب التمييز، ولكن يلاحظ أن التفسير أوسع من التمييز؛ إذ يضم الأول المفعول لأجله والبدل وجملة الصفة؛ بينما لا يشمل الثاني هذه الأبواب. هذا من ناحية، وأما من الناحية الأخرى، فكأن الفراء ومن تبعه من الكوفيين يحاولون شرح معنى التمييز؛ ليصبح أكثر شمولا. من الجدير ملاحظته، أن الفرّاء عندما يستعمل المصطلح تفسير، فإنه يشمل عدة مصطلحات مختلفة ومستقلة، يفيد كل منها معنى مغايراً ويشكل كل منها ظاهرةً مستقلةً بنفسها. إذا ليس بالضرورة أن يؤدي اختلاف التسميات في المصطلحات إلى فهم آخر للنحو؛ مما يؤكد ذلك تأييد الكوفيين لسيبويه في عدم إجازته تقديم التمييز (=تمييز النسبة) على الفعل (العامل) المتصرف؛ بينما أجاز ذلك المازني والمبرد. [٢٠٨]

يدعم الطبري رأي الكوفيين في سبب نصب تمييز المقادير نحو:

ملء الأرض ذهبا وعندي قدر زق سمنا، وهو أن «ذهبا» تبيين وتفسير لـ«ملء» أي: يزيل الإبهام عن المقدار ويوضحه في كلمات تدل على المقادير نحو: ملء وقدر زق وقدر راحة ورطل وغيرها، وهو ما يسمى بتمييز الذات، بعبارة أخرى: نصب التمييز في هذه الجمل «عن تمام الاسم» وليس الجملة؛ أي أزيل الابهام عن كلمة واحدة وتم نفي الاحتمالات التي يفترضها السامع، ويفسر النحاة النصب عن تمام الاسم بأنها تشبه نصب اسم الفاعل لما بعده عندما يكون منونا؛ فلا يمكن إضافته لما بعده؛ لأن الإضافة والتنوين لا يجتمعان في كلمة واحدة؛ نحو:

أنا ضارب زيدا، فلا يجوز في زيد إلا النصب، وهذا يشبه نصب «زيدا» في المثال السابق [٢٠٩]، والذي سد مسد التنوين في «ملء الأرض» هو المضاف إليه [٢١٠]، ويشبه نصب «درهما» في: عندي عشرون درهما فلا نستطيع حذف النون؛ لأنها تسد مسد التنوين والمضاف إليه وعشر في أحد عشر وأشباهها. [٢١١]

يعارض الطبري رأي البصريين في أن «ذهبا» نصبت كنصب الحال؛ أي: أن التمييز فضلة جاء بعد تمام الجملة واشتغال الفعل بالفاعل، أو اشتغال «ملء» بالإضافة كما في المثال السابق؛ ورفض الطبري رأي جماعة أخرى من البصريين في نصب التمييز بما يشبه نصب المفعول به، بعد اشتغال الفعل بالفاعل. [٢١٢]

---

٢٠٦ الطبري(شاكر)، ٦, ٥٨٦, ١-٤

٢٠٧ الطبري، ٣, ٢١٧, ٢١, ٩٤-٩٥, ٢٤, ٤٤, ١٥, ١٩٣, ٢٦, ٩٣, ٦ (شاكر)، ٥٨٦, ١٥, ٢٣٢

٢٠٨ الأصول لابن السراج، ١, ٢٢٣, ١١-١٢؛ انظر الهامش ملاحظة المحقق: ٥-٦

٢٠٩ الجرجاني، المقتصد، ٢, ٧٢٢- ٧٢٣

٢١٠ الكتاب(هارون)، ٢, ١٧٢, ٧-٨

٢١١ المقتصد، ٢, ٧٣١

٢١٢ الطبري(شاكر)، ٦, ٥٨٦, ١-١١

Digitized by Birzeit University Library

يشبه الطبري نصب تمييز النسبة بنصب «درهما» في : عندي عشرون درهما [٢١٣] وهذا يشبه رأي سيبويه، أي أن كلمة «صدقا» نصبت في الآية : «**و تمت كلمة ربك صدقا وعدلا**» [٦ (الأنعام) : ١١٥] بعد تمام الجملة؛ فاكتمل المعنى بأخذ الفعل للفاعل : تمت كلمة ربك، ثم جاءت «صدقا» فضلة لتوضيح الغموض في الجملة، النصب هنا يشبه نصب «درهما»؛ لأن الجملة اكتملت بـ«عشرون»، ولا يصح أن تكون «درهما» صفة أو خبرا، كما وأنه لا يجوز لنا أن نقول : عشرو درهم [٢١٤] بإضافة درهم إلى عشرو، النون في «عشرون» تشبه عمل اسم الفاعل في : الضارب زيدا [٢١٥] أو أنا ضارب زيدا (بالتنوين على الباء) [٢١٦] .

٣:٦:٢ مصطلح الترجمة والبدل عند الطبري

لم يخصص الطبري مصطلحا واحدا للبدل؛ فاستعمل : الترجمة/ بيان وترجمة/ على الترجمة والبيان عن/ رد وتفسير له / رد وترجمة/ ترجمة عنه وبيان مردود على إعرابه / على الترجمة والتفسير عن / التفسير كما أنه استعمل مصطلح التكرير [٢١٧] و مكرر على؛ ليعني بهما البدل .

يستخدم الطبري ترجمة / المترجم لتدل على أكثر من مجال:

١. **يلاحظ أيضا أن الطبري لم يتورع عن استعمال مصطلحات البصريين:** البدل/ البدل من اللفظ بالفعل / الإبدال؛ في الحالات التي استعمل فيها الطبري المصطلحات البصرية؛ فإنه كثيرا ما يقتبس حرفيا[وليس دائما] عن نحاة البصرة . [٢١٨]

ربما يشير تعدد المترادفات التي تدل على مصطلح البدل، يدل على أنها ليست مصطلحات ثابتة ومتفقا عليها لدى النحاة؛ وهي أقرب إلى المعنى اللغوي منها إلى وظيفتها النحوية؛ لذلك نجد الطبري يستعمل المصطلح الواحد في أكثر من موقع؛ كما شاهدنا في مصطلح التفسير حيث يدل على التمييز والبدل، وأحيانا المعنى اللغوي المباشر وغير ذلك؛ يبدو أن هذه الظاهرة تتكرر لدى نحاة الكوفة في شرح المصطلحات النحوية . إذا نظرنا إلى مصطلح آخر وهو الرد؛ فنجد الطبري يقصد به العطف والبدل والنعت وغير ذلك من المعاني؛ من خلال ذلك نخلص إلى نتيجة توجب علينا التفريق بين شرح المصطلح من ناحية لغوية عامة، والاتفاق الاصطلاحي . [٢١٩]

تعدد التسميات ربما يشير إلى منهج الفراء (وعلى إثره الطبري) في وصف المادة النحوية وتصنيفها، وفقا للمعنى والدلالة؛ مما أدى إلى الاضطراب في وصف المصطلحات وعدم الدقة؛ لأن هذه المصطلحات تنتمي

---

٢١٣ المصدر السابق، ١٢ , ٦٢ , ٧-٨

٢١٤ كينبرغ، ٥٥٩، الفراء، ٢ , ٣٤ , ٣

٢١٥ الكتاب(هارون)، ١ , ٢٠١ , ٤ - ٢٠٣ , ١٤ , ٢ , ١٧٢-١٧٣

٢١٦ المقتصد، ٢ , ٧٢٣

٢١٧ الطبري، ١٩ , ٦٤ , ، ٢٢ , ١٠٤ , ، ١١٤ , ، ٢٤ , ١١٣ , ، ٢٣ , ٣٥ , ، ٣٠ , ١٧ , ، ١ , ٥٤٤ , ، ٣ , ٢١٥ , ، ٢٣ , ٣٤ .
، ١٠ , ١٧٠

٢١٨ الطبري، ١٤ , ١٤٨ , ١٨ , ٢٩ , ٢٣ , ٢١ ، ٢٥ , ٦٩ , ١٤٩ ٢٩ , ٧٥

٢١٩ رفيدة، ١ , ٥٩١ - ٩٢

Digitized by Birzeit University Library

إلى أبواب نحوية كثيرة . [٢٢٠]

٢. الترجمة وهو مصطلح يستعمله الطبري بمعنى التفسير؛ من المحتمل أن يؤكد ذلك ما قلناه آنفا ؛ وهو أن التسميات الأخرى نحو : الرد/ مردود/ و التكرير/ مكرر والبيان وعلى الأرجح التفسير أيضا ، تسميات لغوية عامة لا تختص بنحاة الكوفة أو البصرة ؛ هدفها شرح المصطلح وتوضيحه ؛ و الدليل على ما نقول : أن الطبري يستعمل هذه التسميات في وصف مصطلحات أخرى كما أسلفنا ، هذا من ناحية ، أما من الناحية الأخرى ، فقد استعمل الطبري مصطلح البدل / إبدال/ ؛ ولكنه في أغلب الحالات كان ينقل عن نحاة البصرة نحو : الأخفش الأوسط [٢٢١] ، ولم يقتصر استعمال مصطلح البدل على نحاة البصرة ؛ بل نجد الطبري -في موضعين- يقتبس رأيين لنحاة الكوفة وهما يستعملان مصطلح : البدل/ إبدال ، [٢٢٢] كما أن الطبري يستعمل هذين المصطلحين شخصيا [٢٢٣] ولكن في الحقيقة لا نعرف على وجه التحديد إذا ما كان الطبري يصوغ ذلك بلغته هو ؛ أم أن النحوي الكوفي الذي ينقل عنه استعمل المصطلح الكوفي ؛ لأنه يرد على الأخفش الأوسط في مسألة عدم جواز الإبدال قبل تمام الخبر ؛ وكما سنرى في مسائل الخلاف ؛ فإن النحاة يلجأون إلى استعمال مصطلحات الخصم للرد عليه .

٣. يبقى سؤال مهم: هل يشمل مصطلح الترجمة البدل وعطف البيان عند الطبري ؟

لم يستعمل الطبري مصطلح «عطف البيان» في تفسيره ؛ وقد استعمل كلمة «بيان» عدة مرات ، دون أن تكون مقترنة بـ «ترجمة» ، في إشارته إلى البدل» وإن جعل على هذا التأويل «يوم ينفخ في الصور» بيانا عن اليوم الأول ، كان وجها صحيحا» [٢٢٤] ، لكنه على الأغلب ، يستعمل عبارات نحو : «بيان وترجمة» ، »على الترجمة والبيان عن» ، «ترجمة عنه وبيان مردود على» . [٢٢٥]

يبدو من خلال التفسير ، أن الطبري لم يخصص لعطف البيان مصطلحا منفصلا عن البدل ؛ لأن المواقع التي يصلح فيها عطف البيان ، يصطلح فيها البدل [٢٢٦] ؛ نحو كلمة «زكريا» في الآية : « **ذكر رحمة ربك عبده زكريا**»١٩[مريم] : ٢ ، فـ«زكريا» تصلح لأن تكون عطف بيان ؛ لأنها جامدة وأعرف من «عبده» ، ولا نقدر تكرار العامل كما في البدل ؛ يعربها الطبري بكلمة «بيان» ، وفقاً لابن السراج فإن الفرق بين البدل وعطف

---

٢٢٠ . Versteegh(1993) ، 11

٢٢١ معاني القرآن ، ١ , ٢٦٦ , ٨-١٠

٢٢٢ الطبري(شاكر) ، ١١ , ١٩٩ , ٢-٦ , ٧ , ١٢٠ , ٢٤ , ٥٣ إذا اطلعنا على البدل / إبدال / مبدل منه في معجم مصطلحات الفراء ؛ سنجد أنه لم يستخدمها .

٢٢٣ الطبري ، ٤ , ١٤٣ , ٣٠ , ٢٥٥

٢٢٤ المرجع السابق(شاكر) ، ١١ , ٤٦٠ , ١٧ : ٦(الأنعام) : ٧٣ « ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور»

٢٢٥ المرجع السابق ، ٢٤ , ١١٣ , ، ١ , ٥٤٤ , ، ٢٣ , ٣٥ .

٢٢٦ شرح ابن عقيل ، ٢ , ٢٢١ , ٣-٤ .

Digitized by Birzeit University Library

البيان يرجع الى نيّة المتكلم ومقصده [٢٢٧] التي استعملها أيضا للبدل؛ لذلك لا نستطيع أن نجزم أنه قصد عطف البيان وليس البدل. كما ونجده يستعمل «بيان»، ليعرب كلمة «صديد» في الآية: «ويسقى من ماء صديد» ١٤[ابراهيم]: ١٦ [٢٢٨]، وهنا أيضا يصلح مجيء «صديد» عطف بيان؛ فاستعمل الطبري «بيان عنه» مسبوقة بـ«رد على» بمعنى عطف أو نسق. إذا نظرنا في كتاب الفراء، نجد أنه لم استعمل كلمتي بيان وبين للبدل أو عطف البيان. [٢٢٩]

نلاحظ هنا أن الطبري يتبع الكوفيين في توسيع المصطلح؛ فقد استعمل «الترجمة» ليدل هذا المصطلح على أكثر من معنى كما رأينا، كما أنه لم يفرق بين البدل والترجمة: فنجده يقول: «بدلا منهما وترجمة عنهما». [٢٣٠]

٧:٢ مصطلح الفعل

للفعل في تفسير الطبري استعمالات عديدة؛ لأن «الفعل» مصطلح واسع له دلالات ومعان مختلفة تفهم من السياق؛ بالإضافة إلى المعنى المألوف لدى الناس وهو العمل؛ فأفعال البشر هي أعمالهم.

هذه الاستعمالات يمكن حصرها في النقاط التالية:

١:٧:٢. **المعاني المعروفة المتداولة بين النحاة**، نحو: صيغ «فعل» و«يفعل»، و الماضي من الفعل، والفعل «المستقبل» المضارع، من خلال الاطلاع على التفسير، يبدو أن الطبري تبع الكوفيين في تقسيم الأفعال؛ فنجده يقسمها ثلاثة أقسام: الماضي، والمستقبل، و الدائم.

أما فيما يتعلق بموقف الطبري من فعل الأمر؛ فله رأي مغاير تماما للكوفيين وخاصة الفراء؛ فقد عارض بشدة موقف الفراء من إلغاء فعل الأمر، على أن أصله فعل مضارع متصل بلام الأمر؛ ففعل الأمر: اضرب أصله، وفقا للفراء: لتضرب، ولكن لكثرة استعمال الصيغة حذفت اللام والتاء؛ وبما أنه لا يجوز في العربية الابتداء بالساكن أضفنا ألف الوصل المتحركة في اضرب. [٢٣١]في الحقيقة، هذه المسألة أثارت خلافا بين الكوفيين والبصريين؛ فهل الفعل ينقسم ثلاثة أقسام، وفقا للزمن، أم قسمين: الماضي والمستقبل كما ذكر الكوفيون[٢٣٢]، لم يذكر الطبري في تفسيره غير الماضي والمستقبل، بالإضافة إلى الدائم، ولكن لم يتبع الفراء في أن أصل الأمر المضارع المتصل بلام الأمر. [٢٣٣]

---

٢٢٧ الأصول ١، ٣٣٤. ٩ - ٣٣٧. ١٧

٢٢٨ الطبري، المرجع السابق

٢٢٩ كينبرغ، ٦٢

٢٣٠ رفيدة، ١، ١٨٩- ١٩٠، ٥٨٤ -٥٨٥، الطبري، ٢٤، ٤٣، (شاكر)٢، ٤٢٤، ٩- ١١

٢٣١ الطبري(شاكر)، ١٥، ١٠٩، ١٨ - ١١٠، ١٤

٢٣٢ همع الهوامع(مكرم)، ١، ١٥، ١٣

٢٣٣ WRIGHT، ١، ٥١، (SiHoLs 56). p.271 ،Talmon R. 1990. 'The philosophizing Farra'.

Digitized by Birzeit University Library

٢:٧:٢ أطلق الطبري مصطلح الفعل على الحدث المجرد من الزمن: نحو : المصدر واسم الفاعل والصفة المشبهة وصيغة المبالغة .

١:٢:٧:٢ كثيرا ما نراه يسمي المصدر اسم الفعل / أو الفعل ؛ «و الهاء في قوله(إنه) دالة على اسم الفعل، أعني الأكل»[٢٣٤] ، وقد فسر ابن الأنباري مصطلح اسم الفعل بأنه المصدر الذي يدل الفعل عليه»[٢٣٥] .

و قد تحدث الطبري عن الفعل بمعنى المصدر الصريح عندما يأتي مبتدأ أو خبرا في الجملة، نحو : « **ولكن البر من آمن**»[٢(البقرة) : ١٧٧]، فكلمة «البر» «فِعْل» أي مصدر .[٢٣٦]

لم يكن الطبري أول من أشار إلى تسمية المصدر بالفعل ؛ إذ نجد سيبويه يسميه الفعل، عندما يتحدث عما عرف في فترة متأخرة عن سيبويه بالمفعول المطلق أو النائب عن المفعول المطلق ؛ نحو : قعد القرفصاء واشتمل الصماء ؛ «لأنه ضرب من فعله الذي أخذ منه»[٢٣٧] ، وقد ذكر ذلك الزمخشري، وعلق على ذلك ابن يعيش بقوله : «وربما سماه الفعل من حيث كان حركة الفاعل»[٢٣٨] ، أي أن الفاعل هو الذي يحدث الفعل(أو يقوم به) .

٢:٢:٧:٢ يسمي الطبري اسم الفاعل الذي يأتي منصوبا؛ لأنه حال، الفعل : يعلق الطبري على الآية : »فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها»[الحشر : ١٧]، فيعتبر «خالدين» منصوبا لأنه «فعل» اسم فاعل وقع بين «صفتين» أي[٢٣٩] : حرفي الجر أو الظرفين[٢٤٠] في : في النار وفيها ؛ مشترطا أن يعود الثاني على الأول، والهدف من هذا التكرار هو التوكيد ؛ أدخل ذلك سيبويه في باب : ما يثنى في المستقر توكيدا،[٢٤١] ويقصد سيبويه بالمستقر الظرف الذي يسدُّ مسدَّ الخبر في الجملة .[٢٤٢]

يطلق الطبري اسم الفعل أحيانا على اسم الفاعل دون أن يكون الأخير منصوبا : « لأن الفعل لا ينصب بتحويله من يفعل إلى فاعل ؛ ألا ترى أنك تقول : أتقوم إلينا فإن حولتها إلى فاعل قلت : أقائم ووكان خطأ أن تقول قائما»[٢٤٣]

---

٢٣٤ الطبري، ٤, ٢٣٠, ٢٣-٢٤, ١٨, ١١٣, ٥، الفعل بمعنى المصدر: ١, ٤٩٢, ١١، ٢, ٤٩٦, ١٥, ٢, ٦١٩, ٢٤، ٢, ٦٢٠, ١

٢٣٥ أسرار العربية(سيبولد)، ٧٨, ١٤

٢٣٦ الطبري، ٢, ٩٥, ١١-٢١؛ ٢٣, ١٩٠

٢٣٧ الكتاب، ١, ١١, ١١

٢٣٨ المفصل، ١٦, ١١، شرح المفصل، ١٥٣, ٨-٩

٢٣٩ التفسير، ٢٨, ٥١, ١٥-٥٢, ٦؛ إعراب القرآن للنحاس، ٤, ٤٠١- ٤٠٢

٢٤٠ من أجل التوسع في معاني الصفة ودلالاتها لدى الفراء، انظر : كينبرغ، ٩٠٩- ٩١١

٢٤١ الكتاب(درنبرغ)، ١, ٢٣٨, ١٤

٢٤٢ التفسير، ٢٩, ١٧٦, ١٣-١٥

٢٤٣ التفسير(شاكر)، ١١, ٥١-٢٥٠، التفسير، ١٩، ٥١-٥٢

Digitized by Birzeit University Library

٣:٧:٢ على اتصال الفعل ودوامه:

هي عبارة عن مجموعة أفعال في اللغة العربية تعمل عمل ظل وصار؛ من حيث أنها ناقصة تحتاج إلى اسم وخبر؛ ذكر الطبري من هذه الأفعال: جعل وعلق وقام وقعد وظل وأقبل[٢٤٤]، أم الباب في هذه الطائفة من الأفعال «جعل»، والمقصود الأفعال التي سماها النحاة في فترة متأخرة أفعال الشروع؛ لأنها في فترات متقدمة من تاريخ النحو العربي كان النحاة يدخلونها تحت باب المقاربة، أي «من باب تسمية الكل باسم الجزء» كما قال ابن هشام، أو « من باب تسمية الكل باسم البعض» كما ذكر ابن عقيل[٢٤٥]. أما عن أولية استعمال مصطلح أفعال المقاربة؛ فنجد أن المبرد استعمل هذا المصطلح بشكل موسع: أي أنه أدخل تحت هذا الباب أفعال الشروع والرجاء؛ فقد ذكر من أفعال الشروع: جعل وأخذ وكان يعي تماما أنها تختلف عن أفعال المقاربة؛ لأنه يقول: «هذا باب الأفعال التي تسمى أفعال المقاربة وهي مختلفة المذاهب والتقدير، مجتمعة في المقاربة»[٢٤٦]، ولكن إذا تفحصنا نجد أن الأصل في التسمية هو كتاب سيبويه، فنجد «قاربت أن تفعل»، وفي مكان أخر «وهذه الحروف التي هي لتقريب الأمور شبيهة بعضها ببعض، ولها نحو ليس لغيرها من الأفعال»[٢٤٧]، إذا من هذا النص اشتق النحاة هذه التسمية.

الأمثلة التي أوردها الطبري لأفعال الشروع هي:

١- جعلت أقوم وأقعد.

٢- علقت أفعل كذا.

٣- سببت فلانا، فقام يبكي.

٤- قام يشتمني، كقولك: قام يشتمني، وأقبل يشتمني.

٥- نهيت فلانا عن كذا، فقعد يشتمني -فجعل يشتمني - وظل يشتمني.[٢٤٨]

في المثال الأول يوضح الطبري أن «جعل» ليست فعلا حقيقيا، أي» ليس لها حظ في معنى الفعل» أو « لا أنها في نفسها فعل»؛ ففي هذا المثال حدث قيام وقعود فقط ولم يحدث «جعل»؛ لذلك يقول الطبري بأنها جاءت على اتصال الفعل ودوامه؛ أي أن هذه الأفعال تفيد الاستمرارية، فكأنها تحول الفعل الماضي في: جعلت أقوم إلى المضارع أو الحال، لذلك لا يقترن خبر أفعال الشروع بأن المصدرية إذ أنها تحوله إلى الزمن المستقبل.[٢٤٩] فكما أوضح ذلك ابن يعيش يصبح معنى: جعل يقوم: في حال قيام أو: في حال قعود؛ لذلك يقترن خبر أفعال الشروع بالفعل لكي يقترب وقوع الفعل في الحال.[٢٥٠]. المثالان: قام يشتمني وقعد يشتمني مثيران

---

٢٤٥ أوضح المسالك، ١, ٣٠١، ابن عقيل، ١, ٣٢٣

٢٤٦ المقتضب(بيروت،١٩٩٩)، ٥٨, ١-٣, ٦٣, ٤

٢٤٧ الكتاب (هارون) ٣, ١٦٠, ١١؛ ١٦١, ٢-٣

٢٤٨ التفسير(شاكر)١١, ٢٥٠, ٨ - ٢٥١, ١-٣، التفسير ١٩, ٥١, ٢٢- ٥٢, ١-٥

٢٤٩ حسن، عباس، النحو الوافي ١, ٤٥١

٢٥٠ شرح ابن يعيش، ٢, ١٠٢٨, ٢, ١٠٣١, ٥

Digitized by Birzeit University Library

للاهتمام الفائق، لأنهما لا يذكران في مصادر أخرى، هذا من ناحية، ، ومن ناحية أخرى فإنهما مذكوران في اللهجات العربية المعاصرة.

نستخلص من كلام الطبري أن هذه الأفعال في الأمثلة السابقة لا تفيد معنى مستقلا في نفسها، أي أنها جاءت مقدمة وممهدة لما بعدها؛ ففي المثال الثالث ربما بكى قاعدا وليس بالضرورة أن يبكي واقفا، وفي المثال الرابع ربما شتمني قاعدا[٢٥١] ، إذا هذه الأفعال تمهد لما يأتي بعدها من الأفعال؛ فنجد أن بعض المفسرين مثل ابن عطية والقرطبي يسميان مثل هذه الأفعال: توطئات في الكلام والعبارة.[٢٥٢] أما الطبري يجعلها «طرفا[ظرفا] للخبر والفعل»[٢٥٣] ، وكأنني بالطبري يقصد هنا بـ «طرف الخبر والفعل» أي: أنها أدوات تعمل عمل صار وظل من كان وأخواتها، فيأتي بعدها الخبر مقترنا بالفعل دائما.

للطبري في استعمال أفعال الشروع من باب جعل وأخواتها اجتهاد خاص به، اتبع فيه الفراء[٢٥٤] ، ولكنه، أي الطبري، توسع في هذا الباب وانفرد به؛ فاعتبر «جعل» في الآية «و جعل الظلمات والنور»[٦(الأنعام): ١] من أفعال الشروع، وقد عارضه الكثير من المفسرين؛ لأن جعل لها عدة معان:

١- بمعنى: خلق/ أحدث/ أنشأ، فيتعدى إلى مفعول واحد، نحو: جعل الظلمات والنور.

٢- بمعنى صير من أفعال التصيير، فيتعدى إلى مفعولين، نحو: وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا.

٣- من أفعال الشروع أي أنهما فعل لازم لا يتعدى إلى مفعول، وإنما يحتاج إلى مبتدأ وخبر.[٢٥٥]

لذلك أنكر ابن عطية والقرطبي وأبو حيان قول الطبري، فيصبح معنى الآية على قول الطبري: أظلم ليلهما، وأنار نهارهما، ربما أتى الطبري بهذا التفسير ردا على الثنوية التي تؤمن بقدم الظلمة والنور أي إله للظلمة وإله للنور[٢٥٦] ، في الحقيقة، إذا ما قمنا بفحص معاني «جعل» في كتب علوم القرآن مثل: البرهان للزركشي والإتقان للسيوطي وبصائر ذوي التمييز للفيروزأبادي ومفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني نجد أنهم يشيرون إلى «جعل» بمعنى الشروع، ولكنهم لا يوردون أمثلة أو حتى مثالا واحدا يدعم رأيهم؛ بينما يوردون أمثلة على معاني «جعل» الأخرى، ربما يشير ذلك إلى إشكالية في استعمال «جعل»، فهي ترد كثيرا في القصص والحكايات المروية؛ لتفيد الاستمرارية ودوام الحال؛ بالرغم من أن أحداث الرواية حدثت في الماضي؛ مما يقربها إلى أذهان السامعين.

---

٢٥١ التفسير، ١٩, ٥١, ٢٢-٢٦

٢٥٢ المحرر الوجيز (١٩٩٣)، ٤, ٢٢٢, ١٦-١٨، الجامع لأحكام القرآن(بيروت، ١٩٩٥)، ٧, ٧٨, ١-٨

٢٥٣ التفسير(شاكر)، ١١, ٢٥٠, ١٠؛ استعملت كلمة (ظرفا) بشكل مخطوء في طبعتي شاكر والقاهرة ١٩٥٤ إنما هي «طرف»؛ راجع: أبو حيان، البحر المحيط، ٤, ٤٢٨, ١٨ حيث يقول: وقول الطبري «جعل» هنا هي التي تتصرف في طرف الكلام كما تقول: «جعلت أفعل كذا»

٢٥٤ معاني القرآن، ٢, ٢٧٤, ٤-٩

٢٥٥ الراغب الأصفهاني، مفردات، ١٩٦, ٢٠-٢١، أبو حيان، البحر المحيط، ٤, ٤٢٨, ١٠- ٢٠، النسفي، تفسير (١٩٩٦)، ٢, ٥, ٩-١٠

٢٥٦ النسفي، المرجع السابق،

Digitized by Birzeit University Library

إذا قمنا باستعراض استعمالات الطبري ل «جعل» التي تفيد الشروع في العمل ودوامه، نجد أنها مستعملة بكثرة في سرد الحكايات والأحاديث المروية في التفسير، ولكنها ليست مستعملة في النص القرآني بهذا المعنى؛ باستثناء تأويل الطبري لها في الآية: «**و جعل الظلمات والنور**»، وكما رأينا فإن هذا التفسير بعيد؛ لأن «جعل» هنا متعدية إلى مفعول؛ أي ليس لها خبر؛ لأنه من شروط «جعل» إذا أردنا أن نستعملها بمعنى الشروع أن يأتي خبرها مفتتحا بجملة فعلية.[٢٥٧]

سنورد أمثلة مختلفة نبين من خلالها استعمال «جعل» في الأحاديث المروية والحكايات:

١- لما خلق الله الأرض جعلت تمور

٢- ثم جعلت تنظر إليه وهي تهابه

٣- جعلت امرأته تخرج تكسب عليه ما تطعمه

٤- فلما جاءتني جعلت أقرؤها ولا أفهمها

٥- جعل يذكر الأنبياء، حتى ذكر داود

٦- فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب، قال

٧- حتى إذا أتى . . . ، جعل يضربها

٨- جعل لا يلقى أسيرا إلا ضرب عنقه

٩- فلما قدم رسول الله جعل الناس يعتذرون

١٠- فأطال أعمارهم، حتى جعل أحدهم يبني المسكن . . .

١١- جعل النسوة يحززن أيدهن

١٢- جعل الحوت لا يمس شيئا إلا يبس

١٣- فلما بعث رسول الله جعل الشيطان إذا قعد مقعده، جاء شهاب فلم يخطه

١٤- جعل المسلمون كلما هدموا شيئا . . . جعلوا ينقضون بيوتهم

١٥- فجعل المسلمون إذا قال ذلك صدقوه حتى . . .

١٦- فجعل لا يقدر على الكلام إلا رمزا

١٧- فجعل الأعراب والناس يأتون عليهم، فيقولون لهم

١٨- فجعل يجعل الحر بالحر

١٩- فجعل إذا استهزءوا قام

٢٠- فجعل كلما أخذته امرأة منهم لترضعه، لم يقبل ثديها، حتى . . .[٢٥٨]

من خلال الأمثلة نلاحظ مجيء اسم جعل ظاهرا كما في الأمثلة: ٣, ٩- ١٥, ١٧، بالإضافة إلى وروده محذوفا في سائر الأمثلة. كما أن الصيغ المتكررة في مبنى جعل لها عدة أشكال:

١- جعل + الفعل المضارع دون اقترانه بأن.

---

٢٥٧ ابن هشام، أوضح المسالك، ١, ٣٠١- ٣١١

٢٥٨ نذكر الجمل هنا كما وردت مرتبة في البحث، التفسير، ١٤, ٩٠, ٦, ١٧, ٧٢, ١, ٢٣, ١٦٨, ٤-٥, ٢٤, ١٥, ٢٣, ١، ٤٥١, ١, ٧, ٢٤٧, ١٣, ٩, ١٢٥, ٤, ١٠, ٤٨, ١٠, ١١, ٥٨, ٩, ١٢, ٦٥, ١٨, ١٢, ٢٠٦, ٢٠, ١٥, ٢٧٤, ٦, ٢٣، ٣٦, ٢١, ٢٨, ٣٠, ١٤, ١٩٦, ٣, ١٠-١١, ٣, ٢٦٠, ١, ٤, ١٨٠, ٢٧, ٩, ٢٥٩, ٣, ٧, ٢٣٠, ١٠, ١٧, ١٦٥, ١٣

Digitized by Birzeit University Library

٢- جعل+ إذا مقترنة بالفعل الماضي(فعل الشرط) وجوابه .
٣- جعل مسبوقة ب لما .
٤- جعل + واو الحال يتبعها جملة اسمية في محل نصب حال .
٥- جعل+ لا النافية+فعل مضارع + إلا
٦- جعل+ كلما متبوعة بفعل الشرط وجوابه .

ذكر ابن هشام مبنى شاذا في جعل وهو مأخوذ أيضا من حديث عن ابن عباس : «فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا»، ولم نر هذا المبنى مستعملاً لدى الطبري في التفسير .

يضاف إلى أفعال الشروع الفعل «ذهب» ؛ ففي المثال : فذهب ينزل يستعمل الطبري «ذهب» بمعنى البدء في العمل والشروع فيه[٢٥٩] وليس بمعنى صار أو ظل، يقترح محقق تفسير الطبري محمود محمد شاكر تسمية هذه الأفعال «بألفاظ أو أفعال الاستعانة» التي تدخل على الكلام لتصوير حركة، أو بيان فعل[٢٦٠] . المصطلح أفعال الاستعانة لا يختلف كثيرا عن تسمية هذه الأفعال لدي القدماء بتوطئات في الكلام والعبارة؛ وكأنه يستعان بهذه الأفعال لوصف حال الفعل واستمراره؛ لأنها لا تحمل معنى مستقلا في نفسها .

على ما يبدو فإن المصطلح «أفعال الاستعانة»، ترجمة للمصطلح الإنجليزي Auxiliary Verbs ربما دلت أفعال الشروع على وجود أفعال الاستعانة أو الأفعال المساعدة قديما؛ وقد نستطيع تتبع بقايا هذه الطائفة من الأفعال في اللهجات العربية المعاصرة، إذ يلاحظ أن العامية أقل تنوعا من الفصحى في هذا المجال فقائمة الأفعال في الفصحى تشمل : جعل وعلق وذهب وقعد وأقبل وأخذ وتلبس وشرع وطفق وانبرى وأنشأ وهب وهلهل وقام وبدأ وابتدأ .

يستعمل سيبويه عبارة «اتصال فعل في حال وقوعه»[٢٦١] ؛ وذلك أثناء حديثه عن عمل اسم الفاعل عمل الفعل المضارع، نحو : كان زيد ضاربا أباك أي :
كان يضرب أباك ويقصد سيبويه باتصال الفعل استمراره وعدم انقطاعه .

---

٢٥٩ التفسير (شاكر)، ٧, ٤٥٧, ١٢

٢٦٠ المصدر السابق، ٧, ٤٥٧-٤٥٨، ملاحظة المحقق رقم: ٦

٢٦١ الكتاب(هارون)، ١, ١٦٤, ٧-٩

Digitized by Birzeit University Library

٤:٧:٢ الفعل بمعنى الخبر

يقصد الطبري هنا :

١- خبر المبتدأ . (هل يسمي الطبري الخبر فعلا إذا كان بصيغة اسم الفاعل فقط) .

٢- خبر التقريب نحو : هذا بعلي شيخا أي «شيخا» .

٣- خبر العبارات التالية :

ما لك، ما بالك، ما شأنك .

١- تفسير العلاقة بين الفعل والخبر هو أن الفعل بمثابة خبر للمبتدأ، نحو : محمد قائم، تفسيره : محمد فعل القيام.[٢٦٢] ولا يشترط الطبري في خبر المبتدأ عندما يسميه فعلا أن يكون اسم فاعل، المهم أن الفراء يستعمل كليهما ليدل على خبر الاسم المبتدأ .

يجدر الانتباه هنا إلى أن الخبر له معان كثيرة منها : نحوية، وبلاغية، و دينية بمعنى الحديث النبوي وليس هذا المكان لتفصيلها .[٢٦٣] وقد حاول طلمون التفريق بينهما أي الفعل والخبر بقوله بان مصطلح الفعل يبدو حقيقيا جاء على السليقة دون تعميق النظر، بينما مصطلح الخبر هو مصطلح تصوري يبدو فيه أثر الصنعة؛ ولكنه في النهاية لم يصل إلى نتيجة حاسمة .[٢٦٤]

أما بالنسبة للحالات التي يسمي فيها الطبري خبر المبتدأ فعلا، فنستطيع أن نحصرها فيما يلي :

■ يطلق أحيانا على خبر المبتدأ في الجملة الاسمية الفعل؛ كما في الآية : **الشمس والقمر بحسبان** [٥٥(الرحمن) : ٥] يتحدث الطبري عن خبر المبتدأ «الشمس والقمر» ردا على رأي الأخفش الأوسط، الذي يعتقد بأن خبر«الشمس والقمر» مضمر أي : يجريان بحساب، ويقول بأن الخبر يحذف في حالات شاذة فقط، ونراه يستعمل الفعل نيابة عن الخبر[٢٦٥] .

■ خبر ما الحجازية العاملة عمل ليس : وذلك في الآية : «**و ما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر**»[٢(البقرة) : ٩٦]؛ يقول الطبري : « وقوله«هو» عماد لطلب ما الاسم أكثر من طلبها الفعل . . . أو هو الذي مع ما تكرير عماد للفعل»[٢٦٦] . والمقصود أن الأصل أن يتقدم اسم ما وهو المصدر المؤول «التعمير» قبل الخبر «بمزحزحه» .

---

٢٦٢ تفسير الطبري(شاكر)، ١٢ , ١٩٥ ، ملاحظة محقق الكتاب شاكر : رقم ٢

٢٦٣ معجم مصطلحات النحو«الخليل»، ٢١٨-٢١٩

٢٦٤ Talmon، ١٩٩٠ ؛ ٢٧٤-٢٧٥ .

٢٦٥ معاني القرآن، ٢ , ٤٩٠ , ٣-٤ ؛ تفسير الطبري، ٢٧ , ١١٦ , ١٤-١٧

٢٦٦ التفسير، ١ , ٤٣٠ , ٥-٧

Digitized by Birzeit University Library

■ عندما يتقدم خبر المبتدأ بعد الواو الدالة على الحال التي تتقدم الجملة الاسمية؛ لذلك يتقدم ضمير الشأن«هو»، كما في الآية: «**وهو محرم عليكم إخراجهم**» [٢(البقرة): ٨٥]، فالأصل: إخراجهم محرم عليكم، وقد خرج الطبري هذه الآية على وجهين متبعا في ذلك الفراء:

الأول: «هو» ضمير «كناية» وهو المبتدأ يدل على «إخراجهم»، والخبر«محرم» أما «إخراجهم» فهي «تكرير» أي بدل من «هو».

الثاني: يعتبر الطبري «هو» «عمادا» أي ضمير فصل لا محل له من الإعراب، و»إخراجهم « مبتدأ مؤخر، بينما «محرم» خبر مقدم. وهنا يسمي الطبري الخبر المقدم «فعلا» كما قال الفراء حرفيا.[٢٦٧]

■ يسمي الطبري خبر الجملة الاسمية المضافة إلى ظرف الزمان فعلا، لذلك يبنى هذا الظرف على الفتح بإضافته إلى الجملة الاسمية، ويأتي خبر هذه الجملة الاسمية جملة فعلية تبدأ بفعل مضارع، نحو: **يوم هم على النار يفتنون** [٥١(الذاريات): ١٣] فالجملة الاسمية: هم على النار يفتنون في محل جر مضاف إليه بعد الظرف «يوم»، يقول الطبري: «وإذا أضيف اليوم والليلة إلى اسم له فعل، وارتفعا، نصب اليوم»[٢٦٨]، وذلك استنادا إلى ما قاله الفراء. نلاحظ هنا أن الطبري استعمل مصطلح «نصب» بمعنى البناء على الفتح.

في الواقع، ناقش الطبري هنا مسألة مهمة في النحو العربي، وهي بناء ظروف الزمان أو إعرابها وفقا لما أضيفت إليه. أورد ذلك ابن هشام في باب المبنيات، تحت عنوان: الزمن المبهم المضاف لجملة، أي أنه لا يدل على زمن بعينه. عندئذ يجوز لنا الإعراب والبناء؛ والأرجح هو بناء الظرف على الفتح إذا أضيف إلى جملة فعلية تبدأ بفعل ماض؛ أما إذا كان المضاف إليه جملة فعلية تبدأ بفعل مضارع أو جملة اسمية فالأرجح الإعراب، ولكن القراءة المشهورة في الآية المذكورة سالفا البناء على الفتح، مع جواز الإعراب كما قال الطبري[٢٦٩].

تناول سيبويه هذه المسألة وأجاز الوجهين أي الإعراب والبناء على الفتح وذلك إذا أضيف ظرف الزمان إلى جملة فعلية يتصدرها فعل مضارع[٢٧٠].

■ يسمي الطبري خبر كان وأخواتها فعلا كما سيرد لاحقا.

٢- بالنسبة لخبر التقريب في المثال المذكور أعلاه، فقد شرحنا ذلك موسعا في باب النصب على التقريب، والمهم هنا أن نعرف بأن الطبري يسمي الاسم المنصوب «شيخا» في المثال السابق «فعل التقريب».

---

٢٦٧ التفسير، ١, ٤٠٠- ٤٠١؛ معاني القرآن، ١, ٥٠, ١٥- ٥٢, ٦

٢٦٨ التفسير، ٢٦, ١٩٤, ١٩- ٢٠؛ معاني القرآن للفراء، ٣, ٨٣, ٩- ١٣

٢٦٩ شذور الذهب، ٦٨- ٧٠؛ تفسير الطبري، ٢٦, ١٩٤, ٢٤

٢٧٠ الكتاب(هارون)، ٣, ١١٧, ٩- ١١

Digitized by Birzeit University Library

٣- فيما يتعلق بـ مالك وأخواتها؛ نحو: مالك قائما أو مالك السائر معنا؛ فإن الطبري يعتبرها من أخوات كان وظن وأخواتهما، وهو في ذلك يتبع الفراء؛ يقول الطبري: « لأن المطلوب في قول القائل: «مالك قائما»، «القيام»، فهو في مذهب « كان» وأخواتها، و«أظن» وصواحباتها». يجب الأخذ بعين الاعتبار أن الطبري أورد في بداية حديثه رأي أحد البصريين على أن «قائما» في: مالك قائما حال منصوبة، بمعنى: مالك في حال القيام [٢٧١].

وجه بين هذا التركيب والتراكيب الأخرى نحو: هذا زيد منطلقا وظننت زيدا منطلقا، هو أن«قائما» في الجملة المذكورة آنفا لا يمكن الاستغناء عنها في الجملة؛ على الرغم، من أن عبارة: «ما لك» مبتدأ«ما» وخبر«لك»؛ إلا أن الكلام لا يكتمل حتى نذكر«قائما»، التي تعرب حالا الفعل المقدر في «لكِ»، وهذه الحال « لازمة لا يتم الكلام بدونها»[٢٧٢].

وقد علق القرطبي على هذه المسألة بأن الكوفيين(لم يوضح من ذكر ذلك) يعتبرون الاسم المنصوب بعد «ما لك» خبرا كخبر «كان» وأخواتها و«ظن» وأخواتها، [٢٧٣] والأصل في ذلك هو نص الفراء « لأنه كالفعل الذي ينصب بكان وأظن وما أشبههما . . . كما تنصب كان وأظن؛ لأنهن نواقص في المعنى وإن ظننت أنهن تامات»[٢٧٤]، ربما نستطيع تفسير قول الفراء من خلال مصطلح «الحاجة إلى» الذي يستعمله في معانيه فيما يتعلق بحاجة أفعال القلوب كظن وأخواتها إلى المفعول الثاني « لنقصانهما وحاجتهما إلى خبر سوى الاسم» [٢٧٥]، ربما يقصد الفراء أن مفعولي «ظن» ومبنى «مالك قائما» تشبه مبنى كان وأخواتها من ناحية الأصل في التركيب؛ أي أنه لا يمكن الاستغناء عن المفعول الثاني لظن أو «قاما» لحاجة المفعول الأول أو «ما لك» للاسم الثاني وعدم الاستغناء عنه لتتميم معنى الجملة وفائدتها، وإلا كان المعنى ناقصا، أي أن الشبه بين هذه التراكيب وبين كان وأخواتها ليس حقيقيا.

يوجد إشكالية أخرى في هذه المسألة، وهي رواية تقول بأن الكوفيين يعتبرون «قائما» في المثال المذكور أعلاه نصبت لأنها خبر كان مقدرة أي: ما لكم في شأنهم كنتم فئتين[٢٧٦]؛ ولكن إذا رجعنا إلى نص الفراء فلن نجد ذلك؛ بل نجد أمرا مغايرا لذلك، يقول الفراء بالنسبة لنصب «قائما» أو «فئتين» كما ورد في الآية: «**فما لكم في المنافقين فئتين**»[٤(النساء): ٨٨]؛ «فنصب فئتين بالفعل»[٢٧٧] و من المحتمل أن هذا القول أوحى إلى بعض المفسرين إلى وجود «كان» المضمرة في الآية؛ وربما يقصد الفراء هنا أن «قائما» منصوبة لأنها خبر ما لك؛ إذ يستعمل الفراء كما رأينا الفعل بدلا من الخبر أحيانا، مما يؤكد هذا الرأي نص الطبري الذي يقتبس عن الفراء

---

٢٧١ المصدر السابق نفسه، ٩, ١٤, ١٢- ١٥, ٢

٢٧٢ روح المعاني، ٥, ٩٧, ٣

٢٧٣ الجامع لأحكام القرآن، ٣, ٢٦٤

٢٧٤ معاني القرآن، ١, ٢٨١, ٤-٦

٢٧٥ المرجع السابق، ٢, ١٠٦, ٧؛ كينبرغ، ١٩٠

٢٧٦ روح المعاني، ٥, ٩٧, ٤؛ النحاس، إعراب القرآن، ١, ٤٧٨, ١٦- ٤٧٩, ١ « وقال الكوفيون: هو خبر ما لكم كخبر كان وظننت».

٢٧٧ معاني القرآن، ١, ٢٨١, ١-٢

Digitized by Birzeit University Library

مع اختلاف يسير ولكنه مهم جدا؛ « وقال بعض الكوفيين: هو[أي: قائما] منصوب على فعل ما لك» [٢٧٨]أي على خبر ما لك. و قد أفرد لذلك ابن شقير بابا منفردا وهو: «النصب بخبر ما بال وأخواتها، وعلق على الآية المذكورة سابقا فيما يتعلق بنصب «فئتين» بقوله: «لأنه خبر ما لكم» [٢٧٩].

يدخل هذا الاختلاف تحت باب تعميم النسبة إلى الكوفيين؛ ولكنه من الواضح أن هذا الرأي يعود، غالبا، إلى أحد نحاة الكوفة. في هذه المسألة علينا أن نكون حذرين؛ إذ نقل ذلك عن الكوفيين أبو جعفر النحاس(ت ٣٣٨ هـ) فمن الممكن أنه نقله عن نص لم يصل إلينا.

٥:٧:٢ فعل يحتاج الى اسمين

فعل (=خبر) كان وأخواتها / المفعول الثاني لأفعال القلوب، نحو: ظن ورأى العلمية وغيرهما/ فعل يحتاج إلى اسمين/ فعل لا يستغني عن خبر، وعلى العكس من ذلك: الفعل الذي لا يحتاج إلى خبر أو الفعل المكتفي بنفسه نحو: كان التامة/ اقتضى الاسم والفعل/ لا يقتضي.

يدل مصطلح الفعل لدى الطبري على خبر كان وأخواتها، وعلى المفعول الثاني من أفعال القلوب الذي يسميه فعلا مرة وخبرا مرة أخرى. في الحقيقة يدرك الطبري الفرق بين الجملة التي تتصدرها كان: كان زيد قائما، والجملة التي تتصدرها «ظن»: ظننت زيدا قائما وهو أن «ظن» فعل تام حقيقي متعد له فاعل، وقد تعدى عمل الفعل، فنصب مفعولين، أصلهما المبتدأ والخبر، أما «كان» فهو فعل غير حقيقي لأنه يفيد معنى الزمن فقط ولا يدل على الحدث «الفعل»، ولكن التشابه بين هاتين الجملتين يكمن في علاقة الإسناد بين المفعول الأول «زيدا» والمفعول الثاني «قائما»، وهو أنه لا يستغني أحدهما عن الآخر، أي لا يكتمل معنى الكلام/ الجملة دون استيفاء كليهما؛ فـ «زيد» هو المبتدأ في الأصل أو المسند إليه، وأما «قائما» فهو الخبر في الأصل أو المسند؛ الأمر الذي يؤكد العلاقة الوثيقة بين المبنيين.

أشار سيبويه إلى وجه الشبه هذا بين كان وأخواتها وأفعال القلوب بدقة متناهية؛ «وذلك لأن «حسبت» بمنزلة «كان»، إنما يدخلان على المبتدأ والمبني عليه، فيكونان في الاحتياج على حال؛ ألا ترى أنك لا تقتصر على الاسم الذي يقع بعدهما كما لا تقتصر عليه مبتدأ. والمنصوبان بعد «حسبت» بمنزلة المرفوع والمنصوب بعد ليس وكان» [٢٨٠]، يجدر هنا الإشارة إلى أهمية المصطلح «الاحتياج» في نص سيبويه؛ أي أن فائدة الجملة لا تتم ولا يكتمل المعنى دون الإتيان بالمفعول الثاني لحسب أو ظن؛ فكما أن اسم كان لا يستغني عن خبره، لأن المعنى يظل ناقصا دونه فلا تتم الجملة حتى نأتي به؛ كذلك المفعول الثاني من أفعال القلوب، نجد أن سيبويه يشبه احتياج كان وظن باحتياج الاسم إلى خبر.

---

٢٧٨ تفسير الطبري، ٥, ١٩٥ ٩-١٠

٢٧٩ المحلى، وجوه النصب، ٣٠, ١-٩

٢٨٠ الكتاب(هارون)، ٢, ٣٦٥, ١١- ٣٦٦, ١

Digitized by Birzeit University Library

المصطلحان: فعل يحتاج أو محتاج إلى اسمين؛ وفعل لا يستغني عن خبر تعني لدى الطبري كان وأخواتها وظن وأخواتها، معاكسة للمصطلحين: فعل لا يحتاج إلى خبر: والفعل المكتفي بنفسه نحو: كان التامة. من الأفعال المرادفة لاستغنى بـ واكتفى بـ واحتاج إلى لدى الطبري، اقتضى ولا يقتضي، وهما يؤديان المعنى نفسه، فعندما نقول عن كان الناقصة: فعل يقتضي الاسم والفعل(=الخبر) فهو يسد مسد: فعل يحتاج إلى الاسم والفعل أو لا يستغني عن الاسم والفعل، ففي حديثه عن «رأى» العلمية التي تنصب مفعولين في الآية: «**أن رآه استغنى**»[٩٦(العلق): ٧] يقول الطبري: «لحاجة «رأى» إلى اسم وخبر وكذلك تفعل العرب في كل فعل اقتضى الاسم والفعل . . . فإذا كان الفعل لا يقتضي إلا منصوبا واحدا»[٢٨١]، أي أن «رأى» العلمية تحتاج إلى مفعولين «الاسم والفعل» أصلهما المبتدأ والخبر، لا يستغني أحدهما عن الآخر.

يستعمل الطبري «مكتفية» بالاسم في وصفه لكان التامة، كما ورد في الآية: « **إلا أن تكون ميتة**» [٦(الأنعام): ١٤٥]، وذلك برفع كلمة «ميتة» على أن تعرب فاعلا للفعل المضارع التام «يكون»، يقول الطبري: «وجعل «تكون» مكتفية بالاسم دون الفعل».[٢٨٢]

لا بد من الإشارة إلى أن العبارتين «يستغني عن» و«يحتاج إلى» شائعتان لدى النحاة الأوائل في تعريفهم للجملة؛ فعندما يعرف ابن جني الكلام أو الجملة «وهو ما كان من الألفاظ قائما برأسه، غير محتاج إلى متمم له»، يقصد أن الجملة حتى تكون تامة يجب أن تشتمل على المسند والمسند إليه؛ عندئذ تكون مستقلة ومستغنية عما يليها من إضافة، يعطينا ابن جني مثالا على ذلك عندما نستعمل الفعل «قال» دون اتصاله باسم أو بضمير؛ فإنه ناقص، محتاج إلى الفاعل.[٢٨٣] لم يذكر الفعل «قال» عبثا وإنما ليبنى عليه كلام، وإلا كان لا فائدة فيه وبذلك ينتفي عنه صفة مهمة في تعريف الجملة ألا وهي الفائدة التي تحققها. لذلك فإن الجزء الذي يأتي بعد استغناء الفعل بالفاعل أي أن الكلام قد تم، ينصب لأنه فضلة في الكلام، فهو ليس مسندا أو مسندا إليه.[٢٨٤]

يستعمل سيبويه المصطلحين: استغنى/ يستغني ويحتاج في الجملة الاسمية والفعلية؛ وقد قرن سيبويه بين: حسن السكوت أو حسن واستغنى، حينما تكون الجملة تامة مفيدة؛ فنجده يستعمل: يستغني به السكوت، ويستغني عليه السكوت[٢٨٥]، كما أن سيبويه يستعمل «يحتاج» في كان وأخواتها، نحو: كان عبد الله منطلقا، لأن اسم كان «يحتاج» إلى الخبر، لكي يتم المعنى ويكتمل، كاحتياج المبتدأ إلى الخبر في الجملة الاسمية، نحو: عبد الله منطلق[٢٨٦]، بالإضافة إلى ذلك، يلحق سيبويه أفعال القلوب مثل: ظن بهذه الطائفة، ويشير إلى أن المفعول الأول لظن لا يستغني عن المفعول الثاني[٢٨٧].

---

٢٨١ تفسير الطبري، ٣٠, ٢٥٣.

٢٨٢ المصدر السابق(شاكر)، ١٢, ١٩٥, ١٥

٢٨٣ الخصائص، ١, ٢١, ١٢-١٣, ٢٠, ٧-١٣

٢٨٤ ابن السراج، الأصول، ١, ٥٤, ١٠-١١

٢٨٥ الكتاب(هارون)، ٢, ٨٨, ١١-١٥, ٩١, ١

٢٨٦ المصدر السابق، ١, ٢٣, ١٥-١٦

٢٨٧ المصدر السابق، ١, ٤٥, ٧-١٥, ١, ١٤٩, ١٠٩

Digitized by Birzeit University Library

٦:٧:٢ الفعل بمعنى الحال

كما في الآية : «**قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة**»[٧(الأعراف) : ٣٢]، يعرب الطبري» خالصة» منصوبة على الفعل أي : الحال والتقدير في هذه الآية : قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا مشتركة، وهي لهم في الآخرة خالصة، والهدف من وراء ذلك هو تقدير العامل المحذوف في الحال[٢٨٨] ؛ يقول الطبري : «وأولى القراءتين عندي بالصحة، قراءة من قرأ نصبا، لإيثار العرب النصب في الفعل، إذا تأخر بعد الاسم والصفة، وإن كان الرفع جائزا، غير أن ذلك أكثر في كلامهم»[٢٨٩] ؛ والمقصود برفع «خالصة» هو إعرابها خبرا ثانيا ل هي، نحو : زيد عاقل لبيب، النتيجة التي نصل إليها أن الطبري عندما استعمل مصطلح «الفعل»، فقد قام بتوسيعه ليشمل عدة معان كالحال والمصدر والخبر .

كما يرى ذلك أبو اسحق الزجاج(ت ٣١١ هـ)، أو على أن تعرب «خالصة» خبرا للمبتدأ «هي» كما أورد أبو جعفر النحاس[٢٩٠] .

يعلق سيبويه على هذه الآية مبينا سبب الرفع والنصب في «خالصة» إلا أنه يرجح النصب على الرفع لكثرة الاستعمال لدى العرب(أي البدو الذين يستشهد بكلامهم)، الرفع في «خالصة»، وفقا لسيبويه، لأنها خبر المبتدأ «هي» أي مبنية على «هو»، كما نرى سيبويه يسمي الحال في هذا الباب الخبر[٢٩١] . أما النصب فلأن الجملة/ الكلام تم قبل «خالصة» أي اكتملت عناصر الجملة المسند والمسند إليه : هي للذين آمنوا[٢٩٢] .

نجد هذه الآية لدى ابن شقير (ت ٣١٧ هـ) تحت باب : النصب على الاستغناء، أو «على تمام الكلام»، و المعنى أن«خالصة» لأنها جاءت بعد اكتمال عناصر الجملة : المبتدأ والخبر ؛ ويعطي مثالا آخر : «**إن المتقين في جنات ونعيم فاكهين**»[٥٢(الطور) : ١٧ , ١٨] ؛ يبين ابن شقير أن «فاكهينَ» نصبت لتمام الكلام قبلها ؛ فيحسن السكوت عليه، فيستغنى عن الكلام الذي يأتي بعدها مما يبرر النصب[٢٩٣] ، وقد فسر ابن هشام معنى التمام وهو« أن يستغني بالمرفوع عن المنصوب»، ويجدر الإشارة، أنه ليس كل ما يأتي بعد تمام الجملة من فضلة يمكننا الاستغناء عنه، لأنه يوضح الجملة وحذفه يضر بتمام معناها .

---

٢٨٨ تفسير الطبري، ٨, ١٦٥ , ٢٤- ١٦٦ , ٢ ؛ معاني القرآن للفراء، ١ , ٣٧٧ , ١

٢٨٩ التفسير، ٨, ١٦٦ , ١-٢

٢٩٠ معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٢ , ٣٣٣, ١٩- ٢٣ ؛ إعراب القرآن للنحاس، ٢ , ١٢٣ , ٥- ٩

٢٩١ الكتاب(درنبرغ)، ١ , ٢٢٣ , ٢٠ - ٢٢٤ , ٤

٢٩٢ القرطبي، الجامع، ٤ , ١٨٠ , ١ ؛ ابن عطية، المحرر الوجيز، ٢ , ٣٩٣- ٣٩٤

٢٩٣ المحلى، ٥٤- ٥٥

Digitized by Birzeit University Library

٧:٧:٢ الفعل الدائم:

يقصد به الطبري أمرين:

١. اسم الفاعل

٢. الفعل المضارع المبدوء بالزوائد الأربع

ورد مصطلح «الدائم» في تفسير الطبري مرة واحدة فقط؛ مما يدل على عدم شيوعه في الاستعمال لديه، ولكننا نجده في أغلب الأحيان يطلق على اسم الفاعل الفعل [٢٩٤]، ولا ننسى أن سيبويه أيضاً أطلق على اسم الفاعل اسم «الفعل»[٢٩٥]، وأحيانا يسميه الطبري الفاعل.[٢٩٦]

المرة الوحيدة التي أورد فيها الطبري ذكر «الدائم»، كان يتحدث عن الفعل المضارع الذي يسد مسد اسم الفاعل، كما جاء في الآية: ٢ من سورة الحجر: «ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين»، وناقش الطبري في هذه سبب إدخال الفعل المضارع «يود» بعد ربما، مع أنه عادة يرافقها الفعل الماضي، والسبب كما يراه الطبري تبعا للكسائي والفراء أن «الوعد والوعيد» أي الترغيب والترهيب في القرآن حقيقة قائمة وكأنها أمر قد مضى، وذلك لصدق الأمر الإلهي [٢٩٧]، ولكننا نجد الطبري يضيف نصا نحويا كوفيا غير موجود في معاني القرآن للفراء «وقد يجوز أن يصحب «ربما» الدائم، وإن كان في لفظ «يفعل»، يقال: ربما يموت الرجل فلا يوجد له كفن»[٢٩٨]، من خلال ما سبق نرى أن الطبري يدخل الفعل المضارع الدال على دوام الحال وعدم الانقطاع في مصطلح الدائم، لذلك نخلص إلى أن الفراء قسم الأفعال تقسيما زمنيا إلى: ماض ومستقبل ودائم، يجدر الانتباه هنا إلى أن هذا التقسيم لا يسير وفقا للنظرة التقليدية للباحثين الجدد، لأن هذا التقسيم لا يسير وفق أسس صرفية؛ إذ يدخل في الدائم الفعل المضارع بالإضافة إلى اسم الفاعل، على عكس ما كان يعتقد بعض الباحثين من أن اسم الفاعل فقط يمثل مصطلح الدائم. وهذا الأمر يتفق فيه الطبري مع الفراء ويعتمد عليه.[٢٩٩]

عدم شيوع مصطلح «الدائم» لدى الفراء يناقض ما أورده مجموعة من الباحثين المحدثين كالمخزومي [٣٠٠] وغيره وكأن مصطلح الدائم شائع بين الكوفيين في مرحلة مبكرة، والحقيقة أن ما أدى إلى هذا التعميم في نسبة المصطلح هو اعتماد الباحثين على مصادر نحوية متأخرة جدا، كشرح الكافية وهمع الهوامع، والأهم من ذلك أن القدماء اعتمدوا على كتاب كمجالس ثعلب ومجالس العلماء للزجاجي؛ لذلك علينا أن نلزم جانب

---

٢٩٤ تفسير الطبري، ٨, ١٦٦, ١, ١٣, ٢٤٨, ١٦, ٢٦, ١٤, ٧

٢٩٥ الكتاب(هارون)، ١, ١٧١, ٤

٢٩٦ المصدر نفسه، ١, ١٢٥, ٣, ١٦, ١٤٠, ٢٦-٢٧, ٢٣, ٦١, ١١

٢٩٧ المصدر نفسه، ١٤, ٢, ١-١٢

٢٩٨ المصدر نفسه، ١٤, ٢, ١٢-١٣

٢٩٩ Talmon. R, " The philosophising Farra" p.271, 1990

٣٠٠ المدرسة الكوفية، ٣٥٣، ضيف، المدارس النحوية، ١٦٦، القوزي، المصطلح النحوي، ، الأنصاري، أبو زكريا الفراء، ٤٥٠-٥١، ديره، دراسات، ٢٥٤-٥٦

Digitized by Birzeit University Library

الحذر، لأن ثعلباً ربما استعمل لغته الخاصة في مناقشة آراء الفراء، أما بالنسبة لاعتمادنا على مصادر غير كوفية في رصد المصطلحات الكوفية في النحو؛ فذلك فيه نظر؛ إذ إن المشكلة الأساسية هنا في دقة نسبة القول إلى صاحبه، فعندما نسمع: يرى الكوفيون أو يقول الكوفيون، فقد يكون هذا القول للكسائي، بينما يعارض ذلك الفراء، إذا، بناء على ذلك، يفضل أن نعتمد أساساً على كتاب الفراء نفسه.

يتبادر إلى الذهن سؤال مهم: يعمل اسم الفاعل عمل الفعل لدى أهل البصرة إذا دل على الحال أو الاستقبال، فهل يرى الكوفيون كالفراء والكسائي وثعلب الرأي نفسه؟

نبدأ بالطبري الذي ناقش ذلك في الآية: ٤٦ من سورة البقرة: «**أنهم ملاقو ربهم**»، فقد بين موقفه من عمل اسم الفاعل، وهو أنه إذا كان بمعنى الماضي «فعل» فهو لا يعمل، فتسقط النون من «ملاقو» وتضاف إلى ما بعدها، أما إذا كان بمعنى «يفعل وفاعل» أي: الحال والاستقبال فإنه يعمل فيما بعده، وقد بين الطبري في هذا النص معنى الدائم «وهو بمعنى يفعل وفاعل؛ أعني بمعنى الاستقبال وحال الفعل ولما ينقض»[٣٠١] و بذلك يتأكد لدينا أن تقسيم الفعل لدى الطبري يسير وفق تقسيم زمني: يبدأ بالماضي ثم الحال الذي لم ينقض وهو الدائم ثم المستقبل.

اعتمادا على مصادر متأخرة في النحو كشرح الكافية، وصل مهدي المخزومي وعبد الحسين الفتلي إلى أن الكسائي وغيره من نحاة الكوفة كانوا يعملون اسم الفاعل في الأزمنة الثلاثة: الماضي والحال والاستقبال.[٣٠٢] إذا اعتمدنا على النص الأصلي للفراء، فإننا نجد أن له رأيا مخالفا لما نقل عن الكسائي، فهو يعتقد أن «الفعل» أي اسم الفاعل إذا كان بمعنى المضي يضاف إلى ما بعده، نحو: أخوك آخذ حقه، بجر «حقه»، «فإذا كان مستقبلا لم يقع بعد، قلت: أخوك آخذ حقه عن قليل، آخذ حقه عن قليل»[٣٠٣]، أي على الوجهين: النصب في حالة تنوين «آخذ»، والجر إذا كان «آخذ» غير منون مضافا إلى ما يليه. في هذه الحالة يسميه الفراء الاسم حيث لا يقبل التنوين، إما إذا قبله فيسميه الفعل[٣٠٤].

---

٣٠١ تفسير الطبري(شاكر)، ٢, ٢٠, ٣-١١

٣٠٢ ابن السراج، الأصول، ٢, ٢٤٤، ملاحظة محقق الكتاب رقم«٤»، المخزومي، المدرسة الكوفية، ٣٢٣

٣٠٣ كينبرغ، ٥٩٥، معاني القرآن، ٢, ٤٢٠, ٦

٣٠٤ المصدر السابق نفسه

Digitized by Birzeit University Library

معجم مصطلحات الطبري النحوية في التفسير

مأخوذ من- لهذا المصطلح لدى الطبري مفهومان :

١. بمعنى مشتق من؛ مثل «سواء» فهو في رأي الطبري «مأخوذ من»أي مشتق من التساوي، ومؤلم «مأخوذ من» مشتق من الألم، والشقاق «مأخوذ من» مشتق من شق عليه الأمر، وهنيئا «مأخوذ من» مشتق من هنأت البعير . . . وهلم جرا. [٣٠٥] يتحدث الطبري أيضا عن أصل اشتقاق اسم الفعل الماضي «هيهات» ويعتبر أن هيهات «أداة غير مأخوذة من فعل»[٣٠٦] ويقصد هنا أن اسم الفعل صيغة جامدة غير مشتقة من الفعل، مع أنها بمعنى الفعل الماضي.

٢. بمعنى أصل الشيء ومصدره، فسبب نصب «قوم» في الآية: «**وأختار موسى قومه سبعين رجلا**»[٧(الأعراف): ١٥٥] على نزع الخافض ألا وهو حرف الجر «من» أي: من قومه، واستند إلى الفراء في أن أصل هذه العبارة «مأخوذ من» قولك: هؤلاء خير القوم، وخير من القوم؛ لذلك - وفقا للفراء- يجوز أن نقول: اخترتكم رجلا، واخترت منكم رجلا. [٣٠٧]

استعمل سيبويه «أخذ من « بمعنى «اشتق» وذلك في الباب الأول من الكتاب: « وأما الفعل، فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء»[٣٠٨] ، يقصد سيبويه أن صيغ الأفعال مشتقة من المصادر.

أداة - جمعها أدوات، ومعنى الأداة الآلة، مثل التي يستخدمها صاحب الحرفة أو الصانع[٣٠٩] . تستعمل كلمة أداة للربط بين الكلام كأداة الشرط وحرف العطف أو للدلالة على معنى في غيرها كأل في تعريف الاسم، وهي عند المنطقيين لفظ لا يدل على معنى إلا عند اقترانه بغيره، لذلك يحتمل أن الفراء أتى بهذا المصطلح من المنطق. [٣١٠]

يطلق الطبري مصطلح «أداة» على كل كلمة سواء كانت حرفا أو اسما أو ظرفا لا محل لها من الإعراب، بكلمات أخرى: الحرف وما تضمن معناه من الأسماء والأفعال والظروف [٣١١] ، إذا لا يعتبر الطبري الأداة الجزء الثالث من أنواع الكلام في اللغة العربية [٣١٢] ، ومن صفات الأداة لديه أن تلزم حالة واحدة من الإعراب أي البناء.

---

٣٠٥ تفسير الطبري، ١ , ١١١ , ١-٢ , ١ , ١٢٣ , ١٢ , ١ , ٥٦٩ , ٢٨ , ٤ , ٢٤٤ , ١٣

٣٠٦ المصدر السابق، ١٨ , ٢١ , ١-٢، كينبرغ، ٣-٤

٣٠٧ المصدر السابق، ٩ , ٧٥ , ١-٣، معاني القرآن للفراء، ١ , ٣٩٥ , ١-٥

٣٠٨ الكتاب، ١ , ١ , ٢؛ للتوسع انظر: تروبو، ٣٠، مادة: أخذ من

٣٠٩ لسان العرب، مادة: أدا، ١٤ , ٢٥

٣١٠ المعجم الكبير، ١ , ١٥٦

٣١١ معجم الخليل، ٣٨

٣١٢ من أجل المقارنة مع نص قديم، انظر: طلمون (١٩٩٠)، ١٤٣

Digitized by Birzeit University Library

ويمكن تلخيص ما يقصده الطبري بالأداة في النقاط التالية :

١. يستعمل الطبري المصطلح «أداة» بعكس الاسم أي : ليس لها محل «موضع» من الإعراب، والأداة التي يتحدث عنها هي «إن» مكسورة الهمزة لا محل لها من الإعراب، وذلك في الآية : «**كتب على نفسه الرحمة، أنه من عمل منكم سوء بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح،فإنه غفور رحيم**»[٦(الأنعام) : ٥٤]، فإما أن تكون «أن» الأولى والثانية «اسمين» أي : لهما محل من الإعراب وفقا لرأي الطبري، وذلك في محل نصب بدل»ترجمة» عن كلمة «الرحمة» المنصوبة، أو تكون «إن» الأولى والثانية لا محل لهما من الإعراب، »و يجعلونها أداة لا موضع لها «، «و على أنهما أداتان لا موضع لهما»[٣١٣] .

٢. يعتبر الطبري اسم الفعل الماضي «هيهات» أداة، وذلك لأن اسم الفعل لا محل له من الإعراب، وتأتي «هيهات» مبنية على الفتح، أو كما يقول الطبري حرفيا : »نصب التاء»، وإذا رجعنا إلى الفراء مقارنة مع الطبري، نجد الأول يضيف إلى هيهات، هلم وهي من أسماء فعل الأمر[٣١٤] .

٣. لما المشددة الميم، في الآية : «**وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا**»[٣٢(السجدة) : ٢٤]، يقول الطبري : «وإذا فتحت اللام وشددت الميم، فلا موضع لها، لأنها حينئذ أداة»، أي : لا محل لها من الإعراب.

٤. يطلق الطبري على «يوم» أداة» وذلك إذا جاء بمعنى «إذ» أو «إذا»، ولزم حركة واحدة أي مبنيا، إذا يشترط الطبري في الأداة أن تكون مبنية، والدليل على ذلك، وفقا للطبري أن «يوم» جاءت مبنية على الفتح بالرغم من أنها في محل جر، كما في الآية : ومن خزي يومئذ[٣١٥] ، فإذا جاء «يوم» معربا فإنه يعامل معاملة الأسماء، نحو : أعجبني يوم فيه تقول، على اعتبار «يوم» فاعلا، «لما أن خرج [أي يوم] من معنى الأداة.[٣١٦]

٥. أدوات الشرط : هل وأين، ويا النداء وذلك في بعض العبارات التي يجتزأ فيها بذكر هل وأين عن أن المضمرة، نحو :

ناديت هل قمت أي : ناديت أن هل قمت، وناديت أين زيد.[٣١٧]

٦. ما وإن اللتان تدلان على النفي» الجحد، حينئذ يعتبرهما الطبري أداتين لا محل لهما من الإعراب، وذلك في البيت : **ما إن رأيتُ ولا سمعت به كاليومِ طالي أيْنُقٍ جُرْبِ**[٣١٨]

الأصل - يرد هذا المصطلح كثيرا في تفسير الطبري، وله وجوه متنوعة تخرج عن الاستعمال النحوي.

وردت كلمة أصل في القرآن الكريم مقترنة بكلمة فرع، أي أن الأصل هو الأساس الثابت في الأرض الذي يبنى عليه، وأما الفرع فهو المنبثق عن الأصل الصاعد إلى السماء، نجد هذا المعنى في آيتين تتحدثان عن الشجرة

---

٣١٣ تفسير الطبري، ٧, ٢٠٨, ٢٠ -٢٤

٣١٤ المصدر السابق، ١٨ , ٢١, ٤-١١، كينبرغ، ٩، معاني القرآن للفراء، ٢ , ٢٣٥, ٩- ٢٣٦, ٥

٣١٥ تفسير الطبري، ٢٤ , ٥١, ٣-١٠

٣١٦ المصدر السابق،

٣١٧ المصدر السابق، ١ , ٥٦١, ١٣- ١٧

٣١٨ المصدر السابق، ٢٦, ٢٠٦ - ٢٠٧

Digitized by Birzeit University Library

الخبيثة والطيبة مستعملاً استعمالاً مجازيا للتمثيل على أعمال الكافرين، فاستعمل الأصل والفرع في الآية الأولى، أما الثانية فاستخدم مكان الأصل «القرار». [٣١٩]

إذا فالأصل كما يظهر في معاني القرآن للفراء هو اللفظ، أو الشكل، التركيب أو المعنى الأساسي وذلك قبل أن تجري تغييرات صرفية أو صوتية أو نحوية عليه، وأحيانا يعرف على أنه الوظيفة الأساسية، أو الأساس، أو المصدر، أو القواعد، أو أصل الفعل والاسم؛ وكما نرى لاحقا فالكثير من هذا المعاني يتطابق مع معنى الأصل في تفسير الطبري. [٣٢٠]

وفقا لتفسير الطبري نعرف الأصل بأنه القاعدة التي نستقي منها أحكامنا [٣٢١]، والأساس الذي نعتمد عليه. [٣٢٢]

من المعاني المستخدمة لكلمة أصل لدى الطبري:

١. أصل الكلمة بمعنى الحروف الأصلية المشتقة منها هذه الكلمة، وذلك عكس الزوائد من الحروف، وأصلها أيضا يعني قبل أن يطرأ عليها الإعلال، نحو: صيب وهو في الأصل: صيوب. [٣٢٣]، أو الزيادة، نحو كلمة: اللهم التي أصلها: الله، والميم زائدة [٣٢٤]. بكلمات أخرى، هناك صيغة أصلية للكلمة قبل أن يطرأ عليها التغيير [٣٢٥].

ربما يتوافق مع هذا المعنى ما يسمى باستصحاب الحال أو العدول عن الأصل، والمقصود هنا الأصل التجريدي المفترض أو المتصور للكلمة قبل أن يطرأ عليها تغيير؛ لأن العربي الفصيح الذي تكلم على السليقة لم ينطق الكلمة كما تصورها النحاة، أي لم يقل ميوت أو قول بدلا من قال، كما أن العربي الفصيح عندما قال: اللهم، لم يفكر في الصيغة الأصلية: يا الله. [٣٢٦]

٢. الأصل في الحركة: يقصد الطبري بنقل الحركة في الكلمة، عند تحويلها مثلا إلى العلمية، فتحافظ على حركة الإعراب الأصلية؛ نحو: مسلمين أو مسلمات، فإذا سمينا إنسانا بمثل هذه الأسماء نستطيع إبقاء الحركة الأصلية في مسلمين ألا وهي الفتحة. [٣٢٧]

---

٣١٩ الآية الأولى: «كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء»[١٤ (ابراهيم): ٢٤]، وأما الثانية: «كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار» [١٤ (ابراهيم): ٢٦]

٣٢٠ كينبرغ، ١٠-١٣

٣٢١ التفسير، ١، ٩٩، ٩-١١، ١، ٥٨، ١٨-١٩

٣٢٢

٣٢٣ المصدر السابق، ١، ١١٦، ١-٣، ١، ١٤٨، ١، ٢، ٨٤، ٢٥

٣٢٤ المصدر السابق، ٣، ٢٢٠، ٢٥- ٢٢١، ٤

٣٢٥ علي الحمد، «مصطلحا الأصل والأصول في كتب النحو وأصوله»، ٢٤ (١٩٩٨)

٣٢٦ الحمد(١٩٩٨)، ١٨، ٢٠

El 2(M.G.Carter) S.V, USUL Vol X, pp.928

٣٢٧ المصدر السابق، ٢، ٢٨٦، ٧-٨

Digitized by Birzeit University Library

٣. الأصل: المعنى الأصلي الحقيقي للكلمة، ثم نستعير هذه الكلمة، ونضعها في معانٍ أخرى، وهو ما نسميه المعنى المجازي. نحو كلمة «شغف» فالمعنى الأصلي للكلمة بمعنى «ذعر»، ولكنها وضِعت في غير موضعها الأصلي بمعنى أحب.[٣٢٨]

٤. تقترن كلمة الأصل لدى الطبري بالقياس، أي قياس الفرع على الأصل؛ لأن الفروع مختلف فيها أما الأصول فهي مجمع عليها، والأصل الذي يقاس عليه من خلال أقواله في التفسير، هي النص القرآني والشعر القديم وكلام العرب الموثوق بعربيتهم.[٣٢٩] باختصار، يمكن تعريف الأصل هنا بأنه الدليل الذي يعتمد عليه النحوي في الوصول إلى الحكم، اعتمادا على السماع عن العرب الموثوق بعربيتهم، أو نصوص القرآن والشعر العربي القديم، وما أجمع عليه نحاة الكوفة والبصرة.[٣٣٠]

٥. أصل للكلمة، مثل حرف الباء التي تأتي لتقوية العامل، نحو: ألقى به، فتعتبر هذه الباء «أصلا للكلمة» غير زائدة؛ لأنها أي الباء محتاج إليها في الأفعال المتعدية، «المكني عنها» أي المتصلة بالضمير كناية عن الاسم، نحو: فعلت به، فلا نستطيع اعتبار الباء حرف جر زائد.[٣٣١]

٦. أصل الكلمة بمعنى الوظيفة النحوية السابقة، فهنالك بعض الكلمات التي تتغير وظيفتها النحوية مثل ألفاظ التوكيد المعنوي، ككل وعين ونفس، ثم نقلت إلى معنى جديد وهو المدح؛ لذلك يجوز لنا أن نقول: مررت بالرجل كل الرجل، ومررت بالرجل نفس الرجل.[٣٣٢]

٧. الأصل بمعنى القاعدة النحوية الثابتة والمتعارف عليها؛ نحو قول الطبري: «إذ كان أصل الجزاء الاستقبال» أي أن القاعدة النحوية الأساسية في أسلوب الشرط أن يتم في الزمن المستقبل[٣٣٣].

في الحقيقة، كل ما سبق، يتعلق بكلمة «أصل» المفردة، وليس أصول / الأصول، لأن الطبري لم يستعمل صيغة الجمع في المجال اللغوي والنحوي، ما عدا موقعا واحدا يتحدث فيه عن أصول الأفعال، حيث يصاغ المصدر من فعل يختلف لفظه عن المصدر عن طريق زيادة حرف على الأصل، نحو: تكلم كلاما، مع أن المصدر تكلم تكلما؛ وأنبت نباتا والأصل أنبت إنباتا؛ بينما المصدر «نباتا» من الفعل نبت، وهذا يصح في اللغة لاشتراكهما في الأصل أي: جذر الفعل.

أما سائر المواضع التي ترد فيها أصول/ الأصول في التفسير، فترتبط بأحكام الفقه، ولا ننسى أن الطبري ألف كتابا سماه «كتاب البيان عن أصول الأحكام».[٣٣٤]

---

٣٢٨ المصدر السابق، ١٢، ٢٠٠.

٣٢٩ المصدر السابق، ١، ٢٤٦، ٢٨، ٧، ٥٦، ٢٣-٢٧

٣٣٠ الحمد (١٩٩٨)، ١٥-١٧

٣٣١ المصدر السابق، ٢، ٢٠٥، ٢٠-٢٧

٣٣٢ المصدر السابق، ١، ٥٢١، ١٧-٢٢

٣٣٣ المصدر السابق(شاكر)، ١، ٥٢١ - ٥٢٢، ٢

كارتر، هناك

٣٣٤ المصدر السابق، ٣، ٢٤١، ٢-٥، ١، ٥٠٥، ٨، ١٠

Digitized by Birzeit University Library

ائتناف – انظر : استئناف ؛ الابتداء ، لهذا المصطلح مرادفات كثيرة في تفسير الطبري ، تؤدي المعنى ذاته ، نحو : استئناف وقطع وانقطاع وابتداء ؛ إلا أن مصطلح الائتناف لم يشع استعماله في التفسير ، فلم يستعمل سوى مرتين .
الائتناف لغة : استأنف الشيء وائتنفه : أخذ أوله وابتدأه ، وأنا آتنفه ائتنافا وهو افتعال من أنف الشيء ، وائتنفت الأمر ، و استأنفته ، إذا استقبلته [٣٣٥] ، أما تعريفه الاصطلاحي : فهو انقطاع الكلام عما قبله واستقلاله ، وعدم اتباعه لما قبله نحويا ، أي بداية جملة جديدة منفصلة عما قبلها نحويا ، وذلك لتوضيح ما سبق ، على عكس العطف والاتصال . [٣٣٦]

على حد تعبير فان إس فإن كلمة «ائتنف» مصطلح مبكر من مصطلحات علم الكلام ، ولها مرادفات نحو : بدأ ، وابتدأ ، وابتدع ، وكل ذلك بمعنى استقبال الأمر عكس الفراغ منه . [٣٣٧]

استعمل الطبري «ائتنافا» مرتين في تفسيره :

١ . ائتناف «إن» التي تأتي بعد الفاء الواقعة في جواب الشرط ، كما في الآية : «**كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة، ثم تاب من بعده وأصلح، فإنه غفور رحيم**»[٦ (الأنعام) : ٥٤] ، فاعتبر الطبري «أن» الأولى في محل نصب بدل من «الرحمة» ، أما الثانية المكسورة الهمزة ، فلا محل لها من الإعراب ، والمعنى الذي يقدره الطبري : فهو له غفور رحيم ، أو : فله المغفرة والرحمة ، أي تبدأ جملة جديدة تتكون من مبتدأ وخبر دون الاعتماد على الجزء السابق ، [٣٣٨] ويوضح هذا سيبويه بقوله : «لأنك إذا أدخلت الفاء في جواب الجزاء استأنفت ما بعدها» ، [٣٣٩] ورد كلام سيبويه تحت باب : ما يضمر فيه الفعل المستعمل إظهاره بعد حرف ، والمقصود الفاء الواقعة في جواب الشرط ، نحو : الناس مجزيون بأعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، كلمة «خير» لا تعتمد في إعرابها على ما سبق وإنما نبدأ جملة جديدة ، فهي أي «خير» خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير وفقا لسيبويه : إن كان خيرا فالذي يجزون به خير أو : فهو خير . [٣٤٠]

٢ . الائتناف بعد لام القسم أو كما يسميها الطبري : لام اليمين ، ويسميها أبو جعفر النحاس لام الابتداء اعتمادا على الأخفش الأوسط ، يقول الطبري : «دخلت لتؤذن أن ما بعدها ائتناف» [٣٤١] ، لأننا نبدأ جملة جديدة بعدها ، نحو الآية : «**ينادون لمقت الله أكبر**»[٤٠ (غافر) : ١٠] ، فـ«مقت الله» مبتدأ ، و«أكبر» خبره ، من خلال هذا النص نصل إلى نتيجة أنه يمكننا استبدال مصطلح ائتناف بالابتداء ، والمقصود به أن نبدأ بجملة جديدة منفصلة عمّا قبلها .

---

٣٣٥ لسان العرب ، مادة : أنف ، الأزهري ، تهذيب ، ١٥ , ٢٨٤ , ٧-٨ (مادة : أنف)

٣٣٦ كينبرغ ، ٢٨-٢٩

Versteegh (1993) ، 135

٣٣٧ فان إس ، «مسألة الجبر والاستطاعة : دراسة في الحديث وعلم الكلام» ترجمة : ماهر جرار ، الأبحاث ، السنة ٤٧ , ١٩٩٩ , ٦٥

٣٣٨ تفسير الطبري ، ٧ , ٢٠٨ , ١٨-٢٤

٣٣٩ الكتاب ، ١ , ١١٠ , ٤-٥ ، انظر : Versteegh (١٩٩٣) ، ١٣٥

٣٤٠ الكتاب ، ١ , ١٠٩ , ٢٣- ١١٠ , ١٤

٣٤١ تفسير الطبري ، ٢٤ , ٤٧ , ٣-١٢

Digitized by Birzeit University Library

استئناف – يعرف على أنه البدء بجملة جديدة، مستقلة نحويا عما سبقها في الكلام؛ أي تنفصل عن الجملة السابقة، فلا يعمل فيها عامل من العوامل السابقة؛ على شرط أن تكون الجملة الأولى تامة العناصر حتى يتسنى البدء بجملة جديدة، ولكن هذه الجملة كأنها جواب عن سؤال مقدر. يوازي مصطلح الاستئناف في دلالته النحوية مصطلحي الانقطاع والابتداء، ولكن الفرق بين الاستئناف والقطع أو الانقطاع هو أن الكلام مرتبط بما قبله في الاستئناف من حيث المعنى وليس اللفظ؛ أما القطع فإن الكلام مقطوع عما قبله لفظا ومعنى. في ضوء ما سبق، فإن الاستئناف عكس العطف.[٣٤٢]

الابتداء – يقصد من ورائه الطبري البدء في جملة جديدة أو عبارة جديدة، منفصلة عما قبلها، غالبا ما يكون الاسم أو الفعل المضارع الذي يأتي في مقدمة هذه الجملة مرفوعا. يقترن استعمال هذا المصطلح لدى الطبري أحيانا بقوله: الابتداء والاستئناف، والابتداء والانقطاع عن الأول[٣٤٣].

للابتداء عند الطبري معنيان:

١- بمعنى جملة الابتداء المنقطعة عما قبلها، أي البدء بجملة جديدة.

٢- بمعنى المبتدأ المحتاج إلى الخبر؛ لذلك يتكرر في تفسير الطبري: خبر الابتداء؛ مرفوع على الابتداء وخبره[٣٤٤].

من المواضع التي استعمل فيها الطبري مصطلح الابتداء، ما بعد فاء الاستئناف التي تشبه واو الاستئناف، لأنها تفصل ما بعدها عما قبلها، وذلك في الآية: «**وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم، فيضل الله من يشاء**»[١٤ (ابراهيم): ٤]؛ فجاء الفعل المضارع مرفوعا بعد فاء الاستئناف، ولم يأت منصوبا عطفا على ما قبله؛ لذلك قال الطبري: «لأنه أريد به الابتداء، لا العطف على ما قبله»[٣٤٥]، إذا نخلص إلى نتيجة وهي أن الابتداء معاكس للعطف، من حيث الانقطاع عما قبله. كما وأن هذا المصطلح معاكس لمصطلح: اتصال/ متصل.

بدل، ترجمة – أفرد لهذين المصطلحين دراسة منفصلة في مقدمة هذا الباب[٣٤٦].

---

٣٤٢ كينبرغ، ٢٩, ٣٢, ٣٦، الكليات، ١٠٦

Versteegh(1993)، 134-6

٣٤٣ الطبري، ٢, ٨٣, ١٦, ٢, ٣٥٣, ٧, ٦, ٢٨١, ١٨، ٨, ٨٩, ١٤؛ كينبرغ، ٤٩-٥٠, ٥١-٥٢

٣٤٤ الطبري، ٦, ٢٦, ١٦, ٨, ١٥٠, ٩

٣٤٥ المصدر السابق، ١٣, ١٨١, ١٧-١٨

٣٤٦ انظر أعلاه؛ البند ٢: ٦: ٣

Digitized by Birzeit University Library

التبرئة – يسمي الطبري لا النافية للجنس التبرئة، وأكد أنها لا تعمل إذا حيل بينها وبين اسمها «بحرف الصفة» أي حرف الجر في، كما في الآية: «**لا فيها غول**»[٣٧(الصافات): ٤٧][٣٤٧]، أما إذا لم تكن «لا» في الجملة نافية للجنس، وإنما لا النافية التي ترفع الاسم وتنصب الخبر، وهي لا الحجازية، فإن الطبري لا يسميها «لا التبرئة»، بالأخيرة (لا التبرئة) تعني فقط لا النافية للجنس؛ ففي الآية: «**لا لغو فيها ولا تأثيم**»[٥٢(الطور): ٢٣]، إذا قرئت «لغو» و«تأثيم» مبنيتين على الفتح « نصبا غير منون، على وجه التبرئة» كما يقول الطبري حرفيا.[٣٤٨]

تمام – هو ذلك الجزء المكمل للقسم الأول من الكلام أي المبتدأ، فلا يمكن الاستغناء عنه، لكي تفيد الجملة معنى تاما، إذا هو الخبر في عبارة النحويين.

من خلال تفسير الطبري، يفيد هذا المصطلح عدة معان:

١- خبر كان الناقصة، فلا بد من ذكر الخبر حتى يكتمل المعنى ويتم، وعكسها «كان» التي لا تحتاج إلى خبر، أي كان التامة. يقول الطبري: «فإن نصب مثقال في قوله[إن تك مثقال حبة]، على أنه خبر، وتمام كان، وقال: فع بعضهم، فجعلها كان التي لا تحتاج إلى خبر»[٣٤٩].

٢- خبر المبتدأ، أي خبر المبتدأ في الجملة الاسمية، ويسميه الطبري: «عند تمام الخبر عن الأول»،[٣٥٠]

٣- بمعنى المفعول الثاني لأفعال القلوب، نحو: ترى، وذلك في الآية: «و يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة» [الزمر: ٦٠]؛ فالعبارة» وجوههم مسودة» مبتدأ وخبر في محل نصب مفعول ثان لـ«ترى»؛ لذلك يسميها الطبري: «لأنها [وجوههم] مع خبرها تمام ترى».[٣٥١]

استثناء - استثناء متصل صحيح - يقصد به الطبري الاستثناء التام المتصل بما قبله، المستوفي للشروط؛ فيشترط في هذا النوع من الاستثناء أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، وقد اقترن مصطلح الاستثناء الصحيح والمتصل في التفسير معاكسا للاستثناء المنقطع؛ لأن تفسير الآية يعتمد على تحديد نوع الاستثناء؛ نحو الآية: «**الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم**»[٥٣(النجم): ٣٢]، فهل «اللمم» جزء من كبائر الإثم والفواحش؟ أم أنه استثناء منقطع: أي أن «اللمم» هو دون تلك الذنوب، لا يصل الحد الذي يستوجب عليه الإنسان حد الزنا أو الكفر مثلا، فيغفره الله للإنسان[٣٥٢]، وهذا الوجه الذي اختاره الطبري.

---

٣٤٧ المصدر السابق، ٢٣, ٥٣, ١٥-١٧

٣٤٨ المصدر السابق، ٢٧, ٢٩, ١٣-١٥

٣٤٩ المصدر السابق، ٢١, ٧٢, ٤-٥؛ اظر أيضا: ٢٢, ١٢٧, ٢٣

٣٥٠ المصدر السابق، ٢٣, ١٦, ١٩

٣٥١ المصدر السابق، ٢٤, ٢٢, ٣

٣٥٢ المصدر السابق، ٢٧, ٦٦ - ٦٨، انظر أيضا: ١٩, ١٣٦-١٣٧, ٣٠, ٢٤٦, ١، هذا فيما يخص الاستثناء الصحيح، أما المتصل، فانظر: ٤, ٤٩- ٥٠

Digitized by Birzeit University Library

الاستثناء المنقطع- الخارج - أولى الطبري اهتماما خاصا لهذا النوع من الاستثناء؛ لأهميته في تحديد معنى الآية، وبعض الأحكام الفقهية، وقد علل تسميته بهذا الاسم؛ لأنه فيه انقطاع (عكس اتصال) ما بعد أداة الاستثناء إلا عما قبلها، أي يمكننا استبدال «إلا» بالأداة « لكن»، ولا يقصد الطبري انقطاع الثاني عن الأول لفظا فقط بل من ناحية المعنى أيضا؛ كما في الآية: «**لا يعلمون الكتاب إلا أماني**»[٢(البقرة): ٧٨]، فإن «أماني» ليست من جنس «الكتاب»[٣٥٣]، وفقا لما قاله الطبري، يكون الاستثناء المنقطع أو الخارج منصوبا أو في محل نصب إذا كان مبنيا؛ لأنه يخرج عن الأول في الإعراب [٣٥٤]، وقد علق سيبويه على هذا الباب بقوله: «هذا باب يختار فيه النصب؛ لأن الآخر ليس من نوع الأول، وهي لغة أهل الحجاز»[٣٥٥]، وقد أشار سيبويه في هذا الباب إلى أن معنى «إلا» لكن، كما أنه ذكر مصطلح «منقطع» و«الانقطاع» في باب الاستثناء، أي أنه منقطع «مما عمل في الأول» أي: العامل فيما قبل أداة الاستثناء يختلف عنه فيما بعدها.[٣٥٦]

وقد يسمي الطبري أحيانا هذا النوع من الاستثناء، بالاستثناء الخارج؛ ويعني به المعنى ذاته، أي أن الاستثناء المنقطع هو الاستثناء الخارج من أول الكلام، بكلمات أخر، انقطاع ما بعد إلا عما قبلها، وهو ينقل ذلك حرفيا عن الأخفش الأوسط، بالإضافة إلى نقله مصطلح الاستثناء المنقطع عن الأخفش أيضا[٣٥٧]؛ من الأمثلة التي ضربها الطبري على الاستثناء الخارج، الآية: « **وحفظناها من كل شيطان رجيم، إلا من استرق السمع**»[١٥(الحجر): ١٧-١٨]، فيصبح معنى الآية: وحفظناها من كل شيطان رجيم لكن من استرق السمع، فإذا صح لنا استبدال أداة الاستثناء «إلا» ب «لكن»، عندئذ نعتبر هذا النوع استثناء منقطعا أو خارجا[٣٥٨].

الجحد- الإقرار- النفي -الاستثبات يستعمل الطبري مصطلح الجحد بكثرة على عكس النفي، لأن أصل معنى النفي وفقا لما قالته العرب، هو الطرد أو الإبعاد من مكان الإقامة [٣٥٩]، لذلك يرى الطبري مصطلح الجحد أكثر ملاءمة لموضوع اللغة والنحو من النفي؛ لكن علينا أن نلتزم الحذر في ذلك، إذ نجد الطبري يستعمل الجحد والنفي في آن واحد أحيانا، دون أن يفرق بينهما؛ فلا يعتبر مثلا «سوى» من «حروف النفي والجحد» لذلك لا يجوز أن نقول: عندي سوى أخيك ولا أبيك، و يعتبر «لا» أيضا «نفي وجحد»[٣٦٠].

---

٣٥٣ المصدر السابق، ١, ٣٧٦, ٩- ٢١

٣٥٤ المصدر السابق، ٥, ٢٧٦, ٢٥-٢٦, ١٣, ١, ٦, ١٦, ١٢٩, ٢

٣٥٥ الكتاب، ١, ٣١٩, ١-٢

٣٥٦ المصدر السابق، ١, ٣١٨, ٢٣- ٣١٩, ٣

٣٥٧ معاني القرآن(فارس)، ١, ١١٥, ١ - ١١٧, ٧, ١, ٢١٣, ١- ٧, ٢, ٢٧٨, ٧, ٢, ٤٢٨, ٨-١٢

٣٥٨ المصدر السابق، ١٤, ١٤, ١٧-٢٠، للاطلاع على أمثلة أخرى انظر: ٤, ٥٠, ١٧, ٤, ٣١٨, ٢٥, ٥, ٢٧٦, ٢٥-٦,٢٦, ٢٧, ٧٣, ١٢, ١٣٩, ١-٢, ١٣, ١, ٦-٨, ١٦, ١٢٩, ٢, ٢٠, ١٢٦, ٢٤

٣٥٩ المصدر السابق، ٦, ٢١٩, ١١

٣٦٠ المصدر السابق، ١, ٨١, ٢١-٢٣, ١, ٧٩, ١

Digitized by Birzeit University Library

أما مصطلح الإقرار، فهو عكس الجحد، بين الطبري ذلك عندما تحدث عن «بلى»، إذ تأتي جوابا لكل استفهام متبوع بنفي، وهذا يختلف عن «نعم» لأنها «إقرار» بعد الاستفهام، وأحيانا نرى الطبري يستعمل مصطلح «الاستثبات» بدلا من الإقرار.[٣٦١]

جحد غير مصرح به - وهو الجحد الذي لا تستخدم فيه الأداة، وإنما تكتسب الجملة معنى النفي من خلال الكلمة نفسها، وقد ضرب الطبري عدة أمثلة على هذا النوع من الجحد:

نحو الآية: «**ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك**»[٧(الأعراف): ١٢]، فالآية تشمل معنى الجحد من خلال كلمة «منعك»، دون إضافة حرف النفي «لا»؛ لذلك تعتبر «لا» «صلة» أي زائدة للتوكيد، فإذا حذفنا «لا» تظل الآية تفيد معنى النفي؛ لأنه جحد غير مصرح به[٣٦٢]، أي نفي مضمر أو مختف غير ظاهر عن طريق الأداة.

الإجراء وترك الإجراء / المجرى وغير المجرى - وهو ما يعرف بالمصروف والممنوع من الصرف، وأحيانا يستعمل الطبري المصطلحات البصرية: نحو: صرف، وترك صرفه أو ترك الصرف، ولكنه في غالبية التفسير يستعمل مصطلحات الكوفيين وخاصة المنقولة عن الفراء؛ لأنه، أي الفراء، يستعمل في معانيه: صرف/ يصرف/ انصرف/ لم يصرف؛ لذلك نرى أن مصطلحي صرف وأجرى من المصطلحات المشتركة بين الكوفيين والبصريين.[٣٦٣]

نجد الطبري يستعمل المصطلحين جنبا إلى جنب، في آن واحد، مثل: صرف وأجرى، وترك الصرف وترك الإجراء؛ مما يؤكد أنه لا فرق بينهما لدى الطبري.[٣٦٤] وقد يطلق الطبري أحيانا على صرف الممنوع من الصرف في الشعر، أو ما يعرف بالضرورة الشعرية، « لأن العرب تجري ما لا يجري في الشعر».[٣٦٥]

الجزاء / الشرط / المجازاة - وهما أيضا من المصطلحات التي يستعملها الطبري في تفسيره، مع أنه يميل إلى استعمال «الجزاء» أكثر من الشرط، كما هو الحال لدى الفراء. حتى أنه في بعض الأحيان يقرن بين المصطلحين في النص ذاته: « بجزم الحرفين على الجزاء والشرط»: أي بجزم الفعلين المضارعين في الآية: «**يرثني ويرث من آل يعقوب**»[١٩(مريم): ٦][٣٦٦].

١. جواب الجزاء: ويقصد به الطبري جواب الشرط، نحو: إن تقم أقم؛ ف «أقم» جزمت لجزم الفعل الأول (فعل الشرط). ويسمي أيضا الفاء الواقعة في جواب الشرط: «الفاء التي هي جواب الجزاء».[٣٦٧]

---

٣٦١ المصدر السابق، ١، ٣٨٥، ١٩-٢٣، ١، ٤٨١، ٢١

٣٦٢ المصدر السابق، ٢٧، ٢٤٦، ١٨-٢٢، قارن مع الفراء، كينبرغ، ٩٨، ٤٠٢

٣٦٣ كينبرغ، ٤٠٣، ديرة، ٢٣٥

٣٦٤ تفسير الطبري، ١، ٢٢٧، ٢٦، ٣، ١٧١، ١٢-١٩، انظر أيضا: ٢٢، ٧٧، ١٠-١١، ٢٢، ١١٤، ١٣

٣٦٥ المصدر السابق، ٢٩، ٢١٩، ١٥-١٩

٣٦٦ المصدر السابق، ١٦، ٤٨، ٢٩

٣٦٧ المصدر السابق، ١، ٢٣٣، ١٦، ٣، ٩٦، ٥

Digitized by Birzeit University Library

٢. حروف الجزاء: وهي أدوات الشرط الجازمة، التي يسميها الطبري حروفا، نحو: إن ومن وما.

الجملة: أنظر: كلام: لقي مصطلحا «جملة» و« كلام» (انظر مصطلح: كلام فيما يأتي)عناية خاصة من الباحثين في تاريخ المصطلح النحوي العربي؛ لأنهما مصطلحان عامان، لهما الكثير من الاستعمالات، وقد طرأ عليهما تغيرات في المفهوم بشكل جوهري، منذ فترة سيبويه والفراء وحتى عصرنا الحالي.

معنى الجملة لغة مشتق من الفعل أجمل الشيء يجمله، أي يجمعه، من هنا نفهم أن الجملة عكس التفرق، والجملة بمعنى جماعة الشيء، الكلام المجمل يعني الكلام الموجز، والمقصود بجماعة الشيء في الكلام والحساب وغير ذلك من أمور الحياة، جاء في معجم العين» والجملة جماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره». وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم مرة واحدة «**وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة**»[٢٥(الفرقان): ٣٢]، بمعنى مجتمع عكس متفرق.[٣٦٨]

يمكن لنا أن نستخلص من خلال تفسير الطبري استعمالات متعددة للمصطلح «جملة»، يتضح لنا من خلالها تغير مفهوم «جملة» منذ القرن الهجري الثالث لدى المتأخرين من النحاة.

١. جملة الخبر ٢. جملة تامة ٣. من جملة الكلام

١.جملة الخبر:

يطلق عليها الطبري جملة خبر المبتدأ أحيانا عندما تكون تامة منفصلة عن غيرها، أي كأننا ابتدأنا من جديد، نحو: الآية: «وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة، وأجر عظيم»[٥(المائدة): ٩]، فجملة» لهم مغفرة وأجر عظيم» هي جملة الخبر؛ لأننا ابتدأنا من جديد جملة منفصلة تامة.[٣٦٩]

في بيت الشعر الذي ذكره الطبري:

إن الخلافة بعدهم لذميمة وخلائف طرف لما أحقر

يقول الطبري: فأدخل اللام في خبر مبتدأ بعد جملة خبر قد عملت فيه «إن» إذ كان الكلام، وإن ابتدئ، منويا فيه «إن»[٣٧٠]، نخلص إلى نتيجة مفادها أنه يعني بجملة خبر: أي الجملة الخبرية المعروفة وهي التي تحتمل الصدق والكذب، بعكس الجملة الإنشائية.

كما أن الطبري ذكر «جملة خبر المبتدأ» في موقع آخر، حيث اعتبر أن كلا من الجملتين «إياك نعبد» و«إياك نستعين» تعتبر جملة خبر مبتدأ؛ أي أن «إياك نستعين» مستقلة عن «إياك نعبد»، ابتدئ بها من جديد.[٣٧١]

---

٣٦٨ ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم(هنداوي، ٢٠٠٠) ٧, ٤٥١, ٢٠، العين، ٦, ١٤٣, ١-٢، الأصفهاني، مفردات(١٩٩٢)، ٢٠٣

٣٦٩ الطبري، ٦, ١٤٣, ٤-١٤

٣٧٠ المصدر السابق، ٢٥, ١٤٠, ١٣

٣٧١ المصدر السابق(شاكر)، ١, ١٦٥, ١٣-١٦٦، ١-٣

Digitized by Birzeit University Library

٢.جملة تامة:

لم يشع استخدام هذا المصطلح في تفسير الطبري، بينما يكثر استخدام «كلام تام» أو «جملة كلام تام».
من الجمل التي أطلق عليها الطبري جملة تامة، هي الجملة المعطوفة على ما قبلها بوساطة «أم»، كما في المثالين: أتقوم أم يقوم أخوك، و«قل أتُحاجّوننا في الله. . . أو تقولون [٢ (البقرة) ١٣٩-١٤٠]، فيسمي الطبري جملة «يقوم أخوك» في المثال الاول «جملة تامة». [٣٧٢] أي أن الجملة جزء واحد، لا تستطيع بالضرورة الاستغناء بنفسها. لذلك نستطيع أن نعتبر الجملة التامة كلاما. [٣٧٣]

يدعي بعض الباحثين المعاصرين أن القدماء فرقوا بين كلام وجملة، وأنّ المصطلح «كلام» يفيد جملة تامة مقصودة لذاتها، ولا يدل على جزء من الجملة، مثل: قام أبوه، في الجملة: زيدٌ قام أبوه. [٣٧٤]، ولكن ما جاء في «الكتاب» لسيبويه وغيره من المصادر القديمة، يؤكد عكس ما ادعاه هؤلاء الباحثون؛ فيسمّي سيبويه جملة زيدٌ منطلقٌ بعد الفعل «قلت» أي: قلت زيدٌ منطلق، يسميها «كلاماً»، يقول «فلما أوقعت قلت على ألا يحكى بها الا ما يحسن أن يكون كلاماً» [٣٧٥]. وهذا لا يترك مجالاً للشك في أن المصطلح «كلام»، لا يعني دائماً الجملة التامة المستقلة، بل يعني جزءاً من الجملة. ويدعم هذا الرأي ما جاء لدى الطبري عندما استعمل «كلام» بمعنى جزء أو قسم من الجملة التامة. [انظر: لاحقاً، المصطلح: كلام].

لاحظ العديد من الباحثين غياب المصطلح جملة في كتاب سيبويه، فكلمة «جملة» بمعنى مجموعة واحدة مترابطة وردت ثماني مرات مفردة، و مرة بصورة الجمع، وفي كل الحالات تعني تنظيم المواد وتلخيصها. [٣٧٦]
أما الفراء فقد استعمل مصطلح «جملة» للدلالة على أنماط من الكلام تسد مسد اسم مفرد في بعض التراكيب النحوية مثل المبتدأ والخبر، في هذه التراكيب، تدل هذه المصطلحات على الجمْلة التي تعمل عمل الاسم المفرد؛ لذلك تعرب إعراب ذلك الاسم، نستنتج من ذلك، أن مصطلح «جملة» ابتكر في فترة متقدمة من تاريخ النحو العربي، ليدل على الجملة البسيطة اسم + خبر [٣٧٧].

---

٣٧٢ المصدر السابق، ١, ٥٧٣, ٩-١٩

٣٧٣ Goldenberg. G, "Subject and Predicate in Arab Grammatical Tradition", ZDMG, p54, 138/39-73, 1988.

٣٧٤ المصدر السابق نفسه ٥٣-٥٤ نقلا عن الرضي، شرح الكافية، ١, ٨٢٢-٢٥، وانظر: «طلمون Talmon. R, "Al-Kalām ma Kana muktafiyan bi-nafsihi w-huwa l-ğumla". A study in the history of sentence-concept and the Sibawaihian legacy in Arabic Grammar.ZDMG 138 74-98.p ٥-٧٤.

٣٧٥ (أشكر أستاذي أ. لڤين على هذه المعلومة القيمة) سيبويه (درنبورغ) ١, ٥٠, ٦-١٠؛ ١, ٩٩, ١٦-١٨؛ ١, ٩٩، ٢٠؛ ١, ٣٩٥, ١٢-١٣؛ سر صناعة الاعراب ١, ٢٥٤, ١١-١٢-١٦-٢٢؛ ١, ٢٥٦, ١-٢؛ المقتصد ١, ٦٨, ١٢-١٣

٣٧٦ كارتر (١٩٧٢) مقتبس عند طلمون، المرجع السابق، ص ٨٠

٣٧٧ طلمون، المرجع السابق، ٩١-٩٣

Digitized by Birzeit University Library

تأتي الجملة لدي الطبري أحيانا، بمعنى بناء مركب من عدة أجزاء، أو جملة تامة (كلام)، أو عبارة تسد مسد الاسم، أي تكون في محل رفع أو نصب أو جر حسب موقع الاسم الذي سدت مسده، وتسد مسد هذا الاسم كخبر للمبتدأ.[٣٧٨]

٣. من جملة الكلام:

نقل الطبري هذا المصطلح عن الفراء، ويستعمل الطبري هنا صيغتين: جملة الكلام وجملة كلام تام، أما الصيغة الأولى فيقصد بها مُجمل الكلام عكس بعضه أو جزئه، وأما الأخيرة، فالمقصود بها الجملة التامة المكتفية بنفسها المستقلة نحو: إن واسمها وخبرها[٣٧٩].

المجهول / الهاء المجهولة:

أطلق الطبري مصطلح المجهول على أربعة استعمالاتٍ نحوية، بالإضافة إلى استعماله إياه في تأويل النص القرآني، بمعنى الغريب الغامض المنكر عكس التأويل الظاهر الشائع المعروف[٣٨٠].

١. يطلق الطبري المجهول على المعرفة غير الموقتة نحو الذي والذين، و ما، ومن من الأسماء الموصولة، والمعرف بأل من الأسماء نحو: العالم والرجل والبعير، وكل، والمقصود بالمعرفة غير الموقتة أنها عكس المعرفة الموقتة وهي أسماء الأعلام كزيد وعمرو، فهذه هي المعارف الحقيقية في رأي الطبري، فنجد الطبري في تفسيره يسمي أسماء الأعلام «الأسماء التي هي أمارات بين الناس» أو «الأسماء المشهورة»[٣٨١]، أما المعارف الأخرى نحو الرجل؛ فهي مكتسبة ليست ثابتة بصفة دائمة في الاسم؛ لأن الرجل يفقد صفة التعريف إذا زالت عنه أل التعريف.

أما الذين، فالدليل على أنها معرفة غير موقتة، أنها توصف أو تنعت بكلمة غير؛ كما في الآيتين: «صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم». لذلك يصف الطبري هذه المعارف بقوله: «هي كالنكرات المجهولات»؛ بناء على ذلك، لا يجوز في العربية أن يقال: مررت بعبد الله غير العالم، فعبد الله علم معرفة أما غير، فهي وإن كانت مضافة إلى معرفة فهي ما تزال نكرة؛ لذلك يقول الطبري: «وذلك خطأ في كلام العرب، إذا وصفت معرفة موقتة بنكرة»، نستطيع أن نسوغ مثل هذه الجملة على اعتبار «غير العالم» بدلا من «عبد الله».[٣٨٢]

---

٣٧٨ كينبرغ، ١٢٣

٣٧٩ المرجع السابق نفسه، ١٣٣؛ تفسير الطبري، ١٦, ٢٣١؛ ٢٥, ١٤٠

٣٨٠ المرجع السابق، ٣٠, ٦٧, ٢٠

٣٨١ المرجع السابق(شاكر)، ١, ١٨٠, ١٤ -١٨١, ١٣؛ (شاكر)، ٢, ٣٧, ١٠

٣٨٢ المرجع السابق نفسه؛ (شاكر) ٧, ٣٣٤, ١ -٣٣٥, ٥

Digitized by Birzeit University Library

٢. يقصد الطبري أحيانا بالمجهول ضمير الشأن؛ وهو ضمير يتصدر الكلام ليدل على غائب لم تأت ذكره في الكلام نحو: هو الله الرحيم، كما في الآية «**إلا أن يكون ميتة**»[٦(الأنعام): ١٤٥]، وذلك في قراءة من نصب «ميتة»، يقول الطبري: «على أن في «يكون» مجهولا، و«الميتة» فعل له « أي أننا نعرب «الميتة» خبر كان، على أن يكون اسمها ضمير الشأن «المجهول»، وتقدير الطبري للمحذوف في هذه القراءة (أي بنصب «ميتة»): إلا أنْ يكون ذلك مَيْتة، ولكنه أشار الى وجود قراءة أخرى برفع «ميتة»: «إلا أن تكونَ ميتةٌ»، يقول الطبري «وجعل «تكون» مكتفية بالاسم دون الفعل [=الخبر]، ولكنه خطّأ هذه القراءة [٣٨٣].

نجد هذا المصطلح مستعملاً لدى الفراء وثعلب في مجاسه؛ مما يدل على قدمه. [٣٨٤] كما أننا نجد في تفسير الطبري الاسم المجهول ويعني به الطبري أيضا ضمير الشأن، ففي الآية: » إلا من هو صال الجحيم» يعتبر الطبري «هو» اسما مجهولا أي ضمير الشأن. [٣٨٥]

هنالك أيضا الهاء المجهولة؛ وهي تدل على ضمير الشأن والحكاية، نحو الهاء المتصلة بـ«إنه» في الآية: « **إنه أنا الله**» [٢٧(النمل): ٩] [٣٨٦].

٣. المجهول من الوقت:

يعطينا الطبري مثالا على ذلك «إذ» في الآية«**وإذ قال ربك للملائكة**»[٢(البقرة): ٣٠]. يرد الطبري هنا على من يدعي أن «إذ» في الآية تأتي زائدة؛ ففي رأي الطبري طالما أن «إذ» تدل على الجزاء (= الشرط) وعلى «مجهول من الوقت»، في الحقيقة، لا نستطيع هنا أن نعتبر المجهول من الوقت مصطلحا مستقلا وشائعا، بل هو يشرح معنى «إذ». [٣٨٧]

٤. الهاء المجهولة:

وهو ضمير الشأن عند البصريين، ويطلق عليها الطبري أيضا «هاء العماد»، كما في الآية« **إنه أنا الله العزيز الحكيم**» [٢٧(النمل): ٩] فالهاء في«إنه» هي هاء العماد أو الهاء المجهولة، يقول الطبري «ومعناها الآمر والشأن». [٣٨٨]

استعمل الفراء في هذه الآية مصطلح هاء العماد ولم يذكر الهاء المجهولة، التي نقلها الطبري عن «بعض نحويي الكوفة». [٣٨٩]

---

٣٨٣ المرجع السابق (شاكر)، ١٢, ١٩٥, ٣-١١

٣٨٤ معاني القرآن، ١, ٣٦١, ٦-٧؛ مجالس ثعلب، ١٠٢

٣٨٥ الطبري، ٢٣, ١١٠, ٢٢

٣٨٦ المصدر السابق، ١٩, ١٣٥, ١٦

٣٨٧ المصدر السابق(شاكر)، ١, ٤٤٠, ٦

٣٨٨ المصدر السابق، ١٩, ١٣٥, ١٥-١٦، ١٨, ٦٠, ١٤-١٥، رفيدة، ١, ٥٨٦

٣٨٩ معاني القرآن، ٢, ٢٨٧, ١

Digitized by Birzeit University Library

الحوادث:

جمع «حادث»، ورد ذكر هذا المصطلح ثلاث مرات لدى الفراء بصورة المفرد؛ حادث وحادثة، والمقصود به العامل الذي يؤثر في حركة الكلمة التي تأتي بعده، في المرات الثلاث، استعمل الفراء «حادث» ليدل على العامل اللفظي نحو: واو المصاحبة التي تنصب ما بعدها.[٣٩٠]

أما الطبري فيستعمل هذا المصطلح بصيغة الجمع «حوادث» على نحو ما استعمله الفراء أي العامل اللفظي، وهي «واو الصرف» التي تقابل واو المعية والمصاحبة لدى البصريين؛ النص الحرفي للطبري هو « السلامة من الحوادث».[٣٩١]

إذا قمنا باستطلاع هذا المصطلح، ومن أين انحدر إلى النحو العربي، لوجدنا أنه ليس غريبا على المادة النحوية، فقد وردت المصطلحات التالية في كتاب سيبويه: «أحدث ذلك فيه من العوامل»[٣٩٢]؛ لذلك من المحتمل أن النحاة الآخرين (الفراء ومن تبعه) اشتقوا مصطلحي «حادث» و«حوادث» من كتاب سيبويه.[٣٩٣]

حرف/ حروف:

١ ـ مدخل عام:

كلمة حرف جمعها أحرف وحروف، مشتقة من حرف الشيء، أي: طرفه، وجانبه؛ لأنه طرف الكلمة وحدّها، وذكرت هذه الكلمة في القرآن: «**ومن الناس من يعبد الله على حرف**»[٢٢(الحج): ١١]، والمقصود: أنه غير مطمئن، متقلقل، غير ثابت في دينه، «كأنه معتمد على دينه غير واسط فيه»، وشبه بحرف الجبل.

ذكر ابن جني سببين لتسمية الحرف، وقد فصل القول تفصيلا، فلم يترك فائدة إلا وقيدها[٣٩٤]:

أولهما: لأن الحرف «حد منقطع الصوت وغايته وطرفه».

ثانيهما: لأن الحروف «جهات للكلم ونواح كحروف الشيء وجهاته المحدقة به»

---

٣٩٠ كينبرغ، ١٦٣

٣٩١ الطبري(شاكر)، ١٣ , ٣٨, ٤-٥؛ هذا النص غير موجود في النسخ المطبوعة للطبري، ٩ , ٢٥ , ٨؛ انظر الملاحظة القيمة للمحقق محمود شاكر أسفل الصفحة رقم ١

٣٩٢ انظر مادة: أحدث وحادث في: تروبو، ٦٦؛ عضيمة، فهارس كتاب سيبويه، ١٠٠؛ الكتاب (درنبورغ) ١، ٢ . ١-٢

٣٩٣ المرجع السابق

٣٩٤ سر صناعة الإعراب، ١ , ١٣ , ١١- ١٧ , ٤؛ لسان العرب (١٩٥٦)، ٩، ٤١، مادة: حرف

Digitized by Birzeit University Library

أما الفيروزأبادي فذكر عدة أسباب لتسمية الحرف بهذا الاسم، وأكثرها غير مقنع:

١. لوقوعه في طرف الكلمة.

٢. لضعفه في نفسه؛ يحتمل أنه يقصد أن معناه في غيره، أي في الاسم والفعل، ولم يأتلف منه كلام تام. وهذا يتناقض تماما مع نصوص «الكتاب» لسيبيويه، المتعلقة بمعنى الحرف.[٣٩٥]

٣. لحصول قوة الكلمة به.

٤. لانحرافه، أي: أن كل حرف ينحرف انحرافا يميزه عن غيره من الحروف.[٣٩٦]

وقد فرق الأزهري بين ضربين من الحروف:

الضرب الأول: حروف المعجم وهي الأصوات التي يتكون منها الكلمات، ولم يطلق عليها كلمات؛ لأنها لا تؤدي معنى منفرداً.

الضرب الثاني: حروف المعاني، وقد أطلق على كل منها اسم «كلمة»، لأنها تؤدي معنى، «كل كلمة بنيت أداة عارية في الكلام، لتفرقة المعاني، فاسمها حرف»، على الرغم من أن صيغة حرف تدل على المفرد، إلا أن الحرف قد يتكون من حرفين أو أكثر، نحو: هل، ولعلّ وغيرهما[٣٩٧].

٢ ـ معنى مصطلح «حرف» لدى الطبري:

يبدو أن مصطلح «حرف» من أكثر مصطلحات الطبري النحوية تشعبا وغموضا وإبهاما؛ واستنادا إلى المادة النحوية في تفسيره، فقد فرق بين استعمالات الحرف، عندما يكون صوتا لا معنى له، أو حرفا يأتلف مع غيره في الكلام الذي يدل على معنى، أو حرفا له معنى كحرف الجر «في»، أو حرفا زائدا لا معنى له يأتي للتوكيد وغير ذلك من المعاني المتعددة التي يصعب حصرها؛ لذلك سنورد معاني مصطلح «حرف» لدى الطبري مفصلة، كما يلي:

١. يستعمل الحرف، بمعنى أحد حروف الهجاء، أي: ليس له معنى كوحدة منفصلة، فهو عبارة عن صوت، ونراه يستعمل صيغة الجمع فيطلق عليها: حروف الهجاء والتهجي وحروف المعجم وأبي جاد والتسعة والعشرين حرفا، وهي الحروف التي قال عنها الطبري بأنها تعلّم للصبيان في الكتّاب، على شكل حروف مقطعة، نحو: ب س م، فرق الطبري بدقة بين حروف المعجم «المقطعة» التي لا تفيد معنى منفرداً، والكلام «المتصل الحروف»، أي أن الحروف عندما تكون متصلة مترابطة في كلمات، تؤدي معنى.[٣٩٨]

---

٣٩٥ جاء تفسير ذلك في كتاب: كشف المشكل في النحو لحيدرة اليمني(٢٠٠٢)، وانظر:

Levin. A, "The Meaning of Ḥarf Ǧāʾa li-Manan In Sibawahis al-Kitāb"، JSAI 24 (2000)¡pp 22-48.

٣٩٦ بصائر ذوي التمييز، ١, ٨٦, ٢, ٤٥٢

٣٩٧ التهذيب، ٥, ١٢-١٤، مادة: حرف

٣٩٨ الطبري، ١, ٥٣, ٢٧- ٣٠؛ ٨٩, ١- ١٢؛ ٩٣, ٢٤- ٣٠؛ ٢٤, ٤٠, ٧

Digitized by Birzeit University Library

٢. حروف الزيادة: وهو مصطلح يستعمله الطبري، وهذه الحروف الزوائد ليس لها معنى مستقل في نفسها، بل يؤتى بها للتوكيد، أو الوقف وغير ذلك؛ وقد فصلنا القول في مصطلح الصلة سابقا، وبينا موقف الطبري الحاسم من هذه المسألة [٣٩٩].

كما أنه يقصد بحروف الزيادة، الحروف التي تدخل على الحروف الأصلية نحو: الميم في «معايش»، وهي الحروف التي أطلق عليها لاحقا «سألتمونيها». ونلاحظ أن الطبري يطلق على حرف المضارعة، الذي يدخل في بداية الفعل المضارع، كالهمزة والنون والياء والتاء، زائدة، نحو التاء في «تتشابه»، فيسمي الطبري حرف المضارعة «علما للاستقبال»، ولا نجده يستعمل مصطلح الزوائد الأربع في حديثه عن حروف المضارعة. [٤٠٠]

٣. حروف المعاني: وهي عكس حروف الزيادة؛ لأن حرف المعنى يؤدي معنى محددا واحدا، كحرف الجر «إلى» الذي يعمل الجر فيما بعده، بينما لا يعمل حرف الزيادة فيما بعده. لم يتكرر مصطلح حروف المعاني في تفسير الطبري غير مرة واحدة، ولكنه يستخدم مصطلح «حروف» مضافا إلى كلمة أخرى، نحو: حروف الصفات وهي حروف الجر، وحروف النسق (= حروف العطف)، وحروف الجزاء(= الشرط)، وحروف الجحد(=النفي) وغيرها. [٤٠١]

٤. حرف عكس اسم: فيما يتعلق بموقعه الإعرابي، فالحرف لا محل له من الإعراب، بينما الاسم له محل من الإعراب، والمثال الذي يعطيه الطبري «ما»، فإذا كانت نافية فلا محل لها من الإعراب، أما إذا كانت «ما» اسم موصول بمعنى الذي فلها محل من الإعراب. [٤٠٢]

٥. حرف يعني كلمة مستقلة نحويا ودلاليا وصرفيا: فبالإضافة إلى ما سبق، يقصد الطبري بكلمة «حرف» الاسم والفعل:

- حروف الأضداد: وهي الأسماء والأفعال التي لها معنيان متعاكسان، مثل: وراء بمعنى خلف وأمام. [٤٠٣]
- حروف الشك: ويقصد بها الطبري أفعال القلوب، كظن وعلم وغيرهما، ويلحق خشي وخاف بأفعال القلوب بمعنى: ظن. [٤٠٤]
- الحرف الذي يأتي بمعنى الإغراء: ويقصد به الطبري اسم فعل الأمر مثل: دونك وعليك. [٤٠٥]
- الحروف المقلوبة: ويسميها أحيانا «الحروف المبدلة»، وهي الأسماء والأفعال التي أبدل فيها حرف مكان حرف آخر، نحو: مألك وملأك (أي ملك) وجبذ وجذب وشمأل وشأمل وثوم وفوم وعاثور وعافور وغير ذلك. [٤٠٦]

---

٣٩٩ المصدر السابق(شاكر)، ٥, ٤٦٢, ٢-٤٦٣, ٥

٤٠٠ المصدر السابق، ١, ٥١٤, ٢٤-٢٧؛ ٣, ٣٧, ١٣-٢٠؛ ٨, ١٢٥, ١٤-٢٨

٤٠١ المصدر السابق، ١, ١٣١, ٧, ١٦؛ ٤٨١, ٢١-٢٢؛ ٤, ١٠٨, ٢٠؛ ٢, ٥٢, ١-٢

٤٠٢ المصدر السابق، ٢٥, ٢, ١٩-٢٠

٤٠٣ المصدر السابق، ١٣, ١٩٥, ٦-٧

٤٠٤ المصدر السابق، ١٦, ٣, ٨-٩؛ ٣٠, ٣٤٣, ٢٦-٢٨

٤٠٥ المصدر السابق، ١, ٥٣, ٨

٤٠٦ المصدر السابق، ١, ١٩٨, ٤-٦؛ ٣١٢, ٤-٨

Digitized by Birzeit University Library

-حرف الاستثناء: من أدوات الاستثناء التي ذكرها «سوى» وقال عنها حرف استثناء.[٤٠٧]
-حروف الاستفهام: منها: أين وكيف ومتى وأنى وأين وماذا.[٤٠٨]
-حرف يدل على الإحاطة: هكذا أطلق الطبري على الاسم «كل».[٤٠٩]
-حروف بمعنى أفعال: نحو: جالست أباك، أي جلست إلى أبيك، وقاتلك الله، أي قتلك الله، ويخادع بمعنى: خدع.[٤١٠]

٦. يأتي حرف بمعنى قراءة قرآنية: علينا أن ننتبه إلى مقصود الطبري بمصطلح «حرف» هنا، وخاصة في ضوء تفسير الحديث النبوي «أنزل القرآن على سبعة أحرف، كل كاف شاف»، وللطبري رأي مهم جدا في تأويل هذا الحديث، يعتبر أهم مرجع في تفسير هذا الحديث؛ لأنه استطاع أن يوضح بذكاء شديد معنى «سبعة أحرف»:

في بداية حديثه، أوضح الطبري سبب تسمية القراءة حرفا، وهو أنه من باب إطلاق الجزء على الكل، واستشهد على ذلك بقولنا «كلمة» للقصيدة، ثم بين أن المقصود بـ«سبعة أحرف» سبع لغات فصيحة، أي لهجات فصيحة لقبائل عربية، نحو: هوازن، وقريش وغيرهما، وقد تم استبعاد هذه القراءات(اللغات) منذ فترة الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان، واكتفوا بلغة (قراءة) واحدة، وهي ما يسمى بالمصحف الإمام، الذي نسخ منه وأرسل إلى الأمصار، قام عثمان بن عفان بهذه الخطوة، كما يروي الطبري، لمنع البلبلة والخلاف بين الأمة.
وقد سماها الطبري أحيانا «الألسن السبعة»، ولا يجوز القراءة بهذه القراءات التي استبعدت في الصلاة بالرغم من صحتها وفصاحتها، وإن وجدت، لأننا نجد في تفسير الطبري بقايا لهذه القراءات، من خلال مصحف الصحابي ابن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت. وليس المقصود بالقراءات السبع اليوم ما جاء في الحديث «سبعة أحرف»، وإنما هذه قراءات متعددة للمصحف العثماني فقط، لأنه تم محو القراءات (اللغات القديمة)، بالغسل والإحراق، ومن الأمثلة التي يضربها لنا الطبري: قراءة عبدالله بن مسعود «زقية» بدلا من «صيحة»، يقصد الطبري أن الألفاظ متعددة ولكن المعاني متفقة، كقولنا: هلم وأقبل وتعال وإلىّ وقصدي ونحوي وقربي، فكل هذه الكلمات تؤدي معنى واحدا بمعنى فعل الأمر: اقترب[٤١٢].

---

٤٠٧ المصدر السابق، ١, ٨٢, ١٥-١٦

٤٠٨ المصدر السابق، ٢, ٢٤٣, ٧-٩؛ ٣٩٧, ٢٤-٢٩

٤٠٩ المصدر السابق، ٣, ٥٩, ٧-٨

٤١٠ المصدر السابق، ١, ١١٩, ١-٥

٤١٢ المصدر السابق، ١, ١٩, ٦-٧؛ ٢٢, ٢٠-٢١؛ ٢٤, ١٦-١٧؛ ٢٦, ٥-٦؛ ٢٨, ٥-٦؛ ٢٩, ٢-٥

Digitized by Birzeit University Library

٨. حرف واحد: يقصد الطبري وحدة واحدة مستقلة، لا تتجزأ، نحو: «إنما»، من المهم تحديد ذلك؛ لأن له علاقة بإعراب ما بعده؛ فإذا جاءت «حرفا واحدا»، فلا تعمل «ما» فيما بعدها، كما في الآية: «**إنما حرم عليكم الميتة**»[٢(البقرة): ١٧٣]؛ لذلك تأتي «الميتة» منصوبة مفعولا به، أما إذا فصلت «ما» عن «إن»، وأصبحت «ما» بمعنى «الذي»، فإن«الميتة» تأتي مرفوعة خبرا.[٤١٣]

٣ـ المصطلح «حرف» في «الكتاب» لسيبويه، و«معجم العين» المنسوب إلى الخليل بن أحمد:

ـ معجم العين: يدل حرف في هذا المعجم المنسوب إلى الخليل على معان عدة: منها: حرف هجاء، أي وحدة صوتية، و كلمة؛ فنجد حروف الاستفهام، و حروف الجزاء، مثل: أينما، وحروف القسم نحو: أيمن، ونجد الظرف عند يسمى حرفا (حرف صفة).[٤١٤]

ـ الكتاب لسيبويه: يرد المصطلح «حرف» بمعنى «آية»، فنجد في الكتاب: «وكان عيسى يقرأ هذا الحرف...»[٤١٥]، ونجد أيضا المصطلح «حروف الاستفهام»، فيدخل سيبويه فيها الهمزة ومتى وغيرهما، وحروف الجزاء.[٤١٦] كما أنه يستعمل المصطلح «حرف» بمعنى كلمة مثل: يك ويكن، ويسمي المفعول المطلق، نحو: عولك في قولنا: ويلك وعولك حرفا.[٤١٧]

وقد كرر سيبويه ذكر «حرف جاء لمعنى» أكثر من مرة، ويقصد به: الحرف الذي يدل على معنى دلالي أو نحوي محدد واحد فقط، وهذه ميزة فريدة تختص بالحرف، كدلالة أل على التعريف، ودلالة الكاف على التشبيه، ودلالة السين على الاستقبال، عندما تتصل بالفعل المضارع، بعكس الأسماء والأفعال التي تدل على أكثر من معنى؛ ككلمة «زيدٌ»، في الجملة: ذهب زيد، مثلا، فالاسم «زيد» يدل على اسم شخص ما، أما علامة الإعراب، فتدل على أن الاسم هو العامل «الفاعل» الذي نسب إليه القيام بالفعل «الذهاب، أما تنوين الضم، فيدل على أن الاسم «زيد» يدخل في عداد الأسماء المتمكنة، فالمعنى الأول صرفي، أما المعنيان الثاني والثالث فهما نحويان. وقد دحض الأستاذ ليفين في مقال موسع تفسيرات بعض النحاة المتأخرين لمقصد سيبويه من المصطلح «حرف جاء لمعنى» مثل الجرجاني والزجاجي والشنتمري وغيرهم.[٤١٨]

الحكاية:

يعرف أبو البقاء الكفوي الحكاية بأنها «إيراد اللفظ على استيفاء صورته الأولى» أي نقل كلام مباشر ضمن الخطاب دون تغيير أو[٤١٩] تبديل، وكثيرا ما تفتتح الحكاية بإن مكسورة الهمزة. وقد أعطى سيبويه أمثلة مما قالته العرب في لغة أهل الحجاز نحو:

---

٤١٣ المصدر السابق، ٢, ٨٤, ١٢-١٤

٤١٤ طلمون(١٩٩٧)، ٣٨٠

٤١٥ الكتاب(بولاق)، ١, ٤٧١, ١٤

٤١٦ الكتاب(١٩٩٩)، ١, ١٩٢, ٣-٧؛ ١٩٧, ١٢

٤١٧ المصدر السابق نفسه، ١, ٣٢٤, ٣-٥؛ ٣٨١, ٩-١٠

٤١٨ ليفين (٢٠٠٠)، ٢٦- ٣٠؛ الرد على النحاة العرب من ٣٢ فما قوق.

٤١٩ الكليات، ٤٠٩, ٩٠٢

Digitized by Birzeit University Library

رأيت زيدا، فيجيب المخاطب: من زيدا ؟ مكررا اللفظ كما هو وحقه أن يكون مرفوعا هنا وهي لغة تميم التي يفضلها سيبويه؛ ونقل سيبويه سماعا عن عربي من البادية « أليس قرشيا؟ فأجاب الأعرابي: ليس بقرشيا، وقد عرف سيبويه الحكاية بقوله: « هذا باب الحكاية التي لا تغير فيها الأسماء عن حالها في الكلام». [٤٢٠]

يعطي الطبري أمثلة عديدة على الحكاية نحو القول المشهور في كتب النحو: «دعني من تمرتان» [٤٢١]، نلاحظ هنا أن «تمرتان» ظلت مرفوعة على الحكاية؛ لأننا نقلناها حرفيا كما لفظها المخاطب. نجده أيضا يستعمل مصطلح «الحكاية وما ضارع الحكاية»، والمقصود هنا أننا لا نقتصر على قال وما اشتق منها في ألفاظ الحكاية، وإنما نستخدم الأفعال التالية كما قال الطبري: نادى وأذن ونبأ وينبئ ويوحى. [٤٢٢]

المحل:

يقصد به الطبري ظرف المكان؛ ففي الآية: «**مشارق الأرض ومغاربها**»[٨(الأعراف): ١٣٧]، يعرب الطبري «مشارق ومغارب» نصبا على المحل، و ذلك نقلا عن أحد النحاة. [٤٢٣] كما سنبين لاحقا، فإن الطبري استعمل مصطلح «الظرف» بكثرة، بينما نجد «المحل» نادرا في التفسير. يرى مهدي الخزومي أن استعمال البصريين للمصطلح «ظرف» جاء في وقت متأخر نتيجة لتأثير الفلسفة، لأن معنى الظرف الأصلي الوعاء، ثم أصبح الظرف بمعنى وعاء الزمان والمكان، بينما المصطلح «المحل» أقرب إلى الاستعمال الأصلي للغة بعيدا عن تأثير الفلسفة، [٤٢٤] وعلى العكس، يرى هذا الباحث أن المصطلح الكوفي «المحل» يناقض التأثير الفلسفي. هذا الرأي يصب في مجموعة الآراء المسبقة القائلة بأن أهل البصرة أقرب إلى المنطق والفلسفة، أما أهل الكوفة فهم إلى البداوة والرواية أقرب، وفي هذه الآراء تناقض وتعميم؛ فأسلوب الفراء في معاني القرآن وتحليله النحوي ومصطلحاته أقرب إلى المنطق من البصريين، إلى جانب ذلك، علينا الانتباه إلى أن «الظرف» ذكر ثلاث مرات في معجم العين، أي أن هذا المصطلح قديم الاستعمال، فلا ندري على وجه التحديد من منهما أقدم. [٤٢٥] هنالك ميزة أخرى تختص بها مجموعة من المصطلحات الكوفية ألا وهي التعميم، فمصطلح الظرف محدد في الاستعمال أكثر من المحل.

يشيع استعمال «المحل» بدل الظرف لدى الفراء إلى جانب مصطلحي الصفة والغاية. [٤٢٦]

---

٤٢٠ الكتاب، ١, ٣٥٦, ١٨-٢٠؛ ١, ٣٥٧, ٣-٥؛ ٢, ٥٩, ١٨

٤٢١ الطبري(شاكر)، ٦, ١٧١, ١٢

٤٢٢ المصدر السابق، ٨, ١٨٦, ١٥-٢٠؛ ٢٣, ١٨٤, ١٦, ٢٢, ٦٣, ٤

٤٢٣ المصدر السابق، ٩, ٤٣, ١٩-٢٠

٤٢٤ مدرسة الكوفة، ٣٥٤، ديره، ٢٢٢-٢٣،

٤٢٥ Talmon (1997)، 396

٤٢٦ كينبرغ، ١٨٧-٨٨

Digitized by Birzeit University Library

الخبر= الفعل

الخبر متناه / تناهى:

يعني الطبري بهما أن الخبر قد اكتمل وتم، أي يكتفي به لإفادة معنى يحسن السكوت عليه، لا يحتاج إلى تكملة لتتميم معناه، وقد ورد في معاني القرآن للفراء مصطلح «منتهى» الخبر» بما يشبه هذا المعنى.[٤٢٧]

نلاحظ أن الطبري يربط بين منتهى الخبر وموضع الوقف، أي يجوز لنا التوقف في الجملة عندما يكتمل الخبر، وليس بالضرورة أن يكون «منتهى الخبر» أو «الخبر منتناه» بمعنى خبر المبتدأ في الجملة الاسمية، ولكن ربما يعني تكملة الكلام سواء في الجملة الفعلية أم الاسمية، كما في سورة القدر؛ «تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر»؛ تعتبر شبه الجملة «من كل أمر» تتمة وتكملة للقسم الأول من الجملة الفعلية.[٤٢٨]

كما نجد الطبري يقصد بتناهي الخبر نهاية القصة القرآنية، ثم نبتدئ خبرا آخر بعد ذلك، كما في الآية: «**ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون** «[١٩ (مريم): ٣٤]، فالقسم الأول «ذلك عيسى . . . » هو منتهى الخبر لقصة عيسى ابن مريم وأمه، ثم نبتدئ خبرا آخر بتقدير: هذا قول الحق، لذلك يبدو أن استعمال الطبري لهذا المصطلح هو إيذان باستطاعتنا البدء بخبر جديد، ضمن جملة أخرى.[٤٢٩] يؤيد ذلك ما ورد في سورة يوسف؛ فقد اعتبر الطبري الآية» ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله» خبرا متناهيا، ثم بدأنا جملة اسمية جديدة، مبدوءة بالخبر «ومن قبل ما فرطتم في يوسف».[٤٣٠]

تمام الخبر:

لهذا المصطلح عدة معان في تفسير الطبري:

١. يأتي بمعنى تكملة أو تتميم للكلام يكون مضمرا أو محذوفا، نقدره من خلال المذكور أو الظاهر في النص؛ ففي الآية:« **صراط الذي أنعمت عليهم**» مضمر وهو تمام الخبر عن النعمة التي أنعمها الله على الإنسان، ألا وهي الصراط المستقيم؛ لذلك يقول الطبري بأن «تمام الخبر» لم يذكر مرة أخرى لمنع التكرار، ويعطي الطبري مثالا من شعر النابغة الذبياني:

كأنك من جمال بني أقيش يقعقع خلف رجليه بشن

هنالك محذوف في البيت قدرناه من خلال الكلمة الظاهرة «جمال» ألا وهو «جمل».[٤٣١]

---

٤٢٧ كينبرغ، ٢٠٧

٤٢٨ الطبري، ٣٠, ٢٦٠, ١٧-١٨

٤٢٩ المصدر السابق، ١٦, ٨٣

٤٣٠ المصدر السابق، ١٣, ٣٥ ،انظر أيضا: ٢٠, ١٤١؛ ٢٣, ٩٤

٤٣١ المصدر السابق، ١, ٧٦-٧٧، وانظر: Versteegh، (١٩٩٣)، ١٥٠-١

Digitized by Birzeit University Library

٢. يدل «تمام الخبر» على اكتمال الفائدة في الكلام، والبدء بخبر جديد بعده، سنوضح ذلك من خلال الآية: »ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة»[٢(البقرة): ٧]؛ الجزء الأول من الآية «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم» هو تمام الخبر وهو مكون من الجملة الفعلية؛ يبتدئ خبراً جديداً مكوناً من الجملة الاسمية وهو «على أبصارهم غشاوة»؛ من الجدير ملاحظته هنا تطابق هذا المصطلح في مفهومه مع المصطلح الآنف ذكره «تناهي الخبر». [٤٣٢]

٣. تأتي بمعنى المفعول الثاني من أفعال اليقين «ترى العلمية»، و يسميه الطبري «ما احتاج إلى اسم وخبر مثل ظن وأخواتها»، كما جاء في الآية «**و يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة**» [٣٩(الزمر): ٦٠]؛ جعل الطبري الجملة الاسمية من المبتدأ والخبر «وجوههم مسودة» المفعول الثاني لفعل اليقين «ترى»، يقول: «لأنها مع خبرها تمام ترى»؛ أي في محل نصب مفعول به ثان لترى. [٤٣٣] نلاحظ هنا أن الطبري يعيد صياغة نص الفراء، ولكنه أضاف مصطلح «تمام ترى» الذي لم يستعمله الفراء هنا.

خبر مستأنف: (انظر المصطلح استئناف فيما مضى):

كما أسلفنا، فالاستئناف انقطاع عما سبق في الكلام، والابتداء من جديد؛ لذلك فالكلام المستأنف بمعزل عن تأثير العامل في بداية الجملة.

هنالك عدة حالات يرد فيها استعمال «خبر مستأنف» ضمن الحالات التالية:

١. مجيء الفعل المضارع مرفوعا بالرغم من وجود فاء نستطيع أن نضمر بعدها أن الناصبة بالرغم من عدم وجود نفي أو طلب في مقدمة الكلام، وذلك لأنه خبر مستأنف منقطع عما سبق، و يصوغ الطبري ذلك بقوله: »على انقطاع الكلام عما قبله، وابتداء خبر مستأنف »[٤٣٤]، نضرب مثلا من خلال الآية: «**فلا تكفر فيتعلمون منهما**»[٢(البقرة): ١٠٢]؛ فالفعل «يتعلمون» جاء مرفوعا وليس منصوبا بأن مضمرة بعد فاء السببية، لأنه «كان منقطعا» كما قال سيبويه، فيكون التقدير: فهم يتعلمون، فتكون الجملة ابتدائية منقطعة عما سبق، معطوفة على ما قبلها عطف الجمل على الجمل، كما ذكر الأخفش الأوسط وأبو حيان النحوي. [٤٣٥]

٢. جملة اسمية منقطعة عما قبلها، ويسميها الطبري «خبر مستأنف منقطع». [٤٣٦]

٣. تأتي الجملة الشرطية خبرا مستأنفا، كما في الآية: «**وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم**» [٦(الأنعام): ٥٤]. [٤٣٧]

---

٤٣٢ المصدر السابق، ١, ١١٣-١٤؛ ٢٣, ١٦, ٢٢

٤٣٣ المصدر السابق، ٢٤, ٢٢, ٢-٨؛ انظر: معاني القرآن، ٢, ٤٢٣-٢٤؛ البحر المحيط، ٧, ٤١٩؛ الكشاف، ٣, ٤٠٦

٤٣٤ التفسير، ٣, ٣٢٩, ٣

٤٣٥ الطبري، ١, ٤٦٢, ١٢؛ الكتاب (يعقوب، ١٩٩٩)، ٣, ٣٩, ٣-٩؛ معاني القرآن للأخفش، ١, ١٤١, ١٢-١٤؛ البحر المحيط، ١, ٤٩٩-٥٠٠

٤٣٦ الطبري، ٢١, ٤٣, ٧-٨, ١١, ٨٥, ١٥, ١٢, ١٨, ٢-٣؛ الفراء، معاني القرآن، ٢, ٣٢٥

٤٣٧ الطبري، ٧, ٢٠٨, ١٠

Digitized by Birzeit University Library

٤. جملة جواب القسم، نحو: «**والسماء ذات البروج، واليوم الموعود،قتل أصحاب الأخدود**»[البروج: ١-٣]، في هذه الآيات ترك جواب القسم، وسد مسده «الخبر المستأنف» «قتل أصحاب الأخدود». [٤٣٨]

خافض، نصب بفقد الخافض= انظر: سقوط الصلة

الخروج = انظر: النصب على الخروج

خلف: بفتح فسكون، وردت هذه الكلمة لدى الطبري في مجالات عدة، منها خارج إطار النحو، ولكنها تفيد بشكل عام معنى المحال أو الفاسد من القول، وقد عرف محمود شاكر هذا المصطلح بأنه: الرديء الفاسد من القول أو الخطأ. [٤٣٩]

الخلف في تفسير الطبري يعني الكلام المستحيل، و الأنموذج على ذلك: الشمس قد فصلت بين النهار هذه الجملة خلف «لكان من الكلام خلفا لنقصان الكلام عما به الحاجة إليه من تمامه الذي يقتضيه بين»، [٤٤٠] يقصد الطبري أن الأصح كما مثل به من الشعر الجاهلي بتكرار بين وذكر الليل: بين النهار وبين الليل.

دائم = انظر: الفعل الدائم

دعامة:

لغة: هي عماد البيت الذي يقوم عليه، وهي اسم الخشبة التي يدعم بها [٤٤١].

أورد الطبري هذا المصطلح مرة واحدة، نقلا عن الفراء، وذلك في الآية: «**إن هذان لساحران**»[٢٠ (طه): ٦٣]؛ يعتبر الطبري الألف في«هذا» دعامة، أي ليست جزءا أصليا من الكلمة وإنما جاءت لتقوية الكلمة ودعمها؛ لذلك لا تتغير في حالات الرفع والنصب والجر؛ ويزاد عليها في حالة التثنية النون، جاء الطبري بهذا التفسير لتخريج القراءة القرآنية؛ لأن «هذان» اسم إن منصوب. [٤٤٢]

---

٤٣٨ المصدر السابق، ٣٠, ١٣٥, ١٠-١٣؛ الفراء، معاني القرآن، ٣, ٢٥٣, ١-٤

٤٣٩ استعمل الطبري: خلفا في الدعاء وخلفا في التأويل: المصدر السابق، ١, ٧٢, ٢٢؛ ١, ٢٠٤, ٢٤؛ ١, ٤٠٥, ٨؛ ١١٩, ٨؛ ٢٠, ١٠١, ١٤؛ تعليقات شاكر: الطبري(شاكر)، ١, ١٦٥ ملاحظة ٤؛ ٢, ٣٢٢ ملاحظة ١

٤٤٠ المصدر السابق، ١, ٧١, ٢٠-٢١

٤٤١ معجم العين، ٢, ٦٠؛ لسان العرب، ١٢, ٢٠١-٢ (مادة: دعم)

٤٤٢ الطبري، ١٦, ١٨٠, ١٨-٢٠؛ كينبرغ، ٢٤٧-٨

Digitized by Birzeit University Library

الذم:النصب على الذم = النصب على الشتم

يستعمل الطبري المصطلحين في نفس المعنى ؛ ففي الآية الرابعة من سورة المسد «وامرأته حمالة الحطب» ، ينصب الطبري «حمالة الحطب على الذم [٤٤٣] ، نلاحظ هنا أن «حمالة» جاءت منصوبة على عكس «امرأته» المرفوعة ؛ لذلك ينصبها الطبري على الذم أو القطع (=الحال) لأنها لم تتبع ما قبلها . وهي منصوبة أي «حمالة» على فعل مضمر تقديره : أذم أو اشتم ، والتقدير لدى سيبويه : «أذكر حمالة الحطب شتما لها » ، ويقول بأنه لا يجوز إظهار فعل الشتم . [٤٤٤]

في الآية : «ملعونين أينما ثقفوا»[(الأحزاب) : ٦١] ، يعرب الطبري كلمة «ملعونين» منصوبة على الشتم لأنها جاءت منصوبة بعد رفع ، أي لم تتبع ما قبلها في الإعراب . [٤٤٥]

والمثال الذي يورده سيبويه : أتاني زيد الفاسق الخبيث بنصب آخر كلمتين على الذم ، مع أن حركة «زيد» هي الضمة ، ومن الجدير ذكره هنا أن سيبويه قرن في الاستعمال بين المصطلحين : الشتم والذم . [٤٤٦]

يعطي ابن شقير مثالا على النصب على الذم : [٤٤٧]

مررت بأخيك الفاجر الفاسق فنصبنا «الفاجر» و«الفاسق» على الذم ولم نتبعهما لما قبلهما «أخيك» ؛ لذلك خالف إعرابهما إعراب ما قبلهما وهو الجر .

الراجع من ذكره: انظر: العائد من ذكره

الرد:

إن أقرب كلمة ، ربما تلخص المعاني التي تتضمنها هي التابع ، نستخلص هذا المعنى من نص الطبري ؛ إذ يقول « أحدهما الرفع على ردها[المقصود : أنا دمرناهم] على «العاقبة» على الإتباع لها» . [٤٤٨]

ما يميز مصطلح الرد أنه فضفاض ، يستعمله الطبري كثيرا بمرافقة مصطلحات أخرى نحو : الترجمة والتكرير والتفسير والعطف والبدل ؛ هذا الأمر يدعو إلى طرح العديد من التساؤلات حول هذا المصطلح ؛ لشموله وعدم تحديده ، فهل هو فعلا مصطلح كوفي مستقل ؟ أم أنه استعمال لغوي عام ؟

---

٤٤٣ الطبري، ٣٠, ٣٣٨, ١٦ ؛ كينبرغ، ٨٠٩-٨١٠

٤٤٤ الكتاب(يعقوب)، ٢, ٦٥, ١-٥

٤٤٥ الطبري، ٢٢, ٤٨, ٢٥-٢٦

٤٤٦ الكتاب(يعقوب)، ٢, ٦٠, ٣ ؛ ٢, ٦٥, ٢

٤٤٧ المحلى، ٣٦-٣٧

٤٤٨ الطبري، ١٩, ١٧٤, ١٥-١٦

Digitized by Birzeit University Library

نستطيع حصر معاني الرد في الحالات التالية :

١. الرد/ الترجمة بمعنى البدل، كما في الآية : «**فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى**»[٢٠(طه) : ١٢]، يعرب الطبري «طوى» مجرورة «ردا» على «الواد»، ومن الواضح أنه يقصد البدل، و لا ننسى هنا التذكير بأن الفراء كان يسمي البدل المردود.[٤٤٩]

يستعمل الطبري أيضا كلمة مرادفة للرد وهي الترجمة، والترجمة لدى الكوفيين، يرادفها البدل لدى أهل البصرة.[٤٥٠]

٢. يأتي هذا المصطلح مقترنا أحيانا بالعطف «ردا على قوله. . . وعطفا به عليه»[٤٥١]

٣. الرد والتفسير كمترادفين يدلان على معنى واحد هو البدل؛ فالبدل عند الكوفيين له تسميات عديدة نحو: التكرير والتفسير والترجمة.[٤٥٢]

٤. الرد والتكرير : يستعمل الطبري مصطلح التكرير كمرادف للرد؛ يؤيد ذلك ما قاله في إعراب «**أن يذكر فيها اسمه**» [٢(البقرة) : ١١٤] يقول : «فتكون أن حينئذ في موضع نصب تكريرا على موضع المساجد وردا عليه».[٤٥٣]

٥. الرد والبيان : يقترن أحيانا مصطلح الرد في تفسير الطبري بمصطلح آخر وهو البيان أي : عطف البيان؛ ففي الآية : «**ويسقى من ماء صديد**»[١٤(إبراهيم) : ١٦]، يعرب الطبري كلمة «صديد» بقوله «رد الصديد في إعرابه على الماء؛ لأنه بيان عنه»، يبدو أن الطبري اختار إعراب الصديد بالبيان(=عطف البيان)، لأن الصديد ليس الماء بعينه وإنما هو كالماء، فلم يعربه نعتا.[٤٥٤]

مرافع، يرافع:

هذا المصطلح من أهم المصطلحات النحوية التي استعملها الطبري التي تثبت انتماءه للمذهب الكوفي في النحو؛ ويقصد الطبري أن كلا من المبتدأ والخبر يترافعان، أي يرفع كل منهما الآخر، وقد اتبع الطبري الفراء في هذا الرأي. أما أهل البصرة وعلى رأسهم سيبويه فيرون أن المبتدأ مرفوع بالابتداء، وأن الخبر مرفوع بالمبتدأ، وهذا الرأي هو المشهور، ولكنه لا يمثل كل نحاة البصرة نحو : الأخفش وابن السراج والرماني الذي يرون أنهما مرفوعان بالابتداء.[٤٥٥]

---

٤٤٩ المصدر نفسه، ١٦ , ١٤٧ , ١١؛ ديره، ٢٢٣

٤٥٠ المصدر السابق، ١٦ , ١٦١ , ٦

٤٥١ المصدر السابق، ٢٤ , ٦٥ , ١٧؛ الأنصاري، أبو زكريا الفراء، ٤٥٣

٤٥٢ المصدر السابق، ٢٥ , ١٤ , ١٩-٢٢؛ رفيدة، ٥٨٤-٥٨٥

٤٥٣ المصدر السابق، ١ , ٤٩٨ , ٧-٨؛ ١ , ٤١٤ , ١١-١٢

٤٥٤ المصدر السابق، ١٣ , ١٩٥ , ٩؛ الكشاف، ٢ , ٣٧١؛ البحر المحيط، ٥ , ٤٠٢؛ النسفي، ٢ , ٣٧٠

٤٥٥ ارتشاف الضرب(١٩٩٨)، ٣, ١٠٨٥

Digitized by Birzeit University Library

من خلال الآية «**ذلك الكتاب**»[٢(البقرة) : ٢]، نرى رأي الطبري واضحا في عامل رفع المبتدأ والخبر، «ويرفع حينئذ «الكتاب» بذلك وذلك بالكتاب»،[٤٥٦] أي أن العامل في رفع المبتدأ «ذلك» هو الخبر وليس الابتداء كما يرى سيبويه وغيره من أهل البصرة، ونلاحظ هنا أن الطبري لم يقل إن العامل في رفع المبتدأ هو العائد من ذكره، كما أننا لا نرى مبررا في قول الباحث ديره بأن المرافع مصطلح كوفي يعني بالنسبة للفراء الخبر، ولكن الصحيح أن المبتدأ مرافع للخبر أيضا، وهذا ما يتضح من خلال نص الطبري والفراء نفسه.[٤٥٧]

نجد الطبري يستعمل أيضا مصطلح «مرافع» أو «يرافع» وهاتان الصيغتان من صيغ المشاركة؛ ليدل على أن الطرفين عاملان، فالمبتدأ هو العامل في الخبر، الخبر هو العامل في المبتدأ؛ لذلك يعرب الطبري الآية «**ما لونها**»[٢(البقرة) : ٦٩] بقوله: »كان اللون مرفوعا، لأنه مرافع ما»[٤٥٨].

الاسم:

الاسم الصحيح:

١. يرد أحيانا بمعنى اسم الذات نحو: الدرهم وغيره من أسماء الأشياء والأشخاص، أي أن الاسم الصحيح عكس المصدر الصريح، نتبين هذا التفسير من خلال الآية: «**وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا**» [٤(النساء) : ٧]، يقول الطبري بأن كلمة «نصيبا» إذا كانت اسما صحيحا «لم يجز نصبه»، والسبب هو أنه لا يجوز لنا أن نقول: لك عندي حق درهما؛ يقصد الطبري أن «نصيبا» منصوبة على أنها مفعول مطلق، ولو كانت اسم ذات أو جثة لم نستطع أن نعربها كذلك، وهو يكرر ما قاله الفراء بحذافيره، وهكذا أعرب الأخفش الأوسط.[٤٥٩]

٢. يطلق الطبري اسما صحيحا على اسم الفعل نحو: أف إذا كان معرباً فيصبح حينئذ اسما يرفع وينصب ويجر ولم يعد مبنيا لا محل له من الإعراب؛ كما في الآية[٤٦٠]: «**فلا تقل لهما أف**»[١٧(الإسراء) : ٢٣]؛ فإذا قرئت «أفا» بالنصب، تصبح «اسما صحيحا» معربا.

٣. في المثال التالي: أعجبني يوم فيه تقول جاءت كلمة يوم معربة، واعتبرها الطبري اسما صحيحا لأن الضمير عاد على «يوم» فتصرف كالأسماء وليس «كالأداة»، أي المبني الذي لا يتغير آخره بتغير العامل، نحو: «ومن خزي يومئذ»، فبالرغم من أن موقع «يوم» الجر لأنه مضاف إليه، إلا أنه جاء مبنيا على الفتح، ووقوع

---

٤٥٦ الطبري، ١, ٩٨, ٢٦-٢٧

٤٥٧ ديره، ٢٨٤؛ كينبرغ، ٣١٠-٣١١

٤٥٨ الطبري(شاكر)، ٢, ١٩٨, ١٥

٤٥٩ المصدر نفسه(شاكر)، ٧, ٥٩٩, ٥-٩؛ الطبري، ٧, ١٤٠-٤١؛ معاني القرآن للفراء، ١, ٣٢٦, ١٣- ٣٢٧, ٩؛ سيبويه (١٩٩٩)، ٣, ١٣٦-٣٨؛ معاني القرآن للأخفش، ١, ٢٢٧, ١١؛ إعراب القرآن للنحاس، ١, ٤٣٧-٣٨؛ البحر المحيط، ٣, ٥٢٥؛ كينبرغ، ٣٥٧-٨

٤٦٠ الطبري، ١٥, ٦٤, ٢١؛ معاني القرآن للفراء، ٢, ١٢١, ١١

Digitized by Birzeit University Library

الظرف «يوم» موقع الأداة يقصد به الطبري أن الأداة «إذ» مثلا نضعها مكان «يوم»، نحو: أتيتك إذ تقوم وهذا يشبه قولك:
أتيتك يوم يجلس القاضي يلخص الطبري هذه المسألة: «إن نصب «يوم» وسائر الأزمنة في مثل هذا الموضع نظير نصب الأدوات لوقوعها مواقعها، وإذا أعربت بوجوه الإعراب، فلأنها ظهرت ظهور الأسماء، فعوملت معاملتها». [٤٦١]

اسم الفعل:

يقصد به الطبري المصدر، وليس المقصود هنا أسماء الأفعال كصه ومه وهيهات وغير ذلك، يعطي الطبري أمثلة على اسم الفعل نحو: الأكل والرجوع. [٤٦٢]

اسم الفاعل:

والمقصود هنا اسم كان وأخواتها وليس وأخواتها، أي الأفعال الناقصة التي تدخل على الجملة الاسمية فترفع اسمها وتنصب خبرها، أما أصل التسمية فنجده في الكتاب عندما يتحدث سيبويه عن كان وأخواتها «هذا باب الفعل الذي يتعدى اسم الفاعل إلى اسم المفعول، واسم الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد»، يريد سيبويه أن كان وأخواتها تشبه الفعل «ضرب» في أنه يلحقها مرفوع ومنصوب نحو: ضرب عمرو زيدا، فكأن اسم كان هو الفاعل وخبرها هو المفعول به، ولكن هنالك فرقاً جوهرياً بينهما، أن اسم كان وخبرها في المثال: كان زيد أخاك شيء واحد لا فرق بين الاسم والخبر، أما جملة «ضرب» فعمرو غير زيد. [٤٦٣]

الشتم: النصب على الشتم:انظر: النصب على الذم

المصدر: النصب على المصدر:

١. منصوب على وجه المصدر الذي يأتي خارجا من معنى الكلام:
يقصد الطبري بذلك المفعول لأجله؛ لأنه يخالف المفعول المطلق في أنه مشتق من فعل غير الفعل الذي سبقه، كما في الآية: «**حسدا من عند أنفسهم**»[٢(البقرة): ١٠٩]، فكلمة «حسدا» نصبت كما في المثال:
تمنيت لك ما تمنيت من السوء حسدا مني لك فلم يشتق المفعول لأجله «حسدا» من الفعل «تمنيت» [٤٦٤].
٢. أكثر ما يرد النصب على المصدر في تفسير الطبري بمعنى المفعول المطلق، سواء ذكر الفعل مصرحا به أم اشتق من معنى الكلام، وقد يتناوب هذا المصطلح أحيانا مع النصب على الخروج. [٤٦٥]

---

٤٦١ الطبري، ٢٤, ٥١, ١-١٤؛ كينبرغ، ٨-١٠

٤٦٢ الطبري، ٤, ٢٣٠, ٢٤؛ ١٨, ١١٣, ٥، انظر الملاحظة ١ اسفل الصفحة

٤٦٣ الكتاب(بولاق)، ١, ٢١, ١-٨؛ القوزي، ١٢٧؛ الطبري، ٢٣, ١٢١, ٢٣-٤؛ لقين (١٩٧٩)، ١٨٦-١٩١

٤٦٤ المصدر السابق، ١, ٤٨٨, ٢٠-٢٣

٤٦٥ المصدر السابق، ٤, ٢٨٢, ١٣-١٨؛ ٤, ٢٨٥, ٢٨-٢٨٦, ٢؛ ٤, ٢٨٩, ١٤؛ ١٦, ١٣, ١٢-١٣؛ ١٦, ٤٦, ١٠-١١؛ انظر: النصب على الخروج فيما سبق

Digitized by Birzeit University Library

الصرف:انظر: النصب على الصرف

المصمود له:

إن الأصل الذي انحدر منه هذا المصطلح إلى النحو العربي القديم غير معروف، فقد استعمله الفراء في معانيه مرة واحدة، فنقل الطبري هذا المصطلح، ولكنه لايتكرر لديهما، المثال الذي يعطيه الطبري هو الآية: «**أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون**» [١٩(السجدة): ١٨]، يقول الطبري: «فإذا كان الاثنان غير مصمود لهما، ذهبت العرب بهما مذهب الجمع»[٤٦٦]، نلاحظ هنا أن الفعل«يستوون» يدل على جماعة، بينما سبقه «مؤمنا . . . فاسقا» أي اثنان، ولكن الفعل لم يتبع ما قبله في العدد فلم يقل «يستويان»، وهذا ما يسمى المصمود له.

بعبارة الأخرى نعرف المصمود له بأنه عدم اتباع الفعل أو الاسم ما قبله في العدد أو التعريف والتنكير، أما لغة: فصمده وصمد إليه وصمد له بمعنى قصده واعتمده؛ لأن الصمد بفتح الميم: هو السيد الذي يعتمد عليه في قضاء جميع الأمور، وفي نص آخر يستعمل الطبري «صمد له» بمعنى: عني به ذلك.[٤٦٧]

الأصوات:

يقصد الطبري بهذا المصطلح أسماء الفعل، ولم نجده يستعمل المصطلح أسماء الفعل في تفسيره، بينما نجده يستبدله، مستعملاً مصطلحات أخرى:

١. الأصوات: مفردها صوت: مثل أف وصه ومه[٤٦٨]، وليس من المؤكد أن مصطلح الأصوات أقدم من أسماء الفعل؛ فقد استعمل سيبويه أسماء الفعل، ومن الجدير ذكره أنه استعمل أيضاً مصطلح الأصوات مرّة واحدة على الأقل في الكتاب، مما يدل على قِدمه[٤٦٩].

٢. الإغراء، يستعمله الطبري بدل اسم الفعل، نحو: «عليكم أنفسكم»، يقول الطبري «و نصب قوله أنفسكم بالإغراء، والعرب تغري من الصفات: بعليك، وعندك ودونك، وإليك»[٤٧٠]، ويقصد الطبري هنا بالصفات حروف الجر والظروف، والإغراء استخدمه بعض النحاة نحو الزجاجي وابن الأنباري، وهو حث المخاطب على القيام بعمل محمود وهو عكس التحذير، وقد أفرد له ابن شقير بابا منفصلا وهو النصب من الإغراء.[٤٧١]

---

٤٦٦ المصدر السابق، ٢١, ١٠٧, ١١-١٢؛ كينبرغ، ٤١٠

٤٦٧ لسان العرب: مادة: صمد؛ الطبري، ٢١, ١٤٨, ٢٦

٤٦٨ المصدر السابق، ١٥, ٦٤-٦٥؛ كينبرغ، ٤١٢، أنظر لڤين (١٩٧٩)، ٢٠٣-٢٠٧

٤٦٩ Levin¡ A. "The Category of ʾasmāʾ al-fiʿl in Arabic grammar" The Arabist, p.249, (1991) 3-4

٤٧٠ المرجع السابق، ٧, ٩٤, ١٥-١٦

٤٧١ الخليل، ٩٦؛ المحلى، ٢٦؛ ارتشاف الضرب، ٥, ٢٣١٠؛ انظر:
Levin، (١٩٩١)، 248، أشكر أستاذي أ. لڤين على مصطلح «الأصوات» = الكتاب (درنبورغ)٢, ٤٠, ٢٢-٤١, ٨؛ ٤٩, ٣٠-٣٥؛ والأخفش، معاني ١, ٢١٢, ١٠٦

Digitized by Birzeit University Library

٣. أداة غير مأخوذة من فعل، ذكر الطبري اسمين من أسماء الأفعال وهما: هيهات وهلم، ويقصد الطبري أنهما مبنيتان، لا محل لهما من الإعراب، ومعنى غير مأخوذة: أي جامدة غير مشتقة من فعل.[٤٧٢]

طرف للخبر والفعل:

وليس ظرفا للفعل كما ورد خطأ في المطبوعة، والصحيح ما أثبتناه. لهذا المصطلح أكثر من استعمال في تفسير الطبري:

١. يسمي الطبري الواو «طرفا للفعل»، هذه الواو يأتي بعدها اسم منصوب بفعل مضمر بعدها تكون متصلة أي الواو بهذا الفعل، نقدره في الكلام من خلال الفعل الظاهر الذي يأتي بعد الاسم المنصوب، يعطينا الطبري أكثر من مثال على هذه الواو: «**وطائفة قد أهمتهم أنفسهم**»[٣(آل عمران): ١٥٤] والمقصود بطرف الفعل: أي أن الواو متصلة بفعل مضمر قبل الاسم «طائفة»، فنعربها مفعولا به بفعل مضمر تقديره: أهمت، يوضح الفراء معنى طرف الفعل أكثر بقوله: «كأنها[أي الواو]طرف[في المطبوعة: ظرف] للفعل متصلة بالفعل»، فالطرف هو الجزء المتصل.[٤٧٣]

أما المثال الآخر لدى الطبري فهو: «**والظالمين أعد لهم عذابا أليما**»[٧٧(الإنسان): ٣١]، يعتبر الطبري الواو «طرف لأعد» أي: الفعل المضمر قبل «الظالمين»، والتقدير: وأعد للظالمين، ويقصد الطبري أن الواو متصلة بالفعل «أعد».[٤٧٤]

يسمي سيبويه هذه الواو واو الابتداء، أما أبو حيان فيسميها واو الحال، نحو:

رأيت زيدا وعمرا كلمته وهو ما عرف لاحقا بباب الاشتغال، أما سيبويه فيسمي هذا الباب « ما يختار فيه إعمال الفعل، مما يكون في المبتدأ مبنيا عليه الفعل».[٤٧٥]

٢. يعتبر الطبري الفعل الناقص «جعل»، وهو من أفعال الشروع، «طرفا للخبر والفعل»، أي أن «جعل» كما في الأمثلة:

جعلت أفعل كذا وجعلت أقوم وأقعد، تتصل مباشرة بفعل آخر لأنها في الحقيقة ليست فعلا حقيقيا؛ فهي تفيد الاستمرار والدوام في الكلام فقط وليس لها معنى في ذاتها، كما أسلفنا في مصطلح «على اتصال الفعل ودوامه فيما سبق، ومعنى «طرفا للخبر»، أي أنه لا يليها أو لا يتصل بها اسمها مباشرة، بل هو مضمر، ويليها مباشرة الفعل أي أن الجملة الفعلية بعدها في محل نصب خبر «جعل».[٤٧٦]

---

٤٧٢ الطبري، ٢٠, ٢١, ١-٣

٤٧٣ المصدر السابق، ٤, ١٤٢, ١٥؛ معاني القرآن، ١, ٢٤٠, ١٥- ١, ٢٤١؛ كينبرغ، ٤٤٨-٩

٤٧٤ الطبري، ٢٩, ٢٢٧, ٢٤

٤٧٥ الكتاب(بولاق)، ١, ٤٦, ١-٤٧, ٧؛ البحر المحيط، ٣, ٩٥

٤٧٦ الطبري، ٧, ١٤٣, ١٨-٢١؛ قارن مع البحر المحيط حيث ينقل صاحبه عن الطبري بتصرف، ٤, ٧٣, ٥-٦

Digitized by Birzeit University Library

تطاول الفعل والكلام: فعل متطاول

هنالك ثلاثة استعمالات لمصطلح تطاول، متطاول في تفسير الطبري، يجمعها معنى عام وهو استمرار الكلام ودوامه:

١. تطاول الكلام، النصب على تطاول المدح والذم:

يشرح الطبري هذه المسألة من خلال الآية: «**لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون ... والمقيمين الصلاة والمؤتون...**»[٤ (النساء): ١٦٢]

نصبت كلمة «المقيمين» ولم تتبع «الراسخون»، لأن الكلام «تطاول» للمدح هنا، أي أنه استمر وطال بين «الراسخون» و«المقيمين»، لذلك «خالفوا» بين إعراب الوسط والأول «الراسخون»، فجاءت «المقيمين» منصوبة (لأنها قطعت عن إعراب ما قبلها)، بخلاف الأول على المدح أي على فعل مضمر تقديره «أمدح»، ثم عدنا بعد ذلك، فرفعنا الآخر «المؤتون» تبعا لإعراب الأول «الراسخون»، ونستطيع أن نجعل «المؤتون» منصوبة تبعا لـ«الراسخون».

ولكن الطبري يعارض هذا الرأي الذي نقله في تفسيره؛ لأنه يرى أنه لا يجوز لنا أن نقطع المدح وسط الكلام، ما لم تتم الجملة.[٤٧٧]

أما سيبويه فيلحق هذه الآية بباب «ما ينتصب في التعظيم والمدح» ويجيز الرفع والنصب في «المقيمين»، وأورد سيبويه رأيا لأستاذه الخليل في إعرابها، وهو أنها منصوبة على الثناء والتعظيم بفعل محذوف وجوبا تقديره: أذكر المقيمين.[٤٧٨]

وقد أثارت هذه الآية خلافا شديدا بين العلماء قديما، هل هي خطأ من الكاتب؟ وأنها رويت في مصحف عبد الله بن مسعود هكذا، وليس هذا المكان لبسطها.[٤٧٩]

٢. طال الكلام:

يقول الطبري نقلا عن أحد نحاة البصرة بأنه يجوز لنا حذف الخبر، إذا طال الكلام وعرف المعنى، أي نستغني عن ذكر الخبر إذا طال القسم الأول من الجملة وهو المبتدأ، المثال:

«إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم»، الخبر محذوف «ترك خبره اكتفاء بمعرفة السامعين بمعناه لما تطاول الكلام»، فنلاحظ في هذه الآية أن اسم «إن» يتكون من الاسم الموصول وصلته، وما تعلق به من شبه الجملة «بالذكر»، وشبه الجملة الظرفية «لما جاءهم»، وبما أن المخاطب على علم بالجواب وهو: كفروا، إذا فيجوز لنا حذف الخبر.[٤٨٠]

٣. تطاول الفعل: وخاصة في معاني الجدل والخصومة والقتال:

والدليل في رأي الطبري على تطاول الفعل أننا نستطيع استبداله بالفعل الدال على الدوام والاستمرار «جعل»:

المثال: «**فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط**»

والقاعدة في «لما» الظرفية الشرطية أن جوابها يجب أن يكون فعلا ماضيا، أي: «جادلنا»، ولكن بما أن فعل

---

٤٧٧ المصدر السابق، ٦, ٢٥, ٢٢-٢٧, ١١؛ البحر المحيط، ٣, ٤١١-١٢

٤٧٨ الكتاب(١٩٩٩)٢, ٥٧, ١؛ ٢, ٦١, ١-٣

٤٧٩ انظر: البحر المحيط، ٣, ٤١١-١٢

٤٨٠ الطبري، ٢٤, ١٢٩, ٣-١٩

Digitized by Birzeit University Library

الجدل «له تطاول»، ويسد مسده جعل: فتصبح: فلما ذهب . . . جعل يجادلنا؛ جاز لنا عندئذ أن نضع الفعل المضارع في جواب «لما»، لأن الأصل في لما وفقا لرأي الطبري أن نقول: لما قام قمت، ولا يجوز: لما قام أقوم، فمعنى الجملة: لما لقيته أقاتله يوازي: جعلت أقاتله فتفيد «جعل» استمرار الفعل ودوامه في الماضي وليس لها معنى مستقل في نفسها.[٤٨١]

٤. فعل متطاول المدة:

هذا المصطلح يتعلق بنصب الفعل المضارع بعد «حتى» إذا كانت للغاية، أي بمعنى «إلى أن»، أو إذا كانت للتعليل، أي بمعنى «كي».

المثال الذي يعتمد عليه الطبري: «**وزلزلوا حتى يقول الرسول**» [٢(البقرة): ٢١٤]، من خلاله يقرر الطبري قواعد حتى في نصب أو رفع ما بعدها من الفعل المضارع؛ معتمدا على الفراء:

أ. نرفع «يقول» بعد حتى؛ إذا كان ما بعدها فعلا مضارعا بمعنى الماضي «فعل» وقد فرغ منه وانقضى، وما قبلها فعلا ماضيا «غير متطاول»، أي أن الفعل غير مستمر في المدة، و كأنه حدث مرة واحدة، فانقضى وفرغ منه، نحو:

قمت إلى فلان حتى أضربه بمعنى: قمت إليه حتى ضربته، فرفعنا «أضربه» لأن الضرب «قد كان وفرغ منه، وكان القيام غير متطاول المدة» أي أننا نستطيع استبدال يقول بفعل ماض: قال، لتصبح: حتى قال، فقد مضى الفعل ووقع[٤٨٢].

ب. ننصب «يقول»، وهي القراءة التي اختارها الطبري؛ لأن «يقول» غير منقض، أي ما زال الفعل مستمرا، وأما الفعل الماضي قبل «حتى» «زلزلوا»، فهو متطاول المدة، أي يفيد الاستمرارية والدوام.

ربما تسعفنا في فهم مقصد الطبري والفراء من «تطاول الفعل»، قراءة الصحابي عبد الله بن مسعود، وهي قراءة مهمة جدا في تفسير النص القرآني وتوضيحه، نقل الفراء عن مصحف (=قراءة)ابن مسعود: «وزلزلوا ثم زلزلوا ويقول الرسول»؛ تكرار الفعل «زلزلوا» يفسر قول الفراء «يتطاول كالترداد»، أي التكرار، والاستمرار بالفعل بالرغم من مضيه، وقد اعتبر الفراء قراءة ابن مسعود دليلا على صحة نصب «يقول»[٤٨٣].

يعزز الطبري رأيه في نصب «يقول» و«إعمال حتى»، بمثالين:

ما زال فلان يطلبك حتى يكلمك وجعل ينظر إليك حتى يثبتك[٤٨٤]

---

٤٨١ المصدر السابق، ١٢ , ٨٠, ١٥-١٧

٤٨٢ المصدر السابق، ٢ , ٣٤٢, ٤-١٧؛ معاني القرآن، ١ , ١٣٢ ١٣٨؛ الكتاب(١٩٩٩)، ٣, ٢٤-٢٦؛ أفرد ابن شقير بابا للرفع بـ«حتى» إذا كان الفعل واقعا»، المحلى، ١٣٦

٤٨٣ معاني القرآن، ١ , ١٣٣, ١٣-١٤؛ البحر المحيط، ٢, ١٤٩, ٣-١٠؛ انظر:

Talmon(1993)، "Ḥatta + imperfect and chapter 239 in Sibawahi*s Kitāb: A study in the early history of Arabic grammar">JSS 38/1. 85

٤٨٤ الطبري، المصدر السابق نفسه

Digitized by Birzeit University Library

علينا أن ننتبه إلى الفعلين «ما زال» و«جعل»، لأنهما يدلان على دوام الفعل واستمراره؛ مما سوغ نصب الفعل المضارع بعد حتى في المثالين الأخيرين.
يجدر الإشارة هنا إلى أن الكسائي سبق الفراء في استعمال مصطلح تطاول الفعل الماضي إذا صار بمنزلة الفعل «المستقبل». [٤٨٥]

التطول:
يرادف هذا المصطلح عند الطبري: الصلة والزيادة والحذف في الكلام، كما في الآية: «**وإذ قال ربك**»[٢(البقرة): ٣٠]، فمعنى الآية يصبح: وقال ربك ولكن الطبري استنكر هذا الرأي بشدة؛ لأنه ينزه قول الله عن الزيادة؛ بالإضافة إلى إذ يوجد ما الزائدة وإذا. [٤٨٦]

معرفة موقتة: انظر: موقت/غير موقت

التعقيب:
يستعمل الطبري هذا المصطلح مضافا إلى حروف المعاني، منها:
١. من: يسميها «من» للتعقيب بمعنى «مكان» أو عوض، كما في المثال:
أعطيتك من دينارك ثوبا بمعنى: أعطيتك مكان الدينار ثوبا، ويوضح الطبري أنه ليس المقصود بها من للتبعيض، وعند ابن هشام هي بمعنى البدل. [٤٨٧]
٢. أو: للتعقيب، بمعنى الترتيب، مثال: «**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم**»[٥(المائدة): ٣٣]، «أو» في هذه لا تدل في رأي الطبري على التخيير، لأنها تفسد المعنى؛ لأن من ارتكب جريمة القتل وقطع الطريق يقتل، ومن لم يقتل ولم يسرق ولكنه قطع الطريق لا يستحق القتل، بل المقصود في هذه الآية أن من يرتكب هذه الجرائم يستحق العقوبة بإحداها، كل وفق جريمته. ونجد أن السيوطي أدرجها في باب الإباحة. [٤٨٨]

---

٤٨٥ النحاس، معاني القرآن، ١، ٣٠٤- ٣٠٦؛ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه١، ٢٨٦
٤٨٦ المصدر السابق، ١، ١٩٥-١٩٦؛ ١، ١٨٠، ٦، ١٧
٤٨٧ المصدر السابق، ٨، ٣٨، ٢٢-٢٣؛ مغني اللبيب، ٤٢٢؛ الإتقان، ٢، ٥١٧؛ البحر المحيط، ٤، ٢٢٨
٤٨٨ الطبري، ٦، ٢١٥، ١٠-١٢؛ الإتقان، ١، ٤٥٦، الجامع لأحكام القرآن، ٦، ١٤٠

Digitized by Birzeit University Library

عماد: انظر: هاء العماد

وهو ما يسمى ضمير الفصل عند البصريين، وهو ضمير زائد للتوكيد يفصل بين ركني الجملة الاسمية المبتدأ والخبر، ويفصل بين ما أصلهما المبتدأ والخبر كمفعولي ظن، وبين اسم إن وخبرها، وبين اسم كان وخبرها، لكي يتم التفريق بين الخبر والنعت بشرط أن يكون المبتدأ والخبر معرفتين، نحو: زيد هو الكريم؛ فالكريم خبر المبتدأ وليس نعتا لزيد، وإعراب «هو» ضمير الفصل لا محل له من الإعراب؛ لذلك لا يؤثر في إعراب ما بعد ولا يغيره، خاصة إذا كان ما بعد ضمير الفصل خبر كان، فإنه يأتي منصوبا.

أما إذا جعلنا ضمير الفصل له محل من الإعراب، فيعرب حينئذ مبتدأ ثانيا وما بعده خبره، والجملة الاسمية منه ومن خبره خبر المبتدأ الأول، وقد سمي عمادا عند الكوفيين، لأنه يعتمد عليه في التفريق بين المبتدأ والخبر، وهو، أي العماد مصطلح موفق جدا، لأنه يقوي الرابط بين عناصر الجملة، أكثر من الفصل بينهما.[٤٨٩]

أما الطبري، فمصطلح العماد يدل لديه على أكثر من شيء، فليس العماد ضمير الفصل فحسب، وهو أي العماد لدى الطبري يفصل بين:

١. المبتدأ والخبر، وذلك عندما يأتي العماد في معرض الرد على كلام سابق: فعندما يقول شخص: زيد قائم، يرد عليه بقولنا: بل عمرو هو القائم[٤٩٠].

٢. اسم كان وأخواتها وخبرها وليس وأخواتها: نحو: «**ولكن كانوا هم الظالمين**»[٤٩١]

٣. مفعولي ظن وأخواتها، التي يسميها الطبري أحيانا حروف الشك، نحو: رأى العلمية وحسب: نحو: «**إن ترن أنا أقل منك مالا**»[١٨(الكهف): ٣٩][٤٩٢]

٤. المبتدأ والحال: نحو «هن» في الآية: «**هؤلاء بناتي هن أطهر لكم**»[١١(هود): ٧٨] فـ«أطهر» حال منصوب.[٤٩٣]

---

٤٨٩ كينبرغ، ٤٩٦-٧؛ ديره، ٢٣٩-٢٤٣؛ المخزومي، ٣٥٧-٨؛ كاظم، النحو الكوفي، ١٩٠-٨؛ رفيدة، ١٩٢-١٩٥؛ الأنصاري، ٤٤١؛ وانظر أيضا:

Owens, Early Arabic Grammatical Theory, 166-170

٤٩٠ الطبري، ٩، ٢٣٣، ٢٢-٢٣

٤٩١ المصدر السابق، ٩، ٢٣٢-٣٣؛ ١، ٤٣٠، ٥؛ ٢١، ٧١-٢

٤٩٢ المصدر السابق، ١٥، ٢٤٩، ١٣، ٤، ١٨٩، ١٦؛ أما فيما يتعلق بتسميته ظن وأخواتها حروف الشك فانظر: المصدر السابق، ٣٠، ٣٤٣، ٢٦-٢٧

٤٩٣ المصدر السابق، ١٢، ٨٥، ٢٠: لم يجز الطبري هذه القراءة بنصب «أطهر»، ولكنه نقل عن أحد الكوفيين لتأويل هذه القراءة «ومن نصبه جعله نكرة خارجة من المعرفة، ويكون قوله: هن، عمادا للفعل فلا يعمله»، المقصود بمصطلح «الفعل» هنا الحال كما أسلفنا قي مصطلح الفعل، وقد أشار إلى هذا الأمر السيوطي، ولكنه نقل عن بعض الكوفيين أنه يجيز مجيء الفصل «العماد» في بداية الجملة، نحو: «قل هو الله أحد»، والمرجح إذا استضأنا بما نقله الطبري، أن المقصود ضمير الشأن «المجهول» وليس الفصل؛ انظر: الطبري، المصدر السابق؛ الأشباه والنظائر، ٢، ٦٢٥

Digitized by Birzeit University Library

١. العماد بمعنى ضمير الشأن أو المجهول كما مر في بابه وهو ما يفسره ما بعده من الكلام؛ نحو: «**وهو محرم عليكم إخراجهم**» [٢(البقرة): ٨٥]، فيقول الطبري، تبعا للفراء، بأننا أتينا بـ«هو»، لأن الواو هنا يجب أن يتبعها المبتدأ «إخراجهم»، وبما أن الخبر «محرم» تقدم على المبتدأ، وهذا ما لا يجيزه الطبري، جئنا ب«هو»، فيجيز الطبري: أتيتك وهو قائم أبوك ولا يجيز: أتيتك وقائم أبوك؛ لذلك يقول الطبري: «فعمدت بهو»، أي أننا وصلنا الواو بهو؛ لأن الخبر تقدم على المبتدأ.[٤٩٤]

استعمل الطبري المصطلح «عماد» في موقع آخر بمعنى ضمير الشأن، في جملة تبدأ بما العاملة عمل ليس: «**وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر**»[٢(البقرة): ٩٦]؛ والذي سوغ مجيئه أن خبر ما «مزحزحه» نكرة، تقدم على اسمها وهو المصدر المؤول «أن يعمر» فيجوز لنا أن نقول: ما هو قائم عمرو بتقديم الخبر «قائم».[٤٩٥]

أما أبو حيان النحوي فيرى غير ذلك، فهو يفسر مصطلح الطبري «عماد» في هذه الآية، ويعتقد أن المراد به ما يسمى لدى البصريين ضمير الفصل، فالطبري يتبع الكوفيين هنا عندما يجيز أن يتقدم «العماد» مع الخبر على المبتدأ، كما في المثالين السابقين، فيجوز أن نقول: ما هو القائم زيد، وما هو بمزحزحه التعمير والتقدير لدى أبي حيان: وما تعميره هو بمزحزحه، وكل ذلك لا يجوز لدى البصريين؛ لأن ضمير الفصل وظيفته الأساسية أن يكون فاصلا بين المبتدأ والخبر[٤٩٦].

هنالك دليل آخر يؤكد استعمال الطبري العماد بمعنى ضمير الشأن والحكاية، وهو الهاء والألف في «إنها» «فإنها لا تعمى الأبصار»، ولكن علينا أن نتعامل مع هذه المسألة بحذر.[٤٩٧]

٢. بمعنى ضمير الفصل عند البصريين:

يرادف المصطلح «عماد» لدى الطبري الصلة والزيادة، أي أنه لا محل له من الإعراب؛ لأنه يدخل لتوكيد الجملة، ولكن الجملة لا تختل أركانها إذا حذفناه.

وقد استعمال الطبري مصطلح «فصل» مرة واحدة عندما نقل رأيا لأحد البصريين، بين من خلاله الطبري سبب تسمية الفصل، وهو أنه يفصل بين المبتدأ والخبر؛ ليبين أن ما بعده خبر لما قبله وليس صفة[٤٩٨]. لا يقبل الطبري مصطلح الزيادة في القرآن؛ لذلك يقول عن العماد «صلة توكيد»، أي لهذه الزيادة أهمية في الكلام، لا تتوافر عند حذفها وهي توكيد الجملة.[٤٩٩]

---

٤٩٤ المصدر السابق، ١, ٢٦-٤٠١, ٧؛ الفراء، معاني، ١, ٥٠, ١٦-٥٢, ٦، كاظم، ١٩٥-٦؛ البحر المحيط، ١, ٤٦٠-٦١

٤٩٥ المصدر السابق، ١, ٤٣٠, ٥-١٢

٤٩٦ البحر المحيط، ١, ٤٨٢-٨٣

٤٩٧ الطبري، ١٧, ٩٣, ٣-٤؛ ٢١, ٧١-٢؛ ٢٩, ٧٥, ٢٦؛ ٣٠, ٣٤٣, ٢٢

٤٩٨ الطبري، ٩, ٢٣٣, ٢٠-٢١

٤٩٩ المصدر نفسه، ٩, ٢٣٣, ١٣

Digitized by Birzeit University Library

يشترط الطبري في مجيء العماد زائدا في الجملة :

أ. أن يقع بعد الأفعال الناقصة نحو «كان» أو ليس وأخواتهما، مثال :

«إن كان هذا هو الحق» فـ«الحق» خبر كان منصوب، لأن «هو» عماد «زائد للتوكيد» لا محل له من الإعراب لا يغير إعراب ما بعده.

ب. وأن يكون المبتدأ معرفة. [٥٠٠]

٣. تأتي أل التعريف عمادا لدى الطبري : ففي المثال :

بل عمرو هو القائم جاءت «أل» عمادا لما بعدها، أي قائم، وضمير الفصل «هو» عماد لما قبله «عمرو». [٥٠١]

هاء العماد: انظر : العماد

المقصود بها لدى الطبري، الهاء الدالة على الأمر والشأن، أو الهاء المجهولة، نحو : «إنه أنا الله» و : «إنها إن تك مثقال حبة» و : «**فإنها لا تعمى الأبصار**»، نلاحظ أنها تأتي للمذكر مرة وللمؤنث تارة أخرى، وتأتي اسم «إن» أو «كان»، ويجيز الطبري التذكير والتأنيث في هاء العماد؛ فيجوز لنا أن نقول : **إنها هند قائمة وإنه هند قائمة.** [٥٠٢]

المعهود:

يقترن هذا المصطلح لدى الطبري مع : المعرفة والمعروف والمقصود عكس المجهول، و«معهود الاسم»، يقصد به الاسم المعرفة عكس النكرة.

من خلال التفسير، تصادفنا الاستعمالات التالية لهذا المصطلح :

١. «معهود معروف» يقصد به الطبري المعرفة نحو : «أخوك» و«أختك». [٥٠٣]

٢. «معهود معروف عند المتخاطبين» كالمعرف بأل التعريف : الصلاة. [٥٠٤]

٣. «معهود الاسم» و«معهود الفعل» : في المثال الذي ضربه الطبري ليبين مصطلح العماد : بل عمرو هو القائم فإن الاسم العلم «عمرو» يسمى معهودا، و«القائم» معهود الفعل أي : أن الخبر «القائم» معرفة، وهذا ما يشترط بالعماد أن يأتي بين المبتدأ والخبر المعرفة كما في المثال السابق. [٥٠٥]

٤. ما والذي الموصولتان، يقول الطبري : «كلام العرب إدخال الألف واللام في خبر ما والذي إذا كان الخبر عن معهود قد عرفه المخاطب والمخاطب (بكسر الخاء) ». [٥٠٦]

---

٥٠٠ المصدر نفسه

٥٠١ كينبرغ، ٤٩٦-٩٩

٥٠٢ الطبري، ١٧ , ١٨٣ , ١؛ ١٩ , ١٣٥ , ١٥-١٦؛ ٢١ , ٧١ , ٢٣؛ ٢٩ , ٧٥ , ٢٦-٢٧

٥٠٣ المصدر السابق، ١ , ٣٩٢ , ١-٤

٥٠٤ المصدر السابق، ٧ , ١١١ , ٨

٥٠٥ المصدر السابق، ٩ , ٢٣٣ , ٢٣-٢٥

٥٠٦ المصدر السابق، ١١ , ١٤٨ , ١٤-١٥

Digitized by Birzeit University Library

العائد من ذكره / الراجع من ذكره:

وهو ضمير يتصل باسم أو بفعل متأخر يعود على اسم في صدر الجملة، ويكون هذا الضمير عاملا في رفع ذلك الاسم أو نصبه، يستعمل الطبري هذين المصطلحين بنفس المعنى[٥٠٧] ، ونرى هنا أنه يتبنى رأي الفراء، كما جاء مفصلا في محاورة بينه وبين أبي عمر الجرمي، عندما سأله الأخير عن تعريف العائد، كما في المثال: زيد ضربته يرى الفراء أن العامل في رفع «زيد» هو العائد عليه(زيد) أو الراجع من ذكره، من خلال الهاء في«ضربته».[٥٠٨]

١. مرفوع بالعائد: أي أن العامل في رفع المبتدأ هو ما عاد/ رجع عليه من ذكره في الخبر؛ في إعرابه للآية: «**ذلك الكتاب لا ريب فيه**»[٢(البقرة): ٢]، يعتبر «ذلك» مبتدأ، و«الكتاب» نعتا ل «ذلك»، ويرى أن العامل في رفع «ذلك الكتاب» هو «العائد» في «فيه» أو مرفوع بالراجع من ذكره في قوله «لا ريب فيه»، من الواضح أن الطبري يقصد بهذين المصطلحين الضمير الذي يعود على ما سبقه، ولكن دون أن نظهر هذا الضمير.[٥٠٩] وفي مثال آخر: «أولئك على هدى من ربهم»، رفعت «أولئك» بالعائد من ذكرهم في «ربهم».[٥١٠]

٢. الضمير العائد على الاسم الموصول: نحو: «**بئسما اشتروا به أنفسهم**»[٢(البقرة): ٩٠]، فالراجع/ العائد من ذكر الهاء في«به» هو العامل في رفع «بئسما».[٥١١]

٣. «يعود عليه العائد» يقصد الطبري بالعائد الضمير الذي يعود على الأسماء، نحو: أعجبني يوم فيه تقول فالضمير الهاء يعود على الظرف «يوم»، أي أنه عومل معاملة الأسماء.[٥١٢]

الإغراء / النصب على وجه الإغراء:

١. ويعني به الطبري المفعول به المنصوب والعامل في نصبه اسم الفعل (الإغراء) «عليكم»، ف«كتاب» منصوب على «وجه الإغراء»، تقديره: عليكم كتاب الله، أو: الزموا كتاب الله، وقد نسب ذلك سيبويه إلى بعض النحاة، ومن خلال تأويله للآية يبدو أنه يرفض هذا الرأي، ويعرب «كتاب الله» مفعولا مطلقا والفعل محذوف تقديره: كتب الله، تبارك وتعالى، كتابه.[٥١٣]

---

٥٠٧ المصدر السابق، ١, ٤١٤, ١٥-١٧

٥٠٨ الإنصاف (فايل)، مسألة رقم: ٥, ٢١-٢٦؛ كينبرغ، ٥٢٩- ٥٣٢

٥٠٩ الطبري، ١, ٩٤, ٤؛ ١, ٩٩, ٧؛ ١٠, ٥٨, ٢٢؛ ١١, ٩, ٢؛ ١١, ١٠١, ٨؛ ١٣, ٢٢, ٢١ ٢٣؛ ١٤, ١٠٠. ٢٣؛ ١٧, ١٣٠, ٢٢؛ ١٨, ١٥٢, ١٦-١٨؛ ٢٩, ١٨٥, ٥

٥١٠ المصدر نفسه، ١, ١٠٧, ١٩؛ ٤, ١٤٢, ١٣

٥١١ المصدر نفسه، ١, ٤١٤, ١٧-١٨

٥١٢ المصدر نفسه، ٢٤, ٥١, ٨-١١؛ ٢٥, ٤١, ٦-١٠

٥١٣ المصدر نفسه، ٥, ٩, ٢٥- ٢٩؛ الكتاب(١٩٩٩)، ١, ٤٥٠, ٢-٣- ٤٥٢, ٢؛ المحلى، ٢٦

Digitized by Birzeit University Library

يعطي الطبري مثالا آخر على النصب على وجه الإغراء، فيعرب «الحق» الأولى في «فالحق والحق أقول» منصوبا على وجه الإغراء، ولكنه لا يرجحه. ويقدر الفعل المضمر الدال على الإغراء: الزموا الحق أو: اتبعوا الحق، وقد ناقش الفراء هذه الآية، ولم يذكر النصب على الإغراء، .[٥١٤]

٢. بمعنى اسم الفعل ويستعمل الطبري الفعل: تغري كما سلف في مصطلح الأصوات.

غاية / غاية الكلام:

لها مرادف في التفسير وهو الأمد «والأمد: الغاية التي ينتهى إليها»، ويذكر الطبري من معاني «إلى» دخول الغاية. وغاية كل شيء مداه ومنتهاه وفقا لابن منظور.[٥١٥]

ما يعنينا هو «غاية كلام»، فنجد الطبري يستعمله في الآية: «**كتب ربكم على نفسه الرحمة،ليجمعنكم**»[٦(الأنعام): ١٢]، يقول: «إن شئت جعلت «الرحمة» غاية كلام «ثم استأنفت»، يبدو أنه يقصد أن «الرحمة» تمت بها فائدة الكلام/ الجملة؛ لذلك نبدأ بعدها جملة جديدة تبدأ بالقسم.[٥١٦]

لا يمكننا أن نعتبر «غاية» مصطلحا متخصصا عند الطبري؛ لأننا لا نصادفه إلا نادرا في التفسير، كما أنه يحتوي عدة معان عامة؛ فهو مصطلحا غير محدد الدلالة.

التفسير = انظر: النصب على التفسير. الدراسة التفصيلية

فاصلة، ألف فاصلة:

وهي الألف التي تأتي بعد واو الجماعة؛ لكي تنفصل عما بعدها من الكلام، نحو: ضربوا ويشترط الطبري في كتابة هذه الألف ألا تتصل ب«كنايات المفعول» أي: الضمائر المتصلة التي تأتي في محل نصب مفعول به، فإذا اتصلت بها، نقوم بحذف هذه الألف، نحو: كالوهم أو وزنوهم؛ فالضمير المتصل «هم» في محل نصب مفعول به، أما إذا أردنا أن نفصل بين «هم» والفعل، نقول حينئذ: كالوا هم أو وزنوا هم: على اعتبار «هم» توكيد لفظي لواو الجماعة في الفعل «كالوا» أو «وزنوا».[٥١٧]

ويسمي ابن شقير الألف الفاصلة بألف الإلحاق؛ لأنها «تلحق» بعد واو الجماعة.[٥١٨]

---

٥١٤ المصدر نفسه، ٢٣, ١٨٧, ١٩-٢٠؛ معاني القرآن، ٢, ٤١٢, ١٢-٤١٣, ١٠؛ إعراب القرآن للنحاس، ٣, ٤٧٣-٤

٥١٥ الطبري، ٣, ٢٣١, ٢-١١؛ ٦, ١٢٤, ١-١٠؛ ١٥, ٢٠٦, ٤؛ لسان العرب مادة: غيا

٥١٦ الطبري، ٧, ١٥٦, ٢٦

٥١٧ المصدر نفسه، ٣٠, ٩١, ١٤-٢٠

٥١٨ المحلى، ٢٢٠

Digitized by Birzeit University Library

الفعل = انظر: مصطلح الفعل في الدراسة التفصيلية

حولت الفعل:

«حولت العرب الفعل عن موضعه في الكلام» يقصد به الطبري الاستعمال المجازي للكلمة، عكس الحقيقي، نحو: دخل الخاتم في يدي والخف في رجلي هذا على المجاز، أما في حقيقة الأمر، فالإصبع هي التي تدخل في الخاتم، والرجل هي التي تدخل في الخف، ويطلق الطبري على هذا النوع من الكلام: « الاستعمال الذي قد جرى به الكلام». [٥١٩]

فعل مصرح:

ذكره الطبري مرة واحدة في تفسيره، والمقصود به الاسم المشتق الصريح كاسم الفاعل والمفعول؛ ويظهر هذا المصطلح بوضوح في الآية: «**الذي جعلناه للناس سواء العاكف**»[٢٢(الحج): ٢٥]؛ فإذا خفضنا «سواء» فإنها تتبع ما قبلها في الحركة، وتأتي بمعنى «الفعل المصرح» معتدل، أي أن المصدر «سواء» يأتي بمعنى اسم الفاعل «مستو»؛ لذلك جاز الخفض، أما إذا جاءت «سواء» مرفوعة فإنها بمعنى «واحد»، أي أن المصدر «سواء» غير مشتق بمعنى معتدل، فلذلك جاز انقطاعه في الإعراب عما سبقه، فلا يتبعه. [٢٥٠]

فعل واقع، غير واقع:

لهذا المصطلح أهمية كبيرة لأنه يتكرر لدى الطبري، وله ارتباط بالتعدي والعمل والإعمال عكس الإبطال، فوقوع الفعل بمعنى عمله فيما بعده، وعدم وقوع الفعل بمعنى إبطال عمله وعندما نقول: فعل واقع، نعني به فعلا متعديا، أي أنه يؤثر فيما بعده فيأخذ مفعولا به:

١. يقترن أحيانا بمصطلح «متعد»، أي يتعدى عمل هذا الفعل فيؤثر في الاسم الذي بعده ليصبح مفعولا به، ونجد لدى الطبري هذا التعبير: «فعل واقع متعد»، ونجد أيضا « يقع على منصوبين» أي يتعدى عمله إلى مفعولين كالفعل: كسوت في الجملة: كسوت عبد الله ثوبا. [٥٢١]

٢. فعل غير واقع: يقصد به الطبري اسم الفاعل الذي لا يتعدى عمله ما بعده، فلا يأخذ مفعولا به، وأعطى مثالا على ذلك «مكبا» المشتق من الفعل «أكب على »، أي لا يتعدى مباشرة إلى المفعول به، أما إذا حذفنا الألف من «أكب»، فيصبح الفعل «كب» واقعا، أي يتعدى عمله إلى المفعول به. [٥٢٢]

---

٥١٩ الطبري، ١٢, ٢٨, ٢٠-٢٤

٥٢٠ المصدر نفسه، ١٧, ١٣٨, ١٧-٢٣؛ كينبرغ، ٦٠٤؛ البحر المحيط، ٦, ٣٣٦, ٢٠-٢٥

٥٢١ الطبري، ١٦, ١٤١, ٤؛ ٢, ٢٠٥, ٢٤-٢٥؛ ٣, ٢٥٠, ٢٥-٢٥١, ٦؛ ١٦, ١٤١, ٤؛ ١٣, ٢٤٨, ١٥؛ من أجل المقارنة مع الفراء، انظر: الأنصاري، ٤٥٢؛ ديره، ٢٦٤- ٦٧

٥٢٢ المصدر السابق، ٢٩, ٩, ١٨-٢٢؛ كينبرغ، ٩٦٩- ٩٨٤؛ انظر: Owens(1990)، Versteegh(1993); 18، 162-66

Digitized by Birzeit University Library

مفعول:

١. يستعمله الطبري في تفسيره بكثرة بمعنى اسم المفعول، وأشار إلى أنه ربما استعمل اسم الفاعل بمعنى اسم المفعول، نحو: عيشة راضية، بمعنى مرضية، وسر كاتم، بمعنى مكتوم.[٥٢٣]

٢. يأتي «مفعول» مكان المصدر، ويستعمل المصدر مكان «مفعول»، نحو: دم كذب بمعنى: مكذوب، ومكذوب معنى كذب، وبخس في الآية: «**وشروه بثمن بخس**»[١٢(يوسف)، ٢٠] أي: بثمن مبخوس، فوضعنا المصدر موضع اسم المفعول.[٥٢٤]

٣. يرد «مفعول» لدى الطبري أحيانا بمعنى المفعول به سواء مباشرة أو من خلال حرف الجر: فكلمة «الليل» في قراءة من قرأ «**وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر**»[٦(الأنعام): ٩٦] «مفعول جاعل» بالرغم من كونها مضافا إليه، لأنها في الأصل مفعول به. ويسمي الطبري الهاء، الضمير المتصل بالفعل «ذهب» في: ذهبت يه «مفعول ذهب»، أي أن الفعل يتعدى عمله إليه بوساطة حرف الجر.[٥٢٥] أما الغالب على معنى مفعول في استخدام الطبري هو أن يأتي بمعنى المفعول به مباشرة دون وساطة حرف الجر.[٥٢٦]

مفعول به:

١. مفعول به مباشرة دون حرف جر.[٥٢٧]

٢. يرد أحيانا بمعنى اسم المفعول، نحو كلمة «مردفين» بفتح الدال، وكلمة «حصير» بمعنى محصور أي: فعيل بمعنى: مفعول به، ويقصد الطبري بهذا المصطلح هنا اسم المفعول.[٥٢٨]

الواو المقحمة: انظر مصطلح «الصلة» في قسم الدراسة

التقريب: انظر مصطلح «التقريب» في قسم الدراسة

التكرير:

يشيع استعمال هذا المصطلح كثيرا لدى الطبري، وله معان متعددة ومتنوعة وفقا للسياق الذي يوجد فيه:

١. ربما جاء «التكرير» و«مكرر» أحيانا بمعنى الإعادة، وهو المعنى اللغوي المألوف وليس الإصطلاحي، أي: تكرير الكلمة وإعادتها مرة أخرى، وذلك تقديرا، وليس لفظا؛ كأن ننوي تكرير حرف الجر بناء على ما سبق، بعبارة أخرى، نقوم بتكرير العامل تقديرا فسبب الجر أو النصب لما بعده دون أن يظهر في النص.

وكما في الجملة: مررت بعبد الله غير العالم فـ«غير» مجرورة بحرف الجر المضمر «الباء» وليس لأنها نعت

---

٥٢٣ الطبري، ١, ٤٠٨, ١٥-١٦؛ ٥, ١٣٠, ٦-٧، ٢٦٢, ١٠؛ ١٣, ١٧٩, ١٣؛ ٢٩, ٦١, ٥-٧

٥٢٤ المصدر السابق، ١٢, ١٦٥, ٩-١١؛ ١٢, ١٧١, ٢٠-٢٣

٥٢٥ المصدر السابق، ٧, ٢٨٣, ٢٣؛ ١٨, ١٥٤, ٢٦-٢٧؛ ٢, ٦٤, ٢١-٢٢

٥٢٦ المصدر السابق، ١٣, ٣٤٦, ٢١, ١٣, ٢٢٦, ٤؛ ١٥, ١٩٢, ٢٢-٢٣؛ ٢٩, ٢٢١, ١٤؛ انظر: كينبرغ، ٦١٩

٥٢٧ المصدر السابق، ٢, ١٠٦, ٢٣؛ ٨, ٤٣, ٢٧؛ ٢٣, ١٤٥, ٢؛ ٣٠, ٩, ٢٠

٥٢٨ المصدر السابق، ٩, ١٩٢, ٢؛ ١٥, ٤٦, ١٣-١٤

Digitized by Birzeit University Library

لـ«عبدالله»، يصبح التقدير والحال كذلك: مررت بعبد الله بغير العالم؛ مثال آخر على التكرير بمعنى الإعادة: «**صراط الذين أنعمت عليهم،غير المغضوب عليهم**»، فإذا أعربنا «غير» بدلا، علينا أن نقدر المعنى كالآتي: صراط الذين أنعمت عليهم، صراط غير المغضوب عليهم، أي بتكرار «صراط». [٥٢٩] وقد رأينا الفراء يستعمل مصطلح «التكرير» بمعنى الإعادة الأمر الذي يدل على نقل الطبري عنه. [٥٣٠]

عبارة الطبري «كان الكلام تكريرا بغير فائدة» تدخل أيضا في إطار المعنى اللغوي للمصطلح وليس الاصطلاحي. [٥٣١]

٢. التكرير بمعنى البدل: وقد استعمل الفراء مصطلح التكرير فقط، ولم يستعمل البدل، فتابعه الطبري في ذلك، ولكنه أي الطبري لم يجد غضاضة في استخدام المصطلح البصري «البدل». ليس غريبا أن يطلق الفراء لفظ «التكرير» على البدل؛ لأن البدل في الأصل هو على نية تكرار العامل بعكس النعت، لذلك لا نجد اختلافا بينا بين المصطلح البصري «البدل» والمصطلح الكوفي «التكرير». [٥٣٢]

نجد في تفسير الطبري هذا المصطلح مقترنا أحيانا بالرد: «في موضع نصب تكريرا على . . . وردا عليه»، والمقصود هنا البدل. [٥٣٣] مثال آخر على التكرير بمعنى البدل في الآية: «**وهو محرم عليكم إخراجهم**»[٢(البقرة): ٨٥]، يعرب الطبري في هذه الآية «إخراجهم» تكريرا على(= بدلا من) «هو». [٥٣٤]

٣. بمعنى التوكيد اللفظي: والمقصود به تكرار الكلمة هي هي، أو تكرار جملة أو عبارة بأكملها؛ كما في الآية: «**إن هذه أمتكم أمة واحدة**»[٢١(الأنبياء): ٩٢] فقد قرأها النحوي القديم ابن أبي اسحق الحضرمي (ت ٧٣٥م)برفع «أمة واحدة» كأنها في الأصل»هذه أمتكم هذه أمة واحدة». [٥٣٥]

نرى سيبويه يستعمل الفعل «يكرران» في أحكام التوكيد المعنوي؛ وذلك عندما تحدث عن «كلهم» و«أجمعين» بأنهما «لا يكرران» على نكرة»؛ أي لا يجوز أن نقول: جاء رجل عينه أو نفسه؛ وقد جربت فكنت كنت «إذا كررتها توكيدا»؛ وأنت أنت «تكررها توكيدا» تثبت لنا الأمثلة المذكورة آنفا استعمال سيبويه إمام البصريين في النحو للمصطلح «التكرير»؛ لذلك نرى أن الكوفيين أخذوا هذا المصطلح من كتاب سيبويه، ثم اشتهر على أنه مصطلح كوفي محض في فترة متأخرة. [٥٣٦]

---

٥٢٩ المصدر السابق، ١, ٧١, ١٧-١٨؛ ٧٧, ١٩-٢٣، ٧٨, ٨-١٠؛ ١, ١٤٦, ٧؛ ٣٦٣, ٢٢؛ ٤١٤, ١١-١٢؛ ٣، ٢٣٤, ٢٣-٢٤؛ ٥, ١٦١, ٥

٥٣٠ رفيدة، ٥٨٤؛ أوونس (١٩٩٠)، ٨٦؛ كينبرغ، ٦٨٩- ٦٩١؛

٥٣١ الطبري، ٢, ١٠١, ٥

٥٣٢ رفيدة، ١٨٩-١٩٠

٥٣٣ الطبري، ١, ٤٩٨, ٧-٨

٥٣٤ المصدر السابق، ١, ٤٠٠, ٢٦-٢٩؛ ١, ٤١٤, ١٢؛ ٢, ٣٤٦, ١٧؛ ٧, ٢٤٣, ٢٩ كينبرغ، ٦٩١-٩٣، أوونس(١٩٩٠)، ٨٦-٨٨, ١٣٦؛ الأنصاري، ٤٤٣-٤؛ ديره، ٢٢٣-٢٦

٥٣٥ الطبري، ١٧, ٨٥, ١٣-١٤

٥٣٦ الكتاب(١٩٩٩)، ٢, ٤١٧, ٣-٥؛ ٣٨١, ١-٣

Digitized by Birzeit University Library

تكرير الفعل:

يقصد به الطبري تشديد أحد حروف الفعل وتضعيفه، وقد ضرب مثالا عندما شرح اشتقاق المصدر «تصدية» وهي التصفيق، وقال إنها مشتقة من صدّيت تصدية أو: صدّدت تصدية فقلبنا إحدى الدالين ياء.[٥٣٧]

كلام: انظر: الجملة

يُعرّف الكلام في فترة متأخرة من تاريخ النحو العربي على أنه: «كل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه . . . فكل لفظ استقل بنفسه، وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام»[٥٣٨]، قال ذلك ابن جني عندما فرق بين الكلام والقول، وأوضح أن النحويين يطلقون على ذلك اسم الجمل؛ واشترط ابن جني في الكلام حتى يكون جملة الاستقلال عن غيره «و الاستغناء عما سواه»: أي أنه لا يوجد عامل خارجي يؤثر فيه، ولا يحتاج إلى متمم له.

يعتمد ابن جني في تعريفه على سيبويه «واعلم أن «قلت» في كلام العرب إنما وقعت على أن يحكى بها؛ وإنما يحكى بعد القول ما كان كلاما لا قولا»، ويفسر فهم سيبويه للمصطلح «كلام» على أن المقصود به الجملة المستقلة بمعناها عن غيرها، المكتفية بنفسها، المستغنية عن غيرها (من ناحية تأثير العامل)، نحو: قلت: زيد منطلق؛ فـ «زيد منطلق» كلام مفيد تام يحسن السكوت عليه، مستقل عن غيره.[٥٣٩]

السؤال الذي نطرحه هنا؛ هل فعلا هذا هو معنى «كلام» لدى النحاة العرب القدماء أمثال سيبويه والفراء، أم طرأ تغير على هذا المصطلح عبر السنين، فطور المتأخرون من النحاة أمثال ابن جني والزمخشري وابن يعيش وابن هشام وغيرهم، مفهوم «كلام» و«جملة»؟ والسؤال الآخر: هل يترادف المصطلحان «كلام» و«جملة»، وما الفرق بينهما؟

قبل أن نحاول الإجابة عن هذين السؤالين، سنتتبع مصطلح «كلام» في تفسير الطبري، فربما يلقي ذلك مزيدا من الضوء على هذه المسألة؛ وهو مصطلح يتكرر بكثرة، وله معان مختلفة ومتنوعة يصعب حصرها؛ مما يشير إلى أنه مصطلح غير متخصص، ومن هذه الاستعمالات، أنه يرد بمعنى كلام العرب الفصيح الذي يقاس عليه، فما وافقه فهو فصيح، جائز، مستفيض، معروف، ظاهر، مستعمل، جار في كلام العرب، وما ناقضه من كلام فهو خطأ، غير جائز، وهذه المعاني ليس هذا المكان لمناقشتها.

١. يرد مصطلح «كلام» لديه أحيانا بمعنى الجملة التامة التي تفيد معنى يحسن السكوت عليه؛ فالعبارة التالية: رأيت هذا هو لا تعتبر «كلاما» فيما يتعلق بإفادة المعنى؛ بكلمات أخرى، هذه الجملة ليست تامة محتاجة إلى أجزاء أخرى لكي تصبح تامة، مستقلة من ناحية تأثير العوامل الخارجية قبلها أو بعدها.[٥٤٠]

---

٥٣٧ الطبري، ٩, ٢٤٣, ٢-٥

٥٣٨ الخصائص، ١, ١٧, ٩-١٢

٥٣٩ المصدر السابق، ١, ١٨, ١٨- ١٩, ١؛ الكتاب(بولاق)، ١, ٦٢, ٥-٧

٥٤٠ الطبري، ٩, ٢٣٣, ١٤؛ كينبرغ (١٩٩١)، ٢٤٥

Digitized by Birzeit University Library

من الأمثلة على «الكلام التام» هي الحروف المقطعة : ألم في الآية : «**ألم، ذلك الكتاب**»[٢(البقرة) : ١ , ٢] ؛ فمن وجوه الإعراب لدى الطبري، أن تكون «ألم» كلاما تاما، و»ذلك الكتاب» خبرا مستأنفا : أي أن ما قبله ليس العامل في رفعه، بل كل منهما هو العامل في رفع الآخر (وفقا لرأي الكوفيين) ؛ والمقصود بكلام تام هنا، أن «ألم» يحسن السكوت عليها ؛ لأنها جملة تامة، مستغنية عن غيرها، فمعناها يصبح حينئذ : أنا الله أعلم .[٥٤١] يصادفنا في تفسير الطبري أحيانا «كلام متناه»، ويقصد به الطبري الجملة التامة التي يحسن السكوت عليها ؛ لاكتمال عناصرها، نحو : «**والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع**»[١٦(النحل) : ٧٨] فالقسم الأول من الآية «والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا» كلام متناه ؛ أما القسم الثاني : «وجعل لكم السمع» فإنه مفصول عما قبله نحويا، فيقول الطبري : «ثم ابتدئ الخبر»، يقصد أن هذه الجملة مفصولة عن الجملة السابقة .[٥٤٢]

كما أننا نصطدم بعبارة «كلام تام مكتف بنفسه عما بعده، ثم يبتدأ . . . « ويقصد الطبري بهذه العبارة جملة : كن، أي أن عناصرها مكتملة من ناحية المسند والمسند إليه، وأن ما بعدها مفصول عنها في الإعراب .[٥٤٣]

ونرى الطبري يستعمل «جملة كلام تام» عندما تحدث عن»إن» واسمها وخبرها، وهذه الجملة تامة يحسن السكوت عليها .[٥٤٤]

تعني عبارة «كلاما مكتفيا بنفسه» في تفسير الطبري، أن الجملة تامة مستقلة بعناصرها، مستغنية عن غيرها ؛ يحسن السكوت عليها . لا يوجد عامل خارج هذه الجملة يؤثر فيها رفعا أو نصبا أو جرا ؛ نحو : «**بسم الله مجراها ومرساها**» [١١(هود) : ٤١]، فـ«بسم الله» شبه الجملة خبر مقدم، والمبتدأ مؤخر بمعنى : إجراؤها وإرساؤها .

أما إذا قدرنا «مجراها ومرساها» بمعنى : بسم الله عند (وقت) إجرائها وإرسائها، فإن «بسم الله» تصبح «كلاما مكتفيا بنفسه» أي أنها أصبحت جملة تامة، مستقلة بعناصرها، مستغنية عن غيرها، فالعامل مضمر نقدره : بسم الله نبتدئ أو ابتداؤنا .[٥٤٥]

٢ . هنالك علاقة بين تعابير يستعملها الطبري نحو : انقطاع الكلام، وكلام منقطع، وكلام منقطع عما قبله، ومستأنف، وبين قوله : تمام الكلام وانتهائه : فعندما يقول الشاعر قبل البدء في قصيدته : بل فإن ذلك «قطع كلام وابتداء آخر» ؛ المثال الآخر الذي يعطيه الطبري : «**إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا، ولا تسأل عن أصحاب الجحيم**»[٢(البقرة) : ١١٩]، وفي قراءة قرآنية أخرى للصحابي أبي بن كعب «و ما تسأل»، أما في قراءة الصحابي ابن مسعود فهي : «و لن تسأل»، فكما يقول الطبري بأن افتتاح الجملة ب«ما» أو «لن»، يدل على «انقطاع الكلام عن أوله وابتداء . . . »، قول الطبري لا يدع مجالا للشك في أنه يقصد أن الجملة «ولا تسأل عن . . . » مستقلة ومفصولة عما سبقها من ناحية تأثير العامل .[٥٤٦]

---

٥٤١ الطبري، ١ , ٩٨ , ٢٥-٢٦

٥٤٢ المصدر السابق، ١٤ , ١٥٢ , ١٦-١٧

٥٤٣ المصدر السابق، ١٠٦ , ١٠-١١

٥٤٤ المصدر السابق، ٢٥ , ١٤٠ , ١٠-١٣

٥٤٥ المصدر السابق، ٩ , ٢٣٣ , ١٤

٥٤٦ المصدر السابق، ١ , ٥١٦ , ٢٨- ٥١٧ , ٦

Digitized by Birzeit University Library

٣. يرد معنى «كلام» في تفسير الطبري أحيانا بمعنى العبارة أو الوحدة المضمنة في الكلام، أي ليست جملة مستقلة مقصودة بالحكم؛ لذلك نرى الطبري يستعمل مصطلح «كلام» ليدل على:

ـ الاستثناء المنقطع، الذي يكون فيه المستثنى ليس من جنس المستثنى منه، بعد أداة الاستثناء:

نحو: «**وما لهم به من علم إلا اتباع الظن**»[٤(النساء): ١٥٧] فـ« اتباع الظن» يقول عنه الطبري «لانقطاع الكلام الذي يأتي بعد إلا عن معنى ما قبلها»؛

ـ ويقصد أحيانا بكلام كلمة واحدة، سواء كانت اسما أم فعلا أم حرفا، نحو: «**ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني**»[٢(البقرة): ٧٨]، فكلمة «أماني» كلام منقطع عما قبله.[٥٤٧]

ـ كما أن الطبري يطلق المصطلح «كلام» على جملة فعل الشرط ويسمي هذه الجملة: كلاما ناقصا؛ نحو: إن تتق الله خير لك فجملة»إن تتق الله» كلام ناقص، أي غير تام، فلا يحسن السكوت عليه.

ـ ويدخل تحت عبارة «الكلام الناقص» المصدر المؤول «أن تصبروا»، الذي يأتي في محل رفع مبتدأ، في الآية: «**وأن تصبروا خير لكم**».[٥٤٨]

ـ يعني الطبري بالمصطلح «كلام» المبتدأ، وهو مما لا يحسن السكوت عليه حتى يتمم بالخبر؛ لأن المعنى يظل ناقصا، فالمبتدأ محتاج إلى الخبر لا يستغني عنه، و لا يقوم دونه؛ الأمر الذي يشير إلى أن الطبري لم يقصد بكلام الجملة التامة فقط؛ نحو: «**والذي أنزل إليك من ربك الحقُّ**»[١٢(يوسف): ١]، فالجزء الأول «الذي أنزل إليك» كلام مبتدأ، والخبر «الحق».[٥٤٩]

٤. الكلام المتصل الحروف: عكس الحروف المقطعة نحو: ألم، وألمر وغيرهما، أما الكلام المتصل الحروف فهي الكلمات المألوفة نحو: كتاب أو فرس.[٥٥٠]

٥. «ليصلوا إلى الكلام بها»، يقصد هنا الطبري بـ«الكلام» النطقَ بالحرف.[٥٥١]

نلخّص القول: بأن استعمالات الطبري للمصطلح «كلام»، تؤكد ما أشرنا إليه آنفاً[إنظر: أعلاه: المصطلح: الجملة] من أن هذا المصطلح واسع الدلالة لدى النحاة القدماء، بحيث يدل أحياناً على الجملة التامة، ولكن قد يدل أيضاً على جزء غير مستقل من الجملة، بعكس ما أشار إليه بعض الباحثين المعاصرين[٥٥٢].

---

٥٤٧ المصدر السابق، ١, ٣٧٦, ٩-٢١؛ ٣٠, ١١٤, ٢١ (وقد قصد الطبري بقوله «و لا كلام قبلها» الحرف حتى عندما يأتي في الجملة قبل إذا.

٥٤٨ المصدر السابق، ٦, ٣٣, ١١-١٥

٥٤٩ المصدر السابق، ١٣, ٩٢, ١٦

٥٥٠ المصدر السابق، ١, ٩٣, ٢٣-٢٤

٥٥١ المصدر السابق، ١, ٣٥٦, ٢٤

٥٥٢ أنظر طلمون(١٩٨٨)، ٨٧-٨٨؛ عبد الرحمن الحاج صالح، «الجملة في كتاب سيبويه»، مجلة مجمع اللغة العربية_القاهرة، ٧٨ (١٩٩٦)، ٩٨-١٠٠، وانظر: جولدنبورغ (١٩٨٨)، ٥٩

Digitized by Birzeit University Library

كنى عن / كناية عن:

يدل هذان المصطلحان على الضمير عند البصريين؛ ولكن المصطلح «كنى عن» أعم وأشمل من «ضمير»، إذ يعني «كناية عن» أو «كنى عن» عدم التصريح باسم شخص أو شيء، فنطلق عليه كنية، وهنالك كنايات العدد وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، وله أحيانا معنى بلاغي، وذلك عندما نتكلم بشيء ونريد غيره، وهي عكس الصريح الظاهر؛ أما الكناية فهي استتار المعنى وعدم انكشافه أي المجاز.

إذا ألقينا نظرة في كتاب سيبويه نجد أنه استعمل هذا المصطلح ضمن هذين المعنيين، ولم يستعمله مرادفا للضمير، خلاف ما ذكره الباحث سعيد الزبيدي، معتمدا فيما يقول على ابن منظور في «لسان العرب»، الذي بدوره نقل ذلك عن ابن سيده الأندلسي؛ لذلك نقول إن المصطلح طوره الكوفيون إلى جانب استعمالهم لمرادفه لدى البصريين «الضمير»، ويشهد على ذلك وجود المصطلحين لدى الفراء جنبا إلى جنب في معانيه وربما نقله الكوفيون عن الأصوليين والفقهاء[٥٥٣].

أما الطبري، فلمصطلحات كنى عن، و مكني عن، وكناية عن عدة مفاهيم في تفسيره، منها:

١. الضمير المتصل أو المنفصل أو المستتر؛ في حالات الخطاب الثلاث المتكلم والمخاطب والغائب، والمكني يستعمله الطبري عكس الظاهر؛ هذا المعنى الأكثر شيوعا في تفسيره؛ فنجده يستعمل : مكني الجمع وكناية جماعة بدل ضمير الجمع، وكناية اسم المخاطب، و كناية اسم المتكلم، وهكذا دواليك.[٥٥٤]

٢. التعبير غير المباشر، استعمال التعبيرات الرقيقة التي تلمح ولا تصرح بدل الألفاظ النابية الخادشة للحياء والذوق، كاستعمال الرفث نيابة عن مصطلحات الاتصال الجنسي الشعبية؛ وتسمية قضاء الحاجة بالغائط، مما لا شك فيه هنا أن هذا المعنى من المعاني العامة غير المتخصصة للمصطلح، ولكن أهميتها تكمن في أنه ربما تكون أصل المصطلح النحوي المتأخر بمعنى الضمير.[٥٥٥]

٣. يستعمل الطبري الكناية استخداما بلاغيا؛ فـ«تولية الأدبار» كناية عن الانهزام، هذا هو المعنى الشائع في عصرنا الحالي للمصطلح «كناية»، أي الاستعمال المجازي للكلمة، بمعنى إطلاق لفظ وإرادة معنى آخر، و لا يتسع هذا البحث لمثل ذلك، بل يطلب في مظانه.[٥٥٦]

٤. يأتي معنى كنى ب: بمعنى سمى، ويكنى ب يسمى ب؛ نحو إطلاق اسم النعجة على المرأة «كنى بالنعجة ها هنا عن المرأة»، ويدخل في ذلك الكنية: وهي كل اسم يتصدره أب أو أم أو ابن أو بنت.[٥٥٧]

يستعمل الطبري تبعا للفراء مصطلحي الكناية والمكني عنه إلى جانب الضمير، مع شيوع الأول؛ ويعرفه النحاة بأنه: ما دل على متكلم أو مخاطب أو غائب.

---

٥٥٣ المرجع السابق، ٧٣١- ٣٦؛ ٤٢٠-٣٦؛ الأنصاري، ٤٥٠؛ فيرستيخ (١٩٩٣)، ١١٢؛ تروبو(١٩٧٦)، ١٨٥ ٨٦؛ ديره، ٢٧٩-٨١؛ المخزومي، ٣٥٩، لسان العرب، مادة: كني؛ التهانوي(١٩٩٦)، ٢, ١٣٨٤-٨٦؛ انظر: الزبيدي، مصطلحات ليست كوفية، ٧١ -٧٢؛ ٧٧ -٧٨

٥٥٤ التفسير، ١, ٧٠, ٧؛ ١٤٠, ١١؛ ١٩٢, ٢٥-٢٦؛ ٢, ٦٧, ٧؛ ٦, ٢٧, ١٠-١١؛ ٩, ٦٧, ٢١

٥٥٥ المصدر السابق، ٢, ١٦١, ١٨؛ ٥, ١٠١, ١٧-١٨

٥٥٦ المصدر السابق، ٤, ٤٧, ٩

٥٥٧ المصدر السابق، ٢٣, ١٤٥, ٤؛ ٢, ٢١١, ١٩

Digitized by Birzeit University Library

يعترض الباحث سعيد الزبيدي على نسبة مصطلح «الكناية» و«المكني» إلى الكوفيين، ويقول بأنهما مستعملان لدى الكوفيين والبصريين على حد سواء، ويعتقد أن النحاة المتأخرين كابن يعيش، هم الذين نسبوا هذا المصطلح إلى الكوفيين وحدهم؛ وأضاف بأنه من ابتكار الخليل بن أحمد؛ لأنه ورد في معجم العين، وكتاب سيبويه، كما أسلفنا أعلاه، وقد رجع هذا الباحث إلى «الكتاب» ولم يجد ما قاله ابن منظور، نقلا عن ابن سيده، صحيحا؛ فأشار إلى فكرة رجوع ابن سيده إلى طبعة أخرى، لم تصلنا للكتاب. يدعم الزبيدي رأيه بأن أبا عبيدة، والمبرد، وابن السراج قد ورد في كتبهم مصطلح الكناية؛ لذلك كله يصرح بأنه مصطلح مشترك بين الكوفيين.

يجب أن ننوه، تعقيبا، بعدة أمور:

أولا: صحيح أنه يوجد مصطلح «كناية» فقط بمعنى ضمير، ولكن جميع المواضع باستثناء موضع واحد، جاءت المصطلحات مكني وكناية بمعنى التعبير غير الصريح. الحقيقة التي تحتاج إلى تأكيد، هي أن معجم العين لم تثبت نسبته إلى الخليل بن أحمد، بل على العكس من ذلك، فإننا نرى الكثير من المصطلحات الكوفية في النحو؛ فهنالك الكثير من الحجج الداحضة التي أثارت شكوك الكثير من النحويين قديما وحديثا في نسبته إلى الخليل.[٥٥٨]

ثانيا: لم يرد مصطلح كناية/ مكني في «الكتاب» بمعنى الضمير، ومن المعروف أنه أهم كتب البصرة في النحو وأول من وصل إلينا بهذه الإحاطة والتفصيل، هذا أكبر دليل على عدم شيوع المصطلح عند أهل البصرة، ونحن نعرف أن سيبويه أكثر تلامذة الخليل بن أحمد قربا إليه، أليس من الغريب ألا يتأثر بمصطلحات أستاذه ويعرض عنها !؟ مع أن المطلع على كتاب سيبويه يرى دون عناء الكثير من اقتباسات سيبويه المباشرة وغير المباشرة عن الخليل، في معظم المسائل النحوية والصرفية والصوتية في الكتاب؛ الأمر الذي يؤكد إعجاب سيبويه الشديد بأستاذه، ربما يفسر ذلك بعض الشكوك حول نسبة معجم العين بأكمله إلى الخليل.

ثالثا: إذا وافقنا الكاتب في اعتباره مصطلحا مشتركا، فيجب اعتبار «الضمير» كذلك؛ إذ إن الفراء استعمله في معانيه، فربما كان شائعا لدى النحويين القدماء قبل سيبويه والفراء.

رابعا: من خلال دراستنا للمصطلحات الكوفية من خلال الفراء والطبري، يتبين لنا أن الكوفيين يعرفون مرادفات مصطلحاتهم البصرية ولا يجهلونها، وإنما كانوا يخالفونهم ـ وخاصة الفراء ـ من أجل اشتقاق مصطلحات جديدة، تختلف عن البصرية.

خامسا: أما بخصوص احتجاج الباحث باستعمال المبرد وابن السراج للمصطلح «كناية»، فقد رجع إلى كتاب الكامل للمبرد، وحري به الرجوع إلى «المقتضب» للمبرد، وهو من أهم كتب النحو بعد الكتاب، فإذا لم يستعمله ثمة، فإنه لا يعد من مصطلحاته المتخصصة، ولا ننسى بأن ابن السراج أدخل في كتابه «الأصول» الكثير من المصطلحات الكوفية، لأنه عاش في بغداد وعرف عن كثب مصطلحات البصريين والكوفيين واستعملها في كتابه، وعول على الكوفيين في بعض المسائل، في مخالفة نحاة البصرة، كما يقول محقق الكتاب عبد الحسين الفتلي.[٥٥٩]

---

٥٥٨ العين، ٤، ١٠٥، ١٥-١٦؛ طلمون(١٩٩٧)، ٤٠٧: ينظر ثمة فهرس المصطلحات ٣٧٣-٤٢١

٥٥٩ الأصول، ١، مقدمة المحقق ص ١٩-٢١

Digitized by Birzeit University Library

نستخلص أن الطبري لم يجهل المصطلحات البصرية. أما مصطلح «ضمير» أو «مضمر» أو«أضمر» و«يضمر»، فنلاحظ أن الطبري استعمله بصيغة المفرد، كما أنه، أي الضمير له عدة معان: منها وهو الأهم والأشهر بمعنى الكناية والمكني عنه، وتأتي بمعنى الشيء المقدر أو المؤول من الأسماء والأفعال، هنالك استعمال غير نحوي، وذلك عندما نقول: ضمائر النفوس أو ضمير فلان: أي ما يخفيه الإنسان ويستره من أفكار في قرارة نفسه.[٥٦٠]

يتبين لنا في العصور المتأخرة وحتى أيامنا هذه، أن النحاة العرب اكتفوا بالمصطلح «ضمير»، مع أنه يجدر الإشارة إلى اكتساب «الضمير» معنى حديثا مولّدا؛ يعرفه المعجم الوسيط (ص ٥٤٤ ع ١)بأنه: « استعداد نفسي لإدراك الخبيث والطيب من الأعمال والأقوال والأفكار، والتفرقة بينها، واستحسان الحسن واستقباح القبيح منها.

«كان» التي لا تحتاج إلى خبر:

هكذا يسمي الطبري «كان» التامة؛ حيث تأتي فعلا تاما لازما مكتفيا بالفاعل، مستغنيا عن الخبر المنصوب، كما هو الحال في كان الناقصة. يفسرها الطبري بمعنى توجد أو تقع.[٥٦١]

ويطلق عليها الطبري أيضا «يكون» التي بمعنى «التمام»، وذلك في الآية: «**إلا أن تكون تجارةٌ حاضرةٌ**» [٢(البقرة): ٢٨٢]، وهي التي لا تحتاج إلى خبر؛ لأنها تامة، ونجده يفسرها بمعنى: توجد أو تقع أو تحدث.[٥٦٢] يضيف الطبري إلى هذه المعاني كان بمعنى: خلق، كما في الآية: «**كنتم خير أمة أخرجت للناس**» [٣(آل عمران): ١١٠]، بمعنى: خلقتم خير أمة، أو وجدتم خير أمة.[٥٦٣] كذلك نجده يفسر «كان» بمعنى: صار أو بعث، كما في الآية: «**هل كنت إلا بشرا رسولا**».[٥٦٤]

أشار سيبويه إلى «كان» التامة دون توسع، فمن المعاني المشار إليها في كتابه: قد كان عبد الله، بمعنى: خلق؛ وقد كان الأمر، بمعنى: وقع[٥٦٥]، ولكن سيبويه لم يمثل على «كان» بمعنى «خلق» من النص القرآني، أو بما قالته العرب من المأثور عنها نثرا أو شعرا، ولم يأت بآية من القرآن يثبت فيها وجود استعمال كان التامة فيه؛ في المقابل، نجد النحاة لاحقا، ويظهر ذلك جليا لدى الطبري، قد توسعوا في معاني «كان» التامة، ففسرت بعض الآيات القرآنية على أن «كان» تامة.

---

٥٦٠ المصدر السابق، ١, ٢٣٣, ٢٠-٢١؛ ٣, ١٣٣, ٣؛ ٢٠٦, ١٨؛ ٤, ٢, ٢٣؛ ٦, ٢٣٤, ١٤؛ ٨١, ٢٥؛ ١٨، ٣,٤؛ ٢٠, ١٤٢, ٢؛ ٢٢, ٣٥, ١؛ ٢٢, ٧٦, ١٤

٥٦١ المصدر السابق، ٥, ٣١,٢٣؛ ٢١, ٧٢, ٤-٥

٥٦٢ المصدر السابق، ٣, ١٣٣, ١٠-١١

٥٦٣ المصدر السابق، ٤, ٤٥, ٢٦-٢٧

٥٦٤ المصدر السابق، ١٦, ٧٩, ٨-١٢

٥٦٥ الكتاب(١٩٩٩)، ١, ٨٥, ٢-٨٧, ٢

Digitized by Birzeit University Library

المدح: النصب على المدح: انظر: الذم: النصب على الذم

١. وهو عكس النصب على الذم، وهو الاسم المنصوب في الجملة، الذي لا يتبع في الإعراب ما قبله سواء كان مرفوعا أم مجرورا، ينصب هذا الاسم بفعل مضمر تقديره: أعني أو أمدح، وقد يأتي نكرة أو معرفا بأل، وكأن فيه انقطاعا عما قبله، و استئنافا؛ لأنه لا يتبع ما قبله، ويشبهه في النصب على تقدير فعل مستتر المنصوب على الذم، والترحم، والاختصاص.[٥٦٧]

ويشترط الطبري، تبعا للفراء وغيره من النحاة، في الاسم المنصوب على المدح أن يفصل بينه وبين الاسم الممدوح؛ لأن المنصوب على المدح في الأصل نعت لما قبله يتبع المنعوت، فإذا انقطع ما بينهما نصب ولم يتبع ما قبله؛ وهذا تفسير مصطلح «التطاول» أو «تطاول الكلام» الذي يشترطه الطبري بين المنصوب على المدح والممدوح، حيث يأتي كلام يفصل بينهما؛ كما في الآية: «**والموفون بعهدهم إذا عاهدوا،والصابرين**»[٢(البقرة): ١٧٧]؛ فالعبارة: «بعهدهم إذا عاهدوا» فصلت بين «الصابرين» المنصوب على المدح، وبين الممدوح «الموفون»؛ مما سوغ لنا عدم إتباع الاسم المعطوف على المعطوف عليه؛ ولولا ذلك، لجاءت مرفوعة «الصابرون» عطفا على ما قبلها.[٥٦٨]

معظم الأمثلة التي يضربها الطبري على المنصوب على المدح، يجوز أن تقرأ على الوجهين: الرفع أو النصب، أي أن هنالك قراءة قرآنية أخرى بالرفع؛ لأن القراءة القرآنية سنة متبعة، يجب التقيد في الوجوه النحوية بما ورد من قراءات قرآنية، وهذا ما أورده الطبري في آية أخرى: «**لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة،والمؤتون الزكاة**»[٤(النساء): ١٦٢]؛ نلاحظ أن «المقيمين» كان يجب أن يتبع «الراسخون» في الإعراب، لأنه معطوف عليه، ولكن عندما «تطاول الكلام»: أي فصل بينهما «خالفوا بين إعراب أوله وأوسطه»؛ فجاء «المقيمين» منصوبا على المدح، ثم جاءت «المؤتون» مرفوعة اتباعا لحركة الأول «الراسخون»، وخالف الكسائي ـ شيخ الفراء ـ هذا الإعراب، كما نقل الفراء والطبري، واعتبر «المقيمين» مجرورا على تقدير: ويؤمنون بالمقيمين لأنه، أي الكسائي، يرى أن المنصوب على المدح لا يأتي وسط «الكلام»، ولكن بعد «تمامه»، أي بعد خبر المبتدأ، وهو في الآية «أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما»، واعترض الفراء على هذا التأويل، بحجة «تطاول الصفة».[٥٦٩]

وقد أجاز سيبويه الرفع والنصب في «المقيمين»، أما النصب فعلى المدح، وأما الرفع «فعلى الابتداء»: أي أن نقطعها عما قبلها، فتصبح «المقيمون» مبتدأ مرفوعا، تحدث سيبويه أيضا عن العامل في نصب «المقيمين»، ألا وهو «أذكر المقيمين»، وصفه سيبويه نقلا عن الخليل بن أحمد بأنه فعل «لا يستعمل إظهاره»، أي مضمر دائما.

---

٥٦٧ معاني القرآن للفراء، ١, ١٠٥, ٦ - ١٠٧, ١٤؛ المحلى، ٣٤-٣٥

٥٦٨ الطبري، ١, ١٤٦, ٢-٧؛ ٢, ١٠٠, ١١-١٠١, ٨

٥٦٩ المصدر السابق، ٦, ٢٥, ٢٦-٢٧ ١٨؛ ٢٤, ٤٠, ١٦-٢٠؛ ٩١, ٤-٥؛ ٢٩, ٢٠٧, ٥؛ ٢١٤, ١٦-١٨؛ معاني القرآن، ١, ١٠٧, ١-١٢

Digitized by Birzeit University Library

ولا يقتصر المنصوب على المدح على المعطوف والمعطوف عليه، ولكن يشمل النعت والمنعوت، وذلك في بيتين من الشعر :

لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر
النـازليـن بكل معترك والطيبون معاقد الأزر

فعلى الرغم من أن «النازلين» نعت للفاعل المرفوع «قومي»، ولكنها لم تتبع المنعوت كما كان متوقعا، فنصبت على المدح. [٥٧٠]

٢. يرد في تفسير الطبري مصطلح «الرفع على المدح»؛ جاء ذلك في إعراب الطبري لكلمة «سلام» في الآية: «**سلام قولا من رب رحيم**»[٣٦(يس) : ٥٨]؛ بينما نجد الزمخشري يرجح أن تكون «سلام» منصوبة على الاختصاص. يقدر الطبري المحذوف كالآتي: هو سلام لهم، أي أنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو. [٥٧١]

النسق / حروف النسق:

يرادف العطف وحروف العطف، والمنسوق هو المعطوف، يعتبر مهدي المخزومي هذا المصطلح أدق من المصطلح البصري العطف؛ لاختصاره، و غنائه عن التخصيص، والتقييد. [٥٧٢]

يستعمل الطبري المصطلحين النسق والعطف، مع الإكثار من العطف تبعا للفراء، على عكس المتوقع لاعتبار «النسق» مصطلحا كوفيا؛ مما دفع بالباحث فيرستيخ إلى الادعاء أن المصطلح شاع في الاستعمال على يد ثعلب شيخ الكوفيين، الذي لم يستعمل «العطف» إلا مرة واحدة، ولم يرد ذكر النسق في كتاب سيبويه. [٥٧٣]

نجد في تفسير الطبري «نسق على» بمعنى: عطف على، و«النسق» بمعنى: العطف، وحروف النسق بمعنى: حروف العطف، ومن حروف النسق (العطف) التي ذكرها الطبري: الواو والفاء وثم وأو وأم، وقد استخدم حرف العطف والنسق جنبا إلى جنب في الموضع نفسه، دون التفريق بينهما في الاستعمال. [٥٧٤]

من الصعب تحديد تاريخ هذا المصطلح، إلا أننا نشير إلى أنه أفرد له باب خاص في «مقدمة في النحو» المنسوب إلى خلف الأحمر (٨٥-٨٦): »وحروف النسق خمسة، و تسمى[حروف] العطف. وقد ذكرها الخليل بن أحمد في قصيدته في النحو» وذكر منها الواو ولا وثم وأو والفاء.

ربما نحاول الاهتداء إلى أصل المصطلح من خلال تتبع المعنى المعجمي؛ فالنسق من كل شيء: ما كان على طريقة نظام واحد، عام في الأشياء، ولذلك يقال للكلام الذي سجعت فواصله، له نسق حسن، يقول الأزهري في التهذيب (٨, ٤١١ـ١٢) « وحروف العطف الذي يسميها النحويون حروف النسق؛ لأن الشيء إذا عطفته على شيء صار نظاما واحدا»؛ من خلال ذلك، نرى أن هذا المصطلح»النسق» استعمل في البلاغة لوصف

---

٥٧٠ الكتاب(١٩٩٩)،٢, ٥٧, ١-٦١, ٦؛ المحلى، ٣٤-٣٥؛ وانظر: خلف الأحمر، مقدمة في النحو، ٥٧-٥٩

٥٧١ الطبري، ٢٣, ٢١, ١٠-١١؛ الكشاف، ٣, ٣٢٧

٥٧٢ مدرسة الكوفة، ٣٦٠؛ الأنصاري، ٤٥٣

٥٧٣ انظر: كينبرغ، ٤٨٥-٤٩؛ ٤٩٢-٤٩٥؛ رفيدة، ٥٨٧؛ فيرستيخ(١٩٩٣)، ٥-٦؛ ١٥٣

٥٧٤ الطبري، ١, ٤٨٥, ٤-٥؛ ٢, ٥٩٣, ٢٧-٢٨؛ ٤, ١٠٨, ١٩-٢١؛ ٧, ١٢٠, ٥؛ ١٧, ١٥٢, ٢١

Digitized by Birzeit University Library

تناسق الجمل القرآن، وربما بدأ باستعماله أهل الكلام، فهم أول من اهتم ببلاغة القرآن وإعجازه لإثبات النبوة؛ من أجل دحض حجج الفرق الأخرى.

وردت كلمة «النسق» في «البيان والتبيين» وفي «دلائل الإعجاز» بمعنى الترتيب، أما واو النسق، فاستعملها ابن قتيبة بمعنى واو العطف.[٥٧٥]

النفل:

لم يكرر إلا مرة واحدة في تفسير الطبري، ويقصد به الفضلة، أي ذلك الجزء الزائد عن الأصل، الذي يمكن للجملة أن تتم دونه، والمثال الوحيد على «النفل»، هو حكم المستثنى بعد إلا، فهستطيع أن نقول: قام القوم إلا أخاك، وإلا أخوك، وذلك لأن الاسم المستثنى المنصوب «أخاك»بعد أداة الاستثناء فضلة في الكلام، زائد عن العناصر الأساسية في الجملة، المسند والمسند إليه؛ و«أخوك» بدل مرفوع من «القوم».[٥٧٦]

في الحقيقة، فإن هذا المصطلح ليس شائعا لدى النحاة، ونرى أن الذي أوحى إلى الطبري استخدام «النفل» نيابة عن الفضلة أو الزيادة أو الحشو أو الصلة، هو كونه فقيها ومفسرا في الدرجة الأولى قبل أن يكون نحويا، لذلك استعاره الطبري من الفقه. وليس ذلك بعيدا، لأن المعنيين متقاربان، فالنفل في «كلام العرب»: الزيادة على الشيء، وهو مصطلح فقهي محض يختص بتقسيم الغنائم بعد المعارك، وقد وردت مشتقات أخرى لهذه الكلمة في القرآن، نحو: النافلة، وتعني في العبادات الزيادة على الفرائض الإجبارية في الصلاة والصيام وغير ذلك.[٥٧٧]

المنقول/ اسم منقول /نقل:

يتكرر هذا المصطلح بمعنى:

١. الاشتقاق والتحويل، كالأسماء؛ فأحمد نقل (اشتق) من المصدر «الإحماد»، و«آدم» كما يقول الطبري: «نقل من الفعل، فجعل اسما للشخص بعينه» أي: اشتق من المصدر (الإدام والأدمة)، والنقل عندما ننقل اسم علم من الصفة نحو أحمد وأحمر ويشكر وهاشم، أو نقل هذا العلم من النكرة، نحو: حجر وأسد.[٥٧٨]

٢. يتعلق معنى منقول بالتمييز، أي أن التمييز يكون في الأصل محولا عن الفاعل أو المفعول به؛ فالجملة: طبت به نفسا أصلها: طابت به نفسي أي أن الفعل في الأصل للنفس وليس لي؛ فالتمييز هنا منقول من (محول) الفاعل، وأصل: تفقأ زيد شحما تفقأ شحم زيد «لأن الشحم هو المتفقئ» فنقل الفعل إلى صاحب الشحم.

---

٥٧٥ البيان والتبيين(١٩٦٨)، ١, ٦٤, ١؛ ٣, ٣٣, ١١؛ دلائل الإعجاز، ٣٦٠, ٢؛ أدب الكاتب(١٩٠٠)، ٢٤٧, ٥

٥٧٦ المصدر السابق، ٨, ٧١, ٢٤-٢٨

٥٧٧ المصدر السابق، ٩, ١٧٠- ١٧٢؛ للاستزادة: انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة: نفل

٥٧٨ المصدر السابق، ١, ٢١٥, ١-٤؛ ٢, ٢٨٦, ٤, ٧؛ مما يدعم هذا الرأي ما ورد لدى ابن السراج، الأصول: ١, ١٤٩-١٥٠؛ الخصائص، ١, ١٨٠

Digitized by Birzeit University Library

يعرب الطبري «نفسه» في الآية : «**إلا من سفه نفسه**»[٢(البقرة) : ١٣٠] منصوبا على «التفسير» أي التمييز ، «فلما نقل إلى «من» ، نصبت النفس بمعنى التفسير» أي أن التمييز «منقول» محول عن الفاعل .[٥٧٩]

نكرة خارجة من المعنى= الخروج

متناه/ خبر متناه = الخبر

سعة العربية / اتساع الكلام:

يتكرر هذا المصطلح في تفسير الطبري من خلال صيغ عدة : اتساع العرب ، و سعة العربية «التي يحتج بسعتها في الكلام» ، وسعة الكلام ، والمقصود به الخروج عن الاصل والاختصار والإيجاز لعلم السامع أو المخاطب بالجزء المحذوف ؛ المثال على ذلك الآية : «**بل مكر الليل والنهار**»[٣٤(سبأ) : ٣٣] ، والمعنى : مكر «المستكبرين» «بالمستضعفين» في الليل والنهار ، ومن كلام العرب الذي يستشهد به الطبري : يا فلان ، نهارك صائم وليلك قائم .[٥٨٠] ذكر سيبويه هذه المسألة مفصلة ، وأسماها «مما جاء على اتساع الكلام والاختصار» ، أو سعة الكلام والإيجاز» ، وذكر أمثلة من القرآن وكلام العرب ، نحو : بنو فلان يطؤهم الطريق ، والمقصود : يطؤهم أهل الطريق .[٥٨١]

التصدير / مصدّر:

أصل مصطلح «التصدير» المصدر ، والمصدر كما عرفه الأزهري : أصل الكلمة التي تصدر عنها صوادر الأفعال ، أي أن الفعل «ذهب» على سبيل المثال صدر عن ، أو مصدّر عن المصدر «ذهاب» ، بمعنى اشتق من ، أو أخرج من ، أو خرج من ؛ علينا أن ننتبه هنا إلى أن هذا رأي أهل البصرة ، أما أهل الكوفة ، فيرون أن المصدر مشتق من الفعل ، وليس العكس .[٥٨٢]

يرد هذا المصطلح لدى الطبري في مواقع عدة ، ضمن الاستعمالات الآتية :

١. «التصدير» بمعنى الاشتقاق والإخراج من المصدر والمفعول المطلق ، وعندما يقول : أخرج المصدر أو صدر على الفعل (اتباعا لمذهب أهل الكوفة) بمعنى : اشتق ، ويضيف الطبري بأنه ربما «أخرجت» العرب المصادر على غير «بناء أفعالها» ، أي أن المصدر لا يكون مشتقا (= خارجا من) من الجذر الأصلي ، نحو : كلّمته كلاما ، وكان الأصل «تكليما» ، وأكرمتك كرامة ، والأصل : «إكراما» . وقد تصادفنا عبارة في تفسير الطبري : » فأخرج «الكتاب» مصدّرا من غير لفظه» ، يقصد في الآية : «**كتاب الله عليكم**»[٤(النساء) : ٢٤] ، أي أن المفعول المطلق «كتاب» اشتق من فعل لم يذكر في النص وهو «كتب» ، والتقدير : كتب الله . . . عليكم كتابا» .[٥٨٣]

---

٥٧٩ الطبري، ١ , ٥٥٩ ,٨- ١١ ؛ ٤ , ٢٤٣ , ٢٥-٢٦ ؛ ٢٤ , ٤٤ , ١١-٢٠ ؛ المقتصد، ٢ , ٦٩٢-٩٣

٥٨٠ الطبري، ٢ , ٢٥٤ , ٢١-٢٣ ؛ ٤٦٨ ,١٢-١٥ ؛ ٢٢ , ٩٨ ,١-٦ ؛ للمقارنة مع الفراء، كينبرغ، ٩٠٧-٩١٠

٥٨١ الكتاب(بولاق)، ١ , ١٠٨ ,٦- ١٠٩ ,٥

٥٨٢ التهذيب، ١٢ , ١٣٥ .ع . ١ ، مادة: صدر، تفسير الطبري(شاكر)، ١ ,١١٧ ، ملاحظة محقق الكتاب، رقم: ١

٥٨٣ الطبري، ١ ,٥١ ,١٦-٢٨ ؛ ٦٠ , ٢٠- ٢٤ ؛ ٣٩٠ ,١٢ ؛ ٥ ,٩ ,٥-٧، انظر: (شاكر)، ٨ , ١٦٩ ,٥-٧ ملاحظة محقق الكتاب رقم: ١ ؛ ٣٠ ,١٦ , ١٢

Digitized by Birzeit University Library

٢. نجد الطبري يستعمل عبارة: «مصدّر على الحال»، بمعنى: أخرج على الحال، أي: نصبت الكلمة على الحال، وأخرجت من، أو خرجت من المعرفة «صاحب الحال»، يتضح ذلك من الآية: « **فجزاء مثل ما قتل من النعم،يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة**»[٥(المائدة): ٩٥]، فـ«هديا» حال منصوبة، تعود على «الهاء» فـ«أخرج» الحال من الضمير المتصل في «به». [٥٨٤]

الصفة /حروف الصفات/ إلقاء الصفة:

لا يقل هذا المصطلح تشعبا وتفرعا عن مصطلح «الفعل» المذكور آنفا؛ فإنه يحتمل معاني عديدة في تفسير الطبري:

١. يستعمل الطبري الصفة بمعنى النعت؛ حتى أنه يستعملهما متجاورين في النص نفسه، دون أن نلاحظ فرقا في الاستعمال، كما أن المصطلحين يتكرران بكثرة في تفسيره، نتيجة لذلك نعتبر مصطلحي الصفة والنعت من المصطلحات المشتركة بين الكوفيين والبصريين؛ فلا يختص مصطلح الصفة بأهل البصرة، ولا يختص النعت بأهل الكوفة.

لا يوجد دلائل أيضا على أوّليّة المصطلحين: الصفة والنعت، ولكن من المحتمل أن يكون الصفة أسبق؛ لأنه يحتمل عدة معان، فهو مركب ومتشعب؛ بينما يدل «النعت» على معنى واحد فقط، فهو بسيط غير مركب، ومن الأمثلة المشابهة أن النكرة قبل المعرفة، والمفرد قبل الجمع، والمذكر قبل المؤنث؛ إذ يحلى الاسم النكرة بأل التعريف ليصبح معرفة، ويلحقه زوائد نحو الواو والنون ليصبح جمع مذكّر سالماً، أما المؤنث فتلحقه علامة من علامات التأنيث، كتاء التأنيث وألف التأنيث، بينما لا يحتاج المذكر إلى علامة تذكير؛ لذلك نصل إلى نتيجة مؤداها أن «النعت» مصطلح فني متخصص، تبلور في فترة لاحقة، لا نعرفها على وجه التحديد.

في إعراب «غير المغضوب عليهم» يقول الطبري: » يكون «غير» صفة «للذين» ونعتا لهم فتخفضها، إذ كان «الذين»خفضا وهي لهم نعت وصفة»، يستعمل الطبري الصفة والنعت بلا تفريق بينهما. [٥٨٥]

٢. الصفة وحروف الصفات، والنصب على إلقاء الصفة [في المطبوعة: إلغاء، والصحيح ما أثبتناه لأن النص منقول عن الفراء: ٣, ٢٤٣, ١١]، بمعنى حروف الجر، وهنالك سببان لتسمية حروف الجر بهذا الاسم، كما ذكر السيوطي:

١ـ لأنها تحدث صفة في الاسم الذي سبقها؛ ففي المثال: جلست في الدار، أحدثت «في» صفة في الاسم، حيث أصبحت «الدار وعاء للجلوس.

٢ـ لأنها تأتي صفات للنكرات فيما قبلها. [٥٨٦]

أورد الطبري الصفة وحروف الصفات بمعنى حرف الجر أو شبه الجملة من الجار والمجرور، مفصلا كالآتي:

أ- يقول الطبري: «وحروف الصفات يعاقب بعضها بعضا»[١, ١٣١, ٧-٨]، يقصد هنا أن حروف الجر

---

٥٨٤ المصدر السابق، ٧, ٥٠, ١٥-١٩

٥٨٥ المصدر السابق، ١, ٧٧, ١٢؛ ٩٠, ١٠؛ ٢, ٢٥٧, ١٣-١٤؛ ٦, ٧١, ٢-٣؛

Digitized by Birzeit University Library

٥٨٦ همع الهوامع(مكرم)، ٤, ١٥٣؛ الطبري(شاكر)، ١, ٢٩٩، ملاحظة: ٢؛ ديره، ٢٤٥

يستعمل بعضها نيابة عن الآخر، كأن نضع «على» مكان «في» و«من» و«عن» و«الباء». يشيع لدى الطبري استعمال حروف الصفات، وحرف الصفة نيابة عن حروف الجر، ولا نجده يستعمل حروف الجر، بينما نجد حروف المعاني مرة واحدة. [٥٨٧]

ب- تتكرر أحيانا العبارة: رفع بحرف الصفة، والمقصود بها، رفع المبتدأ بشبه الجملة من الجار والمجرور، يتبع الطبري هنا الكوفيين في العامل في رفع المبتدأ وهو الخبر؛ ففي الآية: «**ما كان لهم الخيرة**» [٢٨(القصص): ٦٨]، يقول: رفعت الخيرة بالصفة، أي، رفع المبتدأ المؤخر «الخيرة» بوساطة العامل، ألا وهو شبه الجملة من حرف الجر «اللام» والضمير المتصل؛ المثال الآخر في بيت شعر أورده الطبري لعمر بن أبي ربيعة:

قلت أجيبي عاشقا　　بحبكم مكلف

يقول الطبري في إعراب هذا البيت: «وقد رفعه بحرف الصفة، وهو الباء»، يقصد أن جملة الصفة «بحبكم مكلف» تتكون من مبتدأ وخبر، وأن المبتدأ المؤخر «مكلف» مرفوع بشبه الجملة من الجار والمجرور «بحبكم»، والجملة في محل نصب صفة أو نعت لـ«عاشقا». [٥٨٨]

جـ- «على معنى إلقاء الصفة»، توازي هذه العبارة، «النصب بفقد الخافض» أو «بسقوط الصلة»، كما مر معنا في مصطلح «الصلة» (أنظر: أعلاه: البند: ٢: ٣: ١).

ف«صراطك» في الآية: «**لأقعدن لهم صراطك المستقيم**»[٧(الأعراف): ١٦] ـ منصوب «على إلقاء الصفة»، أي، بسبب حذف حرف الجر، بمعنى: لأقعدن لهم على/ أو في صراطك. نقل الطبري هذا المصطلح حرفيا عن الفراء. ولقد تطرق إلى هذه المسألة سيبويه في «الكتاب»، فقال: «فلما حذفوا حرف الجر عمل الفعل»، يقصد سيبويه أن عمله تعدى مباشرة إلى ما بعده، فأصبح مفعولا به، بدل أن يجر بالكسرة. [٥٨٩]

٣. الصفة، ويقصد به ظرف الزمان والمكان نحو: عندك ودونك ونحوك ووسواءك، واليوم والليلة وغير ذلك؛ ويشمل ذلك الظرف المختص نحو: الدار والمسجد والطريق، يقول الطبري: «لأن «الطريق» صفة في المعنى»، يقصد أنها ليست في الأصل ظرف مكان، ولكنها تستعمل أحيانا ظرفا، كالظروف المبهمة مثل: اليوم والليلة وغير ذلك.

نجد لدى الطبري بالإضافة إلى النصب على الظرف، والوقت، النصب[٥٩٠] فيها في حال كونها صفة؛ ويقصد هنا بالصفة ظرف المكان «بين». [٥٩١]

---

٥٨٧ المصدر السابق، ١, ١٣١, ١٦؛ ٢٣, ٥٣, ١٦-١٧

٥٨٨ المصدر السابق، ٢٠, ١٠٠, ١٢-١٠١, ٦؛ ٢٢, ٦٨, ٢٣؛ ٢٣, ٥٣, ١٧-١٨

٥٨٩ المصدر السابق، ٨, ١٣٥, ٤-١٤؛ ٣٠, ٨٣, ١٩-٢٣؛ معاني القرآن، ١, ٣٧٥, ١-٥؛ الكتاب(١٩٩٩)، ١، ٧٣, ١

٥٩٠ الطبري، ٧, ٩٤, ١٥-١٦؛ ٢٨٠, ١-٧؛ ٨, ١٣٥, ٩-١٠؛ كينبرغ، ٧١٣-١٤؛ ديره، ٢٤٥-٧٤؛ الزبيدي، مصطلحات ليست كوفية، ٥٢- ٦٥؛ الارتشاف(١٩٩٨)، ٣, ١٤٣٤

٥٩١

Digitized by Birzeit University Library

وقد صرح الباحث الزبيدي أن الكوفيين ـ أمثال الكسائي، والفراء، وثعلب، وابن الأنباري ـ نقلوه عن معجم العين للخليل، وأن الخليل أورد «الصفة» بمعنى الظرف وحروف الجر؛ لذلك يصل إلى أن الصفة ليست مصطلحا كوفيا، بل هو منقول عن أهل البصرة؛ ويذكر الباحث إلى جانب الخليل، استعمال هذا المصطلح بمعنى الظرف وحرف الجر، لدى خلف الأحمر في «مقدمة في النحو» المنسوب إليه، وابن قتيبة في «أدب الكاتب»؛ وأخيرا يبرر عدم ورود هذا المصطلح في «الكتاب»، بعدم دقة المصطلح، أو عدم وضوحه، أو ربما لأن لسيبويه شخصيته المستقلة في انتقاء مصطلحاته، كما أن «الكتاب» يحتوي على مادة منقولة عن الخليل وغيره.[٥٩٢]

أشار طلمون في فهرس المصطلحات إلى «الصفة» في معجم العين، وكأنها من مصطلحات الخليل بن أحمد، من ناحية أخرى، أوضح في موقع آخر من كتابه أن الخليل هو مبتدع مصطلح «الظرف»، إذاً، أليس من الغريب أن يبتدع مصطلحين في آن واحد، يحملان المعنى نفسه.[٥٩٣]

الاسم الموضوع / الأسماء الموضوعات:

لا يشيع استعمال هذا المصطلح في تفسير الطبري، ووجدنا من خلال الحالات النادرة التي يستعمل فيها هذا المصطلح أنه يقصد به:

١. الاسم المعرب المتمكن، نحو: غلام وخادم؛ أتى به مقابل اسم الإشارة: ذلك وهو اسم مبني غير متمكن. يقصد الطبري أن «ذلك» يخاطب به المفرد والجماعة، دون أن نقول: ذلكم، على عكس «الأسماء الموضوعات».[٥٩٤]

٢. يقصد به الطبري الاسم العلم، الذي لم يشتق من فعل، عكس الصفة المشتقة من الفعل؛ فإذا قرأنا كلمة «غساق» بتخفيف السين، فهي «اسم موضوع»، أما إذا قرأنا «غسّاق»، بالتشديد، فهي صفة مشتقة من غسق يغسق غسوقا.[٥٩٥]

الوقت / الأوقات:

يستعمل الطبري مصطلحات الوقت والأوقات والظرف، والنصب على الوقت، أي النصب على الظرف. ويعرفه ابن منظور على أنه المقدار من الزمان والمكان، والمقصود أنه محدد بزمن أو مكان، وقد تطرق سيبويه إلى ذلك، فجعله يشمل ظرف الزمان والمكان «ويتعدى إلى ما كان وقتا في الأمكنة كما يتعدى إلى ما كان وقتا في الأزمنة، لأنه وقت يقع في المكان».[٥٩٦]

---

٥٩٢ مصطلحات ليست كوفية، ٥٢-٦٣

٥٩٣ طلمون(١٩٩٧)، ٤١٩-٢٠؛ ٤٦؛ كارتر(١٩٩٨)، ٣٤٤

٥٩٤ الطبري، ٢, ٤٨٨, ٢٥- ٤٨٩, ٩؛ الطبري(شاكر)، ٥, ٢٨ ملاحظة المحقق: رقم ١

٥٩٥ المصدر السابق، ٢٣, ١٧٦, ٢٠-٢٣؛ كينبرغ، ٣٦٢-٦٣

٥٩٦ لسان العرب، مادة: وقت؛ الكتاب(هارون)، ١, ٣٦, ٢-٣

Digitized by Birzeit University Library

النصب على الوقت يعني ظرف الزمان، نحو: شهر ويوم، ونجد الطبري لا يفرق بينهما(الوقت والظرف) في الاستعمال. حتى أننا نجده يقول: فهو نصب على الظرف؛ لأنه وقت، ونجد أحيانا: نصب على الوقت. ذكر الطبري أننا يجوز أن نستعمل المصادر «أوقاتا»، أي ظروف زمان، نحو: «غدوا وعشيا»، ونحو المثال: أتيته ظلاما، فجعلنا «ظلاما» ظرفا.[٥٩٧] وأدخل الطبري ظرف المكان نحو: دون ووراء ضمن مصطلح الأوقات أو الوقت. ولا ننسى في هذا المقام أن المواقيت يستعملها الطبري بمعنى: الأماكن التي يحرم فيها الحجاج إلى البيت الحرام قبل دخوله.[٥٩٨]

الموقت وغير الموقت:

الموقت أو المؤقت هو المحدد والمعرف والمعلوم، أصل التسمية مشتق وفقا لرأي الأستاذ محمود شاكر، من الوقت، ثم اتسع في استعماله في كل محدد.[٥٩٩]

يستعمل الطبري هذا المصطلح في عدة مواقع ضمن المعاني الآتية:

١. المعرفة الموقتة[=المؤقتة]، عكس النكرة المجهولة، ويقصد الطبري بالمعرفة الموقتة أسماء الأعلام، نحو: زيد وعمرو؛ أي العلم الشخصي الذي يعين مسماه تعيينا مطلقا غير مقيد، فيفرق الطبري بين المعرفة الموقتة (= العلم)، المعرفة غير الموقتة، نحو: الرجل والبعير؛ لأن المعرف بالألف واللام «يعين مسماه ما دامت فيه «أل»، فإذا فارقته، فارق التعيين»، والمقصود أن الرجل والبعير اكتسبتا صفة التعريف بشكل مؤقت، طالما أن أل التعريف متصلة بهما، فهما نكرتان في الأصل؛ لذلك يطلق الطبري عليهما مصطلح: النكرات المجهولات.[٦٠٠]

٢. المعرفة غير الموقتة أو النكرات المجهولات: وهي كما أسلفنا آنفا، الأسماء التي تكتسب صفة التعريف مؤقتا، بسبب اتصالها بأل التعريف: نحو: الرجل والبعير، وهي النكرات المجهولات، فهو يدخل النكرة، والنكرة المضافة إلى معرفة، و الأسماء الموصولة في باب المعرفة غير الموقتة، نحو الأسماء الموصولة: ما ومن، يسمي الطبري هذه الأسماء: مجهولات غير مؤقتات، كالأعلام: عمرو وزيد.

يعطي الطبري مثالا مهما لتوضيح المعرفة غير الموقتة، وهي كلمة «الذين»، فالدليل في رأيه على أنها غير موقتة، أننا يجوز أن ننعتها بنكرة، ف «غير المغضوب عليهم» صفة «للذين» في «صراط الذين أنعمت عليهم»، من الجدير ملاحظته هنا، أن الطبري يدرك أنه بالرغم من إضافة «غير» إلى معرف بأل «المغضوب»، إلا أنها تظل نكرة مخصصة، لم تصل إلى درجة المعرفة، من ناحية أخرى، يعتقد الطبري أنه باستطاعتنا تحويل الاسم الموصول «الذي» إلى معرفة «موقتة»، أي يعين مسماه كالعلم، إذا سبقه اسم الإشارة «هذا» مثلا. كما أنه لا يجوز أن يلي «بئس» معرفة موقتة، مثل العلم، ونرى أيضا إلى جانب ذلك مصطلح «الاسم الموقت».[٦٠١]

---

٥٩٧ الطبري، ٢, ١٤٤, ١٩؛ ١٣, ١٠٤, ١١-١٩؛ ١٧, ٢٨, ١٩-٢٠؛ ٢٤, ٧٢, ١٠-١٧؛ ٢٦, ١٩٤, ١٧, ٢٢

٥٩٨ المصدر السابق، ١٣, ١٩٥, ٢-٧؛ ٢, ٢٥٥, ٢٧

٥٩٩ المصدر السابق(شاكر)، ٧, ٥٩٧. ملاحظة المحقق: رقم: ٤

٦٠٠ المصدر السابق، ١, ٧٧, ١٣-٢٢؛ ١٨, ١٢٣, ٢٥؛ معاني القرآن، ١, ٧, ٢-١٠

٦٠١ المصدر السابق نفسه؛ ١, ٤١٤, ٨-١٠؛ ٤, ١٤٧, ٢١-١٤٨, ١٢؛ ١٤, ١١٧, ١٤-١٨؛ المصدر السابق(شاكر)، ١, ١٨١. ملاحظة محقق الكتاب، رقم: ١؛ الأنصاري، ٤٤٨-٤٩؛ ديره، ٢٦١-٦٢

Digitized by Birzeit University Library

التوكيد/ النصب على التوكيد:

يرد هذا المصطلح في تفسير الطبري، ضمن معان عدة، منها ما هو مألوف لدى أهل البصرة، ومنها ما هو متسق مع المصطلحات الكوفية في النحو، ومنها ما هو ملائم لمصطلحات المفسرين:

١. «توكيدا للفعل بالتكرير» بمعنى التوكيد اللفظي، ولكن علينا أن ننتبه هنا إلى أن الطبري لم يستعمل التوكيد اللفظي، بل «كرر على وجه التوكيد»، أو «توكيدا للفعل بالتكرير»؛ نحو: كلمت أخاك كلمته، أو نحو تكرير «رأيت» في الآية: «**إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين**»[١٢(يوسف): ٤]. [٦٠٢]

٢. نجد «وكد» و«توكيدا» بمعنى التوكيد المعنوي، لكن الطبري لا يوجد لديه مصطلح التوكيد المعنوي، ومن ألفاظ التوكيد المعنوي التي ذكرها: كل، وأجمعون، وجميعا، ونفس، ونراه يسمي ألفاظ التوكيد المعنوي: حروف التوكيد. [٦٠٣]

٣. التوكيد، أو النصب على التوكيد، يقصد به الطبري المفعول المطلق، وذلك من خلال الآية: «**وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا**»[٣(آل عمران): ١٤٥]، أخذ الطبري هذا الرأي عن الأخفش الأوسط، أي أن التوكيد بمعنى المفعول المطلق من مصطلحات الأخفش الأوسط، تلميذ سيبويه. أما أبو جعفر النحاس فيقول بأنه منصوب على المصدر، وربما نستطيع التوفيق بين هذه الآراء من خلال أبي حيان النحوي: «وانتصاب»كتابا» على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة»، نفهم من ذلك، أن مصطلح النصب على التوكيد لدى الطبري يقصد به أن المصدر «المفعول المطلق» جاء مؤكداً للفعل الذي سبقه، حتى وإن كان مضمرا، فإننا نقدره: كتب الله كتابا مؤجلا، أو: كتب الله آجال النفوس كتابا مؤجلا. [٦٠٤]

٤. «توكيد الكلام» و«صلة توكيد»: هذه المصطلحات مرادفة للصلة والحشو، أو الزيادة في تفسير الطبري. (أنظر: الصلة والزيادة في الدراسة التفصيلية)

هنالك ضرب آخر من الكلام يسميه الطبري، توكيد للكلام، وذلك عندما نزيد على الجملة كلاما آخر من جنس الكلام الأول، أو نزيد كلمة ليست بهدف التوضيح، وإنما التوكيد للمعنى: من الأمثلة التي يضربها الطبري توضيحا لذلك: سمعته بأذني، ورأيته بعيني، وهذا رجل ذكر، و«يقولون بأفواههم»، و «تلك عشرة كاملة»، و «ولي نعجة واحدة». [٦٠٥]

---

٦٠٢ الطبري، ١٢, ١٥١, ٢٤-٢٦؛ ٣٠, ٣٣٢, ١-٢

٦٠٣ المصدر السابق، ١, ٥٢١, ١٨-٢٨؛ ١١, ١٧٣, ٢٤؛ ٢١, ٥٤, ٢٤؛ ٢٢, ٢٨, ٩-١٢

٦٠٤ المصدر السابق، ٤, ١١٥, ٤-١٣؛ ٢٣, ٢١, ٧-١٧؛ معاني القرآن، ١, ٢١٦, ١٠-١١؛ إعراب القرآن للنحاس، ١, ٤١٠, ٧؛ ٣, ٤٠٢, ٣؛ البحر المحيط (٢٠٠١)، ٣, ٧٦

٦٠٥ المصدر السابق، ٢, ٢٥٤, ٢٢-٢٣؛ ١٧, ١٨٣, ٢٣؛ ١٤٣, ٢٦-٢١

Digitized by Birzeit University Library

واو الموالاة:

من المرجح أن تسميتها مشتقة من الفعل والى بين الأمرين موالاة: تابع بينهما. لم ينفرد الطبري بهذا المصطلح، فقد نقله عن أبي عبيدة، معمر بن المثنى، وذلك عندما يأتي حرف العطف «أو» بمعنى الواو التي يسميها أبو عبيدة والطبري: واو الموالاة: ففي الآية: «**وقال ساحر أو مجنون**»[٥١(الذاريات): ٣٩]، جاءت «أو» بمعنى واو الموالاة؛ لأن قوم فرعون، أطلقوا على النبي موسى صفة الساحر والمجنون، فلم تأت «أو» هنا للتشكيك أو للتخيير.[٦٠٦]

من المرجح أن يكون هذا المصطلح من ابتكار أبي عبيدة، فقد كرره مرارا في «مجاز القرآن»، ولكن هذه التسمية لاقت معارضة شديدة من معاصر لأبي عبيدة، وهو الفراء الذي وصفه بـ: «من لا يبصر العربية»[٦٠٧]، وكذلك نجد هذه المعارضة لرأي أبي عبيدة، لدى الأخفش الأوسط وأبي جعفر النحاس، ولكن دون أن يصرحا باسم أبي عبيدة.[٦٠٨]

يظهر الخلاف المبكر هنا جليا، أي في القرن الثاني الهجري، بين المفسرين، أمثال أبي عبيدة ثم الطبري في فترة لاحقة، والنحويين أو أهل العربية (العربية تعني ما قالته العرب «البدو»)؛ فإننا نجد الفراء يقول بصراحة: «قال المفسرون . . . معنى «أو» معنى الواو عندهم . . . غير أن العربية على غير ذلك»[٦٠٩]، وقد أيد ذلك الأخفش الأوسط والنحاس؛ وقد علق ابن قتيبة على هذه المسألة بقوله: » هذا كله عند المفسرين بمعنى واو النسق»، أي أنه كان مفهوما لدى علماء اللغة والتفسير في القرن الثاني والثالث اختلاف وجهة نظر الفريقين بشكل واضح جلي لا مواربة فيه.[٦١٠]

نحن نعرف أن «واو النسق» من مصطلحات الكوفيين، وليس من قبيل المصادفة أن يلتقي رأي المفسرين مع أهل الكوفة؛ فعلى ما يبدو، هنالك علاقة وطيدة بين نشأة النحو الكوفي، و تفسير القرآن في الكوفة، ثم في بغداد؛ الأمر الذي يشير إلى أن المصطلحات النحوية الكوفية ليست في معظمها من ابتكار المتأخرين، بل هي تنتمي إلى جيل سبق سيبويه، أي قبل أن تتبلور آراء المذهب البصري، الذي سيطر لاحقا.

كذلك نجد الطبري يقف إلى جانب المفسرين، فنجده مرة ينقل رأي أبي عبيدة منفردا، دون الإتيان بآراء أخرى مغايرة، وتارة أخرى، يورد رأيه مقرونا بآراء أخرى دون تعليق. وهذا يوضح الخلاف بين المفسرين والنحويين في فهم المسائل النحوية في القرآن؛ فكل له مذهب مستقل، ومنطلق مغاير ينطلق منه في تحليله.

---

٦٠٦ المصدر السابق، ١٧, ٣,١٨-٢٠؛ ٢٢, ٩٤, ٧-٩؛ مجاز القرآن، ٢, ١٤٨, ٥؛ ١٧٥, ٩؛ ٢٢٧, ٦؛ تاج العروس، ٢٠, ٣١٢ (مادة: ولي)

٦٠٧ معاني القرآن، ٢, ٣٦٢, ٣

٦٠٨ معاني القرآن، ٢, ٤٤٥, ٣-٥؛ إعراب القرآن، ٤, ٢٤٦, ٧-١٢

٦٠٩ معاني القرآن، ٢, ٣٦٢, ٣- ١٥؛ البحر المحيط، ٧, ٢٦٨, ٨-٩؛ ٨, ١٣٩, ٨-١٢

٦١٠ تأويل مشكل القرآن، ٤١٤, ٨

a- انظر: حسن حمزة وسلام بزي- حمزة، « الصرف بين سيبويه والفراء»، مجلة المجمع اللغوي الأردني، ١٩٩٧, ٦٥- ٨٣

Carter. G.M, Ṣarf et Ḫilaf, Contribution a L'histoire de la grammaire arabe. Arabica, 293-304, 20 (1973)

[J1]صفحة: ٢ وما نريده هو استخدام هذا المصطلح في مجال النحو]

Digitized by Birzeit University Library

الفصل الثالث

المسائل الخلافية في النحو بين الكوفيين والبصريين كما عرضها الطبري

Digitized by Birzeit University Library

١.٣ القسم الاول

ما هو موقف الطبري تجاه المسائل الخلافية؟ وهل كان يساند الكوفيين فيها؟

في الحقيقة، لم تكن المسائل الخلافية في النحو هي المستحوذة على فكر الطبري، بل كان يهمه في الدرجة الأولى كشف معاني الآية القرآنية، كان يستعين برأي «اهل العربية» اذا احتاج الامر، ولكنه يغلب رأي «اهل التاويل والتفسير» إن وجد في المسألة ذاتها.

يتصف الطبري في عرضه للمسائل الخلافية بالاستقلالية في آرائه، فلم يتحرج من تأييد قول أحد نحاة البصرة وتفضيله على النحوي الكوفي، وكان أحيانا يرفض رأييهما، ويختار لنفسه رأيا مستقلا، فلم تكن نتقصه الجرأة والشجاعة في التعبير عن رأيه، في بعض الأحيان يعرض الطبري آراء النحاة المختلفة دون تعليق أو انحياز إلى طرف ما.

بعد تصنيف هذه المسائل وإفرازها تبين لنا أن الطبري يتبنى آراء النحاة الكوفيين في الكثير من المسائل:

١:١:٣ مع الكوفيين

١. أهم المسائل الخلافية التي يساند فيها الطبري آراء المذهب الكوفي هي المسألة الخامسة في كتاب ابن الأنباري «الانصاف في مسائل الخلاف»، وهي ان الكوفيين يرون أن المبتدأ والخبر يترافعان، أي أن كليهما هو العامل في رفع الآخر، فنجد أن الطبري يورد هذه المسألة منحازا الى راي الكوفيين في مواقع عدة من تفسيره.[١]

٢. كما أننا نلاحظ أحيانا أن الطبري يستعمل المصطلح الكوفي عندما يعقب على بعض المسائل التي اختلف فيها «اهل العربية» كاعراب «مقتا» في الآية: «**كبر مقتا عند الله**» [٦١(الصف): ٣] فقال الطبري بأنه يؤيد نصبه على التفسير (= التمييز).[٢] ولكن يجب أن ننتبه إلى أن سيبويه استعمل مصطلح التفسير أيضاً، كما أسلفنا في هذا البحث[٣].

٣. وكمعنى اللام في الآية: «**ليضلوا عن سبيلك** [١٠(يونس: ٨٨]، فقال الطبري بانها لام لكي التي جاءت للتعليل متبعا في ذلك رأي احد نحاة الكوفة،[٤]

---

١ الطبري، ٨, ١٥٠, ١٣-١٦ ؛ ١٣, ١٦١, ٢٦ ؛ ٢٧, ١١٦, ١٤ ؛ ٣٠, ٣٤٣, ٢٢

٢ المصدر نفسه، ٢٨, ٨٥, ٢٣

٣ انظر: الفصل الثاني: البند: ٢:٦:٢ التفسير

٤ المصدر نفسه، ١١, ١٥٧, ٥

Digitized by Birzeit University Library

٤. وتبنيه للقراءة الكوفية بكسر إن على الابتداء في الآية : » **وإن الله ربي وربكم**»، لانها معطوفة على ما قبلها « **فإنما يقول له كن فيكون**» . [٥]

٥. ساند الطبري الكوفيين في اعراب الاية : «**كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم**» [٦(الانعام) : ١٢]، فقد نقل حرفيا عن الفراء أننا نستطيع جعل كلمة « الرحمة» غاية كلام (أي تمام الكلام ومنتهاه)، ثم نستأنف الكلام عند «ليجمعنكم»، نجد أن الطبري استعمل بدل الاستئناف خبر مبتدأ، أي ابتداء جملة جديدة منقطعة عما قبلها .

في المقابل، نرى الطبري يدحض رأي الاخفش الاوسط في هذه المسألة الذي يقول فيه بأن لام «ليجمعنكم» جاءت مبنية على الفتح (يقول الاخفش فنصب لام . . .) لأن الفعل «كتب» عمل فيها، لأنه يحمل معنى القسم، فالتقدير وفقا للاخفش «**والله ليجمعنيكم**»، أما الطبري فيرد على رأي الاخفش بأن «كتب» لا تأخذ مفعولين . [٦]

٦. نرى أيضا أن الطبري تبنى رأي أحد نحاة الكوفة في اعرابه لكلمة «الراسخون» في الآية : «**وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون**» [٣(آل عمران) : ٧]، فجعل «الراسخون» مبتدأ مرفوعا بجملة الخبر وهو «يقولون»، وهذا يتطابق مع رأي الفراء، ولم يؤيد اعراب من قال بان «الراسخون» مبتدأ مرفوع بالعائد من من ذكرهم في «يقولون» كما قال نحوي آخر من نحاة الكوفة، لم يأخذ الطبري برأي أهل البصرة بأن «الراسخون» مرفوع بالابتداء . [٧]

٧. ويقف أيضا الى جانب الكوفيين في مسألة اضافة كلمة «حق» الى الاسم المعرفة، كما في الآية : « **يتلونه حق تلاوته**»[٢(البقرة) : ١٢١]، فجاءت هنا «حق» مضافة الى معرفة وهي «تلاوته»، ولم يجز الكوفيون اضافة «حق» الى المعرفة لأنها بمعنى «أي»، وبمعنى الجملة : أفضل رجل فلان، ولا يجوز لنا أن نقول : مررت بالرجل حق الرجل أو : مررت بالرجل أي الرجل، وقد سوغ الطبري وغيره من نحاة الكوفة مجيء «حق» مضافة الى «تلاوته»، لأن إضافتها الى الضمير المتصل «الهاء» لم تجعل تلاوة معرفة محضة، فهي اقل من درجة المعرفة لذلك يجوز اضافة «حق» اليها .

---

٥ اهم المسائل التي أيد فيها الطبري المذهب الكوفي : ١ , ٤١٣ ؛ ٦ , ٢٦٠-٢٦١ ؛ ٨ , ١٥٠ ؛ ٩ , ٦٧ , ٨٨- ٨٩ , ١٨٢ ؛ ١١ , ١٠٩ ؛ ١٧ , ١٢٤ ؛ ١١ , ١٥٩ ؛ ١٧ , ٢١ , ٣٢-٣٤ , ١١٣ ؛ ٢١ , ٧٠-٧١ ؛ ٢٢ , ٣٤ ؛ ٢٤ , ٤٧ , ٥١ ؛ ٢٥ ، ١٣٠ ؛ ٢٦ , ١٣-١٤ , ١٤٧ ؛ ٢٧ , ١١١ , ٢١٣ ؛ ٢٨ , ٩٠ ؛ ٢٩ , ٧٥ , ١٧٦ ؛ ٣٠ , ٣٢ , ١١٤ ، انظر : الالوسي، الطبري النحوي، ١٥٩- ١٦٥

٦ الطبري، ٧, ١٥٦ ٢٥ - ١٥٧ , ١٥ ؛ الفراء ١ , ٣٢٨ ؛ معاني القرآن للاخفش، ٢ , ٢٦٩ ؛ كينبرغ، ٥٣٩-٥٤٠

٧ الطبري، ٣, ١٨٤ , ١-٦ ؛ الفراء، معاني القرآن، ١ , ١٩١

Digitized by Birzeit University Library

وتشبه اضافة «حق» الى «تلاوته» الجملة: مررت برجل واحد أمه، ونسيج وحده، وسيد قومه ؛ فنلاحظ في هذه الأمثلة أننا وصفنا النكرة «رجل» بعبارة واحد أمه، وهذا دليل على جواز اضافة «حق» الى «تلاوته». [٨]

٨. يدعم الطبري رأي الكوفيين في مسألة مهمة من مسائل الخلاف بين الكوفيين والبصريين وهي نصب الفعل المضارع بكي أو بلام كي او بأن مضمرة ؛ وذلك من خلال الآية: « **يريد الله ليبين لكم**»[٤(النساء): ٢٦]، يتبع الطبري هنا رأي الفراء الذي يقول بأن اللام التي بمعنى «كي» وهي ما يعرف بلام التعليل، تنوب عن أن المضمرة في نصب الفعل المضارع، فنقول: أردت أن تذهب و أردت لتذهب وأمرتك أن تقوم وأمرتك لتقوم ، بعبارة أخرى، يرى الفراء أن لام كي هي العامل مباشرة في نصب الفعل المضارع بعدها، بعكس البصريين الذين يقدرون «أن» مضمرة بعد لام كي هي التي عملت النصب في الفعل المضارع «يبين» الوارد في الآية المذكورة أعلاه.

يبرر الفراء تناوب (=التعقيب بين) لام كي مع أن الناصبة للفعل بأنه يأتي الفعل المضارع (=المستقبل) بعدهما، ولا يجوز أن يليهما الفعل الماضي.

يقتبس الطبري حرفيا عن معاني القرآن للفراء ويؤيد مذهبه ضد البصريين، ومن الجدير ملاحظته هنا، أن النص المقتبس لدى الطبري عن الفراء أكثر اتساعا ووضوحا، حبذا لو أضيفت نصوص الطبري الى نسخة معاني القرآن المطبوعة لينتفع بها. [٩]

وهذه في الحقيقة هي المسألة التاسعة والسبعين من مسائل الخلاف التي ذكرها ابن الأنباري وهي: القول في ناصب المضارع بعد لام التعليل [١٠]، أورد ابن الانباري حجج الطرفين مفصلة في هذه المسألة، والرد على كل طرف، لكنه رجح رأي البصريين في أن الفعل المضارع ينصب بأن مضمرة بعد اللام، ودحض حجج الكوفيين.

إذا رجعنا إلى المصادر القديمة مثل الكتاب لسيبويه ومعاني القرآن للفراء وتفسير الطبري يتبين لنا، بما لا يدع مجالا للشك، أن هذه المسألة الخلافية قديمة وأصيلة ليست من نسج خيال المتأخرين من النحاة، تعود هذه الخلافات الى القرن الثاني الهجري.

تحدث سيبويه عن هذه المسألة في باب «الحروف التي تضمر فيها أن» [١١]، يقرر سيبويه أن الفعل المضارع المنصوب «تفعل» في الجملة: «جئتك لتفعل» منصوب بأن مضمرة هي مسببة النصب، ويرى أن إضمار «أن» اجباري لأنه من المحال أن ينصب «تفعل» باللام لأنها حرف جر، وحرف الجر يختص بالاسماء وليس بالافعال ؛

---

٨ المصدر السابق، ١, ٥٢١, ١٨- ٥٢٢, ٧ ؛ البحر المحيط (٢٠٠١)، ١, ٥٤٠

٩ الطبري، ٥, ٢٧, ٦ - ٢٨, ٦ ؛ معاني القرآن ١, ٢٦١, ١٠ - ٢٦٣, ٧

١٠ الانصاف(١٩٩٨)، ٢, ١٠٣-١٠٦

١١ الكتاب (بولاق) ١, ٤٠٧, ٢١-٤٠٨, ١٩

Digitized by Birzeit University Library

لذلك يرى سيبويه أن «ان» والفعل المضارع المنصوب بمنزلة الاسم الموصول وصلته، فنصوغ منهما اسما هو المصدر المؤول، لذلك يسوغ لنا أن نجره باللام.[١٢]

ناقش الفراء هذه المسألة من خلال الآية المذكورة أعلاه «يريد الله ليبين لكم»، فقال بان العرب تجعل «اللام التي على معنى كي في موضع أن»، نحو: أردت أن تذهب، وأردت لتذهب، نستنتج من كلام الفراء أن اللام تنصب الفعل المضارع بنفسها لا بتقدير «أن» مضمرة فهي العامل في النصب مباشرة، لأنها تنوب عنها، نستطيع هنا أن نستضيء بنص الطبري للتوضيح، فقد ذكر مصطلح «التعقيب» بين كي ولام كي وأن «ووضع كل واحدة منهن موضع كل واحدة من أختها مع أردت وأمرت»[١٣]، ويقصد الطبري -نقلا عن الفراء- أن فعلي أردت وأمرت وغيرهما من الأفعال التي تفيد الطلب يليها الأفعال المضارعة (المستقبلة)، نحو الآية: يريد الله ليبين لكم.

لو تفحصنا المصادر المتأخرة، نحو: الانصاف لابن الأنباري وشرح التصريح على التوضيح لابن مالك وشرح ابن يعيش ومغني اللبيب لابن هشام، نجد الكثير من التفصيلات التي لم يذكرها الأوائل، إذا فالمسألة الخلافية موجودة قديما، ولكن يبدو أن كثيرا من الحجج والبراهين التي تدعم رأي كل طرف أو تدحض الرأي الآخر هي تأويلات وتفسيرات لنصوص الأقدمين لتفسير نواياهم ومقاصدهم النحوية.

قول ابن مالك وابن يعيش وابن هشام بأن اللام هي الناصب للفعل المضارع وفقا للكوفيين صحيح ويتسق مع ما قاله الفراء، ولكن ابن مالك أضاف، ونقل عنه الآخرون، أن ثعلباً له رأي مغاير عن الكوفيين هنا، وهو أن اللام هي الناصب للفعل المضارع، لا بنفسها ولكن عن طريق نيابتها عن «أن» المضمرة، إذا رجعنا الى كلام الفراء، نجده يقول ذلك، فلا حاجة لنسبة هذا القول الى ثعلب وكأنه صاحب هذا القول، فيقول الفراء بكل وضوح: «والعرب تجعل اللام التي على معنى كي في موضع أن».[١٤]

هنالك بعض الآراء التي ذكرها ابن الانباري نسبة الى الكوفيين لم أر لها أثراً أو ذكراً لدى الفراء والطبري، منها أن اللام نصبت الفعل المضارع لأنها تفيد معنى الشرط مثل إن الشرطية، ولكي يفرقوا بينهما جعلوا «إن» للجزم واللام لنصب الفعل، ويضيف ابن الانباري أن الكوفيين يرفضون رأي البصريين من أنها لام الجر (الخفض) التي تدخل على الأسماء؛ لأنه لو جاز ذلك للام لجاز أن نطبقه على الباء، فنقول: أمرت بتكرم، على تقدير: أمرت بأن تكرم كما نقول: أمرت لتكرم بمعنى: لإكرام، هذه المجادلات التي يوردها ابن الأنباري ويرد عليها لا تظهر في المصادر القديمة المتوفرة لنا، ويبدو لنا أنها حجج متأخرة جاءت في وقت متأخر لدعم رأي احد الطرفين ضد الآخر، في المسألة الخلافية التي برزت قديما بين النحاة، إذا؛ يجب علينا توخي الحذر في هذه المسألة، لكيلا لا نتهم المتأخرين نحو ابن الانباري انهم تأولوا هذه المسائل وبأنها افتراء محض من قبلهم، ولكن يبدو أن المحاججات والمناقشات حول المسألة ذاتها جاءت متأخرة على أيدي نحاة المذهبين الكوفي والبصري لشرح آراء القدماء وتفسيرها.

---

١٢ المصدر السابق

١٣ الطبري، ٥, ٢٧, ١٠-١١

١٤ شرح التصريح على التوضيح، ٢, ٢٤٣- ٢٤٤؛ شرح المفصل، ٧, ١٩- ٢٠؛ مغني اللبيب (مازن المبارك)، ٢٧٧، الفراء، المصدر نفسه

Digitized by Birzeit University Library

٩. اختلف نحاة البصرة والكوفة في نسبة صاحب الحال في الآية: «**شهد الله أنه لا إله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط**» [٣(آل عمران): ١٨]، فنقل الطبري عن أحد نحاة البصرة أن إعراب «قائما» حال، صاحبها الضمير المنفصل «هو»، أما النحوي الكوفي - وهو الفراء- فيعرب «قائما» قطعا (=الحال) من لفظ الجلالة «الله»، ونجد الطبري في نهاية النقاش يرجح الرأي الكوفي بقوله: «وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي قول من جعله قطعا على أنه من نعت الله». [١٥]

١٠. هنالك مسألة أخرى اختلف فيها الكوفيون والبصريون ؛ وهي الإضمار في «كل» عندما تكون اسما او نعتا، فيرى أحد نحاة البصرة أن «كل» في الآية: «**أنا كل فيها**»[٣(آل عمران): ٧] يجوز فيها الإضمار، لأنها اسم، فإذا كانت نعتا لم يجز ذلك، والتقدير: إنا كلنا فيها، ويستدل النحوي البصري على قوله بعدم جواز قولنا: مررت بالقوم كل، على العكس من ذلك، فإن الطبري ينقل عن أحد نحاة الكوفة الذي يجيز في كل وبعض أن يضمر فيهما في حال كونهما اسما أو نعتا ؛ لأن الضمير يحذف منها إذا كانت مكتفية بنفسها، مستغنية عن غيرها، لذلك تستطيع أن تقوم بنفسها دون إظهار الضمير. [١٦]

١١. وقف الطبري إلى جانب الكوفيين في إعراب «من» في الآية: «**إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله**» [٦(الأنعام): ١١٧]، وهو أن «من» اسم استفهام بمعنى «أي»، وأنها في محل رفع مبتدأ رفعت بجملة «يضل» على مذهب أهل الكوفة في ترافع المبتدأ والخبر، بينما رفض الطبري رأي النحوي البصري الذي قال بأن «من» في محل جر بالباء المقدرة، والتقدير: إن ربك هو أعلم بمن يضل.
لكن الطبري لم يفضل التوسع في هذه المسألة كالفراء ؛ إذ أدخلها الفراء في باب تعليق الأفعال عن العمل، نحو: نظرت وعلمت ودريت. أي أن الجملة «من يضل» في محل نصب مفعول به، وهذا على مذهب الكوفيين لأنهم يجيزون إعمال اسم التفضيل «أعلم» في المفعول به بعده، وقد رد على هذا القول أبو حيان النحوي الأندلسي بأن التعليق «فرع عن جواز العمل»، ولا يعمل اسم التفضيل في المفعول به ؛ فلذلك لا يجوز التعليق هنا. [١٧]

١٢. في الآية: «**واختار موسى قومه سبعين رجلا**»[٧(الأعراف): ١٥٥] مسألة خلافية بين الكوفيين والبصريين حول العامل في نصب «قومه»، هل هو حرف الجر المقدر «من» فيكون «قومه» عندئذ منصوب بنزع الخافض، أو نصبه مباشرة بوقوع الفعل «اختار»، فنجد أن الطبري ساند الفراء في رأيه، وهو أنه يشبه قولنا: هؤلاء خير القوم، وخير من القوم، لذلك يجوز لن أن نقول: اخترتكم رجلا واخترت منكم رجلا.

---

١٥ الطبري، ٣, ٢١٠, ١٢-١٨ ؛ معاني القرآن للفراء، ١, ٢٠٠, ١٢-١٣

١٦ المصدر السابق، ٣, ١٨٦, ٩-١٨

١٧ المصدر السابق، ٨, ١٠, ١٩- ٢٣ ؛ معاني القرآن، ١, ٣٥٢, ٥-٩ ؛ البحر المحيط (١, ٤٠٢), ٢١٣

Digitized by Birzeit University Library

وقد علل الطبري وقوفه الى جانب رأي الفراء بأن «الاختيار» أي الفعل اختار يدل على طلب «من» التي تفيد التبعيض. ذكر سيبويه هذه المسألة في باب «الفاعل الذي يتعداه فعله الى مفعولين» وقال بأنه عندما «حذفوا حرف الجر «من» عمل الفعل «اختار»، بينما نجد الفراء في المقابل يستخدم بدلا من عمل الفعل وقوع الفعل، وبدلا من حذف الحرف طرح «من» وتابعه الطبري في ذلك.[١٨]

١٣. ساند الطبري الفراء في الخلاف حول العامل في «أن تقولوا» في الآية: «**أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا**» [٦(الانعام): ١٥٦]، حيث يرى أن العامل في نصب المصدر المؤول هنا فعل محذوف تقديره «أنزل»، وهذا الرأي هو أحد الوجهين اللذين ذكرهما الفراء.[١٩]

١٤. كما أن الطبري ساند الكوفيين في مسألة مهمة وهي تعدي الفعل مباشرة دون حرف الجر إلى الظرف المختص غير المبهم، نحو: الطريق في الآية: «**لأقعدن لهم صراطك المستقيم**» [٧(الاعراف): ١٦] والتقدير: لأقعدن لهم على طريقهم أو: في طريقهم.

استند الطبري في تأويل الآية الى الفراء الذي جوز ما سماه بإلقاء الصفة أي: حذف حرف الجر «على» أو «في» ووقوع الفعل مباشرة على «الطريق»، وقال الفراء بأننا يجوز لنا أن نعامل «الطريق» - وهو ظرف مختص- معاملة الظرف المبهم، نحو: اليوم والليلة والعام، لأن كلمة «الطريق» «صفة في المعنى»: ويقصد الفراء بالصفة الظرف وليس حرف الجر الوارد في مصطلح «إلقاء الصفة»، وقد أشار محققا «معاني القرآن» في الحواشي خطأ الى أن معنى الصفة الاولى الظرف، ولم يتطرقا الى تفسير مصطلح الصفة الثانية الواردة في النص.[٢٠]

رجح الطبري قول الفراء على قول الأخفش الاوسط الذي ضرب مثلا مشابها لهذه الآية في تعدي الفعل الى الظرف المختص بقولنا: توجه مكة بمعنى: الى مكة، وعلل الطبري ترجيح رأي الفراء؛ لأن «القعود» في «لأقعدن» يتضمن معنى المكان ويقتضيه، أي: أنه يتحتم وجود مكان معين نقعد فيه، كما تضمن الفعل «ذهب» مكانا يذهب إليه في الجملة: ذهبت الشام، ويعقب الطبري على المسألة بأن العرب لا تستعمل هذا النمط في الاسماء الدالة على البلدان، فلا يجوز لنا ان نقول: جلست مكة وقمت بغداد[٢١]، وقد استشهد ببيت شعر ورد في «الكتاب» وهو:

لدن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب

بمعنى: عسل في الطريق[٢٢]

---

١٨ الطبري، ٩, ٧٤, ١٥- ٧٥, ١٠ ؛ معاني القرآن، ١, ٣٩٥, ١-٥ ؛ الكتاب(بولاق) ١, ١٦, ١٤- ١٧, ٥

١٩ الطبري، ٨, ٩٣, ١-١٤ ؛ معاني القرآن، ١, ٣٦٦, ١-٥

٢٠ المصدر السابق، ١, ٣٧٥, ١-٥ ؛ انظر: ملاحظة رقم «١» في الهامش

٢١ الطبري، ٨, ١٣٥, ٤- ١٤ ؛ معاني القرآن للاخفش، ١, ٢٩٥, ٧- ١٢

٢٢ معاني القرآن للزجاج، ٢, ٣٢٤ ؛ اعراب القرآن للنحاس، ٢, ١١٧ ؛ شرح التسهيل لابن مالك(٢٠٠١)، ٢, ١٥٢- ١٥٦

Digitized by Birzeit University Library

١٥ . أيد الطبري الكوفيين في الخلاف حول معنى اللام في الفعل «ليضلوا» في الآية : « **ربنا ليضلوا عن سبيلك**»[١٠(يونس) : ٨٨]، فقد نقل عن الفراء قوله بأنها لام كي وصوب رأيه، بينما رد قول الاخفش الاوسط بأنها جاءت بمعنى الفاء، فيصبح التقدير : ربنا فضلوا، وقد فسر ابن هشام معنى هذه اللام وسماها لام الصيرورة ولام العاقبة ولام المآل، أما أبو حيان فرجح كونها لام كي ؛ لأنها جيء بها على سبيل استدراج «فرعون وقومه»، واختار الزمخشري رأي الطبري والفراء وهو أنها لام كي التي تفيد التعليل . [٢٣]

١٦ . اختلف نحاة الكوفة والبصرة في وجه دخول اللام مع الفعل «ردف لكم» بمعنى : ردفكم، كما ورد في الآية : «**قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون**»[٢٧(النمل) : ٧٢]، فوقف الطبري إلى جانب الفراء، وأيده على قول الاخفش الاوسط .

أما الاخفش فيقول بأن الفعل «ردف» تعدى أو وصل الى ما بعده عن طريق اللام، فنستطيع القول : ردفه أمر و ردف له أمر قياسا على ما جاء في الآية المذكورة هنا، وقياسا على قول العرب : تبعه وأتبعه . [٢٤]

أما الفراء، وتبعه الطبري في ذلك، فيعلل دخول اللام بعد الفعل، بأن معنى الفعل هو الذي يتطلب ذلك، فمعنى : ردف دنا لهم ؛ لذلك طلب الفعل اللام وتعدى بها الى ما أصله المفعول به، وتمثل الفراء ببيت من الشعر للدلالة على رأيه :

فقلت لها الحاجات يطرحن بالفتى وهم تعناني معنى ركائبه

وجه الشاهد في هذا البيت هو «يطرحن بالفتى»، نلاحظ أن الفعل «يطرح» تعدى الى المفعول به (الفتى) بوساطة حرف الجر « الباء» ؛ لأن معنى الفعل رميت، فنقول : رميت بالشيء وطرحته . [٢٥]

١٧ . اختلف نحاة الكوفة والبصرة في الضمير المتصل الها في «إنها» في الآية : «**إنها إن تك مثقال حبة من خردل**» [٣١ (لقمان) : ١٦]، فقال الطبري أن بعض نحويي البصرة (والمقصود به الاخفش) يرى أنها كناية عن الخطيئة والمعصية، فرفض الطبري هذا القول وفقا لمعنى الآية وتأويلها، وليس لعلة نحوية، لأن الله يحاسب على السيئة والحسنة .

وقد أيد الطبري الفراء، الذي يرى أن الهاء «اسم مضمر مجهول» ويعني به ضمير الشأن الذي يعود على ما بعده وهو : «مثقال حبة» ؛ المشكلة هنا أن الهاء والالف في «إنها» تعود على مؤنث، كما أن الفعل «تك» يدل أيضا على مؤنث، بينما «مثقال » مذكر، والعلة التي يذكرها الفراء والطبري أنه يجوز التأنيث لأن

---

٢٣ الطبري، ١١ , ١٥٦ , ٢٠- ١٥٧ , ١٢ ؛ معاني القرآن للفراء، ١ , ٤٧٧ , ٩-١٣ ؛
معاني القرآن للأخفش، ٢ , ٣٤٧- ٣٤٨ ؛ مغني اللبيب، ٢٨٢-٢٨٣ ؛ الكشاف ٢ , ٢٥٠ ؛ البحر المحيط، ٥ , ١٨٥

٢٤ معاني القرآن ٢ , ٤٣١ , ٦-٩

٢٥ الطبري، ٢٠ , ١٠ , ١٠- ١٦ ؛ معاني القرآن، ٢ , ٢٩٩ , ١٤- ١٦ , ٣٠٠

Digitized by Birzeit University Library

المضاف إليه «حبة» مؤنث، والمثال البيت الشعري:

وتشرق بالقول الذي قد أذعته كما شرقت صدر القناة من الدم

وجه الشاهد هنا أن الشاعر أنث الفعل «شرقت» بينما «صدر» مذكر، ولكن المسوغ للتأنيث هنا المضاف إليه «القناة» فهي مؤنثة.[٢٦]

تبنى الطبري موقف الفراء ضد الأخفش، ولكن الملفت للنظر في هذه المسألة أن الطبري استعمل مصطلح «هاء العماد» ويقصد به ضمير الشأن في «إنها»، بالإضافة إلى مصطلح «الاسم المجهول» المستعمل لدى الفراء هنا.

١٨. كما أنه حدث خلاف بين نحاة المذهبين في إعراب «حفظا» في الآية: «**وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا**»[٤١(فصلت): ١٢]، فأعربها الاخفش الاوسط منصوبة على المصدر، ونقل الطبري عن نحوي كوفي يعربها مفعولا لأجله، ولكننا نلاحظ أن الطبري لم يستعمل هذا المصطلح، بل قال: «نصب ذلك على معنى: وحفظا زيناها»، ولم نعثر على هذا الرأي لدى الفراء[٢٧].

١٩. اختلف النحاة في إعراب الآية: «**إنا كل شيء خلقناه بقدر**»[٥٤(القمر): ٤٩]، فيذكر الطبري ما قاله سيبويه مع تغيير طفيف في بعض الكلمات، ويرى سيبويه أن النصب في هذه الآية يشبه النصب في الجملة: عبد الله ضربته، وأضاف سيبويه «وهو عربي كثير»[٢٨]، فنقل الطبري ذلك بقوله «وهي في كلام العرب كثير»، والنصب لدى سيبويه على تقدير: إنا خلقنا كل شيء حلقناه بقدر، أي بفعل مضمر، كما فسر ذلك الزجاج.[٢٩]

ولكن الطبري لم يقبل هذا الرأي، واختار رأيا لأحد نحاة الكوفة الذي لم يصرح باسمه، فاستندنا الى أبي جعفر النحاس الذي ذكر أنه يعود لأحد نحاة الكوفة، ويعلل هذا الرأي نصب «كل شيء» بسبب «إنا»، لأنه أولى أن يليها الفعل «خلقناه» وليس المفعول به «كل شيء»، لأن الجملة الفعلية المبدوءة بالفعل «خلقناه» هي خبر «إنا»، لذلك يرى هذا النحوي الكوفي أنه على عكس ما قال سيبويه، فإن هذه الآية لا تشبه الجملة التي ذكرها: زيدا ضربته أو الجملة: عبدَ الله ضربته لأنه لا يوجد حرف أو اسم هو أولى بالفعل مثل حرف الاستفهام الهمزة وغير ذلك، ويقصد بأولى بالفعل أي يليه الفعل.[٣٠]

---

٢٦ الطبري، ٢١, ٧١, ٢١ - ٧٢, ١١ ؛ معاني القرآن، ٢, ٣٢٨, ٢-٨ ؛ معاني القرآن للأخفش، ٢, ٤٣٨, ١٠- ٤٤٠, ٢

٢٧ الطبري ٢٤, ١٠٠, ١ -٥

٢٨ الكتاب (١٩٩٩) ١, ٢٠١, ١٤- ١٦

٢٩ الطبري، ٢٧, ١١١, ١٧- ٢٤ ؛ معاني القرآن، ٥, ٩٢, ١٣- ١٦

٣٠ المصدر السابق نفسه ؛ إعراب القرآن، ٤, ٣٠٦, ١٤-

Digitized by Birzeit University Library

٢٠. اختلف النحاة أيضا في مسألة تناوب الحروف، أي نيابة حرف عن الآخر، كما ورد في الآية: « **وإذا خلوا إلى شياطينهم** »[٢(البقرة): ١٤]، فسر ذلك بعض النحاة: خلوا بشياطينهم، وذكر الطبري أن العرب تستعمل في كلامها: خلوت بفلان أكثر من: خلوت إلى فلان، وذكر الطبري نحويا آخر من نحاة البصرة يقول بأن «خلوا إلى » بمعنى: خلوا مع شياطينهم.

لم يقبل الطبري رأي النحويين البصريين، وأيد رأي النحوي الكوفي الذي يعتقد بأن الجالب للحرف «إلى» بعد الفعل «خلوا» هو «المعنى الذي دل عليه الكلام» في انصراف المنافقين عن لقاء المؤمنين وليس الفعل «خلوا»، لذلك يوافق الطبري هذا النحوي في أنه لا يصلح استبدال «إلى» في هذه الآية بأية كلمة آخرى مثل الباء أو مع.[٣١] موقف الطبري االمؤيد للنحوي الكوفي يستند إلى أن حروف المعاني يحمل كل منها معنى مستقلا يختلف عن غيره من الحروف، ولا يجوز لنا استبدال حرف بحرف آخر إلا بدليل أو حجة من كلام العرب شعرا أو نثرا.

استنادا إلى ابن هشام والسيوطي، للفراء رأي آخر في أن «إلى» تأتي زائدة للتوكيد، ولكنه تطرق إلى ذلك في أية أخرى وهي «**أفئدة من الناس تهوي إليهم**»[١٤(ابراهيم): ٣٧] بمعنى: تهواهم.[٣٢]

٢١. كما أن الطبري وقف إلى جانب الكوفيين في إعراب كلمة «أخرى» في الآية: »وأخرى تحبونها»[٦١(الصف): ١٤]، وعارض الأخفش في قوله بأنها صفة لموصوف محذوف تقديره: تجارة أخرى، أي أن «أخرى» نعت مجرور أو تكون مرفوعة على الابتداء.[٣٣]

أما النحوي الكوفي الذي لم يذكر اسمه الطبري، فتقديره للآية: ولكم أخرى، وأيده الطبري في هذا الرأي. هذا النحوي الكوفي هو في الحقيقة الفراء وذلك استنادا إلى أبي حيان الأندلسي.[٣٤]

٢٢. وأيد الطبري الفراء في تقدير جواب القسم في الآية: «**ق والقرآن المجيد**» [٥٠(ق): ١] فبينما يرى الاخفش الاوسط أن جواب هذا القسم يأتي لاحقا في هذه السورة ويبدأ بـ«قد»، يرى الفراء أن «القاف» تتضمن معنى القسم، والتقدير: قضي والله.[٣٥] يعلل الطبري تأييده للفراء بأن جواب القسم لا يجوز أن يبدأ بـ«قد»، وإنما هنالك أدوات مختصة وهي اللام وإن وما ولا، وأحيانا يترك جواب الشرط لأنه معلوم لدى المخاطب.

---

٣١ الألوسي، الطبري النحوي، ١٥٩-١٦٠ ؛ الطبري، ١, ١٣١, ١-١٨

٣٢ مغني اللبيب، ١٠٥ ؛ همع الهوامع، ٤, ١٥٦

٣٣ معاني القرآن، ٢, ٤٩٩, ١٠

٣٤ البحر المحيط، ٨, ٢٦٠

٣٥ الطبري، ٢٦, ١٤٧, ١٣-٢١ ؛ معاني القرآن للفراء، ٣, ٧٥, ٤-٥ ؛ معاني القرآن للأخفش الأوسط، ٢, ٤٨٣, ٤

Digitized by Birzeit University Library

٢٣. اختلف نحاة الكوفة والبصرة في نصب كلمة «لسانا» في الآية: «**وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا**»[٤٦(الاحقاف): ١٢]، فيرى الاخفش أنه منصوب على الحال وصاحب الحال كلمة «كتاب»، أو أنه مفعول به لفعل مضمر تقديره: أعني، ولكن الطبري رفض هذا الرأي وفضل رأي الفراء الذي يرى أن «لسانا» حال من «مصدق»؛ لأنه يسد مسد الفعل المضارع «يصدق»، وقد علل ذلك الطبري بقوله: «لأنه فعل» ويقصد به اسم الفاعل، فـ«لسانا» حال من ذكر الكتاب. [٣٦]

وقد تأول الفراء ومن بعده الطبري قضية أن «لسانا» حال من المضمر في «مصدق»، لأن صاحب الحال يجب أن يكون معرفة، لذلك فالمضمر معرفة. وبالإضافة إلى الفراء من الكوفيين نجد أن الزجاج النحوي يتبنى هذا الرأي أيضا. [٣٧]

٢٤. وقد رفض الطبري أيضا رأي البصريين ومنهم الأخفش الأوسط، وتبنى الرأي الكوفي في مسألة «ما» التي تلحق بكلمة «بئس» في الآية: « **بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا**» [٢(البقرة): ٩٠].

يرى الأخفش أن «ما» اسم: أي أنها في محل نصب على التمييز، و«أن يكفروا» «تفسير له» ولا يقصد به هنا التمييز كما أسلفنا ضمن مصطلحات الكوفيين، ولكنه يعني به التبيين والتوضيح[٣٨]، قياسا على الجملة التي أوردها في كتابه: نعم رجلا زيد.

ورد قول الفراء أيضا الذي يرى أن «ما» اسم «بئس» أي الفاعل، و«أن يكفروا» المخصوص بالذم، ويأول المعنى بأنه: بئس الشيء اشتروا به أنفسهم أن يكفروا، رفض الطبري قول الفراء مستندا إلى قول العرب: لبئسما تزويج ولا مهر، وفي رأيه أن «ما» هنا جاءت اسما منفردا دون أن تضاف إليها جملة الصلة.

وقد بين الطبري ان الفراء يناقض شيخه الكسائي في تأويله للآية: بئس شراؤهم كفرهم، أي أن «ما» و«اشتروا» بمنزلة الاسم الواحد، لم يصرح الطبري باسم الكسائي ولكن تأتى لنا ذلك من خلال أبي جعفر النحاس. [٣٩]

الذي اضطر الفراء، كما يقول الطبري، إلى هذا التأويل هو أنه لا يجيز أن يتبع «بئس» و«نعم» إذا دخلتا على «ما» الاسم العلم، ولكن يجوز أن تدخلا على اسم نكرة يدل على الجنس، لذلك يجعل الفراء «اشتروا» جملة الصلة لـ «ما» لتخصيص «ما» وتقريبها من الاسم المعرفة. [٤٠]

اتبع الطبري في هذه المسألة رأي أحد نحاة الكوفة الذي لم نستطع تحديد هويته للأسف؛ لأنه لم يرد في المصادر الكوفية مثل معاني القرآن للفراء، أو المصادر المتأخرة، هذا الرأي تلخص في «بئسما» أي «بئس»

---

٣٦ الطبري، ٢٦, ١٣, ٢٤-١٤, ١٤؛ معاني القرآن للفراء، ٣, ٥١, ١٤-١٦؛ معاني القرآن للأخفش، ٢, ٤٧٩, ٦-٩

٣٧ الزجاج، معاني القرآن، ٤, ٤٤٠؛ النحاس، إعراب القرآن، ٤, ١٦٢

٣٨ معاني القرآن، ١, ١٣٩, ٣-٤؛ الدر المصون ١, ٢٩٩

٣٩ الطبري (شاكر)، ٢, ٣٣٨, ١-٣٤٠, ٧؛ اعراب القرآن، ١, ٢٤٧-

٤٠ يفسر الزجاج هذه المسألة بوضوح، انظر: معاني القرآن، ١, ١٧٢

Digitized by Birzeit University Library

و«ما» اسم واحد له محل من الإعراب، يقول الطبري: « شيء واحد يرافع ما بعده»[٤١]، ويقصد بذلك أن «بئسما» في محل رفع مبتدأ، وأنه هو العامل في رفع الخبر الذي يأتي بعده، ويسميه الطبري العائد من ذكره وذلك من خلال الضمير «الهاء» في «اشتروا به»، والتقدير: بئس شيء الشيء اشتروا به أنفسهم[٤٢].
يتضح من خلال هذا النقاش نتيجة مهمة وهي أن الطبري يعتبر «بئس» اسما وليس فعلا كما يعتقد نحاة البصرة وقسم من نحاة الكوفة.

٢٥. هنالك مسألة أخرى أيد الطبري فيها الكوفيين، ولكنه لم يصرح باسم النحوي الكوفي، تتعلق هذه المسألة بحروف الزيادة، ومنها حرف الجر «من»، وذلك في الآية: « **فكلوا مما أمسكن عليكم**» [٥(المائدة): ٤]، الخلاف في هذه الآية يدور حول كون «من» في «مما» حرفا زائدا يجوز لنا حذفه ولا يختل معنى الكلام، أو كونها جاءت بمعنى التبعيض وهي التي تسمى من للتبعيض.
القول الذي رفضه الطبري يتقارب مع رأي الاخفش الإوسط من البصريين ؛ لأن الاخفش لم يقل صراحة بأن «من» زائدة، ولكن يفهم من كلامه هكذا، من خلال الأمثلة التي ضربها «أدخل من كما أدخله في قوله: كان من حديث، و: قد كان من مطر» والمعنى المقصود هو حذف «من»، واستشهد الاخفش بالآية: «**وينزل من السماء من جبال فيها من برد**» وفسرها بقوله: «ينزل من السماء جبالا فيها برد» بحذف من التبعيضية في الموقعين السابقين في الآية الكريمة.[٤٣]
لكن الطبري يدحض بقوله « أن من لا تدخل في الكلام إلا لمعنى مفهوم، وقد يجوز حذفها في بعض الكلام، وبالكلام إليها حاجة، فأما أن تكون في الكلام لغير معنى أفادته بدخولها، فذلك قد بينا فيما مضى أنه غير جائز أن يكون فيما صح من الكلام، ومعنى دخولها في قوله (الآية) للتبعيض»[٤٤].
نتبين من كلام الطبري أعلاه، أنه متشدد في تجويز بعض النحاة إطلاق عبارة الزيادة على مجموعة من الكلمات في القرآن الكريم، فينبع موقفه عن رأي ديني وهو أنه لا يجوز لنا أن ننسب الزيادة إلى كلام الله تعالى في كتابه، نلاحظ هنا أن رأي الطبري يميل إلى جماعة المفسرين والمحدثين من السلف أكثر من جماعة النحاة، وهذا ما سنناقشه بتوسع أكبر في الفصل القادم إن شاء الله.

٢٦. تطرق الطبري إلى قضية الخلاف بين البصريين والكوفيين في فتح وكسر الميم من «أم» في الآية القرآنية: «**قال ابن أم**» [٧(الأعراف): ١٥٠].
ساند الطبري الفراء في تعليل بناء «أم» على الفتح أو الكسر: وهو أنها إذا جاءت مبنية على الفتح، فالمقصود بها الندبة: يا ابن أماه فحذفت الألف تخفيفا، ثم حذفت هاء السكت في نهاية العبارة، أي أن «أم» معربة وليست مبنية.

---

٤١ الطبري، ٢, ٣٣٩, ١٩
٤٢ المصدر السابق نفسه
٤٣ معاني القرآن، ١, ٢٥٤
٤٤ الطبري، ٦, ٩٨, ٢١ - ٩٩, ١٨

Digitized by Birzeit University Library

وإذا جاءت «أم» مبنية على الكسر، فالمقصود به هنا أن الكسرة تدل على المحذوف ألا وهي «ياء المتكلم»، أي أن «أم» مضافة إلى ياء المتكلم ؛ لذلك فهي معربة وليست مبنية. وقد بين الفراء أن هذا الحذف، أي حذف ياء المتكلم من أمي وعمي، يجوز فقط في «يا ابن أم» و«يا ابن عم» ولا يجوز في يا ابن أبي، ويا ابن أخي، ويا أبن خالتي.[٤٥]

عارض الطبري تفسير البصريين لبناء «أم» على الفتح أو الكسر، ويقصد هنا الأخفش الأوسط، الذي يرى نقلا عن سيبويه أننا إذا بنينا «ام» على الفتح فإننا نجعلها «اسما واحدا»، أي نعاملها معاملة الاسم المركب من جزأين، مثل العدد أحد عشر فهو مبني على فتح الجزأين، فيصبح كما يقول أبو جعفر النحاس مثل: يا خمسة عشر أقبلوا، وهذا في الحقيقة ما نص عليه سيبويه.

أما بناء «أم» على الكسر فهو يشبه قولنا، وفقا للبصريين، خاز باز، بكسر آخرهما، أو: هذا غلام قد جاء، هذا النص نقله الطبري حرفيا عن معاني القرآن للأخفش ولم ينقص منه شيئا.[٤٦]

ولكننا نرى أن هنالك تشويشا للنص الموجود في الكتاب لسيبويه، وذلك في تشبيه بناء «ام» على الكسر بالجملة: هذا غلام قد جاء، فمن المرجح أن المحذوف «غلامي»، فتصبح الجملة حينئذ أكثر وضوحا: هذا غلام غلامي قد جاء، فحذفنا ياء المتكلم فظلت «غلام» الثانية مبنية على الكسر دلالة على ما حذف، في هذه الحالة يصبح الحديث عن وجه الشبه بين «يا ابن أمي» و«هذا غلام غلامي» صحيحا ومنطقيا.

إضافة إلى ذلك لا يترك لنا نص سيبويه إلا أن نسلم بذلك: «وقد قالوا أيضا: يا ابن أم، ويا ابن عم[بكسر الميم في كليهما] كأنهم جعلوا الأول والآخر اسما، ثم أضافوا إلى الياء، كقولك: يا أحد عشر أقبلوا» ويصرح سيبويه بعد ذلك بأنه نقل هذه الآراء عن شيخيه الخليل ويونس بن حبيب، وهذاما نستشفه أيضا من كلام أبي جعفر النحاس.[٤٧]

٢٧. اختلف النحاة في إعراب «يؤمنوا» في الآية: « **ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا**» [١٠(يونس): ٨٨].

أعرب الأخفش الاوسط « يؤمنوا» على أنه نصب ؛ لأنه معطوفة على الفعل «ليضلوا» المنصبوب، أو نصب على جواب «الدعاء»، حيث اقترن الفعل بالفاء، أما الدعاء، فالمقصود به في بداية الآية: « ربنا اطمس»، فنصب الفعل المضارع عندما اقترن بالفاء على جواب الأمر «اطمس» الذي يدل هنا على الدعاء.[٤٨]

---

٤٥ المصدر السابق، ٩, ٦٧, ٩ - ٦٨, ٤ ؛ معاني القرآن للفراء، ١, ٣٩٤, ٤- ١١ ؛ البحر المحيط، ٤, ٣٩٤

٤٦ إعراب القرآن، ٢, ١٥٢, ١- ٨

٤٧ الكتاب (١٩٩٩) ٢, ٢١٧, ٣- ٢١٨, ٧ ؛ معاني القرآن للأخفش، ٢, ٣١٠, ١٠- ٣١١, ٤

٤٨ معاني القرآن، ٢, ٣٤٨, ١-٤

Digitized by Birzeit University Library

لم يكن الطبري إلى جانب هذا الرأي ؛ ولكنه ساند رأي الكسائي والفراء وأبي عبيدة معمر بن المثنى ؛ الذين ذكروا أن الفعل «يؤمنوا» مجزوم ؛ لأنه دعاء ، بمعنى : فلا آمنوا، واستشهد الطبري ببيت شعر للأعشى :

فلا ينبسط من بين عينيك ما انزوى ولا تلقني إلا وأنفك راغم

بمعنى : فلا انبسط على الدعاء .

يجدر أن ننبه إلى نقطة مهمة، وهي أن الطبري أيد الفراء في رأي واحد من بين رأيين، لأن الفراء ذكر إعرابين للفعل «يؤمنوا»، الأول هو المذكور أعلاه، أما الثاني فهو قريب من رأي البصريين الأخفش والمبرد وهو أن الفعل «يؤمنوا» منصوب على جواب الدعاء ؛ لأن الفعل مقترن بفاء السببية، وضرب الفراء مثلا على ذلك ببيت شعر لأبي النجم العجلي من الرجز :

يا ناق سيري عنقا فسيحا إلى سليمان فنستريحا

نصب الفعل «نستريحا» مقترنا بفاء السببية، جوابا للأمر «سيري» .[٤٩]

هذا التناقض في قولي الفراء بين الجزم والنصب، ربما يؤول إلى أن الرأي الأول وهو الجزم نقله الفراء عن شيخه الكسائي، ولكنه عارضه وأتى برأي آخر وهو النصب الذي يتفق فيه مع علماء البصرة أمثال الأخفش الاسط والمبرد، الذي يؤكد ما وصلنا إليه هو أن أبا جعفر النحاس وأبا حيان النحوي ينسبان الرأي الأول (الجزم) إلى الكسائي والفراء وأبي عبيدة من البصريين ؛ مما يشير إلى نقطة جوهرية وهي عدم وضوح الانتماء إلى المدارس النحوية في القرن الثاني الهجري كما كنا نتوقع ؛ فهذا الفرّاء الكوفي يتفق في الرأي مع شيوخ المدرسة البصرية في النحو ؛ وعلى العكس من ذلك، يتفق أبو عبيدة مع الكسائي وغيره من الكوفيين .

على ما يبدو، كانت الأفكار أو الآراء النحوية للكوفة والبصرة شائعة في البيئة العلمية العراقية، وكانت الحرية متاحة لكل متخصص في العربية، سواء كان كوفيا أو بصريا، فلم ير أحدهم غضاضة في تأييد الموقف المغاير لنحاة بلده ؛ لذلك علينا أن نحذر تقسيم النحاة وفقا لانتمائهم الجغرافي، أو للمنطقة التي عاشوا فيها، مثل الكوفة أو البصرة أو بغداد .

في الحقيقة، لا يفاجئنا موقف الفرّاء المؤيد للبصريين، فقد أشار فايل الى أن تقسيم النحو العربي الى كوفي وبصري، لا يشمل كل مسألة نحوية[٥٠] .

٢٨. نقل لنا الطبري أيضا اختلافا آخر بين النحاة الكوفيين والبصريين، ووقف إلى جانب الكوفيين في هذا الخلاف، وذلك في العامل في رفع كلمة «جزاء» في الآية : «و الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها » [١٠(يونس): ٢٧].

---

٤٩ الطبري، ١١ , ١٥٩ , ١٦- ١٦٠ , ٥ ؛ معاني القرآن للفراء، ١ , ٤٧٧ , ١٥- ٤٧٨ , ٤ ؛ مجاز القرآن، ١ , ٢٨١ , ٤ ؛ الزجاج، معاني القرآن، ٣, ٣١ , ٥- ٨ ؛ معاني القرآن للنحاس، ٢ , ٢٦٦ -٢٦٧ ؛ البحر المحيط، ٥ , ١٨٦

٥٠ مقدمة فايل ١٢-٢٦

Digitized by Birzeit University Library

يرى الطبري - استنادا إلى الفراء - إلى أن «جزاء» مبتدأ مرفوع بالخبر المضمر في الجملة «لهم»، والتقدير في رأي الطبري: فلهم جزاء سيئة بمثلها، كما نرى يتبع الفراء في هذه المسألة رأي الكوفيين ومنهم الفراء في ترافع المبتدأ والخبر.
يتخلى الطبري أثناء نقاشه عن الرأي الثاني للفراء في إعراب «جزاء»، وهو أنها مبتدأ مرفوع بالباء في « بمثلها»، يقصد الفراء أن شبه الجملة «مثلها» هو الخبر الذي رفع المبتدأ «جزاء ». [٥١]

لقد عرض الفراء رأيين في إعراب «جزاء»، ورجح أحدهما على الآخر، وهو الرأي الأول الذي أخذ به الطبري، نلاحظ هنا أنه ربما كان الرأي الثاني الذي ذكره الفراء في معانيه يعود إلى شيخه الكسائي ؛ من خلال ذلك، نرى خروج الفراء كثيرا على آراء الكسائي ورفضها دون تعصب لمذهب الكوفيين في النحو، على عكس ما يتوقع المتأخرون من النحاة، وحتى الدارسون في وقتنا الراهن.

تواجهنا في هذه المسألة إشكالية أخرى، وهي أن الطبري نقل رأيا للأخفش يقول بأن «جزاء» مرفوعة على الابتداء، وأن «الباء» في «بمثلها» زائدة، كزيادتها في الجملة: بحسبك قول السوء، بمعنى: حسبك قول السوء، هذا الرأي نقله الطبري كاملا عن الأخفش، ولكن إذا رجعنا إلى معاني القرآن للأخفش نجد جزءا من هذا النص، ولا نعرف هل كان الطبري يملك نسخة أخرى من معاني الأخفش، أم أن النسخة المطبوعة اليوم ناقصة؛ لأن النقل الحرفي للطبري عن الأخفش إذا قمنا بالمقارنة بين النصين لا يترك مجالا للشك في صحة ما ندعي [٥٢].

٢٩. أيد الطبري الكوفيين في الخلاف حول «يوم» وإضافتها إلى ما بعدها، كما ورد في الآية: «**يوم هم بارزون**» [٤٠(غافر): ١٦].

يرى البصريون ومنهم الأخفش أن «يوم» معرب وليس مبنيا، فقد جاء بمعنى «إذ» وأضيف إلى الجملة الاسمية، فـ«يوم» منصوب ولكنه لم ينون بتنوين النصب في آخره، لأنه مضاف، والجملة الاسمية: هم بارزون في محل جر مضاف إليه، وكذلك «هم» في رأي الأخفش لا يجر على أنه مضاف إليه لـ«يوم»، لأنه كما يرى الأخفش «بني عليه»: أي أنه مبتدأ بني عليه الخبر «بارزون». [٥٣]

أما الطبري فأيد رأي أحد نحاة الكوفة الذين لم نستطع للأسف معرفة هويته، فإذا ألقينا نظرة خاطفة إلى معاني القرآن للفراء، فلا نجده.

---

٥١ الطبري، ١١, ١٠٩, ٢٢- ١١٠, ٦ ؛ معاني القرآن، ١, ٤٦١, ١٢- ١٦

٥٢ معاني القرآن، ٢, ٣٤٣, ١١-١٢

٥٣ معاني القرآن للأخفش، ٢, ٤٦٠- ١٧ - ٤٦١, ٥ ؛ إعراب القرآن للنحاس، ٤، ٢٨ ؛ البحر المحيط، ٧، ٤٣٧

Digitized by Birzeit University Library

يرى الطبري أن «يوم» مبنية، ومما يجدر ذكره هنا، أن الطبري لم يستعمل المصطلح «بنيت» أ، «مبني»، بل «نصب» ويقصد به البناء، نستطيع معرفة ذلك من خلال تحليل نص الطبري: « ان نصب يوم وسائر الأزمنة في مثل هذا الموضع نظير نصب الأدوات لوقوعها مواقعها، وإذا إعربت بوجوه الإعراب، فلأنها ظهرت ظهور الأسماء، فعوملت معاملتها»[٥٤]

يقصد الطبري كما نفهم أن «الأزمنة» أي الظروف (= الأوقات)، إذا جاءت بمعنى «الأدوات»: ويقصد بها الطبري الأسماء المبنية التي لاتتغير حركة آخرها مثل: إذ وإذا، تأتي حينئذ مبنية، وتأتي معربة إذا دلت على أسماء معربة، وهذا يتطابق مع ما قاله أبو حيان النحوي من أن الكوفيين يجوزون في «يوم» الإعراب والبناء.[٥٥] الدليل الذي يذكره الطبري على أن «يوم» إذا «جعلت بمعنى «إذ» و«إذا» بنيت، الآية: «ومن خزي يومئذ» فجاءت «يوم» مبنية على الفتح على الرغم من أنها مضاف إليه لكلمة «خزي»، والعبارة التي يستعملها الطبري، نقلا عن أحد الكوفيين، «جعل موضع الأداة».

ويجوز أن تكون «يوم» معربة منونة إذا عاد عليها عائد، نحو الجملة: أعجبني يومٌ فيه تقول، فعاد عليه الضمير «الهاء»، يقول الطبري: لما أن خرج من معنى الأداة، وعاد عليه الذكر صار اسما صحيحا»، ويقصد أنه أصبح معربا متمكنا.[٥٦]

٢:١:٣ المسائل التي عبر فيها عن رأيه الخاص المستقل، أو التي يقف فيها إلى جانب البصريين ضد نظرائهم الكوفيين:

إن ما أسلفناه من انتماء الطبري إلى مذهب أهل الكوفة في النحو، وكثرة اتباعه لآرائهم لا يعني أنه قلدهم حرفيا، ولم يخرج عن آرائهم البتة، على العكس من ذلك فهو مستقل في رأيه، يؤيد الكوفيين ما دام مقتنعا برأيهم، ولكنه سرعان ما ينأى عنهم إذا تبين له عكس ذلك.

لذلك لم يكن من المستغرب أن نعثر في ثنايا تفسيره على الكثير من المواضع التي يعترض فيها على أصحابه الكوفيين، ويحتج عليهم، ويعبر عن رأيه الخاص، وأحيانا يفضل رأي أحد نحاة البصرة على نظيره الكوفي؛ مما يشير إلى أننا لم نعهده من خلال تفسيره متعصبا في رأية ضد البصريين؛ ومن هذه المسائل التي أوردها الطبري في تفسيره:

١. لا يتورع الطبري عن مخالفة الفراء أحيانا وهو شيخ نحاة الكوفة ومعلمهم، وذلك في مسألة لام الامر الداخلة على فعل المخاطب نحو: لتقم فاعتبر الطبري هذه اللغة (اللهجة) رديئة غير فصيحة بعكس رأي الفراء[٥٧].

---

٥٤ الطبري، ٢٤, ٥١, ١٣ -١٤

٥٥ البحر المحيط ٧, ٤٣٧

٥٦ الطبري، ٢٤, ٥١, ٦- ١٢

٥٧ الالوسي، الطبري النحوي، ١٦٧

Digitized by Birzeit University Library

٢. اختلف النحاة في وجه نصب كلمة «كلالة» في الآية: «**وإن كان رجل يورث كلالة**» [٤(النساء): ١٢]، فذكر الأخفش الاوسط إعرابين أحدهما: أن تكون «كلالة» منصوبة على أنها خبر كان الناقصة، وثانيهما: أن نعتبر «كان» تامة لا تحتاج إلى خبر بمعنى «وقع»، فحينئذ تكون حالا، وأضاف الزجاج وجها آخر، وهو أنه يجوز إعرابها مفعولا به إذا قرأنا «يورث» بكسر الراء مبنيا للمعلوم.[٥٨]

ذكر الطبري وجهين من وجوه إعراب «كلالة»، ولكنه لم يتبعها وانفرد برأي له مستقل، وهو أن «كان» ناقصة، اسمها «رجل»، وخبرها الجملة الفعلية المبدوءة بالفعل المبني للمجهول، أما «كلالة» فقال الطبري بأنها منصوبةعلى «الخروج» من قوله «يورث»، وأوضح ذلك لكي لا يلتبس مصطلح الخروج مع الحال، فقال بأنه لا يقصد نصبها على الحال « ولكن على المصدر من معنى الكلام »

وقدر الطبري معنى الآية: وإن كان رجل يورث متكلله النسب كلالة، ويقصد أنها أي «كلالة» منصوبة لأنها مفعول مطلق لم يسبقه فعل يشتق منه، ولكنه مشتق من معنى الآية.[٥٩]

٣. يوجه الطبري نقدا لاذعا للفراء بسبب إعراب الأخير لكلمة «صد» في الآية: « **قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله**» [٢(البقرة): ٢١٧] على أن تكون معطوفة (استعمل الفراء: مردودا) على «كبير»، أو عطف جملة على جملة، بمعنى: قل قتال فيه كبير، وكبير الصد عن سبيل الله.[٦٠]

كما أن الطبري انتقد الأخفش الاوسط في اتباعه لرأي الفراء وهو أن «صد» معطوفة على «كبير»، أما الرأي الذي رجحه الطبري فلم يذكره، ولكن ربما من خلال نصي الزجاج والنحاس نستخلص انه أعرب «صد « مبتدأ، خبره في الآية نفسها « **أكبر عند الله**».[٦١]

أي أن الطبري اتخذ موقفا يؤيد فيه آراء أهل البصرة، ولكننا للأسف لم نستطع الوصول إلى مصدر هذا الرأي، لأن الزجاج والنحاس لم يذكرا صاحبه.

استعمل الطبري كلاما حادا ضد الفراء، نحو: بل ذلك غير جائز أن يتوهم على عاقل يعقل ما يقول أن يقوله، وكيف يجوز أن يقوله ذو فطرة صحيحة »[٦٢] ؛ وذلك لأن الطبري يرى أن رأي الفراء يخالف معنى الآية الذي ترمي إليه.

من خلال ما سبق، نرى أن الطبري يتوخى في الدرجة الأولى توضيح معنى الآية بما يخدم الحكم الشرعي ولا يعارض معه، وإذا تعارض هذا التأويل مع رأي أحد النحاة، فإنه يهاجمه بشدة دون مراعاة لكون هذا النحوي كوفيا أم بصريا، فهذا الفراء الذي نقل عنه الطبري في تفسيره أجزاء كبيرة من معانيه، لا يراه الطبري معصوما في منأى عن النقد.

---

٥٨ معاني القرآن للأخفش، ٢, ٢٣٢ ؛ معاني القرآن للزجاج، ٢, ٢٥ ؛ إعراب القرآن للنحاس، ١, ٤٤١ ؛ البحر المحيط، ٣, ١٩٧

٥٩ الطبري، ٤, ٢٨٥, ٢٣ - ٢,٢٨٦

٦٠ معاني القرأن، ١, ١٤١, ١-٦

٦١ معاني القرآن للزجاج، ١, ٢٩٠ ؛ إعراب القرآن للنحاس، ١, ٣٠٨

٦٢ الطبري، ٢, ٣٥٢, ١٩- ٣٥٣, ٧

Digitized by Birzeit University Library

٤. نجد الطبري أيضا مستقلا في رأيه عندما أعرب كلمة «حطة» في الآية: « **وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة**» [٢(البقرة): ٥٨].

اختلف نحاة المذهبين الكوفي والبصري في إعرابها؛ فمنهم من أعربها خبر لمبتدأ تقديره: هي حطة، أو خبر لمبتدأ تقديره: وقولوا مسألتنا حطة؛ ومنهم من يرى أنها مرفوعة لأنها اسم كان مؤخر، على تقدير: قولوا: لتكن منك حطة لذنوبنا؛ ومنهم من أعربها «بدلا من الفعل» أي مصدر (مفعول مطلق) لفعل لم يذكر في الآية تقديره: احطط عنا حطة.

ومنهم من أعربها مفعولا به للفعل «قولوا»، لأننا نقول: قلت كلمة صالحة، فنعرب «كلمة» مفعولا به للفعل «قلت». [٦٣]

أورد الطبري قسما من هذه الآراء المذكورة أعلاه، وأورد آراء أخرى لم نعثر عليها فيما توافر بين أيدينا من مصادر، والرأي الذي صوبه وأخذ به قريب من رأي الزجاج والنحاس، ولكن تقديره للمحذوف يختلف، فيرى الطبري أن «حطة» خبر لمبتدأ محذوف نقدره من خلال «ظاهر التلاوة»، والتقدير: دخولنا الباب سجدا حطة. [٦٤]

٥. كما أننا نجد الطبري يعارض الفراء في ضبط حركة الصاد في «صرهن» بالضم أو بالكسر وفقا لقراءة أصحاب عبد الله بن مسعود، و تأثير ذلك في معنى الكلمة، في الآية: «**فصرهن إليك**»[٢(البقرة): ٢٦٠] بمعنى: أملهن إليك أو: اجمعهن إليك، وينكر الفراء تفسيرها بمعنى: قطعهن، إلا إذا فسرنا ذلك على اعتبار أن الفعل مقلوب الحروف، أي أن لام الفعل: صرى يصري صار يصير، فقلبت عين الفعل الياء في «صير» لاما لتصبح صرى يصري.

يرفض الطبري تفسير الفراء، ويؤيد قول أحد نحاة البصرة، الذي لم نستطع تحديد اسمه، بأن «صرهن» بكسر الصاد أو ضمها تأتي بمعنى واحد وهو: قطعهن. [٦٥]

٦. عبر الطبري عن رأيه المستقل، ورفض أقوال نحاة الكوفة والبصرة، وذلك في السبب الجالب لحرف الباء في «بحبل» من الآية: « **ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله**» [٣(آل عمران): ١١٢].

فنقل عن الفراء قوله بأن هنالك فعلا مضمرا تقديره: إلا أن يعتصموا بحبل من الله. ونقل عن نحوي كوفي آخر يقدر ذلك: ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا: أي بكل مكان إلا بموضع حبل من الله معتبرا هذا النحوي الاستثناء متصلا وليس منقطعا.

---

٦٣ معاني القرآن للأخفش، ١، ٩٦؛ معاني القرآن للفراء، ١، ٣٨؛ معاني القرآن للزجاج، ١، ١٣٩؛ إعراب القرآن للنحاس، ١، ٢٢٨

٦٤ الطبري، ٣٠١، ١٠-١٩

٦٥ الطبري، ٣، ٥٢، ١٨-٥٥، ١٠؛ معاني القرآن للفراء، ١، ١٧٤، ٥-١٦؛ البحر المحيط، ٢، ٣١٠-٣١١؛ معاني القرآن للزجاج، ١، ٣٤٥-٣٤٦، معاني القرآن للأخفش، ١، ١٨٣-١٨٤

Digitized by Birzeit University Library

ولكن الطبري كان له رأي مستقل في هذه المسألة، وعبر عنه بقوله: ولكن القول عندنا، وهو أن الكلام الذي قبل أداة الاستثناء «إلا» يقتضي أو يتطلب وجود الباء، التقدير: ضربت عليهم الذلة بكل مكان ثقفوا إلا بحبل من الله، واعتبر الاستثناء منقطعا لا متصلا، كما اقترح أحد النحاة الكوفيين، والمعنى: ولكن يثقفون بحبل من الله وحبل من الناس.[٦٦]

٧. اختلف النحاة في سبب دخول همزة الاستفهام في الآية: « **أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا** » [١٠(يونس): ٧٧].

ففسر الفراء دخولها بأنه يشبه الرجل الذي يعطى جائزة فيقول: أحق هذا ، ليس على سبيل الإنكار وإنما من باب التعجب.

أما الأخفش فيرى أن الآية حكاية (إعادة حرفية) لقولهم، ولكن الطبري فسر ذلك بشكل مغاير، وبدأ عرض رأيه بقوله: وأولى ذلك في هذا بالصواب عندي، وقدر محذوفا في الآية «أسحر هذا»، أي أن موسى عليه السلام قال لهم ذلك منكرا عليهم هذا القول، وهو قول «فرعون وملئه» للحق لما جاءهم سحر، وقدره: قال موسى لهم: أتقولون للحق لما جاءكم سحر، أسحر هذا الحق الذي ترونه؟، فحذفنا من الكلام كلمة «السحر» الاولى، «اكتفاء بدلالة الكلام «أسحر هذا» عليه.[٦٧]

٨. ومما يدل على استقلالية تفكير الطبري وعدم تعصبه لأهل الكوفة في النحو أنه رفض رأي الفراء والأخفش كليهما في مسألة إعراب «من» بعد أداة الاستثناء، كما وردت في الآية: «**لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم** » [١١(هود): ٤٣].

فقد رفض الطبري قول الفراء وأحد أقوال الأخفش بأن «من» في محل نصب استثناء منقطع لأن ما بعد «إلا» ليس من جنس ما قبلها، أي أن «من رحم» ليس من جنس « عاصم»، من المثير للاستغراب أننا إذا اطلعنا على النسخة المطبوعة من معاني القرآن للأخفش، لا نعثر على الرأي المنسوب إلى الأخفش في تفسير الطبري، بينما نجد الرأي الآخر الذي نقله الطبري أيضا.

وهذا الرأي الأخير يتفق مع رأي الطبري في كون «من» استثناء متصلا من جنس ما قبله، لذلك تعرب «من» في محل رفع بدل من «عاصم»، تبعا لمحل اسم لا النافية الجنس، فهو مرفوع في الأصل والتقدير: لا عاصم يعصم اليوم من أمر الله إلا الله أو: لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من أمر الله إلا من رحمنا فأنجانا من عذابه.[٦٨]

---

٦٦ الطبري، ٤, ٤٩, ٤ - ٥٠, ١٦ ؛ معاني القرآن للفراء، ١, ٢٣٠, ١- ٧ ؛ إعراب القرآن للنحاس، ١, ٤٠١

٦٧ الطبري، ١١, ١٤٥, ٢٢ - ١٤٦, ٩ ؛ معاني القرآن للفراء، ١, ٤٧٤, ١٠ - ١٩ ؛ معاني القرآن للأخفش، ٢, ٣٤٧

٦٨ الطبري، ١٢, ٤٥, ١٨- ٤٦, ١٤ ؛ معاني القرآن للفراء، ٢, ١٥, ٩ -١٦, ٦ ؛ معاني القرآن للأخفش، ٢, ٣٥٣.

Digitized by Birzeit University Library

٩. هنالك مسألة أخرى تدل على استقلالية رأي الطبري في تفكيره النحوي وحريته في انتقاء الأقوال التي يراها صائبة.

تتعلق هذه المسألة بالخلاف حول الوقوف على «لات»، هل هو بالهاء: لاه، أو بالتاء: لات؛ في الآية: «**فنادوا ولات حين مناص**» [٣٨(ص): ٣].

أما سيبويه والفراء وابن كيسان والزجاج فيقفون على «لات» بالتاء لتصبح: لاتْ، وقد شبهها أبو اسحق الزجاج بتاء التأنيث في: ذهبتْ وجلستْ.[٦٩]

الرأي الآخر وهو رأي الكسائي والمبرد اللذين يقفان عليها بالهاء أي «لاه». نقل هذا الرأي أبو جعفر النحاس عن علي بن سليمان «الأخفش الأصغر»، وبرر ذلك بأنها تشبه ثمةوربة، أي أن أصلها «لا» دخلت عليها الهاء للتأنيث.[٧٠]

أما الرأي الثالث والأخير فهو الوقف على «لا»، أما التاء فهي تزاد في حين فتصبح: لا تحين، وأضاف بأن هذه التاء تضاف أيضا إلى: أوان والآن كما في بيتِ الشعر:

تولّى قبل يوم بيني جمانا وصلينا كما زعمت تلانا

نقل الطبري هذه الآراء مرتبة - وفقا لما أسلفت أعلاه - دون نسبتها إلى أصحابها، وفيما يتعلق بالرأي الأخير فقد ورد في «البحر المحيط» منسوبا إلى أبي عبيدة، وعلى الأرجح، يعود هذا الخطأ في النسخة المطبوعة إلى الناسخ أو الناشر؛ لأنه لا يرد في «مجاز القرآن»، بل يعود هذا الرأي الأخير إلى أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ)، وفقا لما أورده النحاس حرفيا عنه، بما يتناسق مع ما أورده الطبري.[٧١]

رفض الطبري الرأي الأخير بشدة، وقال بأنه أخطأ في تأويل البيت، لأن معناه: وصلينا كما زعمت أنت الآن، فحذفت الهمزة من «أنت»، ثم سقطت النون من «أنت» لاتصالها بالتاء من «زعمت» بينما هي أي النون ساكنة، فبقيت من «أنت» التاء فقط، فأصبحت تشبه: تلانا لفظا، ولكنها ليست في الحقيقة كذلك، وأنكر الطبري على أبي عبيد القاسم أن يكون شاهد: لا تحين في المصحف الإمام (مصحف الخليفة الراشدي عثمان بن عفان)، لأنه لا يوجد ذلك في المصاحف المشهور بين المسلمين وقتئذ في الأمصار.[٧٢]

اختار الطبري الرأي الثاني وهو رأي الكسائي والمبرد وهو أن أصل «لات»: لا زيدت إليها الهاء للوقف او السكت، أما في الوصل فتنقلب هذه الهاء تاء مثل: ثمة وربة.[٧٣]

---

٦٩ النحاس، إعراب القرآن ٣, ٤٥١, ٤ - ٤٥٤, ١٤؛ معاني القرآن للزجاج ٤, ٣٢٠, ٣- ١٤؛ معاني القرآن للفراء ٢، ٤,٣٩٨؛ البحر المحيط ٧, ٣٦٧- ٣٦٨

٧٠ إعراب القرآن للنحاس ٣, ٤٥١, ٧- ١٠؛ البحر المحيط ٧ / ٣٦٨

٧١ النحاس، المصدر السابق نفسه؛ البحر المحيط، المصدر السابق نفسه؛ مجاز القرآن ٢, ١٧٦

٧٢ الطبري ٢٣, ١٢٣, ٦ - ١٢٤, ٧

٧٣ المصدر السابق نفسه

Digitized by Birzeit University Library

١٠. نلاحظ أن الطبري تبنى رأي البصريين نحو سيبويه و غيره في مسألة خلافية بين نحاة الكوفة و البصرة ، وهي حول الميم التي تلحق الله : اللهم ، وأصل دخولها و حركتها . و لم يؤيد الفراء في هذه المسألة ، بل اتخذ موقفا يراه مناسبا دون الالتفات إلى كونه كوفيا أو بصريا .

كانت هذه المسألة موضع خلاف بين المذهبين الكوفي و البصري ، ذكرها الانباري ، وعنوانها : القول في الميم في «اللهم» : أهي عوض من حرف النداء أم لا ؟ » ، وهي المسألة رقم (٤٧) .[١]

نقل الطبري الرأي الأول وهو لسيبويه عن شيخه الخليل بن أحمد ، وينص على أن الميم المشددة من »اللهم« بدل (عوض عن) من «يا» النداء ، يوضح الزجاج ذلك بأن أصل : اللهم : يا الله ، ويبرر ذلك بأن العرب لا تستعمل «يا» النداء في كلمة مع الميم ،أي : لا نقول : يا اللهم ، وأضاف أبو جعفر النحاس أن العرب لا تجمع بين الشيء و عوضه ، أي الياء و الميم [٢] ، وقد استعمل الطبري «بالخلف منها» و «خلفا من» نيابة عن «بدل من« المستعملة لدى سيبويه نقلا عن الخليل .[٣]

مما يدل على اتباع الطبري هذا الرأي أنه قال في تأويل «قل اللهم » « قل يا محمد : يا الله »[٤]

أما الرأي الآخر فهو للفراء ، وفيه يقول بأن أصل : اللهم : يا الله أمنا بخير ، ولكثرة الاستعمال و طلبا للتخفيف حذفت الهمزة من «أمنا» ، وانتقلت حركتها «الضم» إلى ما قبلها ، ويشبهها الفراء بكلمة «هلم» ، فيقول بأن أصلها : هل أضيف إليها «أم» ، ويعترض الفراء على قول الخليل و سيبويه من أن الميم المشددة في اللهم بدل من «يا» ، لأنه ،أي الفراء ، وجد شاهدا يستعمل فيه الشاعر «يا» و الميم : يا اللهم

وما عليك أن تقولي كلما صليت أو سبحت يا اللهم ما

اردد علينا شيخنا مسلما

وقد هاجم الزجاج و النحاس موقف الفراء و اعتبراه إلحادا في اسم اللهَ -عز و جل .[٥]

توسع الأنباري في الرد على الكوفيين في جملة من الحجج الدامغة و المقنعة منها : أن البيت غير معروف قائله ، لذلك هو من الشاذ الغريب الذي لا يقاس عليه ، كما أن الجمع بين الميم المشددة و يا النداء يصح للشاعر في ضرورة الشعر .

ومنها أنه لو كان الأصل يا الله أمنا بخير ، لجاز لنا أن نقول : اللهمنا بخير .

ومن الحجج قول الأستراباذي يدحض هذا القول أنه يجوز لنا أن نقول : يا الله لا تؤمهم بخير ، فهنالك فاصل بين الهاء من «الله» و «تؤمهم» ، فظهر فساد القول الفراء هنا .[٦]

ورد الأنباري على الفراء في تشبيه اللهم بـ هلم و أن أصلها : هل و أم ، فقال بأن أصلها : ها المم ، ثم

---

١ الانصاف (١٩٩٨) ١ ، ٣١٧ - ٣٢٢

٢ معاني القرآن للزجاج ١ ، ٣٩٣- ٣٩٤ ؛ إعراب القرآن للنحاس ١ ، ٣٦٤

٣ الكتاب (١٩٩٩) ٢ ، ١٩٨ . ١- ٤ ؛ الطبري (شاكر) ٦ ، ٢٩٦ . ١- ٧

٤ المصدر السابق ١ , ٢٩٥ . ١٠

٥ المصدر السابق ١ , ٢٩٧ . ١- ٢٩٩ . ٢ ؛ معاني القرآن للفراء ١ ، ٢٠٣ . ١ - ٢٠٤ . ٩ ؛ معاني القرآن للزجاج ١ ، ٣٩٣ . ١٨ ؛ إعراب القرآن للنحاس ١ ، ٣٦٤ . ٩-١٠

٦ شرح الكافية ١ ٣٥٠ . ١-٢

Digitized by Birzeit University Library

حذفنا الألف لالتقاء الساكنين ، ثم نقلنا ضمة الميم الأولى إلى اللام ، وأدغمت الميم الأولى في الثانية .[٧]

من الجدير بالذكر هنا أن الأنباري أورد هذه المسألة في الخلاف بين الكوفيين و البصريين ، ولكن لتوخي الدقة و الحذر فهذا رأي الفراء وحده من الكوفيين ، ونجد هذه الظاهرة تتكرّر في كتاب الانصاف و غيره من كتب الخلاف النحوي وهي التعميم في نسبة الآراء إلى الكوفيين أو البصريين .

ولا بد في نهاية المطاف أن نؤكد أصالة هذه المسألة لدى الأنباري ؛ لأننا وجدنا الطبري يذكرها مفصلة في تفسيره ، كما و أن أصل هذه المسألة يعود وفقا لكتاب سيبويه إلى الخليل بن أحمد ، كما أننا رأينا الفراء يرد على البصريين في معانيه ، الأمر الذي يشير إلى صدق الأنباري و دقته ، بالرغم من تطاول الزمن و تأخره .

١١ . نلاحظ في هذه المسألة أن الطبري يرفض آراء «أهل العربية» ؛ لأنها لا تنسجم مع رأي أهل السلف .
اختلف النحاة في نوع الاستثناء و معناه في الآية : «**خالدين فيها ما دامت السموات و الأرض إلا ما شاء ربك**»[١١(هود): ١٠٧ , ١٠٨] ، نقل الطبري عن الفراء قولين ، أحدهما : أن الاستثناء غير حقيقي ، أي: أن الله يستثنيه و لا يفعله ، نحو :
والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك ، والتقدير يصبح وفقا لذلك :
خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك ، ولا يشاؤه .
وثانيهما : أن معنى «إلا» سوى ، والتقدير : خالدين فيها ما دامت السموات والأرض سوى ما زادهم من الخلود و الأبد
وقد اختار الفراء هذا الرأي الأخير بمعنى أن الاستثناء منقطع عما قبله .[٨]
ونقل عن نحوي آخر لم يحدد هويته أن يكون معنى الاستثناء الفترة بين الموت و البعث وهي المسماة بالبرزخ .[٩]

إلا أن الطبري يسير وفق منهج أهل السلف مثل الضحاك ، والتقدير : وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك من قدر مكثهم في النار ، من لدن دخلوها إلى أن دخلوا الجنة ، أي أنه لا يجوز أن نفسر »إلا« تفسيرات تخرجها من معنى الاستثناء المستعمل المفهوم وهو في رأي الطبري : «إخراج معنى ما بعدها مما قبلها » ؛ لذلك يرفض الطبري كل الأقوال المنسوبة إلى النحاة في الخلاف حول هذه المسألة .
وهذا ما يسميه الطبري دائما مذهب أهل العربية .

١٢ . ويرفض الطبري رأي الأخفش الأوسط في مسألة تأنيث كلمة «معقبات» في الآية : «**له معقبات من**

---

٧ الانصاف ، المصدر السابق نفسه
٨ الطبري (شاكر) ١٥ ، ٤٨٧ - ٤٨٩ ؛ معاني القرآن ٢ ، ٢٨ . ٢- ١٢
٩ المصدر السابق نفسه

Digitized by Birzeit University Library

بين يديه»[١٣(الرعد): ١١] ؛ لأنه يخالف أهل التأويل ، بالرغم من جوازه في العربية الفصحى .
يرى الأخفش أن »معقبات« وهي صفة للملائكة ، جاءت مؤنثة ، لأنها تدل على المبالغة في الفعل ، مثل : نسابة و علامة، أما الفراء فيرى أن «معقبات» هي الملائكة ، ولكنها جمع الجمع لـ«معقبة»، نحو : رجال ورجالات .[١٠]

أيد الطبري الفراء جزئيا في أن «معقبات» جمع الجمع لـ«معقبة» ، لذلك جاءت مؤنثة ، ولكن الطبري يفسر ذلك بأن معقبات جمع لمعقبة وهي الحرس (أي الحرس الذين يحرسون الانسان ليل نهار) ، ويرى أن «معقبة» مؤنث ، مذكرها «معقب» ؛ لذلك يقول الطبري بأن كلمة «يحفظونه» في الآية نفسها ، بالتذكير لأنها من صفة «الحرس» .[١١]
من خلال هذا النقاش ، نرى الطبري يحتكم في المقام الأول إلى ما يخدم تأويل الآية ، و ما يتفق مع آراء السلف و أهل التأويل التي يراها صحيحة .

١٣ . يقف الطبري إلى جانب النحوي البصري الأخفش الأوسط و غيره من البصريين معارضا رأي الفراء من الكوفيين في الاختلاف فيما يعلق بتاء التأنيث في كلمة «مرضعة» من الآية : «**يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت**»[٢٢(الحج): ٢) .
يرى الفراء أن »مرضعة« هي الأم الحقيقية سواء باشرت عملية الرضاعة أم لم تباشرها ، أما «مرضع» فهي الأم المستأجرة التي ترضع أولاد غيرها ، ويورد الفراء رأيا آخر ينص على أن الصفات المختصة بالإناث تسقط منها تاء التأنيث لأن الذكور لا تشاركها في هذا الفعل ، كطامث و حائض .[١٢]
بينما يقول الأخفش أن المقصود بـ«مرضعة» الفعل ، ولم يقصد الصفة ، والدليل ورود الفعل «أرضعت» الذي ينتهي بتاء التأنيث بعد «مرضعة» ، أما الصفة فلو أريدت لقال : مرضع دون تاء التأنيث ؛ لأن الصفات «مفعل» و «فاعل» إذا اختصت بالأنثى تأتي خالية من تاء التأنيث ، نحو : مقرب و موقر و مشدن و شادن و حامل و حائض و فارك و طامث و طالق .[١٣]
وقد ساند الطبري الرأي الثاني ؛ لأن فاعل و مفعل إذا جاءت صفات للمؤنث تسقط منها تاء التأنيث ، أما إذا نسبنا إليها الأفعال التي ستقوم بها «واقعة» ، ولم تفعلها «تقع» ، فإننا نثبت «هاء التأنيث» ؛ لكي نفرق بين الصفة و الفعل .[١٤] يوسع الطبري النقاش عن طريق الشعر ، فيتمثل ببيت للأعشى يدل على إثبات هاء التأنيث «فيما هو واقع ، ولم يكن وقع» :

أيا جارتا بيني فإنك طالقة كذلك أمور الناس غاد و طارقه

فـ«طالقة» منسوب إلى الفعل المستقبلي ، لذلك أثبتت هاء التأنيث ، أما إذا اختص المبنى بالصفة فنحذفها ،

---

١٠ معاني القرآن للأخفش ٢ , ٣٧١ . ٦-٨ ؛ معاني القرآن للفراء ٢ , ٦٠ . ٤-٧
١١ الطبري ١٣ ، ١٢٢ . ٣ - ١٢٣ . ٧
١٢ الفراء ٢ ، ٢١٤ . ٧-١١
١٣ معاني القرآن ٢ ، ٤١٣ . ٢- ٦
١٤ الطبري ١٧ ، ١١٣ . ١٢ - ١١٤ . ٦

Digitized by Birzeit University Library

نحو قول امرئ القيس :

فمثلك حبلى قد طرقت و مرضع فألهيتها عن ذي تمائم محول

وينوه الطبري بأنه يجوز التذكير و التأنيث في كلتا الحالتين ، أي : مرضعة و مرضع ، ولكن «الفصيح» هو ما وصفه من التفرقة بين الفعل و الصفة .[١٥]

وهذا دليل آخر على حرية الطبري في اختيار آرائه دون وجل أو انتماء إلى مذهب نحوي لا يخرج عنه .

١٤. أيد الطبري البصريين و منهم الأخفش الأوسط في الاختلاف بين الكوفيين و البصريين في تأنيث العدد «اثنتي عشرة» ، مع أن المعدود «أسباطا» مذكر ، كما جاء في الآية : « **وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما**» [٧(الأعراف) : ١٦٠] .

الأمر المشكل في هذه الآية ، أننا لا نستطيع جعل «أسباطا» تمييزا ؛ لأنها جمع ، بينما يفترض أن يكون التمييز بعد العدد اثنتي عشرة مفردا ، أما من ثلاث إلى عشر ، فيأتي التمييز جمعا . والأمر الثاني : أن العدد «اثنتي عشرة» مؤنث ، و المعدود «أسباطا» مذكر .

فسر الفراء ورود العدد «اثنتي عشرة» مؤنثا على اعتبار أن كلمة «أمما » مؤنثة ، وليس نسبة إلى «أسباطا» ، أما الطبري فيؤيد الأخفش في أن «اثنتي عشرة» مؤنثة لوجود محذوف «قطع ، مفرده : قطعة» ، يصبح التقدير : وقطعناهم قطعا (فرقا) اثنتي عشرة أسباطا أمما .

فيعرب الطبري «أسباطا» ترجمة «بدلا من» عن كلمة «قطعا» ، أما الزجاج و النحاس و غيرهما فيعربوا «أسباطا» بدلا من العدد «اثنتي عشرة» .[١٦]

١٥. لم يحدد الطبري موقفا واضحا في الخلاف حول دخول الهاء على «يا أبته» ، وما هي ؟ أللوقف هي أم للتأنيث ، وذلك في الآية : « **إذ قال لأبيه يا أبت**»[١٩(مريم) : ٤٢] . ولكنه لا يصرح بتأييده لرأي النحاة البصريين .

بين الأخفش أن الهاء في يا أبه تشبه الهاء في يا أمه ، ولأن كلمة أب «ثنائية» ، فكأنها ناقصة ، لذلك تزاد التاء قبل ياء المتكلم ، كما في المثال : يا أبت أقبل .

أما النحوي الكوفي فيعتقد أن الهاء في «يا أبه» هي هاء الوقف ، تتحول إلى تاء في الوصل ، ويقول بأنها كثرت في الكلام حتى صارت كتاء التأنيث .[١٧]

١٦ . هنالك مسألة خطيرة الشأن ينجلي للأفهام من خلالها استقلالية فكر الطبري ، والتزامه أولا برأي أهل

---

١٥ المصدر السابق نفسه ؛ النحاس ، معاني القرآن ٣ ، ٨٥ . ٥-٩ ؛ البحر المحيط ٦ ، ٣٢٥

١٦ معاني القرآن للفراء ١ , ٣٩٧ . ١-٣ ؛ معاني القرآن للأخفش ٢ ، ٣١٣ . ٥-٧ ؛ الطبري ٩ ، ٨٨ . ١٣ - ٨٩ . ٨ ؛ معاني القرآن للزجاج ٢ ، ٣٨٢ -٣٨٣ ؛ إعراب القرآن للنحاس ٢ ، ١٥٦ ؛ البحر المحيط ٤ ، ٤٠٥

١٧ الطبري ١٦ ، ٨٩ . ١٨ - ٩٠ . ١-٢ ؛ معاني القرآن للأخفش ٢ ، ٤٠٣ . ٥-١١ ؛ إعراب القرآن للنحاس ٣ ، ١٨

Digitized by Birzeit University Library

السلف و التأويل ، وتسخيره لعلم العربية من أجل خدمة تفسير النص القرآني ، لأنه لا يرى أن القرآن هو المضمار الذي يتوسع فيه في المسائل النحوية واللغوية .

أشار الطبري إلى آية أثارت خلافا بين البصريين و الكوفيين في تأويلها ، ويدور خلافهم حول إداة الاستثناء «إلا» و ما نوع الاستثناء ؟

الآية التي يدور حولها الخلاف : « **يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون ، إلا من ظلم ... فإني غفور رحيم**» [٢٧ (النمل) : ١٠ , ١١] .

المشكل في هذه الآية أن المستثنى بعد «إلا» «من ظلم» لا يستثنى مما قبله ، وإنما يقع عليه الغفران كما ورد في نهاية الآية .

أورد الفراء أكثر من رأي ، منها أن الاستثناء منقطع ، فما بعد «إلا» لا يدخل في حكم ما قبلها ، تأويل «إلا» في الاستثناء المنقطع بمعنى «لكن» ، أي : ولكن من ظلم ، ولم يذكره الفراء ، ولكننا نعتمد في نقله على أبي حيان النحوي ، و منها أن الاستثناء متصل (أي المستثنى من جنس المستثنى منه) ، ولكن المستثنى منه محذوف ، قدره الفراء : لا يخاف لدي المرسلون ، إنما الخوف على غيرهم إلا من ظلم فإن هذا لا يخاف .

وذكر أيضا رأيا آخر لغيره من النحاة ، وربما يكون لشيخه الكسائي ، إذ كثيرا ما يعارضه في معانيه ، وهو أن تكون «إلا» في هذه الآية بمعنى الواو ، أي استثناء منقطع ، فيكون التقدير : لا يخاف لدي المرسلون و لا من ظلم ، وقد دحض الفراء هذا الرأي الأخير لأن الاستثناء هو إخراج ما بعد «إلا» من حكم ما قبلها ، وفسر النحاس الفرق هنا بين الواو و إلا : من خلال قولنا : جاءني أخوتك إلا زيدا ، فخرج ما بعد «إلا» «زيدا» من حكم ما قبلها «اخوتك» ، أما الواو في قولنا : جاءني إخوتك و زيد ، فقد دخل «زيد» في حكم ما قبل الواو «إخوتك» واشترك معها في الفعل .[١٨]

أما الأخفش فشبه هذه الآية بقولنا : ما أشتكي إلا خيرا ، أي أن المستثنى منه محذوف ، فقد تفرغ ما قبل «إلا» في العمل فيما بعدها ، فجاءت «إلا» للحصر فقط .[١٩]

رفض الطبري أقوال النحاة الكوفيين و البصريين في هذه المسألة ؛ لأنهم في رأيه يسيرون وفق «مذهب أهل العربية»، أي يضعون القياس في المرتبة الأولى ، ولا يقبلون ما يشذ عنه ، غير أن الطبري يلتزم في المرتبة الأولى بأقوال السلف و المفسرين ثم يعرج على آراء النحاة ، فما وافق منها رأي السلف يقبله ، و ما تعارض معه ألقاه دبر أذنيه .

يبدأ الطبري في هذه المسألة بتبيان حكم الاستثناء ، لكي نفهم الأمر المشكل في النص القرآني ، فيجب أن يكون حكم ما بعد إلا عكس ما قبلها ، فإذا كان ما قبل إلا منفيا ، جاء ما بعدها مثبتا ، نحو : ما قام القوم إلا زيدا ، فقد نفينا القيام عن القوم و أثبتناه لزيد ، وإذا كان ما قبل إلا مثبتا ، جاء ما بعدها عكس ذلك أي منفيا ، نحو : قام القوم إلا زيدا ، فأثبتنا القيام للقوم و نفيناه عن زيد .[٢٠]

يعتمد الطبري في إعرابه للآية على التابعي الحسن البصري ، وعبد الملك بن جريج في تفسيرهما ، وهو أن

---

١٨ معاني القرآن ٢ ، ٢٨٧ . ٤ - ١٧ ؛ إعراب القرآن للنحاس ٣, ٢٠٠ ؛ البحر المحيط ٧ ، ٥٥- ٥٦

١٩ معاني القرآن ٢ , ٤٢٨ . ٧- ١١

٢٠ الطبري ١٩ . ١٣٦ . ٢٦ - ١٣٧ . ٣

Digitized by Birzeit University Library

الله أخاف النبي موسى ، عليه السلام ، بسبب قتله للقبطي ، قبل هربه إلى مدين ، وفقا للنص القرآني ، أي أن الأنبياء إذا أذنبوا عوقبوا ، لذلك يصبح من الواضح أن الاستثناء كما يرى الطبري متصلا ، ولكن الآية تنقسم قسمين ، فالقسم الأول يتم «يتناهى أو ينتهي» عند «إلا من ظلم» ، ثم يبدأ كلام جديد : والتقدير كما يتأوله الطبري يصبح :

إني لا يخاف لدي المرسلون إلا من ظلم منهم ، فمن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني له غفور رحيم .

ويسمي الطبري الاستثناء المتصل حيث يكون المستثنى من جنس المستثنى منه الاستثناء الصحيح ، عكس الاشثاء المنقطع ، حيث لا يكون ما بعد «إلا» من جنس ما قبلها ، ونرى الطبري يستعمل مصطلح «الاستثناء» الصحيح في أكثر من موقع في تفسيره ، دلالة على شيوع هذا المصطلح لديه ، وربما لدى سابقيه و معاصريه . [٢١]

من خلال هذا التأويل يزيل الطبري اللبس أو التناقض في فهم الآية ، وهو أن قوله «غفور رحيم» تابع للقسم الثاني وليس الأول ، لذلك يصبح «من ظلم» بعد إلا مستثنى من حكم ما بعدها ، أي يقع عليه الخوف إذا اقترف ذنبا .

من وجهة نظر الطبري ، فإن الذي أوقع النحاة الكوفيين و البصريين في هذه الإشكالية هو اتكاؤهم على المنهج النحوي في تأويل النص ، دون مراعاة لأقوال المفسرين القدامى . وكأن الطبري ينعى على النحاة نهجهم هذا ، ونظرا لأهمية النص ننقله هنا : «و أما الذين ذكرنا قولهم من أهل العربية ، فقد قالوا على مذهب العربية ، غير أنهم أغفلوا معنى الكلمة و حملوها على غير وجهها من التأويل . وإنما ينبغي أن يحمل الكلام على وجهه من التأويل ، والتمس له على ذلك الوجه للإعراب في الصحة مخرج لا على إحالة الكلمة عن معناها ووجهها الصحيح من التأويل» . [٢٢]

لا يترك هذا النص المطول الذي اقتبسناه مجالا للشك في أنا الطبري يضع نصب عينيه في الدرجة الأولى أقوال أهل التأويل ، أي أن ا لطبري يتعامل مع علم العربية بما يخدم فهم النص القرآني و يوضحه فقط ، و لا يخرج عن ذلك ؛ لأنه ليس نحويا يعنيه المسائل النحوية و اللغوية المفصلة ، بل كان فقيها مفسرا يتعامل مع النحو العربي على أنه علم مؤد إلى فهم النص ، وليس علما مقصودا لذاته ، فهو من العلوم الضرورية التي ينبغي بالمفسر و الفقيه أن يجيده ليسهل عليه فهم النص ، والاجتهاد فيه ، ولكن ليس أن يجعل ذلك هدفا يسعى إلى تحصيله ، ويلم بمسائله العويصة و الدقيقة .

إذا نصل إلى نتيجة بكل اطمئنان وهي أن الطبري لم يكن نحويا بالمفهوم الموسع للكلمة ، ولم يسع ليكون نحويا متخصصا في علوم العربية ، ولكنه على ما يبدو كان يؤمن بتقسيم العلوم إلى علوم مقصودة ، تقصد لذاتها ، وعلوم وسيلة تؤدي إلى غيرها ، ينتمي الفقه إلى الضرب الأول ، أما علم العربية فينتمي إلى الضرب الثاني .

---

٢١ المصدر السابق ٢٧ ، ٦٦ . ١٣ ؛ ٣٠ ، ١٦٧ . ١١-١٤ ؛ ٣٠, ٢٤٦ . ١

٢٢ المصدر السابق ١٩ ، ١٣٨ . ٦-٩

Digitized by Birzeit University Library

٢:٣ القسم الثاني: دراسة مجموعة من المسائل الخلافية الواردة في تفسير الطبري، ومقارنتها بكتاب «الإنصاف» للأنباري ؛ من أجل التأكد من أصالة هذه المسائل، وملاحظة قضية مهمة تتعلق بصدق ما رواه الأنباري ودقته، وهل قام هو أو من سبقه بتلفيق هذه المسائل ونسبتها إلى النحاة القدامى،نحو الكسائي والفراء؟

١:٢:٣ العامل في رفع المبتدأ والخبر:

نلاحظ من خلال تفسير الطبري أن لهذه المسألة الخلافية المشهورة لدى النحاة العرب وجودا مكثفا في أكثر من موقع من التفسير؛ مما يدل على أصالة هذه المسألة وقدمها.

ولا ننسى أن الأنباري روى قصة المحاورة بين أبي عمر الجرمي والفراء حول العامل في رفع المبتدأ والخبر[١]؛ من خلال هذه المحاورة نستنتج عدة أمور:

١- يعتقد البصريون أن العامل في رفع المبتدأ «زيد» في الجملة: **زيد منطلق** هو الابتداء.

٢- من وجهة نظر الكوفيين، فإن المبتدأ والخبر يترافعان، أي: كل منهما هو العامل (اللفظي) في رفع الآخر؛ إذا كان الخبر مفردا نحو: «منطلق» في الجملة المذكورة في البند الأول.

٣- يعتقد الفراء أن المبتدأ «زيد» في الجملة « زيد ضربته » مرفوع «بالهاء» العائدة على «زيد»، «بالعائد من ذكره» هذا في حالة كون الخبر جملة وليس مفردا[٢].

يستعمل الطبري المصطلح الكوفي وهو «ترافع» المبتدأ والخبر، ويرى أن المبتدأ هو العامل في رفع الخبر، والخبر هو العامل في رفع المبتدأ، ففي الآية: «ذلك خير» [٧(الأعراف): ٢٦] يقول الطبري: «فيكون «خير» مرفوعا «بذلك»و «ذلك» به». وهو يتبع الفراء في موقفه من ترافع المبتدأ والخبر.[٣]

لكن من الجدير ملاحظته أن الطبري ينقل في الموقع نفسه عن أحد نحاة البصرة مصطلح «مرفوع على الابتداء»، ولكن على ما يبدو فهو يرفض هذا الرأي، ويرتضي لنفسه، عن قناعة، رأي أهل الكوفة هنا.[٤]

نجد مصطلح «مرافع» مستعملا في تفسير الطبري في وصفه للعلاقة بين المبتدأ والخبر، أي أن كليهما عامل في رفع الآخر[٥]، وهنالك دليل آخر على أن الطبري يعتقد أن الخبر عاملا في رفع المبتدأ، وليس فقط المبتدأ، وهو من خلال الآية: «**ولا تقولوا ثلاثة**» [٤(النساء): ١٧١].

---

١ الانصاف (١٩٩٨) ١, ٤٩ - ٥٤ المسألة رقم «٥»

٢ المصدر نفسه

٣ الطبري ٨, ١٥٠, ١٥ ؛ معاني القرآن للفراء، ١, ٣٧٥, ١١- ١٤

٤ الطبري ٨, ١٥٠, ٩

٥ المصدر السابق ١, ٤٠٩, ٩- ١٠ ؛ ١٤, ٨٨, ٣-٤

Digitized by Birzeit University Library

إذيرى الطبري أن «ثلاثة» خبر لمبتدأ محذوف تقديره «هو»، وهذا الضمير المحذوف هو الرافع للخبر «وكذلك كل ما ورد من مرفوع بعد القول لا رافع معه، ففيه إضمار اسم رافع لذلك الاسم». [٦]

وفي حال كون الخبر جملة، فإن الطبري يجعل المبتدأ مرفوعا بجملة الخبر بعده، كما في الآية «**الحاقة ما الحاقة**»[٦٩(الحاقة): ١-٢]، فالمبتدأ «الحاقة» الأولى، العامل في رفعه جملة الخبر بعده «وهي جملة اسمية تتكون من «ما» الاستفهامية وخبرها «ما الحاقة». [٧]

يصادفنا مصطلح آخر يستعمله الطبري، وهو الرفع أو المرفوع بالعائد من ذكره، ففي الآية: «**ذلك الكتاب لا ريب فيه**»[٢(البقرة): ٢] يقول الطبري بأن «ذلك الكتاب» مرفوع بالعائد من ذكره وهي الهاء الضمير المتصل في «فيه»، أي أنها، أي الهاء، هي السبب في رفع المبتدأ. [٨]

ولا يقتصر «الرفع بالعائد» على الضمير الموجود في الجملة الاسمية، بل يشمل ذلك، كما ورد لدى الطبري، شبه الجملة، نحو الآية: «**أولئك على هدى من ربهم**» [٢ (البقرة): ٥]، يقول الطبري: وتكون أولئك مرفوعة بالعائد من ذكرهم في قوله: «**على هدى من ربهم**» [٩].

ويقصد «بالعائد من ذكره» الضمير المتصل الهاء في «ربهم»، وكأن المقصود أن الهاء هي الرابط الذي يصل الخبر بالمبتدأ؛ لذلك نرى أن المحاورة المذكورة آنفا لدى الأنباري بين الجرمي والفراء تحوي معلومات دقيقة؛ لأن الفراء ذكر أن المبتدأ مرفوع بالعائد من ذكره في الخبر عندما يكون جملة فعلية، نحو: زيد ضربته، ولم يذكر في حال كونه اسما مفردا، نحو: زيد منطلق.

كما أننا نجد استعمال «العائد من ذكره» لدى الطبري إذا كان الخبر جملة فعلية، نحو: «**وطائفة قد أهمتهم أنفسهم**»[٣(آل عمران): ١٥٤]، المبتدأ «طائفة» مرفوع «بالعائد من ذكره» في الجملة الفعلية المفتتحة بـ«قد»، وهي الهاء المتصلة بالفعل «أهمتهم». [١٠]

ويظهر معنى مصطلح «الترافع» بين المبتدأ والخبر جليا لدى الطبري في الآية: «**براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم**» [٩(براءة): ١]، قال الطبري في إعراب «براءة» بأن ثمة وجهين:

أولهما: أن تكون «براءة» خبرا «مرفوعة بمحذوف»، أي أنها مرفوعة بمبتدأ مقدر تأويله «هذه».

ثانيهما: أن تكون «براءة» مبتدأ «مرفوعة بالعائد من ذكرها في قوله «**إلى الذين عاهدتم**» وهو الضمير المتصل التاء».

ويرى أن المسوغ في عمل الاسم النكرة «براءة» هو أنها بإضافة العبارة «من الله ورسوله» خصصت، لتقترب من درجة المعرفة. [١١]

---

٦ المصدر السابق ٦ , ٣٧ , ٥-٦

٧ المصدر السابق ٢٩ , ٤٧ , ١٨-١٩ ؛ مواضع أخرى في تفسير الطبري: ١ , ٣٠٠ , ٣٤٤ ؛ ٧ , ٢٤٠ ؛ ١٤ , ٨٨ ؛ ٢٧ ، ١١٦ ؛ ٢٩ , ٢٢٢ ؛ ٣٠ , ٣٤٣

٨ المصدر السابق ١ , ٩٩ , ٦-٧

٩ المصدر السابق ١ , ١٠٧ , ١٨-١٩

١٠ المصدر السابق ٤ , ١٤٢ , ١٣

١١ المصدر السابق ١٠ , ٥٨ , ٢٠-٢٤

Digitized by Birzeit University Library

وفي موضع آخر ورد ذكر «الرفع بالعائد» في الجملة الاسمية المسبوقة ب «إنما»، نحو: «**إنما بغيكم على أنفسكم**» [١٠(يونس): ٢٣]، فالمبتدأ «بغيكم» مرفوع «بالعائد من ذكره»، ألا وهو الضمير المتصل في «أنفسكم». [١٢]

ربما يرد أحيانا لدى الطبري مصطلح «الرفع بالعائد من ذكره» في جملة تامة تتكون من مبتدأ وخبر مفردين، ومن شبه جملة متعلقة بالمبتدأ، كما في الآية: «**بل الإنسان على نفسه بصيرة**» [٧٥(القيامة): ١٤]، فالمبتدأ «الإنسان» مرفوع «بالعائد من ذكره»، ألا وهو الضمير المتصل بـ «نفسه»، مع العلم أن الخبر «بصيرة»؛ لأن الجملة لا تصبح تامة إلا بها. [١٣]

قد يكون العائد من ذكره على المبتدأ لدى الطبري ضميرا مستترا، نحو: الآية: « **كل قد علم صلاته**» [٢٤(النور): ٤١] فـ «كل» مبتدأ رفع بالعائد من ذكره، وهو الضمير المستتر في «علم»، يقول الطبري: «ويكون «علم» فعلا «للكل»، أي أن الخبر هو الجملة الفعلية التي تبدأ بالفعل «علم». [١٤]

الوجه الآخر في الإعراب وفقا للطبري أن يكون «كل» مرفوعا «بالعائد من ذكره» وهو الهاء في «صلاته». [١٥]

لم يتردد الطبري في تبني مصطلح بصري أحيانا، كالرفع على الابتداء مقابل «الرفع بالعائد من ذكره»، وقد نراه يستعملهما جنبا إلى جنب؛ مما يظهر حرصه في المقام الأول على خدمة النص القرآني، وتسخير النحو من أجل ذلك، وليس العكس، كما في الآية: «**جنات عدن يدخلونها**» [١٦(النحل): ٣١]، فقد ذكر الطبري أن «جنات عدن» يجوز لنا أن نعربها مرفوعة على الابتداء، أو «بالعائد من الذكر»، وهو الهاء في «يدخلونها» [١٦]، ولكننا نرى، في أغلب الأحيان أن الطبري يستعمل المصطلح الكوفي.

٢:٢:٣ زيادة «واو العطف»

أورد الأنباري جانبا من هذه القضية، ضمن المسألة الرابعة والستين، وذكر أن نحاة الكوفة يؤيدون مجيء واو العطف زائدة، وقال بأن الأخفش والمبرد وأبا القاسم بن برهان من البصريين كان لهم موقف مشابه للكوفيين.

بينما منع البصريون مجيئها زائدة، وفقا للأنباري. وقد ذكر الطبري إلغاء «الواو» في الآية: «**حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها**» [٣٩(الزمر): ٧٣]، فيصبح تقدير الآية: حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها.

ما أورده الطبري يؤكد صحة ما جاء به الأنباري جزئيا وليس كليا؛ فما نسبه إلي الأخفش من تأييده للكوفيين صحيح وفق ما جاء في معانيه، فقد ذكر أن الواو زائدة، أي أن الجواب غير محذوف، وهو: فتحت أبوابها.

---

١٢ المصدر السابق ١١, ١٠١, ٨

١٣ المصدر السابق ٢٩, ١٨٥, ٥-٦

١٤ الطبري ١٨, ١٥٢, ١٨-١٩

١٥ المصدر السابق

١٦ المصدر السابق، ١٤, ١٥٥, ٢١-٢٣ ؛ وانظر: ١٧, ١٣٠, ٢٢؛ ١٣, ٢٢, ٢٠-٢٦

Digitized by Birzeit University Library

إذا تفحصنا أقوال الأخفش نجد أن ما نسب إليه ليس تاما فقد ذكر أن الواو زائدة، ولكنه بعد ذلك، ذكر رأيا آخر، يكون فيه الجواب مضمرا، أي أن الواو غير زائدة، وربما يقصد الأخفش بصاحب هذا الرأي سيبويه.[١٧] أما فيما يتعلق بالفراء، فإنه للأسف لم يتطرق إلى هذا الموضع في معاني القرآن، ولكنه، أي الفراء تطرق إلى زيادة «الواو» في مواضع أخرى من كتابه، وعلى ما يبدو، نقل الطبري عن الفراء من نسخة أكثر تفصيلا واتساعا من النسخة الحالية المتوافرة بين أيدينا.

تنبه الباحث إبراهيم رفيدة لهذه المسألة، وعالجها بعمق، وبين أن نقل الأنباري غير دقيق، صحيح أن الفراء يقول بزيادة الواو في مواقع مختلفة من تفسيره، ولكن ليس كل المواقع التي أشار إليها الأنباري، كما أن الفراء اشترط في زيادة «الواو» شرطا لم يذكره الأنباري، وهو أنها تزاد عندما تكون جوابا لـ «حتى إذا» و«لما» فقط، أي أن الآية المذكورة أعلاه تأتي فيها «الواو» زائدة. أما الآية: «**إذا السماء انشقت، وأذنت لربها وحقت**»[٨٤(الانشقاق): ١, ٢]، فإن الواو في رأي الفراء غير زائدة.

في الآية الأخيرة، نقلها الفراء عن «بعض المفسرين»، وعارضه الفراء في هذا الرأي: «ونرى أنه رأي ارتآه المفسر»، أي أن الفراء يشترط في زيادة «واو العطف» أن يتقدمها: حتى إذا كان، أو: فلما أن كان؛ أما الآية الأخرى التي ذكرها الأنباري، «واقترب الوعد الحق» في جواب: «**حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج**» [٢١(الأنبياء): ٩٦, ٩٧]، فإن الفراء يرى أن الواو زائدة، ولكن كما اشترط الفراء فقد سبقها «حتى إذا»؛ الأمر الذي يدل على خطورة التعميم في نسبة المسائل إلى نحاة الكوفة أو البصرة. وهكذا نرى أن ما نسبه الأنباري إلى الفراء أو الكوفيين يحتاج إلى تمحيص وتفصيل.[١٨]

يوجد ملاحظة أخرى تؤكد عدم دقة ما ينقله الأنباري أحياناً، فقد قال بأن المبرد، وهو من البصريين، يؤيد الكوفيين في زيادة «واو العطف»، وفي الحقيقة فإن ما جاء في كتاب «المقتضب» يبطل ما قال الأنباري، وقد أشار إلى هذه الملاحظة محقق الكتاب عضيمة، وهو أن المبرد، بعكس ما يقول الأنباري مع البصريين في القول بعدم زيادة الواو.[١٩]

ولكن علينا أن نتنبه إلى مسألة مهمة، وهي أن أقوال المبرد لم ترد في «المقتضب» فقط، فهنالك كتابه «الكامل»، والأهم منه كتاب «معاني القرآن» الذي كان يطلق عليه اسم الكتاب التام[٢٠]، وللأسف فقد سقط من يد الزمان ولم يصلنا، ويبدو أن كثيرا من العلماء اقتبسوا منه الكثير من المسائل المتعلقة بآية معينة في القرآن.

---

١٧ معاني القرآن ٢, ٤٥٧, ١٣ - ٤٥٨, ٦

١٨ الطبري ٢٤, ٣٦, ٥- ١٣ ؛ معاني القرآن للفراء ١, ١٠٧, ١٥- ١٦ ؛ ١, ٢٣٨- ١٦ ؛ ٣, ٢٤٩, ١٣ - ٢, ٢٥٠ ؛ رفيدة ١, ٢٥٦ - ٢٥٩ ؛

١٩ المقتضب ٢, ٨٠ - ٨١: يقول المبرد: « وزيادة الواو غير جائزة عند البصريين »، ملاحظة محقق الكتاب ص ٨٠ رقم «١»، وقد أشار رفيدة إلى تعارض ما نقله الأنباري مع ما ورد في «المقتضب»، ولكنه تجاهل الإشارة إلى ملاحظة محقق الكتاب عضيمة

٢٠ الفهرست (فلوجل) ٥٩, ١٩

Digitized by Birzeit University Library

وهذا ما لاحظناه لدى تلميذه الزجاج، فقد نقل عن شيخه المبرد رأيا في هذه الآية غير مذكور في «المقتضب»، يقول فيه المبرد بأن جواب «حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها « محذوف، تقديره: حتى إذا جاءوها . . . سعدوا، أي أن المبرد لا يتطرق إلى زيادة «واو العطف» هنا، بل يتحدث عن تقدير جواب «حتى إذا»، وهذا الالتباس وقع فيه الأنباري وغيره من الذين نسبوا القول بزيادة الواو إلى الكوفيين والمبرد من البصريين .[٢١]

ما قاله المبرد يتسق مع ما جاء في «الكتاب»، فقد سأل سيبويه الخليل عن الجواب في هذه الآية وما شابهها، كيف نقدره، وأجابه الخليل بأن العرب تترك الجواب «لعلم المخبر لأي شيء وضع هذا الكلام»، أي لم يتطرق سيبويه بصورة مباشرة إلى مسألة زيادة «واو العطف» هنا، ولكننا نستشف من إجابة الخليل عندما جعل الجواب محذوفا، بعد «وفتحت أبوابها» أنه لا يجيز زيادة الواو في هذه الآية، بعكس الفراء .[٢٢]

السؤال الذي يطرح هنا، هل كان الأنباري هو المبادر في نسبة زيادة واو العطف إلى الكوفيين ؟

في الحقيقة، سبقه إلى هذا غيره، وكان هو ناقلا أمينا، فقد أشار الزجاج إلى ذلك بصورة غير مباشرة، «فقال قوم: الواو مسقطة»، وربما قصد بقوله قوم الكوفيين، وقد أوضح النحاس رأي الزجاج فقال بأن الكوفيين يقولون عن الواو زائدة .[٢٣]

وسبق أيضا ابن جني الأنباري في إضافة الزيادة في واو العطف إلى الكوفيين في الآية المذكورة أعلاه. فقال ابن جني بأن الكوفيين يرون أن الجواب عن: «حتى إذا جاءوها» هو «فتحت أبوابها »، أي أنه موجود في الآية لا يحتاج إلى تقدير، بعكس البصريين الذين يقدرون أن الجواب محذوف، أي أن «واو العطف» لا يجوز أن تأتي زائدة هنا، ويؤيد ابن جني البصريين في رأيهم .[٢٤]

أما الطبري فقد وقف في هذه المسألة إلى جانب نحاة البصرة في عدم إجازة الزيادة، بما ينسجم وآراءه الدينية في عدم إضافة الزيادة إلى النص القرآني؛ لذلك قال بأن الجواب متروك في الآية السابقة .[٢٥]

لا يتسم موقف الطبري من هذه المسألة بالانسجام التام، ففي مواضع أخرى نراه ينقل عن الفراء رأيه في زيادة «واو العطف» دون تعليق، ودون أن ينسب هذا الرأي للفراء، وكأني به يوافقه أحيانا، فيتبع الطبري الفراء في تسمية «الواو» الزائدة، معناها السقوط، أو: المقحمة، أو: إلقاء الواو .[٢٦]

---

٢١ معاني القرآن ٤ ٣٦٣ - ٣٦٤ ؛ إعراب القرآن للنحاس ٤ , ٢٢ ١٦ : يقول النحاس : «قال محمد بن يزيد [المبرد]: أي سعدوا

٢٢ الكتاب (١٩٩٩) ٣, ١١٩ , ١٧ - ١٢٠ , ٢

٢٣ معاني القرآن للزجاج المصدر السابق ؛ إعراب القرآن المصدر السابق

٢٤ الخصائص (هنداوي) ٢ , ٢٢٢ ؛ شرح المفصل (٢٠٠١) ٥ , ١١- ١٢ ، استعمل ابن يعيش اسم البغداديين بدلا من الكوفيين ؛ البحر المحيط ٧, ٤٢٥ ؛ مغني اللبيب ٤٧٣- ٤٧٤

٢٥ الطبري المصدر السابق

٢٦ الطبري (شاكر) ٧, ٢٩٢ ,٨- ٢٩٣ , ٣ ؛ ١٧, ٩٢, ١١-١٨ ؛ ٣٣, ٨٠, ٢٢-٢٣ ؛ ٣٠, ١١٤, ١٦-٢٩

Digitized by Birzeit University Library

٣:٢:٣ هل يجوز العطف على الضمير المخفوض

هذه المسألة الخلافية هي المسألة الخامسة والستون من مسائل كتاب «الإنصاف» ، يقول الأنباري فيها بأن الكوفيين يجيزون العطف على الضمير المخفوض دون تكراره، وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز ذلك .[٢٧] الآية التي يستند إليها نحاة الكوفة، وفقا للأنباري، هي : «**واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام**» [٤(النساء) : ١]، بخفض كلمة «الأرحام»، عطفا على الهاء في «به»، دون إعادة حرف الجر «الباء» قبل «الأرحام»، فهنا تم عطف الاسم الظاهر «الأرحام» على الضمير .

وقف الطبري ضد هذا التأويل، وقال عنه : «غير فصيح من الكلام عند العرب »، لأنه يرى أنه لا يجوز عطف الظاهر على الضمير (المكني)، إلا في ضرورة شعرية، ويدعو الطبري أيضا إلى عدم استعمال هذا الأسلوب غير الفصيح في «الكلام» . هذا الرأي منقول عن الفراء، مما يدعو إلى الدهشة، فمن يقصد الأنباري، تحديدا، بكلمة «الكوفيين»، مما لا شك فيه أن الأنباري لا يؤلف ذلك من عنده، ولكن تعميم النسبة إلى الكوفيين، يوقعنا في اللبس والغموض .[٢٨]

٣:٢:٤ فعل الأمر: هل هو مبني أم معرب

هذه المسألة الثانية والسبعون من مسائل كتاب «الإنصاف»، يقول فيها الأنباري بأن الكوفيين يذهبون إلى أن فعل الأمر «اذهب» معرب مجزوم ؛ لأن أصله : لتذهب، أي فعل مضارع اتصلت به لام الأمر والتاء «من حروف المضارعة»، بينما يذهب البصريون إلى أن فعل الأمر نحو : اذهب مبني على السكون .[٢٩]

يعتمد في هذه المسألة على الآية : «**فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون**» [١٠(يونس) : ٥٨]، فأصل الفعل «فلتفرحوا» افرحوا، أي أمر المخاطب : افعل أصله : لتفعل .

وبالرجوع إلى» معاني القرآن» للفراء نجد دليلا على صحة ما قاله الأنباري في أن أصل فعل الأمر للمخاطب نحو : اذهب هو : لتذهب، ولكن علينا أن ننتبه إلى أن الفراء لم يقل بأن فعل الأمر مبني بسبب أصله كما جاء لدى الأنباري، وإنما هي نتيجة استخلصها نحاة متأخرون من الكوفة أو من الذين تتلمذوا للفراء ؛ لأن نص الفراء واضح في هذا الشأن ؛ فهو يناقش قراءة قرآنية في الآية : « فليفرحوا»، منسوبة إلى الصحابي زيد بن ثابت : فلتفرحوا، للمخاطب مسبوقا بلام الأمر، فيوضح الفراء أن «لتفرحوا» تحولت إلى : افرحوا ، فحذفنا التاء وهي من حروف المضارعة، ثم حذفت اللام لكثرة الاستعمال في الكلام، وأتينا بألف الوصل في : اضرب وافرح ؛ لأنه لا يجوز الابتداء بالساكن، فالضاد في «اضرب» ساكنة، لذلك هي مسبوقة بألف الوصل،

---

٢٧ الانصاف (١٩٩٨) ٢ , ٣- ١٢

٢٨ الطبري (شاكر) ٧ , ٥١٩ , ١٤ - ٥٢٠ , ٦ ؛ معاني القرآن ١ , ٢٥٢ , ٨- ٢٥٣ , ٢ ؛ ديره ٣٥١- ٣٥٦ ؛ رفيدة ١ ، ٢٦٩ - ٢٧٠

٢٩ الانصاف (١٩٩٨) ٢ , ٥٩ - ٨٠

Digitized by Birzeit University Library

ولم يذكر الفراء في أثناء حديثه هذا أن فعل الأمر مبني أو معرب .

أما الإمام الطبري، فعارض الفراء بشدة في تخريجه لقراءة : فلتفرحوا ، وعارضه بحجة أن ذلك خروج عن الفصيح المعروف من كلام العرب، وليس بمعروف في أية لهجة من لهجات القبائل العربية المشهورة، ولا يمتلك الفراء دليلا على صحة ما ذهب إليه، وفقا للطبري .

٣: ٢: ٥ العامل في نصب الفعل المضارع بعد واو المعية

في المسألة الخامسة والسبعين من «الإنصاف»، يقول الأنباري بأن الكوفيين يذهبون إلى أن الفعل المضارع «تشرب»، في الجملة :

لا تأكل السمك وتشرب اللبن منصوب على الصرف، لأن الثاني مخالف للأول، فلا يستقيم عطف الفعل «يشرب» على «تأكل»، فنحن لا ننهى عن شرب اللبن، ولكن ننهى عن شرب اللبن مع أكل السمك، لذلك لا يجوز إعادة تقدير «لا الناهية» قبل «تشرب»، فيصبح التقدير : لا تأكل السمك وأنت تشرب اللبن .

أما البصريون فيرون أن الفعل «تشرب» منصوب بـ«أن» مضمرة قبل الفعل .[٣٠]

استعمال الطبري لمصطلح الصرف، كما أسلفنا في باب مصطلحات الطبري، يدل على أنه يتبع المذهب الكوفي في هذه المسألة، وخاصة الفراء، لأنه ينقل عنه حرفيا، مما يدل على صحة ما أورده الأنباري من آراء للكوفيين هنا .

ففي الآيتان : « **ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق**»[٢(البقرة) : ٤٢] والآية : «**ويذرك وآلهتك**» [٧(الأعراف) : ١٢٧]، يقول الطبري بأن الفعل «تكتموا» منصوب على الصّرف، وليس بأن مضمرة، وكذلك الحال بالنسبة للفعل «ويذرك» ؛ مما يدل على اتباع الطبري لمنهج أهل الكوفة، وخاصة الفراء .[٣١]

٣: ٢: ٦ موضع ضمير الفصل من الإعراب

هذه هي المسألة المائة من مسائل «الإنصاف»، وفيها يسمي الكوفيون الفصل عمادا، ولكنهم يختلفون في إعرابه : فمنهم، وفقا للأنباري، من ذهب إلى أن له محلا من الإعراب، ومنهم من قال بأنه لا محل له من الإعراب، ومنهم من جعله يتبع في الإعراب ما قبله، ومنهم من جعله يتبع في الإعراب ما بعده، أما البصريون فيقولون بأنه لا محل له من الإعراب .[٣٢]

من خلال تفسير الطبري، ومعاني القرآن للفراء نستنتج أن الأنباري ربما اعتمد في هذه المسألة فيما يتعلق

---

٣٠ الانصاف (١٩٩٨) ٢ , ٨٧-٨٨

٣١ الطبري (شاكر) ١ , ٥٦٩- ٥٧٠ ؛ ١٣ , ٢,٣٧-٨ ؛ معاني القرآن ١ , ٣٣,١١ - ٣٤,١٥ ؛ ٣٩١, ١٠

٣٢ الانصاف (١٩٩٨) ٢ , ٢١٣- ٢١٤

Digitized by Birzeit University Library

بآراء الكوفيين على مصادر متأخرة غير الفراء ؛ لأننا لو تتبعنا الفراء والطبري في شرحهما لإعراب العماد (ضمير الفصل) «هو» في الآية : «**اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك**»[٩(الأنفال) : ٣٢]، لما وجدنا ما قاله الأنباري دقيقا .

يقول الفراء في إعراب «الحق» في الآية : في «الحق» النصب والرفع ؛ إن جعلت «هو» اسما، رفعت «الحق» ب «هو»، وإن جعلتها [هو] عمادا، بمنزلة الصلة [الحرف الزائد] نصبت «الحق «، كلام الفراء واضح كل الوضوح في أنه يوافق البصريين في إعرابهم لضمير الفصل لا محل له من الإعراب، فهكذا أعرب العماد، لأنه لا يؤثر في إعراب ما بعده، ولا نجد الوجوه التي نسبها الأنباري للكوفيين .[٣٣]

٣:٢:٧ الفصل بين المضاف والمضاف إليه

قال الأنباري في المسألة الستين بأن الكوفيين يجيزون الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف وحرف الجر في لغة الشعر، مستندين إلى بيت شعر يؤيد ما ذهبوا إليه، وهو :

فزججتها بمزجة زج القلوص أبي مزاده

وتقدير البيت : زج أبي مزادة القلوصَ، ففصل بين المضاف والمضاف إليه عن طريق المفعول به «القلوص» .
أما نحاة البصرة فقالوا بأنه لا يجوز الفصل بينهما بغير الظرف أو حرف الجر .[٣٤]

كلام الأنباري لا يتفق مع ما جاء لدى الفراء، تعليقا على الآية السالفة الذكر، بل العكس هو الصحيح، فإن الفراء ينكر ذلك، ولا يعول على الشاهد الذي ذكره الأنباري، لأنه غير شائع عند العرب هذا الأسلوب، وينسب الفراء هذا الرأي إلى ما يسميه بنحويي الحجاز .

وقد جاء كلام الفراء في أثناء حديثه عن قراءة في «مصاحف» أهل الشام للآية : « **زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم**» [٦(الأنعام) : ١٣٧]، والقراءة الشامية بضم الزاي من «زين» الفعل المبني للمجول، ورفع «قتل» ونصب «أولادهم» مفعولا به، و«شركائهم» مجرورا، ففصل بين «قتل» و«شركائهم» بالمفعول به «أولادهم»، أي بغير الظرف وحرف الجر، والتقدير، وفقا للطبري يصبح : زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادَهم. وقد رأى الطبري أن هذا لا يجوز في العربية، وبالغ في ذلك، معتبرا هذه القراءة من القبيح، غير الفصيح في كلام العرب، ولكن الطبري لم يذكر أن هذا الرأي لنحويي الحجاز، بل قال بأن بيت الشعر لأحد شعراء الحجاز، وقال بأن علماء الشعر في العراق ينكرون صحة هذا البيت، ويرفضون الاستشهاد به .[٣٥]

فليت شعري، إذا كان الفراء، وهو رأس الكوفيين، يعترض على من قال بالفصل بين المضاف والمضاف

---

٣٣ الطبري (شاكر) ١٣ , ٥٠٧ , ١٤ - ٥٠٩ , ٢ ؛ معاني القرآن ١ , ٤٠٩ , ٥-٦

٣٤ الانصاف (١٩٩٨) ١ , ٣٨٢ - ٣٨٨

٣٥ معاني القرآن ١ , ٣٥٧ , ٦- ٣٥٨ , ٤ ؛ الطبري (شاكر) ١٢ , ١٣٧ , ١٨- ١٣٨ , ١٢

Digitized by Birzeit University Library

إليه بهذه الطريقة، فمن غيره من الكوفيين قال ذلك، نحن لا نشكك في مصداقية الأنباري في النقل، ولكن علينا أن نعرف أن «الكوفيين» لا تعني النحاة الكوفيين قاطبة، فقد ثبت لنا أن هنالك تيارات، واختلافات في الرأي بين نحاة الكوفة، فلم تكن آراؤهم موحدة، كما هو الحال لدى البصريين. لذلك يبدو أن الأنباري اعتمد على مصادر كوفية سقطت من يد الزمان، ولم تصلنا.

Digitized by Birzeit University Library

١:٣:٣ القسم الثالث: هل تؤدي نتائج هذا البحث، في ضوء تفسير الطبري، الى أن مسائل الخلاف بين المذهبين أصيلة أم أنها وضعت على ايدي المتأخرين من النحاة؟

يتطرق هذا القسم إلى المسائل الخلافية التي جاءت في تفسير الطبري، ولكن من الجدير ملاحظته، أن مجموعة من المسائل المشهورة في الخلاف بين النحاة لم يرد ذكرها في تفسير الطبري ؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر : مسألة الاختلاف في أصل اشتقاق الاسم؛ وهي المسألة الأولى في «الإنصاف»، وفيها يقول الأنباري بأن الكوفيين يرون أن الاسم مشتق من «الوسم»، أي العلامة، أما البصريون فذهبوا إلى أن الاسم مشتق من السمو، بمعنى العلو والارتفاع.[٣٦]

لم يعلق الطبري في معرض حديثه عن «بسم الله» على اشتقاق «اسم»، فلا نجد أنه تأثر بما نقل عن اشتقاق الكوفيين الاسم من «الوسم»، ولم نجده يذكر ذلك أيضا في مواقع أخرى من تفسيره[٣٧].

المسألة الخلافية الأخرى هي مسألة القول في أصل الاشتقاق، أهو الفعل أم المصدر ؟ وهي المسألة الثامنة والعشرون من مسائل الأنباري، حيث يذكر فيها أن الكوفيين يزعمون أن المصدر مشتق من الفعل، ويذهب البصريون إلى أن الفعل مشتق من المصدر.

ولم يعن الطبري بهذه المسألة أيضا، بالرغم من شهرتها بين المتأخرين من النحاة، وأهميتها ؛ فقد خصص لها الأنباري فصلا مطولا في كتابه، لأنها من المسائل التي أثارت نقاشات حادة، بين المذهبين [٣٨].

يبدو أن الطبري لم يُعنَ كثيراً بالمسائل النظرية في النحو.

من خلال اطلاعنا على المسائل الخلافية في النحو في تفسير الطبري، توصلنا إلى النتائج التالية:

١:٣:٣ منهج الطبري في استعراض المسائل الخلافية، وشرحها:

لقد أحصيت في تفسير الطبري ما يزيد على المائة مسألة، ولاحظت أنه يبدأ في هذه المسائل الخلافية النحوية بين الكوفيين والبصريين، يبدأ بذكر آراء أهل البصرة وحججهم، في الغالبية الساحقة من هذه المسائل، يقصد الطبري «ببعض نحويي أهل البصرة» الأخفش الأوسط وأحيانا أبا عبيدة، بالإضافة إلى نحاة بصريين آخرين لا نعرف هويتهم[٣٩].

ثم ينتقل بعد ذلك إلى ذكر نحاة الكوفة وآرائهم وحججهم، وغالبا ما يعني الطبري بـ«بعض نحويي الكوفة» الفراء، بالإضافة إلى غيره من نحاة الكوفة كالكسائي وغيره من النحاة الذين يصعب تحديد هويتهم؛ لعدم وصول الكثير من المصادر الكوفية إلينا.

---

٣٦ الانصاف (١٩٩٨)١ , ١٧- ٢٣

٣٧ الطبري (شاكر) ١ ، ١١٤- ١٢٢

٣٨ الانصاف (١٩٩٨) ٢١٧- ٢٢٤

٣٩ انظر : لاحقاً، الملاحظات في الحاشية: ٤٢ , ٤٤-٥٣

Digitized by Birzeit University Library

ثم ينتقل بعد ذلك إلى الحكم على هذه الأقوال؛ فيرجح أحدها على الآخر، أو يرفض كليهما، أو يعبر عن رأي مستقل ينفرد به.

وقد لاحظنا أن الطبري يرجح أقوال الكوفيين فيما يزيد عن خمسين مسألة خلافية في النحو من هذه المسائل المائة.

ويرجح أقوال البصريين في مجموعة صغيرة من هذه المسائل، أما ما تبقى منها، فلا يعبر عن رأيه، أو يعبر عن رأي مستقل.

يخالف منهج الطبري ما انتهجه الأنباري في «الإنصاف»، حيث يبدأ الثاني بسرد رأي الكوفيين في المسألة الخلافية أولا، ثم يلي ذلك رأي البصريين، ثم يذكر الأنباري حجج الكوفيين وأدلتهم، وما أوردوه من نقاشات مفصلة، ثم يذكر الأمر ذاته فيما يتعلق بحجج البصريين.

وأخيرا يقوم الأنباري بذكر «الجواب عن كلمات الكوفيين»، فيقوم بدحض حججهم، وتفنيد آرائهم والرد عليها، لأنه في الغالبية الساحقة من هذه المسائل في كتابه «الإنصاف» يؤيد البصريين، ما عدا سبع مسائل فقط أيد فيها الكوفيين.[٤٠]

إذا فالأنباري يقدم الكوفيين في نقاشه عندما يعرض حججهم، لدحضها ورفضها، وليس من أجل تأييدها وتبنيها.[٤١]

كما رأينا فمنهج الطبري مغاير للأنباري، فالأول يبدأ في معظم المسائل الخلافية في النحو، بقوله: «فقال بعض نحويي البصرة»، ثم ينتقل إلى الرأي المخالف للنحوي الكوفي بقوله: «وقال بعض نحويي الكوفة»، ثم يرجح الطبري أحد هذه الأقوال، أو يختار رأيا منها، وعادة ما يقف إلى جانب الكوفيين.

السؤال الذي يطرح هنا، هل يوجد هنالك أوجه شبه بين منهج الأنباري والطبري في عرض المسائل الخلافية؟

قبل الإجابة عن السؤال، علينا أن نضع في أذهاننا أن الأنباري بدأ بذكر الكوفيين في المسائل الخلافية، ثم ذكر البصريين، واختار رأي البصريين في الغالبية الساحقة منها.

كذلك الأمر بالنسبة للطبري، فإنه في أكثر من مائة مسألة بدأ بذكر آراء أهل البصرة، ثم يليها أهل الكوفة، وفي معظم هذه المسائل وقف إلى جانب الكوفيين.

لعل الأنباري والطبري قدما الرأي المستبعد والمستهجن، ثم ذكرا الرأي المقبول، ليكون أكثر التصاقا بالذهن، وأقرب إلى النتيجة التي يخلص إليها كل منهما، عندما يرجح رأي أحد المذهبين، وهو في الغالب تفضيل الرأي الثاني على الأول.

ربما كانت هذه الطريقة في عرض الآراء والمناقشات والمحاججات قديما تميز منهج الفقهاء الذين نشأوا وتدربوا على محاججة الخصم، وإقناعه، أو إفحامه، متأثرين بأساليب المناطقة والفلاسفة المسلمين المتأثرين بالفكر اليوناني.

---

٤٠ المخزومي، مدرسة الكوفة ٤١٣- ٤١٤

٤١ على سبيل المثال لا الحصر، انظر المسألة الأولى في الانصاف (١٩٩٨) ١, ١٧- ٢٣ ؛ وانظر: فاضل السامرائي، الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين لابن الأنباري، مجلة كلية الآداب، العدد ١٣ (١٩٧٠)، ٤٢٠- ٤٢١

Digitized by Birzeit University Library

ولا ننسى أن الطبري فقيه مجتهد في الدرجة الأولى، صبغت لغته بصبغة فقهية واضحة في أسلوب عرض الآراء ؛ هذا الأمر، ربما يفسر منهج الطبري الذي اتبعه في ترتيب آراء المذهبين الكوفي والبصري.

أما الأنباري فمن غير المشكوك فيه، أنه استعمل لغة الفلسفة والمنطق، واستعار ألفاظ الفلاسفة وعباراتهم ومصطلحاتهم، أثناء احتجاجه ومناقشته للآراء النحاة؛ مما يدل على ثقافته الواسعة في الفلسفة والمنطق، وخاصة أنه ذكر في مقدمة كتابه «الإنصاف» ترتيبه المسائل الخلافية، وفقا للمسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة.[٤٢]

أما فيما يتعلق بمنهج الطبري في تلخيص آراء الكوفيين والبصريين، فتظهر لغته الفقهية بوضوح، فنجد الطبري عادة ما يختم النقاش بين الطرفين بقوله: «وهذا القول عندي أشبه بالصواب»، أو، «والصواب من القول في ذلك عندي. . .»، أو « وهذا القول الثاني أشبه بالصحة على مذهب أهل العربية»، أو «والصواب من القول في ذلك عندي القول الثاني»، أو «وهذا القول الثاني أولى بالصواب عندي من الأول ؛ للعلل التي ذكرت لصاحبها »، أو «وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي»، أو « والصواب عندنا في ذلك ».

ولكن من الجدير ملاحظته، أن الطبري أحيانا يبدأ بذكر حجج أهل البصرة، ثم أهل الكوفة، كغالبية مسائله، وفي نهاية المطاف نجده يختار الرأي البصري، أي يخرج عما قررناه أعلاه[٤٣].

وعلينا أن ننتبه أنه فيما يزيد على خمس عشرة مسألة خلافية، يبدأ بذكر رأي أهل الكوفة، ثم يذكر رأي أهل البصرة، ويرجح في نهاية النقاش رأي الكوفيين، إذن علينا أن نلازم الحذر، فلا نعمم في كل المسائل الخلافية القاعدة المذكورة أعلاه في تفسير الطبري.

عندما يرفض الطبري أقوال الكوفيين والبصريين، يجمل النقاش بقوله: «و الصواب من القول في قوله. . . عندي غير ما قاله هؤلاء الذين حكينا قولهم من أهل العربية »، أو « ولا وجه لهذه الأقوال التي حكيناها عن هؤلاء. . . ».[٤٤]

نلاحظ أيضا أن الطبري في مجموعة من المسائل الخلافية النحوية التي عرضها، لا يذكر أهل الكوفة أو البصرة، بل يكتفي بقوله: « فقال بعضهم» و«قال بعض من أنكر هذا القول منهم »، وقال آخر « وكان بعض أهل العربية يقول. . . »، و« وقال آخرون. . . »، و«قال بعض من أنكر هذا القول منهم».

نود التنبيه إلى أن الطبري كثيرا ما يقصد في التفسير بقوله: «قال بعض نحويي البصرة»، أحد نحويي البصرة، فتدل «بعض» أحيانا كثيرة في لغة الطبري على أحد وليس على مجموعة من النحاة.[٤٥]

---

٤٢ المخزومي ٤١٠- ٤١٢ ؛ الانصاف (١٩٩٨) المقدمة ١٥

٤٣ الطبري ١, ٣٠١ ؛ ٥٢١ ؛ ٤, ٤٩ ؛ (شاكر)٦, ٢٠٤ ؛ (شاكر)٦, ٢٧٠ ؛ ٦, ٢٦٠ ؛ ٧, ١١٩- ١٢٠ ؛ ٨، ١٠ ؛ ٨, ٩٣ ؛ ٩, ٣١- ٣٢ ؛ ١١, ١٤٥, ١٥٦-١٥٧ ، ١٥٩ ؛ ١٢, ٤٥-٤٦ ؛ ١٢, ٧٦ ؛ ١٤, ١٢٧ ، ١٨١ ؛ ١٦, ١٢١ ؛ ١٩, ١٣٦ ؛ ٢٣, ٣٥ ؛ ٢٧, ٥٧, ١١١, ١١٦ ؛ ٢٨, ٩٠ ؛ ٢٩, ١٧٦ ؛ ٣٤٣

٤٤ المصدر السابق

٤٥ المصدر السابق

Digitized by Birzeit University Library

٢. آراء النحويين التي يوردها الطبري في المسائل الخلافية، منقولة عن كتب معاني القرآن، وإعرابه، ومجازه، ومتشابهه، وتأويل مشكله وغير ذلك من كتب المعاني والتفسير المتخصصة في شرح الآيات القرآنية المشكلة التي تواجه الدارسين.[٤٦]

قلما نجد الطبري ينقل عن كتب النحو المتخصصة في النحو الكوفي والبصري مباشرة، نحو: الكتاب لسيبويه أو كتب الأخفش في النحو، أو كتب المازني أو الجرمي، أو كتاب الحدود للفراء وغير ذلك من الكتب المؤلفة أصلا من أجل شرح أبواب النحو المختلفة.

ربما تتعلق هذه الملاحظة بفكر الطبري وآرائه الدينية، كما سيأتي، لأنه يبجل النص القرآني ويجله، ويربأ به عن الخوض في مسائل النحو الجافة، لأن التفسير القرآني ليس مضمارها المناسب، فالنص القرآني نص ديني مقدس منزه عن خلافات النحاة ومحاججاتهم.

٣. نلاحظ من خلال المسائل الخلافية التي اطلعنا عليها في تفسير الطبري، أنه مستقل في تفكيره، لا يعنيه، بالدرجة الأولى الانتماء إلى مذهب نحوي معين دون غيره، وإنما الاهتمام منصب لديه على إيضاح معنى الآية، وإزالة الغموض الذي يلابس تفسير بعض الآيات، فهو يضع النحو في خدمة النص القرآني، وليس العكس.

يتسم نقل الطبري عن غيره من النحاة بالمصداقية، والتجرد، المهم أنه لا يحاول، بعكس ما فعل الأنباري في «الإنصاف»، تطويع أقوال النحاة وتجييرها، لتنصب في دعم مذهبه النحوي، ودحض حجج خصومه.

كما نلاحظ أنه جريء في انتقاد الرأي الذي يراه مخالفا لأقوال السلف أو المفسرين، أو مخالفا لما يفهمه من النص القرآني، سواء كان هذا الرأي لنحوي كوفي أم بصري ؛ فالانتماء إلى المذهب الكوفي في النحو، لم يكن يؤرق الطبري، فينبري مدافعا مخلصا، ومتحمسا ضد خصومه، مؤيدا لأصحاب مذهبه، كان الطبري في الدرجة الأولى فقيها مجتهدا، صاحب مذهب مستقل في الفقه والتفسير، وهذا ما كان يعنيه أولا وآخرا.

٤. رأينا فيما سبق، أن الطبري يختار آراء الكوفيين في معظم المسائل الخلافية في النحو، لذلك يتبادر إلى الذهن السؤال التالي:

هل اختار الطبري آراء الكوفيين في النحو، لأن النحو الكوفي، ربما يكون مناسبا أكثر من غيره لمناهج المفسرين ومذاهبهم ولغتهم ؟ وهل هو أقرب إلى فهم لغة القرآن الكريم من غيره ؟

ليس من السهل الإجابة عن هذا السؤال، وربما تطلب الأمر بحثا آخر مفصلا، ليس في هذا البحث متسع للإطالة فيه.[٤٧]

---

٤٦ أنظر أعلاه، الفصل الاول، من ١ : ١ وحتى ٨ : ١

٤٧ تجدر الإشارة إلى أن فيرستيخ (١٩٩٣) أكد كلام طلمون في أن المدرسة الكوفية في النحو لها الاسبقية في النحو العربي، واستطاع فيرستيخ أن يثبت من خلال دراسته لمجموعة من التفاسير القديمة هذه الصلة بين التفاسير والنحو الكوفي، لاحتواء هذه التفاسير على الكثير من المصطلحات المشتركة مع المدرسة الكوفية في النحو؛ فيرستيخ (١٩٩٣) ٩٦-١٥٨، ٢٠٤-٢٠٥.

Digitized by Birzeit University Library

٥ . نوجه في هذه الملاحظة السؤال التالي :

ما هي طبيعة المسائل الخلافية النحوية في تفسير الطبري ؟ هل هي جوهرية أساسية، تتناول أصول النحو وأبوابه الرئيسة، أم هامشية، تتعلق بالفروع فقط، ولا تخرج عن الأصول التي قعدها النحاة البصريون كالخليل وسيبويه والأخفش الأوسط ؟

النتيجة التي نخلص إليها من خلال دراسة المسائل الخلافية في تفسير الطبري تظهر أن مجموعة منها، تتعلق بمجموعة من الأصول في النحو، كباب المبتدأ والخبر، وقضية ترافعهما، والعامل في رفع المبتدأ بالظرف وشبه الجملة من الجار والمجرور، وقضية تقسيم الفعل إلى الماضي والمستقبل والدائم .

ولكن معظم المسائل الخلافية في تفسير الطبري مرتبطة ارتباطا وثيقا بالنص القرآني، وتوضيح مشكله في الإعراب والمعاني، لذلك فالكثير من هذه المسائل تقوم على المواضيع التالية، على سبيل المثال لا الحصر، لأن هذا مما يطول البحث في شرحه :

١- اختلاف النحاة في موضع كلمة من الإعراب، مثل الاسم الموصول ما ومن، أو اختلافهم في العامل في رفع كلمة معينة في القرآن .[٤٨]

٢- اختلاف نحاة الكوفة والبصرة في نصب كلمة من القرآن .[٤٩]

٣- اختلاف النحاة في تكرير حروف المعاني، أو تكرير الاستفهام، أو تكرير ألفاظ التوكيد المعنوي .[٥٠]

٤- اختلاف النحاة في «وجه» سبب سقوط «حذف» «أن»، أو وجه دخول لام الابتداء في بعض الأسماء، أو دخول لام الملكية على بعض الأسماء، أو معنى حرف الجر «في»، أو فتح الألف من «لأن»، أو معنى «ما» في الآية، أو في معنى ما التي مع رب، أو في وجه دخول الفاء على الجواب، أو في إضافة حرف أو حذفه من كلمة، أو معاني الحروف ومعناها في الآية كأدوات الاستفهام، ومعاني الكاف والباء والواو وغير ذلك من حروف المعاني .[٥١]

٥- اختلاف النحاة في تمام الخبر في الكلام وانتهائه .[٥٢]

---

٤٨ الطبري ٧, ٢٣٩ ؛ ٨, ١٥٠ ؛ ١١, ١٠٩, ١٥٩ ؛ ١٣, ١٦١-١٦٢ ؛ ١٤, ١٨١ ؛ ١٧, ١٢٤ ؛ ٢٠, ٥ ؛ ٢٤، ٢٤ ؛ ٢٥, ١٣٠ ؛ ٢٧, ١٧١ ؛ ٢٩, ٧٥ ؛ ٣٠, ٣٤٣

٤٩ المصدر السابق ١٢, ١٤٥, ٣٤, ٤٦, ٥٧ ؛ ٢٣, ٣٦ ؛ ٢٤, ٩١, ١٠٠ ؛ ٢٥, ٤٩ ؛ ٢٦, ١٩٤ ؛ ٢٧, ١١١ ؛ ٢٨, ٥١-٥٢ ، ٨٥ ؛ ٢٩, ١٧٦ ، ٢٢١

٥٠ المصدر السابق ١١, ١٧٣ ؛ ١٣, ١٠٤ ؛ ٢٥, ٦٩

٥١ المصدر السابق ٨, ١٨٥ ؛ ٩, ٦٧, ٢٣٩ ؛ ١١, ١٥٦-١٥٧ ؛ ١٢, ٤٥-٤٦ ، ٧٦ ؛ ١٤, ٢ ، ١٢٠-١٢١ ؛ ١٦، ٨٤-٨٥ ، ٨٩-٩٠ ؛ ١٧, ١٢٨ ؛ ٢٠, ١٠ ؛ ٢١, ٣٢-٣٤ ؛ ٢٢, ١٥٠ ؛ ٢٤, ٤٧ ؛ ٢٥, ١٨ ؛ ٢٥, ٥٠ ؛ ٢٧, ٢٣٤

٥٢ المصدر السابق ٣, ٢٠٥ ، ونشير هنا إلى أنه ورد في بحثنا في باب مصطلحات الطبري، مصطلح تمام الخبر، قد توسعنا في الحديث عنه، فينظر ثم

Digitized by Birzeit University Library

٦- اختلاف النحاة في ميم «اللهم». [٥٣]

٧- اختلاف النحاة في إضافة كلمة إلى اخرى. [٥٤]

٨- اختلافهم في تقدير جواب القسم أو الشرط «الجزاء». [٥٥]

٩- اختلافهم في منع كلمة من الصرف أو صرفها «الإجراء وترك الإجراء». [٥٦]

من خلال كل ما سبق نرى أن المسائل الخلافية لدى الطبري، كثير منها، تتعلق بقضايا محددة مرتبطة بتأويل آية معينة فقط، دون التوسع في أبواب النحو، أو مناقشة مسائل نحوية ليس لها علاقة بالتفسير القرآني، وربما تكون هذه الميزة من الفروق المهمة بين النحاة والمفسرين، فيبدو أن النحو العربي انفصل عن تفسير النص القرآني في مرحلة مبكرة من القرن الثاني الهجري، وهذا ما لا ينطبق على تفاسير القرآن، فعند الطبري نجد الأمر مختلفا، فالنحو مسخر لخدمة النص، غير مفصول عنه، وتناقش المسائل النحوية بقدر المساحة التي يتيحها فهم النص وجلاء غامضه.

بالمقارنة مع المفسرين المتأخرين مثل أبي حيان النحوي في تفسيره «البحر المحيط»، نجده يتناول قضايا نحوية مهمة في تفسيره، ويحيلنا إذا احتاج الأمر إلى التوسع في المسألة إلى كتبه المتخصصة في النحو: ك «ارتشاف الضرب» وغيره, هذه المزاوجة الرائعة بين المنهجين لدى أبي حيان، لا نلمسها لدى الطبري؛ لأن الطبري ليس لديه كتب متخصصة في النحو، ولم يكن يعد نفسه من «أهل العربية» أصلا، لأن هدفه منصب على الفقه والتفسير والحديث.

كما أن منهج الطبري يمثل مرحلة مبكرة من تاريخ التفسير، حيث يزاوج بين النحو والتفسير، فنجد في تفسيره عرضاً لآراء النحاة، واختلافهم، أي أن الطبري بعبارة أخرى يجعل النحو أداة ووسيلة لتوضيح النص القرآني، وللأسف نلاحظ أن هذا المنهج بدأ يتلاشى بعد الطبري، مما يدل على بدأ التدهور والضعف الفكري لدى المؤلفين المسلمين لاحقا.

فالطبري أدرك بذكاء فائق القيمة الخطيرة للنحو العربي، في توضيح غوامض النص القرآني، وخاصة أنه مضى أكثر من قرنين ونصف على وجود القرآن الكريم بين أيدي العرب، لذلك وجد الطبري أن الأجيال اللاحقة بعيدة عن النص القرآني، فلغة القرآن لم تعد هي لغة الحواضر والأمصار في العراق والشام وفارس وغيرها من بلدان العالم الإسلامي آنذاك.

٦. لم يقتصر الخلاف بين نحاة الكوفة والبصرة في المسائل الخلافية على مواضيع النحو، بل تجاوز ذلك إلى

---

٥٣ المصدر السابق (شاكر) ٦, ٢٧- ٢٩٨

٥٤ المصدر السابق ١, ٥٢١ ؛ ٢٧, ٢٦٤

٥٥ المصدر السابق ٧, ١٩٠ ؛ ٢٦, ١٤٧ ؛ ٣٠, ٣٢, ١١٤

٥٦ المصدر السابق ٢٢, ١١٤

Digitized by Birzeit University Library

المسائل اللغوية والصرفية، ومعاني الكلمات في الآيات القرآنية، والقراءات القرآنية، وفي جمع كلمة، أو مفردها، وفي تأنيث كلمة أو تذكيرها، أو الوقف على كلمة، أو لفظ كلمة، وما ورد من لهجات العرب في لفظ كلمة معينة في القرآن. ولكن بحثنا لا يتسع لكل هذه المواضيع في تفسير الطبري، الذي يحتاج إلى الكثير من الدراسات في مثل هذه المواضيع المذكورة أعلاه.[٥٧]

٧. يتبين لنا من خلال دراستنا السابقة للمسائل الخلافية أن الطبري ينتمي إلى المذهب الكوفي في النحو، لأنه:

١- يستعمل المصطلحات الكوفية النحوية في نقاشه وأقواله التي تعقب الكثير من المسائل الخلافية في تفسيره.

٢- يعتقد أن المبتدأ والخبر يترافعان في أكثر من مسألة.

لقد قمنا في هذا الفصل ببحث أكثر من ثمان وعشرين مسألة خلافية يؤيد فيها الطبري الكوفيين، فوجدناه لا يتحرج من مهاجمة الفراء، بسبب سماح الأخير بدخول لام الأمر على المضارع الذي يبدأ بتاء المخاطبة، نحو: لتقم، أي أن الطبري يعد نفسه ذا مذهب كوفي في النحو، بل يرجح أي رأي يراه مناسبا، دون انتماء مذهبي واع إلى جهة معينة.

٨. نستخلص من خلال ما سبق أدلة دامغة، تثبت أن مجموعة من مسائل الأنباري في «الإنصاف» لها أصول في المصادر القديمة، مع التأكيد هنا على مشكلة التعميم وعدم الدقة في تفصيل آراء الكوفيين، اللتين يقع فيهما الأنباري كثيرا في كتابه، مما ينفي تهم المستشرق الألماني فايل؛ كما سيأتي لاحقا، وقد اعتمدنا في تأصيلنا لهذه المجموعة من المسائل الخلافية على الطبري، و«معاني القرآن» للفراء، و«الكتاب» لسيبويه، وغيرها من المصادر القديمة، وفيما يلي تلخيص لمجموعة من هذه المسائل:

أ- نصب المضارع بعد لام التعليل، فنجد أن كلام: الأنباري عن رأي نحاة الكوفة له ما يؤيده، من أنهم يقولون بأن لام «كي» تنوب عن «أن» المضمرة بعد الفعل الضارع؛ لذلك فالمسألة التاسعة والسبعون في «الإنصاف» صحيحة في ضوء «الكتاب» لسيبويه و«معاني القرآن» للفراء، وتفسير الطبري.
ولكننا نلاحظ أن تفصيلات النقاش، والحجج التي أوردها الأنباري داخل هذه المسألة، لم ترد في المصادر القديمة المتوافرة بين أيدينا. وربما أضيفت هذه الحجج في وقت لاحق إلى هذه المسائل، الموجودة أصلا، لدعم حجج كل فريق من المذهبين المتخاصمين، إذا فالمسألة الخلافية موجودة، ولكن تفاصيلها مغايرة.

---

٥٧ هذه المسائل كثيرة جدا، لذلك نكتفي بذكر مجموعة منها: الطبري ٩, ٥٤، ١٠٩- ١١٠، ١٥٧، ١٩١؛ ١٤، ٢٠, ١٨٥, ١٨٦- ١٨٧؛ ١٦, ١٢٤؛ ١٩, ٥٩, ١٠٣؛ ٢٥, ٨٢- ٨٣؛ ٢٦, ١٥٨؛ ٢٧, ٥٩- ٦٠، ١٩٤- ١٩٥, ٢١٣؛ ١٩, ٢١٩- ٢٢٠

Digitized by Birzeit University Library

ب- مسألة «بئس ونعم»: يرى الطبري أن «بئس ونعم» اسمان، ويتابع الكوفيين في ذلك، مما يؤكد وجود المسألة الرابعة عشرة في كتاب «الإنصاف» في كتب الأقدمين، حيث قال الأنباري بأن الكوفيين يذهبون إلى أنهما اسمان، أما البصريون فيذهبون إلى أنهما فعلان، وهي مسألة طويلة جدا، خصص لها الأنباري صفحات عديدة.[٥٨]

تبين لنا أن الأنباري يعمم في آرائه، عندما وصف الكوفيين وكأنهم أصحاب رأي واحد، بينما رأينا أن الفراء، شيخ المدرسة الكوفية، يخالف رأي الكوفيين، وخاصة الكسائي، لذلك يجدر أن نشير هنا إلى أن كلمة «الكوفيين» يقصد بها الأنباري في مسألة «نعم وبئس» الكسائي فقط، وليس الفراء.[٥٩]

ت- ما ورد في تفسير الطبري في الخلاف حول «الميم» التي تلحق بلفظ الجلالة «اللهم»، نجد أنه يتبع البصريين، ومنهم سيبويه وشيخه الخليل، وهذه مسألة خلافية في «الإنصاف» كما أوضحنا.

يتبين لنا في هذه المسألة أن المقصود بـ «الكوفيين» الفراء فقط، وهذا التعميم وعدم الدقة في تحديد هوية صاحب الرأي من الكوفيين، يميز الكثير من مسائل الخلاف في «الإنصاف».

ث- لقد أثبتنا في دراستنا للمسألة الأولى من القسم الثاني، وهي العامل في ترافع المبتدأ والخبر، وهي المسألة الخامسة في «الإنصاف»، أنها أصيلة وقديمة، لم ينسجها الأنباري من خياله. ونرى مسألة ترافع المبتدأ والخبر كثيرة الورود في «معاني القرآن» للفراء.

ج- في المسألة الثانية من القسم الثاني، بحثنا زيادة «واو العطف»، وهو أن الكوفيين يرون مجيئها زائدة، ويمنع البصريون ذلك. المتتبع لـ«معاني القرآن» للفراء يجد ما يقوله الأنباري صحيحا، خاصة فيما يتعلق بالكوفيين.

ولكن الأنباري ذكر أن المبرد يوافق الكوفيين، وما جاء في كتابه «المقتضب»، ينفي ما يقوله الأنباري، لأن المبرد يمنع ذلك، كغيره من أهل البصرة.

ولا ننسى أن الفراء اشترط في زيادة واو العطف عدة شروط، لم يذكرها الأنباري.

النتيجة التي نتوصل إليها هنا: أن الأنباري يظهر الكوفيين وكأنهم جماعة لهم رأي موحد يجمعهم ولا خلاف بينهم، وفي الحقيقة، نجد تناقضا كبيرا بين أقوال الكوفيين في كل مسألة تقريبا.

فهل يوجد سبب محدد يدفع الأنباري لإظهار الإجماع في الرأي لدى الكوفيين خاصة؟ فهل يريد من خلال هذا المنهج أن يظهر وجود مدرسة كوفية مستقلة في النحو؟

في الحقيقة، لم يكن هنالك إجماع بين البصريين أيضا في أية مسألة، وخاصة آراء يونس والأخفش وقطرب، كما أن أسلوب عرض الأنباري لآراء الكوفيين، يتسق مع أسلوبه في عرض آراء أهل البصرة.

---

٥٨ الانصاف (١٩٩٨) ١, ٩٨- ١٢٢

٥٩ تنظر أعلاه، البند ٣: ١: ٢، المسألة رقم ٢٠

Digitized by Birzeit University Library

الإشكالية في إظهار الرأي الموحد، على يد الأنباري، أنه يضللنا، ويجعل من الصعب على الباحث تحديد هوية قائل هذا الرأي أو ذاك.

ح- كما أننا وجدنا أن مسألة العطف على الضمير المخفوض التي يذكرها الطبري بأنها مسألة خلافية، هي المسألة الخامسة والستون في «الإنصاف».

ولكن تواجهنا مشكلة هنا، وهي أن الأنباري يقول بأن الكوفيين يسمحون بالعطف على الضمير المخفوض دون تكراره، وعندما نراجع «معاني القرآن»، وتفسير الطبري نجد الفراء يعارض ذلك.

من المحتمل، أن يقصد الأنباري الكسائي في هذه المسألة ؛ لذلك لا نستطيع اتهام الأنباري بوضع المسائل وتأليفها، ولكن المشكلة أنه لا يفصل آراء نحاة الكوفة ؛ لأنها في الحقيقة لم تكن متجانسة منذ البداية في القرن الثاني الهجري، أي في فترة الكسائي والفراء.

لذلك نصل الى نتيجة أن الانباري يكثر من ذكر نحويين كوفيين، لهم اراء مغايرة لإجماع الكوفيين

٩. يجدر الانتباه إلى قضية مهمة، ربما أوقعت الأنباري في الوهم عندما نقل عن الكوفيين؛ فإن للفراء أحيانا، كما رأينا أثناء المناقشة، رأيين كما في المسألة (٢٦) من مجموعة من المسائل التي ساند فيها الطبري الكوفيين، المشكلة أن هذين الرأيين للفراء متناقضان في المسألة ذاتها، وفقا لما وجدناه في «معاني القرآن»، ويمكننا تفسير هذه الظاهرة، بأن أحد الرأيين هو للفراء، فأما الآخر فهو لشيخه الكسائي، أي ليس رأيه الشخصي، وكذلك الحال في المسألة (٢٧) من المجموعة نفسها.

١٠. أثبت البحث استنادا إلى تفسير الطبري، أن الطبري يرجع إلى نحويين كوفيين، لم نستطع تحديد هويتهم، وفقا لما يتوافر بين أيدينا من مصادر كوفية، وبالرجوع إلى «معاني القرآن» لا نجد هذه الآراء هنالك ؛ مما يحد من مقدرتنا على بحث أصالة المسائل الخلافية لدى الأنباري، ولدى الطبري نفسه أيضا.

١١. نلاحظ أن المسائل الخلافية التي تبنى فيها الطبري رأي نحاة البصرة هامشية، تتصل بالفروع دون الأصول، مثل الاختلاف في تأنيث كلمة، أو المطابقة بين العدد والمعدود، أو الميم التي تلحق لفظ الجلالة «الله».

١٢. هنالك مجموعة من المسائل الخلافية بين نحاة الكوفة والبصرة، هي في الحقيقة، غير مستحقة أن تسمى خلافية، فهل يعتبر، دائما، الخلاف حول إعراب كلمة في القرآن مسألة خلافية، وهل نعتبر تعدي الفعل إلى المفعول به مباشرة أيضاً مسألة خلافية.

علينا أن نلزم جانب الحذر هنا، فليس كل آية أختلف في إعراب كلمة منها الأخفش والفراء هي مسألة خلافية ؛ لذلك فالكثير من المسائل الخلافية التي عرضها الطبري في تفسيره، لا تعد خلافية في حقيقة الأمر، فالمسألة ليس لها مؤيدون، حتى أن صاحب هذا الإعراب من المحتمل أنه لا يدرك أنه يتخذ موقفا مذهبيا يناصره ضد غيره من المذاهب النحوية.

Digitized by Birzeit University Library

لا يجد بنا تفسير كلمة «اختلف» في العبارة «اختلف أهل العربية» كلما رأيناه في تفسير الطبري على أنها مسألة خلافية ؛ فعلى سبيل المثال، عندما يؤيد الطبري الكوفيين في تناوب الحروف: كأن يأتي الحرف «إلى» بمعنى «الباء»، فهل هذه فعلا مسألة خلافية في النحو بين الكوفيين والبصريين ؟ وهل متابعة الطبري الكوفيين في إعراب «أخرى» في آية معينة مبتدأ، وليس نعتا، هل هذه مسألة خلافية ؟

إذا ما الذي يوضح لنا ما معنى مسألة خلافية، وهل هنالك معايير خاصة تتبع لتحديد استحقاق مسألة معينة في النحو لتسمى خلافية ؟

نترك الإجابة عن مثل هذه الأسئلة مفتوحة، ربما يتناولها باحثون آخرون في المستقبل.

١٥. لو قمنا، في ضوء ما سبق، بإلقاء نظرة سريعة على المسائل الخلافية في «الإنصاف» وتفسير الطبري، لإجراء مقارنة بينها، نجد أن المسائل الخلافية في «الإنصاف»، لا تستحق جميعها أن تعتبر خلافية بين المذهبين، لأن كثيرا منها يتحدث عن كلمات منفردة، مبعثرة، أو مسائل فرعية في النحو العربي، والسبب في ذلك، ربما لاعتماد الأنباري ومن سبقه في المسائل الخلافية على كتب معاني القرآن وإعرابه ومجازه، فالتقط الأنباري ومن سبقه، آراء مختلفة، مبعثرة للكوفيين والبصريين حول الآيات المختلف فيها، دون أن يقصد، أحيانا، أصحاب الرأي الأصلي مخالفة خصم معين في هذه المسألة المحددة.

فالنتيجة التي نخلص إليها، أن الأنباري لا يضع هذه المسائل، ولا يخترعها من خياله بتاتا، بل يقيد ما قاله الكوفيون من خلال كتب إعراب القرآن ومعانيه، وفي المقابل يضع رأي النحوي المقابل لهذا الرأي، فتظهر المسألة وكأنها خلافية منذ نشأتها.

وربما نستطيع من خلال هذه النتيجة الوصول إلى السبب في تناقض الأقوال التي نسبها الأنباري إلى المبرد من أهل البصرة في ضوء «المقتضب»، لأن الأنباري لم ينقل مباشرة من «المقتضب»، بل وصل إلى رأي المبرد بطريقة غير مباشرة، عن طريق كتب أخرى اطلع عليها.

الاتهام الذي يوجه للأنباري يجب أن ينصب على :

- عدم دقته في اقتباس أقوال الكوفيين واستعمال التعميم.
- إبراز الخلاف أحيانا عن قصد بين الكوفيين والبصريين، مع أن المسألة تكون هامشية، فرعية، لا تحتاج إلى التهويل والمبالغة في إظهار الخلافات بين المذهبين. ولكن هل هذا ينطبق على جميع المسائل الخلافية ؟

في الحقيقة، رأينا أن ذلك غير صحيح، فهنالك مسائل خلافية جوهرية، تدور حول الأصول، بين نحاة الكوفة والبصرة نجد أثرها في «معاني القرآن» للفراء وتفسير الطبري.

Digitized by Birzeit University Library

٢:٣:٣ مناقشة الأبحاث المعاصرة، فيما يتعلق بمسألة الخلاف بين البصريين والكوفيين، وكتاب «الإنصاف»:

١. **مقدمة المستشرق فايل:** بالرغم من صدور مقدمة فايل لكتاب «الإنصاف» في مطلع العقد الثاني من القرن المنصرم، إلا أن صداها ما زال يهدهد بين الباحثين العرب والغربيين، بسبب عمق هذه الدراسة وجديتها.
ولكن فايل تحامل على الأنباري، ومنذ بداية مقدمته، اعتبر الخلاف بين النحويين الكوفيين والبصريين، يعكس حقيقة ما دار في أذهان النحاة المسلمين في القرن السادس الهجري.[٦٠] ويوجه فايل الاتهام للأنباري بأن يتحاشى ذكر الخلافات داخل المذهب الواحد، لعدم طمس الاختلاف بين المدرستين، وقد رأينا، استنادا إلى الطبري والفراء صحة ما ذهب إليه فايل، وينوه، وبصدق، بأنه لا يوجد تطابق في الرأي داخل المذهب الواحد.[٦١]

ويصف فايل الخلاف بين الكوفيين والبصريين بأنه كان مائعا في الغالب، أي لم يكن، كما وصفه الأنباري، على تلك الدرجة من الحدة والدقة والمنهجية، وبين أن الخلافات بين البصريين أنفسهم، مثل يونس بن حبيب والأخفش والمبرد، كانت أوسع وأكثر حدة منها، بينهم وبين الكوفيين.[٦٢]
ويعترض فايل في حديثه على مصطلح «مدرسة»، فيما يتعلق بالكوفيين؛ لأنه يشترط أن يكون هنالك وعي من قبل كل فريق بوجود المدرسة المقابلة، وأن يدرك كل فريق انضمامه إلى مجموعة مستقلة في آرائها، يدافع كل منهم عن رأيه ضد الخصم.
ويتوصل فايل إلى نتيجة مفادها: أنه، بناء على ما وجد من مصادر نحوية لا يمكن تسمية الكوفيين مدرسة.[٦٣]
الوهم الذي وقع فيه فايل هو استنتاجه بأن المسائل الخلافية في «الإنصاف»، لا يوجد لها ذكر في المصادر القديمة كسيبويه والمبرد،[٦٤] وقد ثبت لنا من خلال دراسة المسائل الخلافية في الطبري، أن مجموعة لا بأس بها من المسائل لها ذكر في المصادر القديمة، مثل «معاني القرآن» للفراء. ولكن علينا أن نضع في أذهاننا ندرة المصادر التي كانت منشورة في زمن فايل.
ويصل فايل أيضا إلى نتيجة أخرى مخطوءة، وهي أن أول ذكر الكوفيين كجماعة مستقلة هو المبرد في «الكامل»[٦٥]، وقد نقض الباحث رمزي بعلبكي ذلك كما سيأتي لاحقا.

---

٦٠ مقدمة فايل (١٩١٣) ٤٨
٦١ المرجع السابق ٥٠, ٥١
٦٢ المرجع السابق ٥٢- ٥٤
٦٣ المرجع السابق ٥٤
٦٤ المرجع السابق ٥٥
٦٥ المرجع السابق ٥٧

Digitized by Birzeit University Library

ثم يصل فايل إلى طرحه الأساسي في مقدمته وهو أن النحاة البغداديين في مطلع القرن الرابع الهجري، وهم تلاميذ المبرد وثعلب، هم الذين اخترعوا المسائل الخلافية بين الكوفيين والبصريين، ووضعوها من نسج خيالهم، لكي يوجدوا ما يسمى بالمدرسة الكوفية في النحو، ويبرروا عن طريق إبراز الخلافات وجود هذه المدرسة، التي لم تكن قائمة على أرض الواقع لدى نحاة القرن الثاني والثالث الهجري، المؤسسين لهذه المدرسة.

هذا الخيال الأدبي الذي ينسبه فايل إلى الجيل الذي تلا المبرد وثعلب هو الذي أثرى المسائل الخلافية، من أجل تعظيم الأوائل من النحاة كالكسائي والفراء، وتبجيلهم في أعين الأجيال اللاحقة.[٦٦]

يجدر في ختام هذه المناقشة لفايل التنويه بملاحظة رائعة له، تتعلق بمحاولة تفسير عدم دقة الأنباري في نقله عن الفراء، يعتمد فيها فايل على البغدادي، لاحظها الأخير في مسألة الفصل بين المضاف والمضاف إليه، وهي أن نقل الأنباري يشوبه الاضطراب والتشويش عندما ينقل عن الفراء، والسبب يكمن في رأي البغدادي في قدم كتاب المعاني وصعوبته بالنسبة للأجيال اللاحقة، لذلك يعرضون عنه، ونشعر أن هذه الملاحظة منطقية ومقنعة؛ لأنه من خلال مقارنتنا بين الفراء والأنباري وجدنا اختلافا كثيرا في دقة النقل.[٦٧]

٢. دراسة الأستاذ رمزي بعلبكي:

قام هذا الباحث من خلال دراسته المميزة والعميقة، بالرد على حجج فايل، وخاصة الطرح الأساسي لفايل الذي أنكر فيه وجود مدرسة كوفية مستقلة، ونسب المسائل الخلافية إلى الجيل الذي تلا المبرد وثعلب، ويتلخص رد الباحث بعلبكي على فايل فيما يلي:

أ- أن فايل يشكك في مصداقية الأنباري وفي رواياته، ومصداقية ما رواه المتأخرون من مسائل خلافية دون بحث أو تنقيب في المصادر القديمة، فعلى سبيل المثال لم يعتمد فايل على «مجالس» ثعلب.[٦٨]

ب- أثبت بعلبكي أن هنالك مسألة خلافية في « الانصاف»، لها جذور في المصادر القديمة، وهي إضافة أل التعريف إلى القسم الثاني من العدد المركب.[٦٩]

ت- بين بعلبكي أن فايل أخطأ عندما جعل المبرد هو أول من ذكر للكوفيين بأنهم مجموعة في كتابه «الكامل»، فوجد الباحث أن «المقتضب» للمبرد يذكر الكوفيين كمجموعة مستقلة، ووجد أن ابن السكيت سبق المبرد، عندما تطرق إلى البصريين كمجموعة مستقلة.[٧٠]

---

٦٦ المرجع السابق ٥٩- ٦٠

٦٧ المرجع السابق ٦٣ ؛ انظر: خزانة الأدب (هارون) ٤, ٤٢٠, ١٥- ١٦

٦٨ بعلبكي (١٩٨١) ٢ ؛ انظر: طلمون (١٩٩٩) ١٨٩- ١٩٣

٦٩ بعلبكي ٧

٧٠ المرجع السابق

Digitized by Birzeit University Library

لا بد من الإشارة هنا إلى ملاحظة، وهي أن الخلاف بين مؤسسي المذهبين الكوفي والبصري قديمة، ليست من نسج خيال المتأخرين، فخلال حديث الجاحظ عن كتابه «الحيوان»، يذكر أنه لم يؤلفه «في تفضيل سيبويه على الكسائي»، أي أنه كان معروفا في مطلع القرن الثالث، وربما في النصف الثاني من القرن الثاني التناقض والخلاف بين سيبويه البصري والكسائي الكوفي.[٧١]

ث- هنالك حجة أخرى، يدحض فيها الباحث ادعاء فايل، وهو أنه وجد أحد عشر موضعا في «المقتضب»، يرد فيها المبرد على جماعة مجهولة، «قوم»، ويقترح بعلبكي أن هذه الجهة المجهولة هم الكوفيون، ونرى من خلال بحثنا أن بعلبكي على صواب في هذه الملاحظة، لأننا أشرنا أثناء حديثنا[٧٢] عن مسألة زيادة واو العطف، أن الزجاج، وهو تلميذ المبرد المشهور، ذكر رأي الكوفيين بصورة غير مباشرة عن طريق كلمة «قوم»، وثبت لنا ذلك من خلال أبي جعفر النحاس.

ويثبت الباحث بصورة قاطعة من خلال «المقتضب» و«الكامل» أن بعض المسائل الخلافية كانت معروفة قبل المبرد، هذه المسائل استطاع الباحث استخراجها مما توافر لديه من مصادر وصلتنا، مما يعني ربما أن هنالك الكثير من الروايات التي لم تصلنا، كل ما مضى يثبت أصالة مجموعة لا يستهان بها من المسائل الخلافية للأنباري.[٧٣]

جـ. من خلال «المجالس» لثعلب، أثبت الباحث أن الكوفيين كانوا يعرفون أنفسهم كمدرسة مستقلة في النحو؛ مما يطعن في قول فايل بأن تلاميذ المبرد وثعلب هم الذي أوجدوا المسائل الخلافية.[٧٤]

للتأكد من مصداقية الأنباري في النقل عن القدماء، قام الباحث بدراسة (٣٧) مسألة خلافية في «الانصاف»، وقارنها مع المصادر القديمة الكوفية نحو «معاني القرآن» للفراء، و«الكتاب» لسيبويه، و«المقتضب» للمبرد، وخلص الباحث إلى نتيجتين مهمتين:

١- ادعاء فايل بشأن وضع الأنباري للمسائل الخلافية باطل، فقد وجد بعلبكي أنه على الأقل ثلث مسائل الخلاف في «الإنصاف»، كانت في الواقع تشكل نقاط خلاف جوهرية أساسية، وليست هامشية عرضية بين الفراء من جهة، وسيبويه والمبرد من جهة أخرى؛ مما يؤكد أصالة مسائل الخلاف لدى الأنباري.

٢- ينبغي، بالرغم من اتفاق مسائل الأنباري مع المصادر القديمة، عدم استعمال كتاب «الإنصاف» مصدرا نحكم من خلاله على حالة النحو في القرن الثاني والثالث الهجريين، للأسباب التالية:

---

٧١ الحيوان ٧, ٧, ١٠-١١

٧٢ أنظر: أعلاه؛ البند ٣: ٢: ٢

٧٣ بعلبكي (١٩٨١) ٩-١٣

٧٤ المرجع السابق

Digitized by Birzeit University Library

أ-بسبب التعميم، وعدم استطاعتنا معرفة أصحاب الآراء النحوية بدقة.
ب-لأنه، أي الأنباري، يتجاهل أو يبالغ في توسيع حدة الخلافات بين النحاة.
ت- لأن الأنباري، أحيانا، غير دقيق في نقل الآراء، ويخطئ في نسبتها إلى أصحابها.
ث-لأن بعض الحجج والمناقشات التي ينسبها لمدرسة أو أخرى سكتت عنها المصادر الأساسية، لذلك لا نستطيع الحكم على جميع المسائل الخلافية في «الإنصاف.»
ج-لأن النقاش والمصطلحات المنسوبة إلى المدرستين، مشوشة ومضطربة، فيستعمل الأنباري مصطلحات مثل: عامل وأصول، فلا نستطيع التفريق بين مصطلحات نحاة القرن الثاني والثالث، والمتأخرين من نحاة القرن الخامس والسادس، فهذا يضللنا، إذ نفترض بأنها مستعملة لدى كل النحاة في كل العصور.[٧٥]

يلخص بعلبكي دراسته بأن ما ينطبق على «الإنصاف»، فيما يتعلق بالنقاشات والحجج المنسوبة إلى الكوفيين، ينطبق أيضا على المصادر النحوية المتأخرة، ابتداء بالزجاجي، وانتهاء بابن الحاجب، فهم ينقلون حجج الفريقين بصورة خاطئة، ومغايرة لما نجده في «الكتاب» و«المعاني»؛ لذلك يدعو الباحث، وبصدق، إلى أن نستعمل المصادر التي كتبت في القرنين الثاني والثالث، أولا، إلى جانب المصادر المتأخرة، أي أن نستعمل المصادر المتأخرة في ضوء الأساسية فقط.[٧٦]

في الختام، نلاحظ أن ملاحظات بعلبكي حول المقارنة بين الأنباري والمصادر القديمة صحيحة ودقيقة، نؤكد ذلك من خلال دراستنا للمسائل الخلافية التي وردت في تفسير الطبري. وينطبق الأمر ذاته على النقاش الذي وجهه بعلبكي ضد حجج فايل.

٣. دراسات الباحثين العرب المنشورة باللغة العربية:

معظم ما كتبه الباحثون العرب في هذه القضية يدور في ظل مقدمة المستشرق فايل، التي ترجمت إلى العربية عند منتصف القرن الماضي[٧٧].

انقسم الباحثون العرب حول نقاش فايل، وحول وجود مدرسة كوفية مستقلة في النحو العربي قسمين:

فالقسم الأول: يعارض فايل، ويرى أن للكوفيين آراء مستقلة في النحو، تؤهلهم للقب مدرسة كوفية، ونلاحظ أيضا هذا الرأي لدى بعض الباحثين من خلال عناوين كتبهم: كالمدارس النحوية لشوقي ضيف، والمدرسة الكوفية لمهدي المخزومي وغيرهما من الكتب.

---

٧٥ المرجع السابق ١٤- ٢٥

٧٦ المرجع السابق ٢٦

٧٧ لم نستطع الحصول على الترجمة العربية التي قام بها عبد الحليم النجار، فقد اعتمدنا في الحصول على المعلومات عن هذه الترجمة على المخزومي، المدرسة الكوفية، مصادر البحث؛ والملاحظ أن شوقي ضيف، ينقل عن هذه الترجمة دون الإشارة إلى ذلك في الحاشية؛ المدارس النحوية ١٥٦؛ وقد تكررت هذه المشكلة مع كثير من الباحثين فنجد أنهم لا يرجعون مباشرة إلى مقدمة فايل، التي يبدو أنها نفدت من الأسواق قديما، ولم يعد نشرها.

Digitized by Birzeit University Library

كما أننا نلاحظ أن هذا القسم من الباحثين اعتمد على «الإنصاف» في تحديد مواقف نحاة الكوفة وآرائهم، ومصطلحاتهم النحوية.[٧٨]

أما القسم الثاني: فينكر وجود مدرسة نحوية كوفية مستقلة في النحو العربي، ويرى أن المسائل التي عرضها «الإنصاف» فرعية، لا تمس الأصول، ولا تستحق أن نسمي المذهب الكوفي مدرسة، كالباحث إبراهيم السامرائي.[٧٩]

في نهاية المطاف نود التعليق على دراستين تناولتا قضية الخلاف بين المذهبين ومسائل الأنباري، إحداهما للباحث الليبي إبراهيم رفيدة، والأخرى لتلميذه المختار أحمد ديره.

أما الدراسة الأولى فهي دراسة عميقة، متفحصة، ورائدة في حينها، جاءت هذه الدراسة ضمن كتاب ضخم وهو «النحو وكتب التفسير»، يتألف من مجلدين، يقاربان الألف وخمسمائة صفحة، لقد توصل هذا الباحث، قبل دراسة بعلبكي المشهورة (١٩٨١)، من خلال دراسته لثلاث عشرة مسألة خلافية في «الإنصاف»، إلى نتائج قيمة، أثبت فيه، بالرجوع إلى «معاني القرآن» و«المقتضب» إلى أن مسائل الخلاف قديمة وأصيلة، وهنالك أدلة في كتب القدماء تثبت صحة نقل الأنباري.

وتوصل رفيدة، من خلال مجموعة من المسائل الخلافية في «الإنصاف»، إلى أن الأنباري يعمم في نقله لأراء الكوفيين، ووجد الباحث أن ما نقله عن الفراء، مقارنة مع «المعاني» غير دقيق، وأشار الباحث أيضا إلى أن الأنباري لا يبرز الخلافات بين أعضاء المدرسة الواحدة، كمخالفة ابن السراج والزجاج للبصريين في بعض المسائل؛ ربما ليبرز وجود الخلاف بين المذهبين الكوفي والبصري. ونلاحظ أن الباحث يرد على ادعاءات فايل دون أن يشير إلى مقدمة فايل؛ مما يؤكد ذلك هو استناد الباحث إلى البغدادي للدلالة على تبرير عدم رجوع الأنباري وغيره إلى «معاني القرآن» بسبب قدمه وصعوبته.[٨٠]

---

٧٨ ضيف، المدارس النحوية ١٥٣ وما بعدها؛ المخزومي، المدرسة الكوفية ٤١٤ وما بعدها

٧٩ ابراهيم السامرائي (١٩٨٣) ٧- ٢٢

٨٠ رفيدة، النحو وكتب التفسير ١, ٢٥٦- ٢٧٧

Digitized by Birzeit University Library

الدراسة الأخرى التي ننوه بها هي «دراسة في النحو الكوفي، من خلال معاني القرآن للفراء»، للباحث ديره، يدرس الباحث في كتابه (٤٠) مسألة خلافية في «الإنصاف»، ويقارنها مع «معاني القرآن « للفراء، ويرى الباحث أن هذه المسائل في الحقيقة لم تكن خلافية بين المدرستين الكوفية والبصرية، بل يجد أن آراء الكوفيين في أغلبها لا تختلف عن البصريين، ويتابع قوله، بأنه يحتمل لو تمت دراسة ما تبقى من مسائل خلافية في «الإنصاف»، لما وجدنا اختلافا حقيقيا بين الكوفيين والبصريين، بكلمات أخرى يريد الكاتب أن يصل إلى نتيجة مفادها، أن الأقوال التي نسبها الأنباري إلى الكوفيين لا تشكل مدرسة كوفية مستقلة في النحو. [٨١]

لكن الكاتب يناقض نفسه أحيانا، عندما يقرر أن الأنباري غير دقيق في نقله لآراء الكوفيين والبصريين مرة، مما يدل على عدم اطلاع الأنباري، في رأي الباحث، على «معاني القرآن»، ونراه تارة أخرى يقرر أن الأنباري اطلع على «معاني القرآن» في ضوء ما استشهد به الأنباري من أقوال للفراء، كما أن الباحث يتهم الأنباري بافتعال مسائل خلافية لم تكن موجودة قديما في كتب النحو، ثم يقوم الأنباري بصياغة حجج تثبت هذه المسائل دون توثيق صحيح. [٨٢]

في الحقيقة، نلاحظ أن الباحث ديره يردد ما ادعاه فايل، دون الاعتماد مباشرة على مقدمته.

---

٨١ ديره ٤٢٩ ، المسائل التي درسها الباحث ٣٢٠- ٤٢٣

٨٢ المرجع السابق ٣٢٣, ٣٤٤, ٣٥٦-٣٥٨, ٣٩٦, ٤٢٦

Digitized by Birzeit University Library

الفصل الرابع

مذهب الطبري اللغوي و تأثير آرائه الدينية في مواقفه من النحو والنحاة و اللغة.

Digitized by Birzeit University Library

٤: ١ القسم الأول: آراؤه الدينية و علاقتها بمواقفه من النحو والنحاة واللغة

٤: ١: ١: أهل العربية (النحاة) و المفسرون (أهل السلف):

أبدى الطبري اهتماما شديدا بالنحو ووجوه الإعراب ولهجات العرب الفصيحة؛ لأنها أهم الوسائل في تفسير النص القرآني و تأويله.

لكن المنهج الذي اتبعه الطبري في معالجة المواد اللغوية و النحوية، هو منهج أهل الحديث، وأهل الرواية والنقل؛ حتى أن الناظر المتأمل في تفسيره يجد أن نقاش الطبري النحوي، اصطبغ بصبغة أهل الحديث و التأويل و الرواية و النقل؛ فلا نجده يسير على سنن النحاة و أهل اللغة من البصريين أو الكوفيين.

فعلى العكس من الفراء أو الأخفش الأوسط أو المبرد أو الزجاج، وهما من معاصريه، نجد أنه يجمع بين آراء أهل اللغة و النحو و أهل الحديث و الرواية ما وجد إلى ذلك سبيلا، وما إن يجد تعارضا بينهما، نرى الطبري يلزم جانب المفسرين من أهل السلف، ضد آراء النحاة في أغلب المواقف، التي يتعارض فيها رآي النحاة مع ما ينقله عن السلف.

قلما نجده يرد أقوال أهل التفسير مفضلا عليها آراء النحاة، حتى وأن كان هذا النحوي كوفيا، الاهتمام لدى الطبري منصب، بالدرجة الأولى على الرواية و إسنادها و صحتها و تخريجها، ونقل هذه الرواية بطرق إسناد مختلفة؛ لأنه في الأساس، محدث و فقيه و مفسر، وليس نحويا، حتى أننا نجده، في نقله للنصوص النحوية، يتبع منهج أهل الرواية و الحديث، فهو يجمع الروايات مقارنا بينها، ثم يرجح أقرب الأقوال التي يراها صوابا.

كما أنه في ترجيحه لآراء النحاة، يختار، كما هو الحال في الحديث، أشهر الروايات، مشددا على قضية الإجماع بين اللغويين و النحاة، فالأصل لديه إجماع النحاة، و ليس الالتزام بمذهب نحوي دون غيره،[1]

يتوجب أن نضع في أذهاننا أنه لم يصلنا كتاب واحد للطبري في النحو أو اللغة، حتى أن كتب التراجم لم تذكر له مؤلفا في هذا التخصص، بالرغم من سعة اطلاع الطبري، و إلمامه بعلوم متعددة، كالتفسير و القراءات و الحديث و الفقه و التاريخ.

وضع الطبري لتفسيره مقدمة غاية في الأهمية؛ وقد شحنها بآرائه و قرر فيها حقائق مهمة، فيما يتعلق بلغة القرآن، و أهمية اللغة في التفسير وغير ذلك، لقد وضع الطبري في هذه المقدمة أصولا وطيدة، لعلم التفسير، ولما ينبغي أن يتحلى به المفسر من معرفة.

من خلال هذه المقدمة، نستطيع تحديد موقف الطبري من النحاة، ضمن النقاط التالية:

١. وضع الطبري شروطا للنحاة و المفسرين إذا أقدموا على تأويل نص قرآني أو إعرابه؛ هذه الشروط تذكرنا بمنهج المحدثين في تصحيح الأخبار ونقلها، ففي مقدمته يبين الطبري أن تأويل القرآن على ثلاثة أوجه، نقلا عن الصحابي ابن عباس[2]:

---

١ رفيدة ١, ٦٢٤؛ المالكي، دراسة الطبري للمعنى ٨٥- ٨٦

٢ الطبري ١, ٣٢, ١٣-٣٤, ١٥

Digitized by Birzeit University Library

أولا : هنالك تفسير لا يعلمه إلا الله .

ثانيا : ما كان يعلمه النبي فقط ، ويجب فيه الاعتماد على الروايات و الأحاديث المرفوعة إلى النبي ، وهنا يشدد الطبري على النهي عن تأويل القرآن بالرأي «من يتكلم برأيه» ، لذلك يستنكر الطبري النحاة الذين يفسرون برأيهم ، كأبي عبيدة ، بما يتعارض مع الروايات المنقولة عن أهل السلف .

ثالثا : «ما كان علمه عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن» ، في هذا القسم من التفسير ، يكثر الطبري من الاستشهاد بأقوال النحاة و حججهم .

ولكنه يشترط في تأويلات النحاة ألا تكون خارجة عن أقوال السلف «من الصحابة و الأئمة و الخلف من التابعين و علماء الأمة» ، أي أن الطبري ، يقيد النحاة و أهل اللغة في تعاملهم مع النص القرآني بأقوال السلف و رواياتهم ، فما تعارض من أقوال النحاة مع أهل السلف و المفسرين ، يرفضه الطبري ، إلا قليلا ، ويقف إلى جانب النحاة ؛ لأنه يضع نصب عينيه في المقدمة ، فقط توضيح معنى الآيات القرآنية المشكلة وليس التبحر في صناعة النحو .[٣]

٢ . يفصح الطبري منذ بداية تفسير عن أن هدفه في التفسير ، ليس أن يجعله كتاب نحو و لغة ، ولكنه يستعمل المصادر النحوية بالقدر الذي تسمح له تأويل الآية القرآنية ، فقط ، ويعلن الطبري بصريح العبارة ، أنه لا يهدف إلى جعل تفسيره ، مكانا لجدال النحاة و عللهم ، لأنه ينزه النص القرآني ، ويقدسه ، فيترفع عن الخوض في المسائل اللغوية المتخصصة .

هنالك نص فريد يظهر فيه الطبري ذلك ، ننقتبسه كاملا لأهميته : «وإنما اعترضنا بما اعترضنا في ذلك من بيان وجوه إعرابه ، وإن كان قصدنا في هذا الكتاب الكشف عن تأويل آي القرآن ، لما في اختلاف وجوه إعراب ذلك من اختلاف وجوه تأويله . فاضطرتنا الحاجة إلى كشف وجوه إعرابه ، لنكشف لطالب تأويله وجوه تأويله ، على قدر اختلاف المختلفة في تأويله و قراءته» .[٤]

من الواضح ، أن الطبري يصنف نفسه من خلال النص مع المفسرين ، وليس النحاة ؛ لأن الهدف من وراء كتابته للتفسير كشف معاني النص القرآني ، وتوضيح ما أبهم منها .

في نص آخر ينتقد فيه الطبري النحاة ، أو ما يسميهم «أهل العربية» بسبب تأويلهم نصوص القرآنية ، وفقا لمنهج النحاة ، و طريقتهم في معالجتها ، لأن النحوي ينصب اهتمامه على وجوه إعراب الكلمة ، وموافقة هذه الوجوه ، لما يقيس عليه النحاة ، أي : هنالك معايير يضعها النحاة ، يحكمون من خلالها على النصوص القرآنية وغيرها ، حسب ما تقتضيه ، قواعد اللغة العربية ، وهذا ما يعترض عليه الطبري ؛ فهو يقدم روايات المفسرين عن السلف ، ثم يرى هل توافق ما قاس عليه النحاة أم لا ؛ «وأما الذين ذكرنا قولهم من أهل العربية ، فقد قالوا على مذهب العربية ، غير أنهم أغفلوا معنى الكلمة ، وحملوها على غير وجهها من التأويل ، وإنما ينبغي أن يحمل الكلام على وجهه من التأويل ، ويلتمس له على ذلك الوجه للإعراب في الصحة مخرج ، لا على إحالة الكلمة عن معناها ووجهها الصحيح من التأويل» ،[٥]

---

٣ الطبري (شاكر) ١ , ١,٧٧ - ٧٩, ١٥

٤ المصدر السابق ١ , ١٨٤ , ١٥- ١٨

٥ الطبري ١٩ , ١٣٨ , ٦- ٩

Digitized by Birzeit University Library

الأصل لدى الطبري هو رأي السلف، وعليه يقاس، ثم الخيار الثاني نلجأ إلى آراء النحاة و أهل اللغة، أي أنه لا يتقيد بمذهبهم، لأنه يراه على خطأ إذا التزم به فقط.
وفي رواية أخرى، يذكر الطبري صراحة أنه لن يتوسع في علل النحاة في إعراب كلمة معينة، لأن التفسير ليس المكان المناسب لذلك: «وليس هذا من مواضع الإبانة عن العلل التي من أجلها قيل ذلك كذلك». [٦]
فالطبري غير معني بتوسيع النقاش النحوي و اللغوي في تفسير النص القرآني المقدس، وهذا منهج المفسرين، وليس النحاة.
ونجد في رواية أخرى، أنه يتهم أحد النحاة بأنه أخطأ في تأويل آية لأنه «لم يتدبر التأويل، و لزم سنن العربية». [٧]

٣- يخالف الطبري المذهب الكوفي في النحو؛ إذا تعارض مع ما يقوله أهل السلف من المفسرين، الأمر الذي يدل، دون أدنى شك، على أن الطبري يضع نفسه بين المفسرين، وليس بين النحاة، كما أنه لا يتعصب للمذهب الكوفي في النحو، فمنهج الطبري يتلخص في أنه يختار رأي النحوي الكوفي، غالبا، ولكن إذا تعارض مع روايات أهل النقل و السلف، يأخذ بالرأي الثاني.
يتضح لنا هذا الموقف من خلال رواية نادرة في تفسيره، فقد نقل الطبري رأيا لأحد نحاة الكوفة، وهو الفراء، في الآية: «**لا تسمع فيها لاغية**» [٨٨(الغاشية): ١١]، يفسر الفراء معنى«لاغية»: حالفة على الكذب، ويوافقه الطبري في هذا الرأي، إلا أنه يتخلى عن رأي الفراء، لأن أهل التأويل يفسرون الآية: لا تسمع في الجنة اللغو و الباطل، يقول الطبري: «ولهذا الذي قاله مذهب ووجه، لولا أن أهل التأويل من الصحابة و التابعين على خلافه، وغير جائز لأحد خلافهم، فيما كانوا عليه مجمعين». [٨]
يتضح لنا من خلال هذا النص أن الطبري، يصنف على طريقة المحدثين، ويلتزم بأساليبهم في الرواية، وترجيح الحجج النحوية، لأنه محدث عالم بأقوال السلف: لذلك نقول بكل اطمئنان بأن الطبري كان يقدم سلطة النص و النقل و الرواية على التفسير اللغوي النحوي للنصوص القرآنية.
أي لا يحتكم الطبري إلى الدليل اللغوي إذا وجد الدليل النقلي، بينما يحاول خلال تفسيره التوفيق بين آراء النحاة و أهل النقل و الرواية، فإن حدث تعارض و تباين وقف إلى جانب الفريق الثاني، على ما تمتع به الطبري من حرية كاملة في الحكم على النصوص، وترجيحها، واختيار منهج خاص به؛ إلا أنه هكذا كان ينتمي إلى المفسرين، ولم يصدف أن تصدى للتأليف في النحو و اللغة. [٩]

---

٦ المصدر السابق ١١, ١٣٣, ١١- ١٢
٧ المصدر السابق ٧, ١٧٦, ٦- ٧
٨ المصدر السابق ٣٠, ١٦٣, ٧- ١٣ ؛ معاني القرآن ٣, ٢٥٧, ١٦
٩ المالكي ١٤٩, ٢٤٨

Digitized by Birzeit University Library

٤- نستنتج من كل ما سبق، ومن خلال مقدمته للتفسير، أنه يسخر النحو و اللغة من أجل خدمة التفسير، وجعلهما أداة لا يمكن الاستغناء عنها، لفهم معاني النص القرآني، و لا يدخل في تفسيره مسائل النحو كما هي في مظانها، بل يتدخل في انتقاء المواد النحوية و اللغوية في تفسيره، فهو لا يريد الفصل بين التأويل و النحو بل يدمجهما، من أجل توضيح النص، وفهمه، ولكن يحافظ الطبري على النص نقيا من خلافات النحاة، وعللهم، محافظة على قدسية النص القرآني.

ففي النهاية، لا يكترث الطبري لمسألة الانضمام إلى مذهب معين، كوفي أم بصري، فليس هذا ما يعنيه.[١٠]

٥- مهاجمة الطبري للنحاة، والاعتراض عليهم في موقفهم من الحروف الزائدة في القرآن:

يبدو أن الطبري عندما ألف تفسيره، كان يضع نصب عينيه الرد على معاصريه من المعتزلة و الشيعة الإمامية وأهل الباطن في التفسير وغيرهم، لأنه يقول منذ بداية التفسير: «مسألة يسأل عنها أهل الإلحاد الطاعنون في القرآن».[١١]

لذلك وجدناه، فيما تقدم في بحثنا في موقفه من أبي عُبيدة وفي مصطلح «الصلة»، يعارض بشدة موقف النحاة، مثل أبي عبيدة، في الزيادة في القرآن، لأنه لا يريد أن يتخذ ذلك مسلكا للطعن، من قبل الجهات التي فصلناها أعلاه، ضد بلاغة القرآن، وإعجازه، عندما تحدثت الآية تلو الأخرى عن تحدي الإنس و الجن لكي يقلدوا هذا القرآن، فلم يستطيعوا محاكاته أو تقليده، لأنه معجز في نظمه.

هذا هو المنطلق الذي ينطلق منه الطبري، كمفسر و فقيه صاحب مذهب في الفقه، وليس كنحوي يلتزم بعلل النحاة و توجيهاتهم و قياسهم.

لذلك نرى موقف الطبري صارما و متشددا في رفض آراء النحاة و اللغويين، كوفيين أم بصريين دون استثناء، عندما لا يلتزمون بالروايات المنقولة عن أهل السلف، فيهاجمهم بقوله: «وقد كان من لا علم له بأقوال أهل العلم يقول...»، أو «والفقهاء أعلم بالتأويل منه»، أو «وكان بعض من لا علم له بأقوال السلف من أهل التأويل، ممن يفسر القرآن برأيه على مذهب كلام العرب...»[١٢]، وغير ذلك من النصوص التي تثبت منهج الطبري التأويلي السلفي الذي يجمع إلى ذلك، الإلمام بعلم النحو و اللغة فيما يتعلق بالنصوص القرآنية، دون الفصل بينها في التفسير

---

١٠ جليو (١٩٩١) ١٨٩, ١٩٩, ٢٨٠

١١ الطبري (شاكر) ١, ١٩٨, ١؛ المالكي ١٢٣-١٢٤

١٢. أنظر أعلاه، الفصل الأول، البند ١: ٥

Digitized by Birzeit University Library

٤: ١: ٢ اللغة الفصحى بين لغة القرآن و كلام العرب و الشعر القديم / المولد و الفصيح / القياس و السماع

٤:١:٢:١ لغة القرآن و لغة العرب الفصحاء:

يرتكز مفهوم الطبري في هذه القضية على أصل يبني عليه الكثير من الفروع خلال تفسيره، وهو أن القرآن خطاب للعرب بلسانهم، أي كلام الله خاطب به العرب بما يفهمونه، فلغة المخاطبين و المرسل إليه «النبي» هي العربية؛ لذلك يؤمن الطبري بمبدأ حصول الفائدة في الخطاب الرباني للعرب.

فالواجب، كما يرى الطبري، أن تكون معاني القرآن موافقة لمعاني كلام العرب الفصحاء، من الزيادة و الحذف و الإيجاز و الإطناب و الاختصار و التكرار، وغير ذلك من الظواهر اللغوية و البيانية الموجودة في اللغة العربية.[١٣]

وكما أسلفنا، فإن الطبري يفسر الحديث «أنزل القرآن على سبعة أحرف»، بأن المقصود به «لغات» أو لهجات القبائل الفصيحة نحو: هوازن و قريش وغيرهما، ويرى الطبري أن هذه القراءات اندثرت، وآثر المسلمون لغة واحدة ما زالت مستعملة بقراءاتها السبع بين المسلمين حتى يومنا هذا.[١٤]

يولي الطبري اللغة الفصيحة أهمية كبيرة؛ لأنه وفقا لأوجه التأويل، كما هو مفصل أعلاه، فإن النوع الثالث من التأويل لا يوصل إليه إلا بمعرفة أساليب العرب الفصحاء.[١٥]

نتيجة لذلك؛ يهتم الطبري كثيرا بمصادر اللغة الفصيحة المنقولة عن العرب الفصحاء، عن طريق:

١. الشواهد الشعرية:

فنجد الطبري مدققا في اختيار الشواهد الشعرية في تفسيره، فلا يستشهد في تفسيره بشعر يتجاوز عصر الاحتجاج، أي نهاية العصر الأموي و مطلع العصر العباسي. ويغلب على ما استشهد به من شعر في أثناء المسائل النحوية، و المناقشات اللغوية النزعة الكوفية.[١٦]

إذا يرى الطبري في الشعر العربي القديم أحد روافد اللغة الفصيحة التي نطق بها العرب و استعملوها، والأهم من ذلك، أن الشعر القديم يقربنا من لغة الخطاب القرآني، لأن القرآن نزل بلغة استعملها العرب في حديثهم.[١٧] لذلك نجده يقول: «وكل ذلك فاش في منطقها، موجود في كلامها، من ذلك قول الشاعر...»[١٨]، أي أنه يدلل على فصاحة التعبير القرآني بالشعر العربي القديم.

---

١٣ الطبري (شاكر) ١, ٩ - ١٢

١٤ المصدر السابق نفسه ١, ٢١- ٦٧

١٥ المصدر السابق نفسه ١, ٩٣

١٦ الألوسي ٦٢

١٧ الطبري (شاكر) ١, ٢٢٣, ٧- ٢١

١٨ المصدر السابق نفسه ١, ١٦٩, ١٦

Digitized by Birzeit University Library

إن المتأمل في الأبيات الشعرية المستشهد بها في تفسير الطبري، يجد أنه يعتمد كثيرا، في مصادره الشعرية، على الفراء، وأبي عبيدة معمر بن المثنى، والمفضل الضبي، وغيره من رواة الشعر، فأكثر مصادره كوفية.[١٩]

٢. **السماع:** توسع الطبري في الاعتماد على السماع، شأنه في ذلك شأن الكثير من نحاة الكوفة ولغوييها؛ و المقصود بالسماع، هو ما سمعه الرواة من لغة حية طبيعية، يتحدث بها سكان البوادي والفصحاء البعيدين في سكناهم عن الحواضر في العراق و الشام.

من الملاحظ أن الطبري لم يسمع مباشرة من العرب الفصحاء، بل اعتمد على غيره فيما نقله من المسموعات عن العرب، كالفراء و غيره من أهل اللغة.

أما صيغ السماع المشهورة المستعملة في تفسيره، فهي: «ذكر بعضهم سماعا من العرب»، و «يحكى عن العرب» و «وقد حكي عن العرب سماعا» و «حكي عن طيء أنها تقول. . . »، و «ذكر سماعا عن بعض عقيل»، «و حكي عن بعض الأعراب سماعا منهم».[٢٠]

٣. **القياس:** يقصد به الطبري أحيانا، الاستعمال اللغوي الصحيح الفصيح المشهور، الذي يقاس عليه. ويستعمل في التفسير عكس القياس، وما يقاس عليه، الشاذ أو النادر » من نادر الكلام الذي جاء على غير القياس »[٢١].

ونجد لديه استعمالاً آخر، وهو «اللغة الجيدة و القياس الصحيح»، ويقصد به الاستعمال اللغوي الفصيح المشهور «المستفيض»، لأن الطبري، محدثاً، يؤمن بالإجماع في الرواية.[٢٢]

٤. كلام العرب و معيار الفصاحة لدى الطبري:

يبرهن الطبري في مواقع عديدة من تفسيره، على أن القرآن صورة مطابقة لكلام العرب الفصحاء؛ لأن الله يخاطب العرب وفق استعمالاتهم الكلامية، أي وفق ما يعرفونه في خطابهم و لغتهم اليومية.[٢٣]

يهتم الطبري في تفسيره بتوجيه معاني القرآن إلى ما يسميه «المستعمل بين أهل اللسان الذي نزل به، دون الخفي المجهول »،[٢٤]

---

١٩ الطبري عن الفراء: المصدر السابق ١١, ٨٦؛ ١٢, ١٦٧ - ١٦٨؛ ١٤, ١٩؛ ١٦, ٢٣٦؛ ١٧, ١٤٢؛ ٢٣, ٣٦، ٤٢, ١٦٨, ٢٠٧؛ الطبري عن أبي عبيدة: ١٤, ٢٢؛ ٣٠, ٥٧, ٦٤- ٦٥, ٣٤٧، عن المفضل الضبي: ١, ٨٥, ٩٦

٢٠ المصدر السابق ٧, ١٧٦, ٢٤٤, ٢٤٧؛ ٨, ٧, ٢٤, ١٩٦، ٢١٧؛ ١٢, ٣٢؛ ١٤, ١٠٦؛ ١٥, ٧٩؛ ١٧, ٣١، ١٢٦؛ ١٨, ١١٢؛ ١٩, ١٤٩؛ ٢٢, ١-٣؛ ٣٠, ٢٩٦

٢١ المصدر السابق ١٠, ١١٣, ١٩؛ ٨, ٢١١, ٢١

٢٢ المصدر السابق ٩, ٦٧, ١١, ١٣, ٢٤

٢٣ المصدر السابق ٧, ١٨٩, ٢٠- ٢٣

٢٤ المصدر السابق ١١, ١٥٥- ١٥٦

Digitized by Birzeit University Library

لذلك نجد في تفسيره: الظاهر المستعمل في كلام العرب، والفصيح من الكلام، و الكلام المعروف على ألسن العرب، و المعروف في كلام العرب المستفيض.

إذا فمعيار الفصاحة لدى الطبري في الكلام هو شيوعه و شهرته، وكثرة استعماله، وجريان الخطاب به، وسهولته، ونجد في تفسيره استعمال الشاذ في الكلام أو النادر المجهول، عكس الفصيح المشهور المعروف في كلام العرب.[٢٥]

ولأن الطبري يرى في النص القرآني النموذج و المثل الأعلى في الفصاحة و البيان؛ فإنه يستعمل الفصيح من كلام العرب للتدليل على معانيه، فيفضل «الأسهل الأفصح في كلام العرب» و«الأفصح الأعرف من كلام العرب»، مقابل «الأنكر الأجهل».[٢٦]

لذلك نرى الطبري ينحي باللائمة على النحاة الذين يفسرون القرآن حسب لغة شاذة من لغات العرب، فإنه، وإن جاز الكلام بها، فهو يرفض ذلك بحجة أن هذا الاستعمال «غير مستفيض» و «غير معروف»[٢٧] ويرفض الطبري أيضا أقوال أهل التأويل «المفسرين» إذا تعارض هذا التأويل مع كلام العرب الفصيح.[٢٨]

ونجد في تفسير الطبري استعمال مصطلحين متقابلين وهما: لغة أهل البوادي أو أهل السليقة، ويقصد بها الطبري اللغة الطبيعية التي يتكلم بها العرب دون تكلف، أي على سجيتهم، مقابل لغة المولدين وهي لغة أهل المدن و الأمصار و الحواضر في العراق و الشام، لذلك يحث الطبري المولدين في تفسيره على تحري القراءات الفصيحة المشهورة المتداولة في الاستعمال، وعدم اللجوء إلى اللغات الشاذة الغريبة التي يجوز، وفقا للطبري، استعمالها من قبل أهل البوادي فقط، لأنها لغتهم الطبيعية «أهل السليقة»، أي يجوز للبدوي الفصيح قراءة القرآن في لهجته الفصيحة، وليس المولد. ويعطي الطبري مثالا على ما يجوز للبدوي الفصيح استعماله: نحو: قم لان عنا، بمعنى: قم الآن عنا.[٢٩]

٢:٢:١:٤ لغات القبائل الفصيحة

بما أن القرآن يخاطب العرب الفصحاء، جمع الطبري في تفسيره الكثير من لغات (لهجات) العرب الفصيحة[٣٠].

فعندما تواجه الطبري كلمة «هلم»، بمعنى «أقبل» في القرآن، فإنه يبحث عن ورودها على لسان بعض القبائل الفصيحة، فيقول بأنها مستعملة عند «أهل العالية من تهامة و عند أهل السافلة من نجد»[٣١]، كما أنه يصادفنا في

---

٢٥ المصدر السابق ٤, ٤٢, ٥٢-٢٦

٢٦ المصدر السابق ٢, ٣٦, ٥-٦؛ ٦, ٩١, ٢٧-٢٨؛ ٣٠, ٦٧, ٢٠

٢٧ المصدر السابق ٥, ٩, ٢٦

٢٨ المصدر السابق ٧, ٢٤٣, ٢٢-٢٤؛ مواضع أخرى، ينظر: ٧, ٢٢٠, ٢٤٣؛ ١٢, ٤٠؛ ١٦, ١٥١؛ ١٨, ١٦١؛ ١٤, ١٧-١٨؛ ١٦, ١٦, ٨٣-٨٤, ٢١٣؛ ١٧, ١٧٨؛ ١٨, ١٥١؛ ٢٤, ١٠٥؛ ٣٠, ٦٧

٢٩ المصدر السابق ٢٧, ٧٧, ٢١-٣٠

٣٠ المصدر السابق، وانظر أعلاه، الملاحظة السابقة: ٢٦

٣١ المصدر السابق ٨, ٨٠, ١-٢٢

Digitized by Birzeit University Library

تفسير الطبري مجموعة واسعة من لغات القبائل يحاول الطبري من خلالها تفسير بعض الكلمات الصعبة في القرآن، حتى أنه يستشهد بلهجات من اليمن: نحو لفظهم كلمة «مسكنهم» بكسر الكاف، ويستشهد أحيانا بلهجة عمان عندما يطلقون اسم «الفاتح» و «الفتاح» على ما نسميه «القاضي».

ونقل لغة لقبيلة «أزد شنوءة» في استعمالهم كلمة «تخوف»، بمعنى: تنقص. ونجد في تفسيره نماذج من لهجات هذيل و تميم و طيء و بني أسد و لغة قريش، وغيرها.[٣٢]

ولكن علينا أن نضع في أذهاننا، أن الطبري لا ينقل هذه اللهجات مباشرة عن القبائل العربية، بل ينقل مادته عن مصادر أخرى، كالفراء و غيره.

٤:١:٢:٣ القراءات القرآنية لدى الطبري:

يعد الطبري من علماء القراءات المشهورين، وله في القراءات، كتاب كبير لم يصلنا، ونرى هذا جليا في تفسيره. يمتاز الطبري بجرأة كبيرة في نقده للقراءات القرآنية و ترجيح أحدها على الأخرى.

نلخص موفقه من هذه القراءات في هذه النقاط:

١. يقصر الطبري استعمال بعض القراءات النادرة القليلة على بعض القبائل العربية، أي على سكان البوادي من العرب الفصحاء، لأنهمم في رأيه، أهل السليقة، أي أصحاب اللغة الطبيعية «الأم»، فيقول الطبري: «إنما يوسع فيه [في القراءة] لمن كان ذلك سجيته و طبعه من أهل البوادي، أما المولدون فإن حكمهم أن يتحروا أفصح القراءات و أعذبها و أثبتها».[٣٣]

٢. يرفض الطبري بعض القراءات، لعدم موافقتها قواعد النحو العربي و قياسها.

٣. يشترط في القراءة الصحيحة من خلال الرواية المستفيضة «لاستفاضة القراءة بذلك»، أي: أن تكون القراءة مشهورة متداولة بين القراء.

٤. يرفض القراءة التي تخالف إجماع القراء، «خلاف لما عليه الحجة من القراء».

٥. يجب أن توافق القراءة رسم المصحف، و طريقة كتابته.[٣٤]

لذلك نرى أن الطبري ينهج نهج المحدثين و علماء السلف في قبول القراءات، ورفضها، إذ يعتمد على الروايات المشهورة الصحيحة، و ما أجمع عليه القراء، فهو حجة يجب الالتزام بها.

---

٣٢ المصدر السابق ٢٧ , ٧٧ , ٣٠

٣٣ المصدر السابق؛ وانظر أيضاً: ٨ , ٨٠ , ٩ , ٢ , ١٢ , ٥٠ , ٦٤ , ١١٦ , ١٤ , ١١٣ , ١٢٤ , ١٥ , ٢١٥ , ١٦ , ٦٤ , ٧٤، ٢٢ , ٧٧ , ٢٣ , ٩٥.

٣٤ المصدر السابق ١ , ٨٤ ؛ ٢ , ٢٧٧ ؛ ٨ , ٤٤ , ٦٧ , ٩١ , ١٢٥ , ؛ ١٠ , ٢٨ , ١٢٨ ؛ ١١ , ١١٦ , ١٢٦ , ١٣٠ ؛ ١٢، ٥٤؛ ١٤ , ١٠٤ ؛ ١٥ , ١٥٣ ، ٢٣٤ , ٢٩١ ؛ ١٦ , ٦٦ , ١٧٩ ؛ ١٧ , ١٤٢ ؛ ١٨ , ١٤ , ٢٤ , ١٢٣ , ١٥٤ ؛ ٢٠ , ٧٠؛ ٢٢ , ٢ , ٨٢ , ١٤٦ ؛ ٢٣ , ٢٣ , ٣٥ ؛ ٢٥ , ١٤٥ , ١٥٨ ؛ ٢٦ , ٢٧ ؛ ٣٠ , ٩ ؛ رفيدة ٦٢٣-٦٤٠ ؛ الألوسي ٣٩-٥٩

Digitized by Birzeit University Library

٤: ٢ القسم الثاني: مذهب الطبري النحوي

بعد دراسة مطولة للمواد النحوية في تفسير الطبري، نلخص مذهب الطبري في النحو في النقاط التالية:

١. اتبع الطبري في المادة النحوية في تفسيره المذهب الكوفي، وصلنا إلى هذه النتيجة للأسباب التالية:

ا. لأن الطبري يعتمد في مصادره النحوية كثيرا على «معاني القرآن» للفراء، و الكسائي.
ب. كما أن الأشعار التي يرويها في تفسيره في المسائل النحوية، تنسجم مع الرواية الكوفية.
ج. نتيجة لبحثنا ما يقارب الثمانين مصطلحا في تفسير الطبري، تبين لنا، بما لا يدع مجالا للشك، أنها تنتمي إلى المذهب الكوفي في النحو، ونجد أن المصطلحات البصرية في تفسيره، نقلها الطبري مباشرة عن نحاة البصرة، فلا يستعملها، إلا قليلا، في تعقيبه على المسائل النحوية، أو في نقاشه لوجوه الإعراب لآية[٣٥].
د. بعد اطلاعنا على ما يزيد على مائة مسألة خلافية في النحو في تفسيره، وجدنا أن الطبري يساند الكوفيين في غالبيتها، ويناصر البصريين في أقلها[٣٦].
هـ. نجد أن الطبري يستعمل ألقاب الإعراب و البناء التي استعملها الكوفيون[٣٧].
و. كما أنه اتبع الكوفيين في تقسيمه للفعل إلى ماض و مستقبل و دائم[٣٨].
ز. واتبعهم أيضا في تعليلاته النحوية، و في مسألة مهمة جدا وهي العامل في رفع المبتدأ و الخبر على مذهب الكوفيين[٣٩].
ح. من خلال ترجمة حياة الطبري، يروى أنه اتصل بنحاة الكوفة في عصره[٤٠].

٢. لم يكن الطبري نحويا، ولم يكن يهمه أن يكون نحويا: فلم يقلقه كونه كوفيا أم بصريا، بل هو محدث، وفقيه و مفسر يلتزم بأقوال أهل السلف، ورواياتهم.
٣. علاقة الطبري بالنحو: هو أنه كان يراه أداة مهمة جدا في شرح النص القرآني، وبيان وجوهه.
٤. اعتذر الطبري لقرائه في التفسير، بأنه لا يستطيع التوسع في علل النحاة و قواعدهم، لأنه ينزه النص القرآني، ويجله عن أن يقحم فيه نقاشات النحاة، و أبواب النحو المفصلة[٤١].

---

٣٥ انظر: الفصل الثاني، مصطلحات الطبري النحوية
٣٦ انظرك الفصل الثالث، المسائل الخلافية في النحو بين الكوفيين والبصريين
٣٧ انظر: أعلاه، الفصل الثالث، القسم الاول، البند ٣: ١: ١ المسألة رقم ٢٩
٣٨ انظر: اعلاه، الفصل الثاني، البند ٢: ٧: ٧ الفعل الدائم
٣٩ انظر: اعلاه، القسم الثاني، ٣: ٢ البند ٣: ٢: ١
٤٠ انظر: اعلاه، الفصل الاول، البند ١: ٤ ابو العباس ثعلب
٤١ أنظر: اعلاه، الفصل الرابع، البند ٤: ١ آراؤه الدينية

Digitized by Birzeit University Library

٥. يقيد الطبري النحاة، في أكثر من موضع في تفسيره، بما قاله السلف أو أهل الرواية و النقل، ويعتبرهم ممن يفسر القرآن برأيه إذا لم يلتزموا بأقوال السلف و رواياتهم، إذن فهو يقدم سلطة النقل و الرواية على النحو والنحاة حججهم[٤٢].

٦. لم يكن الطبري يعد نفسه من أهل العربية أي: النحو: وكان يخطيء من ينهج في تفسيره نهج النحاة فقط، لأنه يعتقد أنهم لا دراية لهم بالرواية و النقل عن السلف.

٧. تفكير الطبري و شخصيته تتجلى محدثاً، حتى عندما يعالج النصوص النحوية في تفسيره: فهو يتبع أسلوب المحدثين في عرض المسائل النحوية، وحجج النحاة، واختيار الإجماع و الحجة في الرأي.

٨. مما يزيد قناعتنا بكون الطبري مفسرا محدثا وليس نحويا، أمران:

أولهما: لم يؤلف الطبري كتابا في النحو أو اللغة، فلم نعثر على ذلك في كتب التراجم أو غيرها، بالرغم من غزارة انتاجه في الفروع الأخرى: كالفقه و الحديث و التفسير والحديث و القراءات.

ثانيهما: لم ينقل معاصروه أو تلاميذه كالمعافى بن زكريا، أو المتأخرون آراءه في النحو، بل تقتصر فقط على ما نقلته بعض التفاسير.

٩. كان الطبري حرا في اختيار آرائه النحوية، و ترجيح رأي على الآخر، فهو يبني حكمه على النص النحوي من خلال ما يراه صوابا، وقريبا من مفهوم الآية القرآنية و معناها؛ لذلك يهاجم النحوي الذي يخالف المقاييس التي وضعها، وإن كان كوفيا، لذلك يؤيد البصريين في مجموعة من المسائل النحوية في تفسيره، لأن الانتماء إلى مذهب نحوي لم يكن في الرتبة الأولى من اولوياته. فإذا لم يتطابق رأي هذا النحوي أو ذاك مع رأي المفسرين أو أهل السلف، فإن الطبري، غالبا، ما يستبعد هذا الرأي، ويتهم هذا النحوي سواء كان كوفيا أم بصريا بالجهل في الرواية و النقل عن أهل التفسير، لأن الطبري، في الحقيقة، ينتمي إلى هذه الفئة.

اختار الطبري لنفسه آراء خاصة به في الفقه، من المذهب الشافعي، ليصبح له مذهب فقهي منفصل مستقل عن غيره من المذاهب, و كان إماما في القراءات و الحديث، ويرى نفسه موجها للأمة في عصره، ونلمس ذلك من خلال التفسير، فالرد على المعتزلة و أهل الباطن و غيرها من الفرق كان يحتل جانبا مهما من فكر الطبري، وفلسفته في التفسير القرآني، أما النحو، فالبرغم من كونه مطلعا على النحو، ملما بأحكامه و قواعده، فإذا جمعنا المادة النحوية في كتابه، نجد أنها تؤلف كتابا كبيرا في مفردها، إلا أنه منهمك بقضايا فكرية يراها أهم من الاهتمام بالتفاصيل الدقيقة للمسائل النحوية و اللغوية.

Digitized by Birzeit University Library

نتائج البحث

١. قضية البحث:

أثبتت هذه الدراسة أن تفسير الطبري هو أحد المصادر المهمة جداً في معرفة النحو الكوفي.
وبما أنه لم يصلنا من كتب النحو الكوفي سوى كتب محدودة من أهمها «معاني القرآن» للفراء، لذلك تزداد أهمية تفسير الطبري في إلقاء المزيد من الضوء على أبواب هذا النحو ومسائله.
في ضوء المادة النحوية في تفسير الطبري، يمكننا فحص مصداقية المصادر المتأخرة في النحو التي تحدثت عن آراء نحاة الكوفة، نحو: «الإنصاف» للأنباري، وغيره من كتب المتأخرين.
الإشكالية في النحو الكوفي أننا نعتمد على مصادر ثانوية، لأنه لم تصلنا كتب تتحدث مباشرة عنه، على غرار النحو البصري «كالكتاب» لسيبويه، و«المقتضب» للمبرد، و«الأصول في النحو» لابن السراج.
كتاب «معاني القرآن» للفراء، و«مجالس» ثعلب، وهما من مصادر النحو الكوفي الأساسية، لا يكفيان لتوضيح قواعد النحو الكوفي مفصلة على غرار الكتب البصرية التي ذكرت آنفا.
يرتكز اعتمادنا في معرفة النحو الكوفي أيضا على كتب خصومهم من البصريين، مما يجعلنا نضع علامات استفهام على المسائل المنسوبة إليهم، ونشك في مصداقية ما قيل، فكتاب «الإنصاف» للأنباري يتحدث عن آراء الكوفيين معمما، دون تفصيل، هذا التعميم من قبله يوقعنا في مشاكل عديدة؛ من هنا تبرز أهمية تفسير الطبري الذي يعتبر من المصادر الأصيلة المبكرة التي يمكننا من خلاله، مقارنة ما نقله المتأخرون عن الكوفيين وتأكيد ذلك أو نفيه بناء عليه.
إن قيمة تفسير الطبري، لا تقدر، لأن الطبري كان متكاملا في تفسيره، فقد دمج بين اللغة والنحو والقراءات والحديث وقصص الأنبياء والفقه، أي لم يكن نويا متخصصا يهمه النحو فقط؛ لذلك نجد في تفسيره الكثير من الروايات والمواد النادرة التي لا تتوافر لدى غيره من التفاسير.

Digitized by Birzeit University Library

٢. توصلت هذه الدراسة، بعد فحص المواد النحوية في تفسير الطبري إلى النتائج التالية:

- الفصل الأول: مصادر الطبري النحوية:

أ- توصلنا في دراسة مصادر الطبري إلى أن اكثر اعتماده كان على «معاني القرآن» للفراء، مما يشير إلى أن الطبري ينتمي في مادته النحوية إلى المذهب الكوفي.

ب- كما أثبتت الدراسة أن ما نقله الطبري عن الفراء، يختلف عما نجده في النسخة المطبوعة من «معاني القرآن»؛ مما يدل على أن الطبري نقل عن نسخة أخرى أكثر تفصيلا وشرحا من النسخة المنشورة حاليا.

ت- هنالك نصوص أخرى نقلها الطبري عن نحاة كوفيين متقدمين لم تصلنا كتبهم النحوية كالكسائي والأحمر الكوفي لذلك يعتبر تفسيره مصدرا نادرا في تسجيل آراء هؤلاء العلماء.

ث- وأثبتت الدراسة أن الطبري استعمل في مصادره كتبا مهمة في موضوع معاني القرآن والقراءات لم تصلنا: مثل كتاب «معاني القرآن» للكسائي، وكتاب «القراءات» للقاسم بن سلام، ونقل آراء لتلميذ سيبويه قطرب وغيره من النحاة الذي لم تصلنا كتبهم، مما يزيد من قيمة تفسيره.

ج- من المرجح أن الطبري لم يقتبس مباشرة عن الكتب المتخصصة في النحو، مثل الكتاب لسيبويه والمقتضب للمبرد، بل اعتمد على كتب معاني القرآن وإعرابه في استقاء المواد النحوية، كما أنه لم يكثر من ذكر أسماء الذين نقل عنهم من النحاة.

ح- الملاحظة الأخيرة في هذا الفصل أن الطبري كان دقيقا في نقله، وكان يتدخل في انتقاء المادة النحوية في تفسيره. ويعلق عليها ويرجح أحد الأقوال ويرفض غيرها، إلا أنه لا يدخل نقاشات النحويين وعللهم كاملة في التفسير تنزيها للنص القرآني وتقديسا له.

ب- الفصل الثاني: مصطلحات الطبري النحوية:

في ضوء دراستنا لما يزيد عن ثمانين مصطلحا نحوياً من مصطلحات الطبري، نستخلص النتائج التالية:

١. الأغلبية الساحقة من مصطلحاته النحوية تنتمي إلى المذهب النحوي الكوفي، أي أنه كان يعتمد على الفراء وغيره من نحاة الكوفة.

٢. عدم استقرار الدلالة في بعض مصطلحاته النحوية، فكان يستعمل مصطلحا معينا بصورة مضطربة غامضة أحياناً وغير فنية، نحو: حرف وفعل ومصطلح التفسير التي نجد لها دلالات متشعبة جدا في تفسيره.

٣. ازدواجية المصطلح: كان يستعمل أحيانا المصطلح البصري إلى جانب المصطلح الكوفي مثل: القطع والحال، والبدل والترجمة وغير ذلك.

٤. كان يتمتع بحرية تامة في انتقاء المصطلحات التي يراها ملائمة لقداسة النص القرآني؛ فلذلك نراه يعارض استعمال النحاة لمصطلح «حرف زائد» ولغو في القرآن، لأنه يعتقد أنه لا يجوز أن ننسب الزيادة إلى كلام

Digitized by Birzeit University Library

الله، حتى لا يكون هنالك مجال للفرق الدينية في الطعن على بلاغة القرآن وإعجازه، مثال: أكثر الطبري من استعمال «صلة» بدلا من «زيادة» ، مع العلم أنه أجاز استعمال «حرف زائد» ضمن شروط محددة، كورود ذلك في لهجات البدو الفصحاء، واستعمال «الزيادة» للتوكيد.

من خلال موقف الطبري هذا، تتجلى أمامنا شخصيته مفسراً في الدرجة الأولى يسخر النحو من أجل فهم معاني القرآن.

٥. يتبع الطبري الكوفيين في تقسيم أزمنة الفعل إلى الماضي والمستقبل والدائم، ولكنه أدخل في مصطلح «الدائم» بالإضافة إلى اسم الفاعل الفعل المضارع.
٦. أثبتت هذه الدراسة في بحث المصطلح «فعل»، أنه من خلال تفسير الطبري، نجد استعمالات تدل على وجود أفعال الاستعانة (الأفعال المساعدة) في اللغة العربية، وهي أفعال غير حقيقية، لا تحدث فعلا حقيقيا، بل تدل على الزمن فقط. وصفها الطبري بقوله: «على اتصال الفعل ودوامه».
٧. يجب توخي الحذر في تعاملنا مع المتأخرين الذين نقلوا عن نحاة الكوفة المتقدمين بعض المصطلحات النحوية، لأن المتأخرين يستعملون مصطلحات نحوية لم يستعملها القدماء، فيظن القارئ خطأ أنها استعملت من قبل القدماء.
٨. كثرة استعمال المصطلحات الكوفية في النحو يشير إلى العلاقة الوطيدة بين نشأة النحو الكوفي وتفسير القرآن.
٩. الكثير من المصطلحات الكوفية قديم جدا، أي كانت مستعملة في القرن الثاني الهجري، وليست مستحدثة من قبل نحاة الكوفة، لتكون مرادفة للمصطلحات البصرية؛ لإبراز المذهب الكوفي وتفخيمه.
١٠. لم يشع في تفسير الطبري استعمال المصطلح «جملة»، وهذا يتطابق مع استعمال القدماء لمعنى «الجملة»، بعكس المتأخرين الذين استعملوها بمعنى الكلام التام.
١١. هنالك مجموعة من المصطلحات التي استعملها الطبري خلافا لاستعمالات النحويين، دخلت الى النحو من: الفقه والتفسير وعلم الكلام، نحو: ايتناف وخلف والمصمود له ونفل.
١٢. هنالك مجموعة من المصطلحات النحوية في تفسير الطبري استعملت مرة أو مرتين، أي ليست مصطلحات فنية متخصصة، نحو: غاية كلام.
١٣. ثمة مجموعة من المصطلحات المشتركة بين الكوفيين والبصريين التي نجدها مستعملة في الكتاب لسيبويه، نحو: التكرير، وكلام، وفعل بمعنى المصدر، كناية، ونسق.

ج- الفصل الثالث: المسائل الخلافية في تفسير الطبري:

١. في ضوء اطلاعنا على ما يزيد على مائة مسألة من المسائل الخلافية بين نحاة الكوفة والبصرة في تفسير الطبري وجدنا أن الطبري يؤيد الكوفيين في أكثرها.

Digitized by Birzeit University Library

٢. أسلوب الطبري في عرض المسائل الخلافية يوضح منهجه الذي يظهره فقيهاً ومحدثاً أكثر من كونه نحويا، فلغته قريبة إلى الفقه في نقاشه للمسائل الخلافية.

٣. الكثير من المسائل الخلافية ترتبط بالخلاف حول إعراب كلمة معينة، أي أنها تدور حول المسائل المشكلة في النص القرآني فقط.

٤. من أهم ما وصلت إليه الدراسة في هذا الفصل، أن مجموعة من المسائل الخلافية التي أوردها الأنباري في «الإنصاف» أصيلة، لها أصول في المصادر القديمة كمعاني القرآن للفراء؛ مما ينفي تهم المستشرق فايل.

٥. أثبتت هذه الدراسة أن بعض اقتباسات الأنباري عن الكوفيين ليست دقيقة، بسبب تعميمه في النقل.

٦. نلاحظ أن المسائل التي تبنى الطبري فيها رأي أهل البصرة تتصل بالفروع، وليس الأصول.

٧. هنالك مجموعة من المسائل الخلافية المذكورة في تفسير الطبري لا تستحق أن تسمى خلافية، فلا يجدر بنا تفسير قول الطبري «اختلف» على أنه مسألة خلافية دائما.

٨. بعض المسائل المشهورة في «الإنصاف» كاشتقاق الفعل من المصدر أو العكس لم نجدها في تفسير الطبري.

د- الفصل الرابع: مذهب الطبري النحوي وآراؤه الدينية وعلاقتها بالنحو:

١. يمثل تفسير الطبري مرحلة مبكرة من تاريخ التفسير، فهو يزاوج بين النحو والتفسير، ويجعل النحو وسيلة من أجل توضيح النص القرآني، لأنه أدرك بذكاء أهمية النحو في توضيح معاني النص القرآني.

٢. أثبتت الدراسة أن الطبري يقدم أقوال أهل السلف والرواية على النحويين، لأنه ينتمي في الحقيقة، إلى الطائفة الأولى، فهو يستعمل النحو بالقدر الذي يسمح به تفسير القرآن، لأن القرآن نص مقدس، لا يدخل فيه الطبري النقاشات المطولة للنحويين.

٣. توصلت الدراسة إلى أن تفسيره من أهم المصادر القديمة التي سجلت الكثير من اللهجات العربية القديمة لمجموعة من القبائل العربية الفصيحة. ويحوي أيضا على الكثير من القراءات النادرة التي لا نجدها عند غيره من التفاسير.

٤. يضع الطبري في تفسيره معايير لفصاحة الكلام، منها: شيوعه وشهرته وكثرة استعماله وسهولته في النطق.

٥. لم يكن الطبري نحويا متخصصا، بالرغم من تضلعه وفهمه العميق للمسائل النحوية، فلم يقلقه كونه كوفيا أم بصريا، فهو محدث فقيه، ملتزم بأقوال المفسرين أولا.

٦. مما يزيد في اعتقادنا أنه ليس نحويا متخصصا:

- أنه لم يؤلف كتابا في النحو أو اللغة، بالرغم من غزارة انتاجه في الفروع الأخرى من المعرفة.
- ولم يستشهد النحاة المتأخرون بآرائه في النحو: فلا نجد له ذكرا في كتب النحو العربي.

٧. لم يكن هدف الطبري من وراء تفسيره، أن يجعله مخصصا لمسائل النحو واللغة، بل لتوضيح النص القرآني وشرحه.

Digitized by Birzeit University Library

قائمة المصادر و المراجع باللغة العربية مرتبا أبتثيا :

المصادر :

1- ابن الأنباري ، شرح =
ابن الأنباري ، أبو بكر محمد بن القاسم ، **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات** ، تح عبد السلام هارون ، دار المعارف ، مصر ، 1969

2- ابن جني، الخصائص =
أبن جني ، أبو الفتح عثمان ، **الخصائص** ، 3 مجلدات ، تح محمد علي النجار، دار الكتب المصرية ، 1952

3- ابن جني ، سر =
سر صناعة الإعراب ، جزءان ،تح حسن هنداوي ،دمشق، 1985

4-ابن حجر ، لسان =
ابن حجر العسقلاني، **لسان الميزان** ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند ، 1331 هـ

5-ابن الخشاب ،المرتجل =
أبو محمد عبد الله بن أحمد، **المرتجل في شرح الجمل** ،تح علي حيدر، دمشق ، 1972

6-ابن سيده، المحكم =
أبو الحسن علي بن اسماعيل ، **المحكم و المحيط الأعظم** ، تح السقا ونصار وآخرين، القاهرة ، 1958
و ط هنداوي ، 2000

7-ابن السراج، الأصول =

Digitized by Birzeit University Library

أبو بكر محمد بن سهل ، **الأصول في النحو** ،تح عبد الحسين الفتلي ،3 مجلدات ، مج 1 ،ط2 بيروت،1987 ، مج 2 ،ط3 بيروت ، 1988 ،مج 3 ،ط3 بيروت ، 1988

8-ابن شقير ، المحلى=
أبو بكر أحمد بن الحسن، **المحلى"وجوه النصب"** ،تح فائز فارس ،بيروت، 1987

9-ابن عساكر ، تاريخ=
ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن ، **تاريخ مدينة دمشق** ، 80 مجلدا ، تح محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي ، دار الفكر ، بيروت ، 2001

10- ابن عصفور ، شرح=
أبو الحسن علي بن مؤمن ، **شرح جمل الزجاجي**،مجلدان ،تح صاحب أبو جناح ،بغداد ، 1980-1982

11- ابن عطية ، المحرر=
ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب ، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، 12 مجلدا ،تح أحمد الملاح ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، المغرب، 1975- 1991

12- ابن عقيل ، شرح =
ابن عقيل،بهاء الدين عبد الله بن عقيل ، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك** ، مجلدان ، تح محمد محيي الدين عبد الحميد ، د. مكان نشر . د.ت

13- ابن العماد، شذرات =
ابن العماد الحنبلي ، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ،بيروت ،بلا تاريخ نشر

14- ابن فارس ، معجم =
ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس ، **معجم مقاييس اللغة** ، 6 مجلدات ، تح عبد السلام هارون ، القاهرة ، 1952

15- ابن قتيبة ، أدب =

Digitized by Birzeit University Library

ابن قتيبة ،أبو محمد عبد الله بن مسلم ، **أدب الكاتب** ،تح جرينرت ، ليدن ، 1900

16- ابن قتيبة ، تأويل =
تأويل مشكل القرآن ،تح السيد أحمد صقر، المدينة ، 1981

17- ابن قتيبة ، تلقين =
كتاب تلقين المتعلم من النحو ، تح جمّال عبد العاطي مخيمر ، القاهرة ، 1989

18- ابن قتيبة ، غريب =
تفسير غريب القرآن ،تح السيد أحمد صقر ،مصر ، 1958

19- ابن كيسان ، الموفقي =
ابن كيسان ،أبو الحسن محمد بن أحمد ، **"الموفقي في النحو"** ، تح عبد الحسين الفتلي و هاشم طه شلاش ، المورد ، 4: 2 (1975) ، ص 119

20- ابن مالك ، شرح =
ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله، **شرح التسهيل** ،تح عبد الرحمن السيد ، القاهرة ، 1974

21- ابن مضاء، الرد =
ابن مضاء القرطبي ، **الرد على النحاة** ، تح شوقي ضيف ، دار المعارف ، 1982

22- ابن منظور، لسان =
ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب** ، 15مجلدا ، دار صادر ،بيروت ، بلا تاريخ

23- ابن هشام ، أوضح =
ابن هشام ، جمال الدين،أبو محمد عبدالله بن هشام، **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ،بلا تاريخ

24- ابن هشام ، شرح =

Digitized by Birzeit University Library

شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ،تح محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، د.ت

25- ابن هشام ، مغني =
مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، القاهرة ،دون تاريخ و ط ، مازن المبارك ومحمد علي حمد الله،بيروت ، 1985

26- ابن يعيش ، شرح =
ابن يعيش ، أبو البقاء موفق الدين بن علي ،**شرح المفصل** ،مجلدان ،القاهرة ،دون تاريخ

27- أبو البقاء ، الكليات =
أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ، **الكليات** ،تح عدنان درويش و محمد المضري ، بيروت ، 1992

28- أبو حيان ، ارتشاف =
أبو حيان، محمد بن يوسف ، **ارتشاف الضرب من لسان العرب** ،3مجلدات ،تخ مصطفى النماس ،القاهرة ، 1987

29- أبو حيان ، البحر =
تفسير البحر المحيط ،8 مجلدات، القاهرة 1328هـ

30- أبو الطيب اللغوي ،مراتب =
أبوالطيب اللغوي، عبد الرحمن بن علي ، **مراتب النحويين**،تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2 ، القاهرة ،د.ت

31- أبو عبيدة ، مجاز =
أبو عبيدة، معمر بن المثنى ، **مجاز القرآن**، مجلدان، تح فؤاد سزكين ، القاهرة، د.ت

32- الأزهري ، تهذيب =
الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد ، **تهذيب اللغة** ، 15 مجلدا ، تح إبراهيم الأبياري و آخرون ، القاهرة ، 1964- 1967

Digitized by Birzeit University Library

33- الأزهري ، شرح =
الأزهري، خالد بن عبد الله ، **شرح التصريح على التوضيح** ، جزءان ،دار إحياء الكتب العربية، وبهامشه : حاشية الشيخ يس بن زين الحمصي ، القاهرة ،د.ت

34- الأسترأباذي ، شرح =
الأسترأباذي ، رضي الدين محمد بن الحسن ، **شرح الكافية** ، 4 مجلدات، تح يوسف حسن عمر ، القاهرة ، 1973

35- الأصفهاني ، مفردات =
الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد ، **المفردات في غريب القرآن** ، تح محمد سيد كيلاني ، د.مكان نشر ،د. ت

36- الألوسي ، روح =
الألوسي، محمود شهاب الدين الألوسي ، **روح المعاني في تفسير القرآن** و السبع المثاني ،15 مجلدا ، القاهرة ، 1964

37- الأنباري ، أسرار =
الأنباري، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد، **أسرار العربية**، تح محمد بهجة البيطار ، دمشق ، 1957
و ط زيبولد ، ليدن ، 1886

38- الأنباري ، الإنصاف =
الإنصاف في مسائل الخلاف ، مجلدان ،تح محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، د.ت
وط إميل بديع يعقوب ، 1998

39- البغدادي ، خزانة =
البغدادي ، عبد القادر بن عمر ، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**،تح عبد السلام محمد هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1979

40- التهانوي ، كشاف =

Digitized by Birzeit University Library

التهانوي، محمد علي الفاروقي ، **كشاف اصطلاحات الفنون** ، تح لطفي عبد البديع ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة و الطباعة و النشر، 1963

41- الجاحظ ، البيان =
الجاحظ ،أبو عثمان عمرو بن بحر ، **البيان و التبيين** ،4 مجلدات ،تح عبد السلام هارون ، دار الجيل ،بيروت ،د. ت

42- الجاحظ ، الحيوان =
كتاب الحيوان ،7 مجلدات، تح عبد السلام هارون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د. ت

43- الجرجاني ، دلائل =
الجرجاني ،أبو بكر ، عبد القاهر بن عبد الرحمن ، **دلائل الإعجاز** ، تح محمد رضوان الداية و فايز الداية ، ط2 ، دمشق ، 1987

44- الجرجاني ، المقتصد =
المقتصد في شرح الإيضاح ،مجلدان ،تح كاظم بحر المرجان ، العراق ، 1982

45- الجرجاني ، التعريفات =
الجرجاني، علي بن محمد ، **التعريفات** ،ضبطه و فهرسه محمد عبد الحكيم القاضي ، بيروت ، 1991

46- حيدرة اليمني، كشف =
حيدرة اليمني،علي بن سليمان ، **كشف المشكل في النحو** ، تح هادي عطية الهلالي ، دار عمار للنشر و التوزيع ، عمان ، 2002

47- الخطيب البغدادي ، تاريخ =
الخطيب البغدادي،أبو بكر أحمد بن علي ، **تاريخ بغداد** ،14 مجلدا ، بيروت ، 1980-1970

48- خلف الأحمر ، مقدمة =
الأحمر، خلف بن حيان ، **مقدمة في النحو** ،تح عز الدين التنوخي ، دمشق ، 1961

Digitized by Birzeit University Library

49- الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم =
الفراهيدي، الخليل بن أحمد ، **معجم العين** ، 8 مجلدات ، تح مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي ، العراق ، 1980

50- الذهبي ، سير =
الذهبي،شمس الدين محمد بن أحمد ، **سير أعلام النبلاء** ، تح شعيب الأرنؤوط و أكرم البوشي ، بيروت ، 1984

51- ميزان =
ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ، 1963

52- الرازي ، اعتقادات =
الرازي، فخر الدين محمد بن عمر ، **اعتقادات فرق المسلمين و المشركين** ، تح محمد عزب ، القاهرة ، 1993

53- الزبيدي ، تاج =
الزبيدي ، السيد محمد مرتضى الحسيني ، **تاج العروس من جواهر القاموس** ، تح عبد الستار أحمد فراج ، مطبعة حكومة الكويت، الكويت ، 1965

54- الزجاج ، معاني =
الزجاج، أبو اسحق ، إبراهيم بن السري ، **معاني القرآن و إعرابه**، 5 مجلدات، تح عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ،بيروت ، 1988

55- الزمخشري ، الكشاف =
الزمخشري،جار الله محمود بن عمر ، **الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التنزيل** ، 4 مجلدات ، مصر ، 1972

56- السمرقندي ، بحر العلوم =
السمرقندي ،أبو الليث نصر بن محمد ، **تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم** ، 3 مجلدات ،تح علي محمد معوض و عادل أحمد عبد الموجود و زكريا عبد المجيد النوتي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1993

57- السمين الحلبي ، الدر =

Digitized by Birzeit University Library

السمين الحلبي، أحمد بن يوسف ، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون** ،6 مجلدات ، تح أحمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، 1987

58- سيبويه ، الكتاب =
سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان ، **الكتاب** ، 5 مجلدات ،تح عبد السلام هارون ، دار الجيل ،بيروت ، 1991
و ط بولاق ، مجلدان ، وبهامشه تقريرات و زبد من شرح أبي سعيد السيرافي ،وبأسفل الصحيفة تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب للشنتمري ، 1316 هـ
و ط درنبورغ ، باريس ، 1881-1885
و ط إميل بديع يعقوب ، بيروت ، 1999

59- السيوطي، إتقان =
السيوطي ،جلال الدين ، **الإتقان في علوم القرآن** ، مجلدان ،تح محمد أبو الفضل إبراهيم ،مصر ، 1974
وط المندوه ، 1996

60- السيوطي ، **همع الهوامع شرح جمع الجوامع** ، 7 مجلدات ،تح عبد العال سالم مكرم ، بيروت ، 1992

61- الطبري ، جامع =
الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، 16 جزءا ،تح محمود و أحمد محمد شاكر ،القاهرة ، 1969
وط القاهرة 16 مجلدا ، 1954 ، أعيد طبعه في بيروت ، 1988

62- الطبري ، تهذيب =
تهذيب الآثار، 4 مجلدات ، تح محمود محمد شاكر، مطبعة المدني ، القاهرة ، 1982

63- العكبري ، اللباب =
العكبري ، أبو البقاء عبد الله ، **اللباب في علل البناء و الإعراب** ،مجلدان ،تح غازي طليمات ، بيروت ، دمشق ، 1995

64- الفارسي ، التعليقة =

Digitized by Birzeit University Library

الفارسي ،أبو علي الحسن بن أحمد ، **التعليقة على كتاب سيبويه** ، 6 مجلدات ، تح عوض بن حمد القوزي ، القاهرة ، 1990- 1996

65- الفارسي ، الحجة =
الحجة للقراء السبعة ، 6مجلدات ،تح بدر الدين قهوجي و بشير جويجاتي ، ، دمشق ، 1984

66- الفارسي ، المسائل المشكلة(البغداديات)=
المسائل المشكلة (المعروفة بالبغداديات) ، تح صلاح الدين عبد الله السنكاوي ، بغداد ، 1983

67- الفراء ، معاني =
الفراء ، أبو زكريا يحيى بن زياد ،**معاني القرآن** ، 3 مجلدات ،تح أحمد يوسف نجاتي ، محمد علي النجار ، عبد الفتاح اسماعيل شلبي ،القاهرة ، 1955- 1972

68- الفيروزأبادي ، بصائر =
الفيروزأبادي،مجد الدين محمد بن يعقوب ، **بصائر ذووي التمييز في لطائف الكتاب العزيز** ،6 مجلدات ، تح محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ،بيروت ،د .ت

69- القرطبي ، الجامع =
القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد ، **الجامع لأحكام القرآن** ، 8 مجلدات ، القاهرة ، د.ت
و ط ، بيروت ، 1993 و ط بيروت ، 1995

70- القفطي ، إنباه =
القفطي ، أبو الحسن علي بن يوسف ،**إنباه الرواة على أنباه النحاة** ، 3 مجلدات ،تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، 1950- 1955

71- المبرد ، المقتضب =
المبرد ،أبو العباس محمد بن يزيد ، **المقتضب** ، 4 مجلدات ، بيروت ، د.ت
وط إميل بديع يعقوب ، بيروت ، 1999

72- النحاس ، إعراب =

Digitized by Birzeit University Library

النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد ، **إعراب القرآن** ، 5 مجلدات ،تح زهير غازي زاهد ، بيروت ، 1988

73- النحاس ، معاني =
معاني القرآن الكريم ، 6 مجلدات ، تح محمد علي الصابوني ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، مركز إحياء التراث الإسلامي ، بيروت ، 1988-1989

74- النديم ، الفهرست =
النديم ، محمد بن اسحق ، **الفهرست** ، تح فلوجل ، ليبزك ، 1871- 1872

75- النسفي ، مدارك =
النسفي ، أبو البركات عبد الله ، **مدارك التزيل وحقائق التأويل** ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، د.ت
و ط ،بيروت ، 1996

76- هارون بن موسى ، الوجوه =
هارون بن موسى القارىء ، **الوجوه و النظائر في القرآن الكريم** ، تح حاتم صالح الضامن ،وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، 1988

77- ياقوت ، إرشاد =
ياقوت الحموي،أبو عبد الله يعقوب ، **إرشاد الأريب إلى معرفة إلى معرفة الأديب** ، بغداد ، دار المأمون ، 1936
و ط إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1993

Digitized by Birzeit University Library

المراجع بالعربية :

1- الألوسي ، الطبري =
الألوسي ، زكي فهمي أحمد شوقي ، **الطبري النحوي من خلال تفسيره** ، بغداد ، 2002

2- الأنصاري ، أبو زكريا =
الأنصاري ، أحمد مكي ، **أبو زكريا الفراء و منهجه في النحو** ، القاهرة ، 1964

3- حسن ، النحو =
حسن ، عباس ، **النحو الوافي** ،4 مجلدات ، د.مكان نشر ، د.ت

4- الحمد ، 1998 =
الحمد ، علي ، "مصطلحا "الأصل" و "الأصول" في كتب النحو وأصوله" ، مجلة المستعرب ،19-20 ، بودابست ، المؤتمر الدولي الخامس و الثلاثين للدراسات الآسيوية و شمال أفريقيا ، ص 15-26

5- حمزة ، حمزة ، 1997 =
حسن حمزة و سلام بزي- حمزة ، "الصرف بين سيبويه و الفراء"، مجلة المجمع اللغوي الأردني ، عدد ، 1997 ، ص ص 65- 83

6- دوزي ، تكملة =
دوزي ،رينهارت ، **تكملة المعاجم العربية** ،7 مجلدات ، ترجمة محمد سليم النعيمي ، بغداد ، 1978

7- ديره ، دراسات =
ديره ،أحمد ، **دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء**(رسالة ماجستير) ، بيروت ، دمشق ، 1991

8- رفيدة ، النحو =

Digitized by Birzeit University Library

رفيدة ، إبراهيم عبد الله ، **النحو و كتب التفسير** ،مجلدان ، طرابلس الغرب ، ط2 1984

9- الزبيدي ، مصطلحات =
الزبيدي ، سعيد جاسم ، **مصطلحات ليست كوفية** ، دار أسامة للنشر و التوزيع ، عمان ، 1998

10- الزيات وآخرون، المعجم =
الزيات، أحمد حسن و آخرون ، **المعجم الوسيط** ، المكتبة الإسلامية ، استانبول ، تركيا ، د. ت

11- السامرائي ، 1983 =
السامرائي ، إبراهيم ، " ألنا مدارس نحوية؟ " ، مجلّة مجمع اللغة العربية الأردني ، العدد 21- 22 ، 1983 ، ص ص 7- 22

12- السامرائي ، 1970 =
السامرائي ، فاضل ، "الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين و الكوفيين لابن الأنباري " ، مجلة كلية الأداب ،الجامعة المستنصرية ، عدد 13، 1970 ،ص ص 415- 423

13- صالح ، 1996 =
صالح، عبد الرحمن الحاج ، "الجملة في كتاب سيبويه" ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، عدد 78 ، 1996 ، ص ص 98- 100

14- ضيف ، مدارس =
ضيف ، شوقي ، **المدارس النحوية** ، دار المعارف ،مصر ، 1976

15- طلمون ، 1986 =
طلمون ، رافي ، "المسألة الزنبورية ،دراسة في ماهية اختلاف المذهبين النحويين" ، الكرمل ، جامعة حيفا ، عدد 7 ، 1986 ، ص ص 131- 161

16- طلمون ، 1999 =
"لمحة حول اختلاف الكوفيين و البصريين و قضية نسب كتاب العين إلى الخليل بن أحمد" ، الكرمل ، جامعة حيفا، عدد 20 ،1999 ، ص ص 189- 200

Digitized by Birzeit University Library

17 - عبد الباقي ،المعجم =
عبد الباقي ،محمد فؤاد ، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** ، دار الفكر و دار المعرفة ، بيروت ، 1994

18 - عبد المسيح ،تابري ، معجم =
عبد المسيح ، جورج متري ،هاني جورج تابري ، **معجم مصطلحات النحو العربي "الخليل"** ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1990

19- عضيمة ، فهارس =
عضيمة ، محمد عبد الخالق ، **فهارس كتاب سيبويه** ، القاهرة ، 1975

20- فان إس ،1999 =
فان إس،يوسف ،"مسألة الجبر و الاستطاعة : دراسة في الحديث و علم الكلام" ،ترجمة: ماهر جرار، الأبحاث ،العدد 47 ، 1999 ، ص ص 5-101

21- القوزي ، المصطلح =
القوزي ، عوض ، **المصطلح النحوي ،نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري** (رسالة ماجستير)، جامعة الرياض ، 1981

22- كينبرغ ، معجم =
كينبرع ، نفتالي ، **معجم مصطلحات الفراء في معاني القرآن** (بالعربية و الانجليزية) ، ليدن ، 1996

23- كاظم ، النحو =
كاظم ، إبراهيم كاظم ، **النحو الكوفي ،مباحث في معاني القرآن للفراء** ،عالم الكتب ، بيروت ، 1998

24- المالكي ، دراسة =
المالكي ، محمد ، **دراسة الطبري للمعنى من خلال تفسيره : جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، المغرب ، 1996

25- المخزومي ، المدرسة =
المخزومي ، مهدي ، **المدرسة الكوفي** ، ط2 مصر ، 1958

Digitized by Birzeit University Library

المراجع باللغات الأجنبية:

1-Baᶜalbaki,Arab Grammtical=

Baᶜalbaki, Ramzi, " Arab Grammatical Controversies and Extant Sources of the second and third centuries A.H." Studia Arabica et Islamica. Festschrift for Ihsan Abbas . Ed. Widād al- Qāḍi. Beirut, 1-26

2- Baᶜalbaki,Difficult=

"A Difficult Passage in FARRĀ'S MAᶜĀNĪ l-QURᵓAN", in: BEO 35 (1983) PP. 13-18

Baᶜalbaki, Dictionary= 3-

, Dictionary of Linguistic Terms, English-Arabic, (Beirut,1990).

4- Carter,Sarf=

Carter, Michael G.," Ṣarf et Ḫilāf , contribution a l'histoire de la grammaire arabe" . Arabica 20 (1973) pp. 292-304

5- Encyclopaedia of Islam (new edition). 1960-2002, Leiden.

6- Gilliot, Exegese=

Gilliot,Claude, Exegese, langue, et theologie en Islam: L'exegese coranique de Ṭabari(m.311/923).Paris

7- Goldenberg, Subject=

Goldinberg, Gideon.,"Subject and Predicate in Arab Grammatical Tradition" . ZDMG 138 (1988) pp.39-73

8- Levin, Sībawayhi's view=

Levin, Aryeh.,"Sībawayhi's view of the syntactical structure of kāna wa'axawātuhā". JSAI 1(1979), pp. 185-213

9- Levin, al-Musnad=

," the grammatical terms al-musnad , al-musnad ᵓilayhi and al-ᵓisnād". JAOS 101(1981),pp.145-156

Digitized by Birzeit University Library

10- Levin, The Syntactic=
,"The syntactic technical term al-mabni ᶜalayhi".JSAI 6 (1985), 299-352

11- Levin, The Category=
," The Category of ʾasmāʾ al-fiᶜl in Arabic grammar".The Arabist.Budapest Studies in Arabic 3-4(1991), 247-56

12- Levin, The Meaning=
,"The meaning of Ḥarf gāʾa li-maᶜnan in Sībawayi's al-Kitāb". JSAI 24 (2000),22-48

13- Owens, Early=
Owens,Jonathan., Early Arabic Grammatical Theory: Heterogeneity and standardization. Amsterdam & Philadelphia: J. Benjamins. 1990

14- Talmon, Naḥwiyyūn =
,"Naḥwiyyūn in Sībawaihi's Kitāb", ZAL 8 (1982), 12-38

15- Talmon,Al- Kalām=
Talmon, Rafi. "Al-kalām ma kāna muktafiyan bi-nafsihi wa- huwa l- ğumla- a study in the history of sentence concept and the Sibawaihian legacy in Arabic grammar". ZDMG 138 (1988), 74-97

16- Talmon, The Philosophizing=
," The philosophizing Farrāʾ: An interpretation of an obscure saying attributed to the grammarian Ṯaᶜlab " .In Proceedings the Second Workshop on the History of Arabic Grammar .Ed. C.H. M.Versteegh and M.G Carter, Studies in the History of the Language Sciences 56, Amsterdam and Philadelphia, (1990), 265-79

17- Talmon, Ḥatta=
," Ḥatta+impf. And Chapter 239 in Sībawayhi's kitāb: A study in the early history of Arabic grammar". JSS 38 (1993), 71- 113

18- Talmon, Arabic Grammar=
,Arabic Grammar in its Formative Age : Kitāb al-ᶜAyn & its Attribution to Ḫalīl ibn Ahmed. Leiden.1997

Digitized by Birzeit University Library

19- Troupeau, Index =
Troupeau, Gerard., Lexique- Index du " kitāb " de Sibawayhi, Paris, 1976

20- Versteegh, A dissenting
Versteegh, C.H.M, " A dissenting grammarian : Quṭrub on declension" Historiographia Linguistica 8,2/3: (1983).pp.167-93

21- Versteegh, Grammar=
," Grammar and exegesis: The origins of Kufan grammar and the tafsi Muqātil". Der Islam 67,(1990),pp.206-242

22- Versteegh,Arabic Grammar=
,Arabic Grammar and Qurʾānic Exegesis in Early Islam. Leiden. 199

23- Weil,Die Grammatischen=
Weil,Gotthold , Die grammatischen Streitfragen der Basrer und Kufer.Leiden. 191

24- Wright,Grammar=
Wright, W., A Grammar of the Arabic language,2 vols.Cambridge University Press, 1975

25- Jakubovic, Syntactic
Jakubovic, Uri. , Syntactic terms and concepts in al- Farrāʾ's commentary on the Qurʾān. M.A thesis,The Hebrew University of Jerusalem . (1985) ,(in Hebrew)

Digitized by Birzeit University Library

معجم مصطلحات الطبري

	الصفحة
١ . مأخوذ من	٨٦
٢ . أداة	٨٦
٣ . الأصل	٨٧
٤ . ائتناف	٩٠
٥ . استئناف	٩١
٦ . الابتداء	٩١
٧ . بدل، ترجمة	٩١
٨ . التبرئة	٩٢
٩ . تمام	٩٢
١٠ . استثناء	٩٢
١١ . استثناء متصل صحيح	٩٢
١٢ . الاستثناء المنقطع/ الخارج	٩٣
١٣ . الجحد، الإقرار، النفي، الاستثبات	٩٣
١٤ . جحد غير مصرح به	٩٤
١٥ . الإجراء و ترك الإجراء، المجرى و غير المجرى	٩٤
١٦ . الجزاء، الشرط، المجازاة	٩٤
١٧ . الجملة	٩٥
١٨ . جملة الخبر	٩٥
١٩ . جملة تامة	٩٦
٢٠ . من جملة الكلام	٩٧
٢١ . المجهول، الهاء المجهولة	٩٧
٢٢ . المعرفة غير الموقتة	٩٧
٢٣ . ضمير الشأن	٩٨
٢٤ . المجهول من الوقت	٩٨
٢٥ . الهاء المجهولة	٩٨
٢٦ . الحوادث	٩٩
٢٧ . حرف، حروف	٩٩
٢٨ . الحكاية	١٠٣
٢٩ . المحل	١٠٤
٣٠ . الخبر بمعنى الفعل	١٠٥
٣١ . تمام الخبر	١٠٥

Digitized by Birzeit University Library

٣٢ . خبر مستأنف	١٠٦
٣٣ . خافض، نصب بفقد الخافض	١٠٧
٣٤ . الخروج	١٠٧
٣٥ . خلف	١٠٧
٣٦ . دائم	١٠٧
٣٧ . دعامة	١٠٧
٣٨ . الذم، النصب على الذم، النصب على الشتم	١٠٨
٣٩ . الراجع من ذكره	١٠٨
٤٠ . الرد	١٠٨
٤١ . مرافع، يرافع	١٠٩
٤٢ . الاسم الصحيح	١١٠
٤٣ . اسم الفعل	١١١
٤٤ . اسم الفاعل	١١١
٤٥ . الشتم، النصب على الشتم	١١١
٤٦ . المصدر، النصب على المصدر	١١١
٤٧ . الصرف	١١٢
٤٨ . المصمود له	١١٢
٤٩ . الأصوات	١١٢
٥٠ . طرف للخبر والفعل	١١٣
٥١ . تطاول الفعل والكلام	١١٤
٥٢ . التطول	١١٦
٥٣ . معرفة موقتة	١١٦
٥٤ . التعقيب	١١٦
٥٥ . عماد	١١٧
٥٦ . هاء العماد	١١٩
٥٧ . المعهود	١١٩
٥٨ . العائد من ذكره، الراجع من ذكره	١٢٠
٥٩ . الإغراء، النصب على وجه الإغراء	١٢٠
٦٠ . غاية، غاية الكلام:	١٢١
٦١ . التفسير	١٢١
٦٢ . فاصلة، ألف فاصلة	١٢١
٦٣ . الفعل	١٢٢
٦٤ . حولت الفعل	١٢٢
٦٥ . فعل مصرح	١٢٢
٦٦ . فعل واقع، غير واقع	١٢٢
٦٧ . مفعول	١٢٣

Digitized by Birzeit University Library

٦٨ . مفعول به	١٢٣
٦٩ . الواو المقحمة	١٢٣
٧٠ . التقريب	١٢٣
٧١ . التكرير	١٢٣
٧٢ . التكرير بمعنى الإعادة	١٢٣
٧٣ . التكرير بمعنى البدل	١٢٤
٧٤ . بمعنى التوكيد اللفظي	١٢٤
٧٥ . تكرير الفعل	١٢٥
٧٦ . كلام	١٢٥
٧٧ . بمعنى الجملة التامة	١٢٥
٧٨ . انقطاع الكلام	١٢٦
٧٩ . بمعنى العبارة	١٢٧
٨٠ . الكلام المتصل الحروف	١٢٧
٨١ . بمعنى النطق	١٢٧
٨٢ . كنى عن، كناية عن	١٢٨
٨٣ . كان التي لا تحتاج إلى خبر	١٣٠
٨٤ . المدح	١٣١
٨٥ . النسق، حروف النسق	١٣٢
٨٦ . النفل:	١٣٣
٨٧ . المنقول، اسم منقول، نقل	١٣٣
٨٨ . نكرة خارجة من المعنى	١٣٤
٨٩ . متناه، خبر متناه	١٣٤
٩٠ . سعة العربية، اتساع الكلام	١٣٤
٩١ . التصدير، مصدّر	١٣٤
٩٢ . الصفة، حروف الصفات، إلقاء الصفة	١٣٥
٩٣ . بمعنى النعت	١٣٥
٩٤ . بمعنى ظرف الزمان والمكان	١٣٦
٩٥ . الاسم الموضوع، الأسماء الموضوعات	١٣٧
٩٦ . الوقت، الأوقات	١٣٧
٩٧ . المؤقت وغير المؤقت	١٣٨
٩٨ . التوكيد، النصب على التوكيد	١٣٩
٩٩ . واو الموالاة	١٤٠

Digitized by Birzeit University Library

Five- al-Ṭabarī was not a professional grammarian, in spite of his thorough understanding of the difficult issues of grammar . He was not keen to be a kufic or baṣri grammarian, because, he was
correlated to the group of "Mufassirūn".

Six- The thing that support our assumption:

- That he did not compose a book of grammar, while he was the author of many books in the other fields of knowledge.
- The late Arab grammarians, after al-Ṭabarī were not used to quote his grammatical views in their books.

Seven- It was not al-Ṭabarī's aim in his Tafsīr, to make it specialized in grammatical issues, but his primary aim was to clarify the Qurʾānic text.

Digitized by Birzeit University Library

Six- Many of controversial issues center around the syntax of a certain word. In other words it deals with problematic issues in the Qurʾānic text only.

Seven- One of the most important finding of the study in this chapter is a number of controversial issues introduced by al-ʿAnbāri in his book "al-ʾInṣāf. Such issues have their roots in the old sources such as al-Farrāʾs "MaʿānīI-Qurʾān"

Eight- The study affirmed that a number of al-ʾAnbāri quotations about the Kufis is not precise due to his generalization.

Nine- We notice that the issues which al-Ṭabarī adopted and which refers to al-Baṣra concerns secondary issues not the basics.

Ten- There are a number of controversial issues mentioned at Tafsīr al-Ṭabarī which don't deserve to be called controversial. So we don't have to interpret what Ṭabarī says "controversial" as a controversial issue all the time.

Eleven- A number of well-known issues in "ʾInṣāf" such as derivation of the verb from verbal noun and vice,versa are not mentioned at Tafsīr al-Ṭabarī.

4- Chapter 4: al-Ṭabarī;s grammatical doctrine and his religious views and their relation with grammar.

One- Tafsīr al-Ṭabarī represents an early stage of interpretation. He joins gramrnar with interpretation and uses gramrnar to clarify the meaning of the Qurʾānic text. He cleverly realized this fact.

Two- The study aff~rms that al-Ṭabarī prioritizes the views and sayings of predecessors over grammarians for he belongs to the former group. He uses grammar to the extent allowed by the Qurʾān interpretation for the Qurʾān is a holy text which has no room for grammarians discussions, according to al-Ṭabarī.

Three- The study has reached that Tafsīr al-Ṭabarī is one of the t most important early sources that recorded a lot of ancient Arab dialects spoken by different Arab tribes. It also include a lot of rare readings not found in any other tafsīr.

Four-In his Tafsīr, al-Ṭabarī draws certain criteria for eloquence of speech such as: its publicity, reputation, use and easy to pronounce.

Digitized by Birzeit University Library

Nine- Some Kufic terms are very old and their history goes back to the 2nd century A.H. Such terms are not modernized by Kufic grammarians to be used a synonym to Baṣra terms on one hand and to emphasize and prioritize the Kufic doctrine on the other.

Ten- The term Ğumla used by al-Ṭabarī correlates with early scholars, who did not use it to mean a full speech, unlike the late grammarians.

Eleven- al-Ṭabarī used certain terms in a way which differs from the way used by grammarians. Such terms were adopted from fiqh, tafsīr such as *ʾĪtināf, Khalf, Masmūd lahu, and Nafal (i.e, Ziyāda).*

Twelve- There are certain terms used in Tafsīr al-Ṭabarī once or twice, This indicates that they are not technical or specialized terms such as Ġāyat and Kalām.

Thirteen- There are joined terrns used by Kufis and Baṣris which are found in al-Kitāb by Sībawayh such as: *Takrīr, Kalām, Fiʿl* to mean verbal noun, *Kināya* and *Nasaq.*

3- Chapter 3: controversial issues in Tafsīr al-Ṭabarī

One- After looking at more than 100 controversial issues between Baṣra and Kufic dockines in Tafsīr al-Ṭabarī, we find that he supports Kufis in most cases.

Two- al-Ṭabarī is considered one of the most important sources that cited such controversial issues which give us the opportunity to compare it with what the later have written.

Three- al-Ṭabarī's method in discussing such controversial issues show that he is more like a man of fiqh and Ḥadīth than a grammarian. His language is closer to fiqh.

Four-Grammarians' views on controversial issues is adopted from books concerning Qurʾān interpretation and not from specialized grammatical books.

Five- We notice that al-Ṭabarī is independent in his way of thinking. He is not keen to belong to a certain grammatical doctrine but rather his main interest is to interpret the Qurʾān. He uses grammar to serve the interpretation of the Qurʾān but not vice versa. We also notice that he is not enthusiastic for the Kufis against the Baṣris as it was the case of the books written by the late grammarians. This is simply because he was a man of fiqh and Ḥadīth before any thing else.

Digitized by Birzeit University Library

2- Chapter 2: al-Ṭabari's grammatical terms

After examining more than 80 grammatical terms used by al-Ṭabarī, we notice the following:

One- The absolute majority of terms he used in Tafsīr belong to Kufic doctrine. He relied on al-Farrāʾ and other Kufic scholars.

Two- Instability in meaning of certain terms used by al-Ṭabarī. He used a certain term in an ambiguous manner such as a Ḥarf, a Fiʿl and the term Tafsīr which implies a lot of meanings.

Three- Duality of terms. In some occasions he used the Basri term beside the Kufic term such as: Qaṭʿ, Ḥāl, Badal, Tarğama and so on.

Four- He had a full freedom of selecting the appropriate terms that suite the holiness of the Qurʾānic text. We find him reject "Ḥarf Zāʾid which is used by some grammarians for he believes that it is inadequate to attribute redundancy to God's words in one hand and to avoid any criticism from certain sects to eloquence of the Qurʾān and its miraculous nature. For example, al-Ṭabarī used in many occasions "Ṣila" instead of "*Ziyāda*" keeping in mind that he allowed using "*Ḥarf Zaʾid*" under certain circumstances as it appears in Bedouin classical Arabic and which can also be used for emphasis.
We notice that al-Ṭabarī is a first-class interpreter who uses grammar to deepen our understanding of Qurtan meaning.

Five- As Kufic grammarians, al-Ṭabarī divides the verb according to time to past, future and permanent "al-Dāʾim". He added Fiʿl Muḍāriʿ and ʾIsm al-Fāʿil to "al-Dāʾim" term.

Six- The study affirmed by discussing the term "Fiʿl" based on Ṭabarī's interpretation that there is what is known as "Afʿāl Musāʿida / auxiliary verbs" in Arabic language. These are unreal verbs which refer to no real action but state the time. al-Ṭabarī described such verbs as "they signify the continuity of the act". The study affirms that such verbs are still used in contemporary colloquial language.

Seven- We should be careful when dealing with later scholars who quoted certain terms Dom the earlier Kufic scholars for later scholars use certain grammatical terms which the reader mistakably believes they were used by the earlier scholars.

Eight-Using Kufic terms to a great deal in grammar implies a good relationship between Kufic grammar and interpretation of the Qurʾān.

Digitized by Birzeit University Library

II- RESULTS OF THE STUDY

After examining sections of Tafṣīr al-Ṭabarī that deal with grammar, we reached the following results:

1- Chapter I: Sources of Ṭabarī's grammar

One- We discovered that al-Ṭabarī relied on al-Farrā's book "Maᶜani al-Qurʾān", meaning that al-Ṭabarī belongs to Kufic doctrine of grammar.

Two- We realize that what al-Ṭabarī quotes from al-Faraāʾ differs from what we find in the printed version of "Maʾāni al-Qurʾān". This means that al-Ṭabarī quoted from a more detailed version of "Maᶜāni al-Qurʾān" other than the existing printed issue.

Three- al-Ṭabarī related many issues from earlier authors such as al-Kisāʾī and al-Aḥmar al-Kūfi whose books haven't reached us. So Tafsīr al-Ṭabari is considered a unique source that record the views of such authors.

Four-The study confirmed that al-Ṭabarī referred to important sources that dealt with interpretation of the Qurʾan and other topics which we haven't received. Such sources include "Maᶜanī l-Qurʾan" by al-Kisāʾī, "al-Qirāʾāt" by Qāsim bin Sallām and excerpts from Quṭrub, one of Sībawayhi's students.

Five- It is believed that al-Ṭabarī didn't quote directly from specialized books such as "al-Kitāb" by Sībawayhi and "al-Muqtaḍab" by al-Mubarrad but rather he relied on books that dealt with Qurʾan and its interpretation, besides he didn't refer a lot to the names of grammarians whom he quoted.

Six- The last note in this regard is that al-Ṭabarī was very precise when quoting something. He was selective of the grammatical issue in his Tafsīr, arguing it accepting one and rejecting the other. He didn't involve himself in the grammarians discussions for he wanted to maintain the holiness of the Qurʾānic text.

Digitized by Birzeit University Library

ABSTRACT:

I- SUBJECT MATTER OF THE RESEARCH

Tafsīr al-Ṭabarī is one of the most important sources of the Kufic grammar. The importance of such a source that sheds light on the Kufic grammar and its divisions increases due to the scarcity of books we received and which deal with the Kufic grammar such as "Maᶜanī l-Qurᵓān" by Al-Farrāᵓ.

Based on the grammatical material provided by Tafsīr al-Ṭabarī, we can determine the accountability of the later grammar sources that dealt with the views of Kufic grammarians such as al-Anbari book "aI-Inṣāf" and many other books.
Kufic grammar is problematic for we depend on secondary sources to understand it due to the scarcity of first hand sources that tackle this issue directly unlike Basra graTnmar which was discussed by SībawS'h in his book "al-Kitāb", in " al-Muqtaḍab,' by al-Mubarrad and " alᵓUṣūl Fī al-Naḥw" by ᵓĪbn Sarrāğ.

"Maᶜānī al-Qurᵓān" by a l-Farrāᵓ and "Mağālis" by Thaᶜlab are the major sources of the Kufic grammar though not enough to give a full
understanding of the Kufic grammar unlike the above-mentioned sources that dealt with Basra grammar.

Our understanding of the Kufic grammar is based on our readings of books written by opponents of such a grammar that is Basra grammar. This makes us question the views which are attributed to them and doubt the accountability of such books. For example, al-ᵓAnbāri's book "al-ᵓInṣāf" talks about views of Kufic scholars in a general way without any details. Such generalization leads to many problems. Based on this we recognize the importance of Tafsīr "al-Ṭabarī which is considered an authentic source that gives us the opportunity to compare what is written by the later authors on Kufic grammar in an attempt to confirm or deny their views.

The importance of Tafsīr al-Ṭabarī lies in its comprehensiveness. It deals with language, grammar, readings, Ḥadīth, stories of the prophet and Fiqh. al-Ṭabarī was not just a grammarian who cares only about grammar. Tafsīr al-Ṭabarī incIudes many unique material and traditions which are not included in any other tafsīr.

Digitized by Birzeit University Library

This dissertation was written

under the supervision of

Professor Aryeh Levin

Digitized by Birzeit University Library

Tabari's Grammatical Views According To His Commentary On The Koran

"Jāmiᶜ al-bayān ᶜan tᵓawīl āy al-Qurᵓān"

Thesis Submitted for the degree
Doctor of Philosophy
by

Nasser ed-din Abu khdair

Submitted to the Senate of the Hebrew University of Jerusalem
December, 2005

Digitized by Birzeit University Library

Tabari's Grammatical Views According To His Commentary On The Koran

"Jāmiᶜ al-bayān ᶜan tᵓawīl āy al-Qurᵓān"

Thesis Submitted for the degree
Doctor of Philosophy
by

Nasser ed-din Abu khdair

Submitted to the Senate of the Hebrew University of Jerusalem
December, 2005

Digitized by Birzeit University Library